

الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الإخوة منتوري-قسنطينة

رقم التسجيل: 26/D3C/2020

كلية الآداب واللغات

الرقم التسلسلي: 03/AR/2020

قسم الآداب واللغة العربية

المصطلح النقدي والبلاغي في كتابي: "تحرير التحبير" و"بديع

القرآن" لابن أبي الإصبع المصري دراسة دلالية معجمية

أطروحة مقدمة لنيل درجة دكتوراه (ل م د) في الأدب العربي القديم

إشراف الأستاذ الدكتور:

إعداد الطالبة:

موسى شروانة

فوزية سعيود

2020-06-30

لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة	الصفة
حسن كاتب	أستاذ التعليم العالي	الإخوة منتوري _قسنطينة1	رئيسا
موسى شروانة	أستاذ التعليم العالي	الإخوة منتوري _قسنطينة1	مشرفا ومقررا
رشيدة كلاع	أستاذة محاضرة أ	الإخوة منتوري _قسنطينة1	عضوا
رشيد شعلال	أستاذ التعليم العالي	باجي مختار عنابة	عضوا
بشير إبرير	أستاذ التعليم العالي	باجي مختار عنابة	عضوا
العلمي لراوي	أستاذ التعليم العالي	العربي بن مهدي أم البواقي	عضوا

السنة الجامعية: 1441 هـ / 2019 _ 2020

بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِیْمِ

﴿سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾

سورة البقرة، الآية 31

إهداء

إلى الوالدين الكريمين أبي العزيز وأمي الحنونة شفاها الله وعافاها.

إلى جدتي الغالية شفاها الله وعافاها.

إلى العزيزين على قلبي خالي عبد الحميد وأخي رابع.

إلى أرواح الذين شاءت الأقدار أن يغادرونا، أدعو لهم بالرحمة والمغفرة راجية من الله تعالى أن ينير قبورهم ويجعلها روضة من رياض الجنة.

إلى كل أفراد أسرتي وعائلاتهم ومن تربطني بهم صلة رحم.

إلى كل الأصدقاء والأهل والأحباب دون استثناء.

إلى كل الذين قدموا لي العلم والمعرفة ... أساتذتي وأخص بالذكر أستاذي الفاضل "موسى شروانة".

والحب والتقدير إلى كل من له فضل علي.

إليهم جميعا أهدي هذا الجهد المتواضع، حبًا وعرفانا بالجميل.

فوزية

شكر وتقدير

أقدم شكري لله رب العالمين لتوفيقه لي من أجل إتمام هذا البحث.
وأقدم بكلمة شكر - أراها قاصرة مهما عبّرت - عن إيفاء أناس كثيرين حقهم لأنهم كانوا متفضلين بعطائهم ومواقفهم النبيلة التي ستبقى دينا في رقبتى، مقدمة أستاذي المشرف الأستاذ الدكتور: "موسى شروانة"، لما أبداه من جهود قيمة، كما لا أغفل تشجيعه لي وتواصله معي، فكان نعم الأستاذ وسيظل، فجزاه الله عني خير الجزاء، وخالي العزيز "عبد الحميد" لما قدمه لي من مساعدة ورعاية علمية، دون أن أنسى الأستاذة الفاضلة "زهيرة بولفوس" لما بذلته من أجلي، فليعذروني جميعهم إن قصرت لغتي في شكرهم والاعتراف بجميل صنيعهم.

وأقدم بأسمى آيات الشكر وأروع معاني الوفاء وأخطأها بحروف من ذهب لأقدمها إلى والديّ الكريمين وجدتي العزيزة أطال الله في عمرهم جميعا.
وأقدم حروف الشكر وآيات العرفان إلى كل من أهداني في الكون حرفا... إلى كل من علمني معنى... إلى أساتذتي الكرام.
كما لا يفوتني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى القائمين على معهد الآداب واللغات وقسم اللغة العربية وآدابها بجامعة قسنطينة، وإلى عمال مكتبتي الجامعة وإلى من قام بطبع هذا البحث، وإلى كل من قدم لي يد المساعدة وأراد لي الخير.

مقدمة

مقدّمة:

يحتل المصطلح النقدي اليوم صدارة الاهتمامات العلمية لدى الدارسين والباحثين باعتباره المدخل الأساسي لأي دراسة علمية وأدبية فهو لغة الفكر العلمي، والبحث فيه بحث في ذات العلم، ولعل النقد والبلاغة من أبرز تلك العلوم التي يعد المصطلح إحدى آلياتها.

إنّ ثروة اللغة العربية من المصطلحات العلمية لها خصوصية الماضي والحاضر، فقد كانت مفرداتها وعاء لمصطلحات مختلف العلوم حيث تنبّه القدماء من النقاد والبلاغيين إلى أهميتها البالغة. ولذلك حاولوا الإسهام فيها بقدر لا يستهان به، ويمكن أن نذكر هنا على سبيل المثال لا الحصر: محاولات "ابن المعتز" (ت296هـ) في كتابه (البدیع)، "وقدامة بن جعفر" (ت337هـ) في كتابه (نقد الشعر)، وكذلك ما قدمه "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) في كتابه (الصناعتين)، و"أسامة بن منقذ" (ت584هـ) في كتابه (البدیع في نقد الشعر).

ويعتبر ابن أبي الأصعب المصري (ت654هـ) من الأعلام الذين أسهموا في التأسيس للمصطلح النقدي والبلاغي بصورة لافتة للانتباه وذلك من خلال كتابين هامين له هما: "تحرير التحبير" و"بديع القرآن"، حيث حشد فيهما قائمة طويلة من المصطلحات النقدية والبلاغية تجاوزت مائة وثلاثين مصطلحاً في محاولة منه لتيسير السبيل أمام الدارسين والباحثين لفهم إعجاز القرآن الكريم والوقوف على أسراره البلاغية، وكذلك إدراك صناعة فن القول لدى المبدعين من الشعراء والكتاب.

وعلى الرغم من أن جهوده في هذين الكتابين تعد من أهم الجهود التي بذلت في تراثنا النقدي والبلاغي، فإن هذه الجهود تحتاج إلى التقويم وإعادة النظر وفق المناهج العلمية المعاصرة في دراسة المصطلح.

كل هذا وضعنا أمام الإشكالية الآتية:

- إلى أي حد كان مساهما في التأسيس للمصطلح شكلاً ومضموناً؟.
- هل استطاع أن يلتزم بالمعايير المطلوبة لإنتاج المصطلح؟.
- كيف تعامل مع المصطلح؟، وكيف كان منهجه في معالجته؟، وأين تكمن بصمته فيه؟.

- وما الذي يقدمه لنا في عالم الدراسة الاصطلاحية والمعجمية؟.

وعن الأهداف التي يسعى هذا البحث إلى تحقيقها فهي كثيرة، يمكن الإشارة إلى بعضها في الآتي:

- هدف علمي يتمثل في تكوين معجم للمصطلحات النقدية والبلاغية من خلال دراسة كتابين هامين لأحد أعلام النقد والبلاغة في القرن السابع الهجري.

- الإسهام في الدراسة الاصطلاحية للإفادة منها في سائر الدراسات النقدية والبلاغية.

- الإسهام في إنشاء المعجم التاريخي للمصطلح النقدي الذي تحلم به الدوائر العلمية والثقافية.

- تجديد الصلة بالتراث النقدي والبلاغي من خلال العودة إلى دراسته للزيادة في الوعي به لخدمة الأجيال في البحث العلمي، وخدمة اللغة العربية بإثراء معجمها اللغوي والاصطلاحي.

وهذا البحث وإن كان جديدا في موضوعه، وفي طريقة معالجته، ليس جديدا في بابه وهو دراسة المصطلح النقدي والبلاغي، فقد سبقته دراسات عديدة في التراث العربي على

امتداد تاريخه الطويل، وإذا كانت المنهجية تقتضي التعريف بكل الإنجازات التي تمت فيه فإن المقام هنا لا يسعف في ذلك لكثرة هذه الإنجازات وتنوعها، ولذلك نكتفي بالإشارة إلى ما

تميزت به هذه الإنجازات لجعل صورتها واضحة أو شبه واضحة للمتلقي. وأول ما يبدو واضحا فيها هو أن بعضها كان ينحو منحى عاما، وبعضها الآخر كان ينحو منحى خاصا

في معالجة المصطلح. فالإنجازات التي عالجت المصطلح النقدي والبلاغي بشكل عام كان هدفها الأساسي هو وضع معجم شامل تتحقق فيه الغاية التي أشرنا إليها سابقا وهي الإسهام

في إنشاء المعجم الاصطلاحي التاريخي الذي تحلم به الدوائر العلمية والثقافية، وأبرز دراسة سعت إلى تحقيق هذه الغاية هي دراسة الدكتور: أحمد مطلوب سنة 1983م وكانت بعنوان:

معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، وقد حرص الباحث في هذا المعجم على حشد المئات من المصطلحات البلاغية ودرستها وترتيبها بحسب الحروف الهجائية، كانت بدايتها بالهمزة

ونهايتها بالواو، ونظرا لكثرتها فقد أخرجها في ثلاثة أجزاء، الجزء الأول منها تجاوز ثلاثمائة

مصطلح، وكان قد استقاها من مصادرها الأساسية وهو ما جعلها متميزة ومفيدة من ناحيتين على الأقل:

الأولى تتمثل في شموليتها حيث لم يقف فيها صاحبها عند قرن معين أو فترة زمنية محدّدة، وإنما جعلها شاملة لكل عصور البلاغة.

الثانية تتمثل في تحقيق بعض خصائص المعجم من الناحية التقنية والتاريخية.

وعلى الرغم من الأهمية العلمية لهذا المعجم فإن بعض النقائص قد شابته أبرزها ما يلي:

1_ عدم التحديد التاريخي للمصطلح، مما يجعلنا لا نعرف البداية التاريخية لنشأته وتطوره ولا نعرف كذلك نهايته، وهذا الأمر لا يساعد على معرفة الإطار العلمي والتاريخي لهذا المصطلح.

2_ كل المصطلحات التي اشتمل عليها المعجم اعتبرت بلاغية كما جاء في عنوانه، كما أن الكثير منها لا يعتبر بلاغيا بل نقديا بعدما استقلت البلاغة عن النقد في القرن السابع الهجري على يد أبي يعقوب السكاكي (ت626هـ) في كتابه (مفتاح العلوم) وحتى قبل هذا التاريخ كانت البلاغة متداخلة مع النقد علما بأنه اعتمد في معجمه على المصادر التي كانت البلاغة فيها متداخلة مع النقد، مثل: (نقد الشعر) لقدامة بن جعفر (ت337هـ) و(الصناعتين) لأبي هلال العسكري (ت395هـ) وغيرهما.

3_ عدم الإفادة من الدراسات الاصلاحية المعاصرة، ولا من النظريات اللغوية الجديدة وبخاصة فيما يتعلق بعملية التقسيم والتصنيف التي تبنى عليها المعاجم اللغوية الاصلاحية.

تلك هي بعض أوجه القصور في هذا المعجم التاريخي عن المصطلح البلاغي.

أما الإنجازات التي تمت في مضمار المصطلح النقدي والبلاغي، وكانت لها أهميتها أيضا من الوجهة التاريخية والعلمية بحيث يمكن إدراجها ضمن المحاولات الجادة الرامية لإنشاء المعجم التاريخي، فهي كثيرة ومتنوعة ولكنها تصنف ضمن المعالجات الخاصة لأن صاحبها اقتصر فيها على دراسة المصطلح في بعض المصادر التراثية مثل: الدراسة التي

أعدّها الباحث: الشاهد البوشيخي سنة 1982م عن كتاب (البيان والتبيين) للجاحظ (ت255هـ)، وكانت بعنوان: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب (البيان والتبيين للجاحظ).

ولهذه الدراسة أهميتها وقيمتها العلمية والتاريخية كما أشرنا من قبل، ولكنها مع ذلك، جاءت ناقصة شأنها في ذلك شأن الدراسات التي سارت على نهجها، مثل الدراسة التي قدمتها الباحثة: زبيدة رشدي سنة 2010م بعنوان: (المصطلح النقدي في الشعر والشعراء لابن قتيبة).

وكذلك الدراسة التي قام بها الباحث: إبراهيم محمد محمود الحمداني سنة 2014م بعنوان: (المصطلح النقدي في كتاب العمدة لابن رشيق القيرواني).

فجميع هذه الدراسات اشتركت في رصد المادة الاصطلاحية وتحليلها في الكتاب ثم ترتيبها في الأخير بحسب الحروف الهجائية ليسهل الرجوع إليها كما فعل من قبل الدكتور: أحمد مطلوب. ولعل أهم ما أغفلته هذه الدراسات أنها تعاملت مع المصطلح على أنه مجرد رمز يعبر به عن مفهوم خاص وليس له صلة بعلم اللغة أو بعلم الدلالة أو بأي أنساق دلالية أخرى.

وقد توالى الإنجازات في هذا الحقل ولكن لم يتيسر لي الاطلاع عليها جميعا باستثناء رسالتي ماجستير منها:

الأولى بعنوان: (المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن أبي الإصبع المصري)، للباحث: "عمار عبد القادر أبو عمرو"، وقد اقتصر في هذه الدراسة على المصطلحات التي ابتدعها أو اخترعها "ابن أبي الإصبع المصري" والبالغ عددها خمسة وعشرون مصطلحا، وبعضها من المصطلحات البلاغية بلغ عددها ثلاثة عشر مصطلحا، وأربعة مصطلحات نقدية.

الثانية كانت بعنوان: (البديع بين ابن أبي الإصبع العدواني المصري والخطيب القزويني عرض وتحليل وموازنة)، وهي للباحثة: "عواطف بنت صالح بن سالم الحربي"، وقد حاولت

هذه الباحثة أن تعقد موازنة بين الرجلين في بعض النماذج الهامة في هذا العلم (علم البديع) لغرض الكشف عن الفروق بينهما وإبراز المزايا التي تفرد بها كل واحد منهما.

إن هاتين الدراستين كانتا تحاولان الاقتراب من عالم "ابن أبي الإصبع المصري" الاصطلاحي لتقديم معرفة علمية عن مصطلحه النقدي والبلاغي، ومحاولة الامتداد بهذه المعرفة إلى غيره عن طريق البديع كما هو الحال في رسالة الباحثة "عواطف"، وكلتاهما تصب في المسعى الذي يولي أهمية للمصطلح النقدي والبلاغي في تراثنا القديم على وجه الإجمال، وتصب كذلك في الاهتمام بالتراث الذي تركه "ابن أبي الإصبع المصري". وللإنصاف فإنه لا يمكن في هذا المقام إلا الإشادة بهذا المسعى، غير أن هذه الإشادة لم تمنع من التسجيل عليهما معا جملة من الملاحظات نجمتها في الآتي:

1_ العناية بالجزء وذلك بالاختصار على دراسة عينة من المصطلحات سواء تعلق الأمر بالبديع كما في رسالة الباحثة: "عواطف"، أو بعدد معين من المصطلحات كما في رسالة الباحث: "عمار عبد القادر".

2_ التردد في اقتحام عالم "ابن أبي الإصبع المصري" النقدي والبلاغي بصفة عامة، وذلك يعود لجملة من الأسباب، منها: صعوبة هذا العالم الاصطلاحي، وتعدد مداخله، وتنوع مزلقه.

3_ عدم الاستفادة من الدراسات اللغوية المعاصرة في دراسة المصطلح عند "ابن أبي الإصبع المصري".

وعلى الإجمال، فإن ما يمكن استخلاصه من مجمل الدراسات التي تناولت المصطلح التراثي النقدي والبلاغي هو أن هذه الدراسات أدركت أهمية المصطلح التراثي، وأن من الضروري الالتفات إليه وإيلائه العناية التي يستحقها ببذل المزيد من الجهد فيه، انطلاقاً من القناعة بأن النتائج المرجوة منه لن تتحقق إلا بتضافر الجهود. وفي هذا المسعى تدخل دراستنا للمصطلح النقدي والبلاغي عند "ابن أبي الإصبع المصري" (دراسة دلالية معجمية) حيث سعينا منذ البداية ألا نقف عند الجزء أو عند طائفة من المصطلحات، وألا نحاول أن

نعالج المصطلح كيفما اتفق دون الاستناد في ذلك إلى نظام يحكمه، أو إلى رؤية تؤلف بين أنساقه، وإنما نحاول أن ننهج نهجا مغايرا، حيث حددنا الهدف من هذه الدراسة وأوضحنا المنهج الذي اخترناه لها، لأن الدراسة التي تكون علمية لا بد لها من منهج. وقد اخترنا لهذه الدراسة المنهج التاريخي لملاءمته طبيعتها باعتبارها دراسة تاريخية في الأساس، من حيث أنها ترصد استخدام المصطلح النقدي والبلاغي سواء على مستوى المؤلف نفسه من خلال الكتابين، أو من خلال التتبع التاريخي لمفهوم المصطلح لإثبات التطور الذي حصل فيه خلال فترات زمنية طويلة، ثم رصد استخدامه عند من جاء بعده ممن تأثر به وأخذ عنه وذلك بقصد متابعة التطور الذي شهده.

ولما رأينا أن المنهج التاريخي قاصر عن الوفاء بمتطلبات الدراسة فقد دعمناه بالمنهج الوصفي الذي أفادنا بخطواته الإجرائية في التعامل مع المصطلح سواء من حيث البحث في مكونات المصطلح وتحديد طبيعة بنياته، أو في رصد خصائصه وتشكلاته عند الاستخدام. وفي ضوء هذا التصور وضعنا خطة للبحث تتناسب مع طبيعة المادة العلمية المدروسة ومع الرؤية النسقية التي تقوم عليها. وتقوم هذه الخطة على تمهيد وقسمين أدرجنا تحت كل قسم منهما أبوابا وتحت كل باب فصولا، وخاتمة وجملة من الفهارس.

تناولنا في التمهيد (الإشكالية النظرية للمصطلح) وجاء ذلك في محورين اثنين: عالجتنا في الأول المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمصطلح، وشروط صناعته، وامتد الحديث فيه إلى اختلاف الدارسين وتباين وجهات نظرهم في صناعته. وتناولنا في الثاني علاقة المصطلح بعلم المصطلح (المصطلحية)، وختمناه بالحديث عن آليات صناعة المصطلح، لغرض الكشف عن القوانين الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية التي تتحكم في إنشائه.

ومن التمهيد إلى القسم الأول الذي جعلناه بعنوان (الدراسة التاريخية والوصفية للمصطلح في الكتابين)، في بابين وأربعة فصول: اعتنى الباب الأول بمعالجة (الدراسة التاريخية للمصطلح)، وجاء في فصلين، تناولنا في فصله الأول (العوامل الثقافية في تشكيل وعي

المؤلف للمصطلح) ، وعرضنا في فصله الثاني إلى (العوامل الدينية المؤثرة في التأليف الاصطلاحي لدى المؤلف وعلاقتها بإعجاز القرآن).

أما الباب الثاني الذي حمل عنوان (الدراسة الوصفية للمصطلح في الكتابين)، فقد جاء على شاكلة سابقة في التقسيم حيث اشتمل أيضا على فصلين، الأول منه تناولنا فيه (الدراسة الوصفية للمصطلح في تحرير التحبير)، وقد جاء في محورين: الأول تناولنا فيه (تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته). وتطرقنا في الثاني إلى (الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب).

وعالجنا في الفصل الثاني (الدراسة الوصفية للمصطلح في كتاب بديع القرآن)، وقد اشتمل على ثلاثة محاور: تعرضنا في أوله إلى (تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته)، ثم امتد الحديث فيه إلى (مفهوم البديع والتأسيس له بمنظور جديد)، وتناولنا في المحور الثاني (الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب). وتطرقنا في المحور الثالث إلى (أوجه التشابه والاختلاف الاصطلاحي في الكتابين).

وهكذا يكون القسم الأول قد استوفى عناصره، ويليه القسم الثاني وهو بعنوان (الدراسة الدلالية لحقول المصطلح في الكتابين)، ويعدّ هذا القسم أكبر حجما وثراء وتعقيدا من القسم الأول. ونظرا لكبر حجمه فقد جاء في ثلاثة أبواب، كل باب منها اشتمل على فصول.

فالباب الأول وهو بعنوان: (الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الإيقاع) خصص للحديث عن الظاهرة الإيقاعية في المصطلح، وأثناء الحديث عن هذه الظاهرة كانت لنا وقفات تحليلية مع كثير من عناصرها على نحو ما يبدو في الانتظام والتغيّر والتساوي والتوازن والتناسب والتكرار والاطراد وما إلى ذلك، وقد جاءت موضوعاته في أربعة فصول، عرض الفصل الأول (لمصطلحات التكرار الصوتي)، وتناول الفصل الثاني (مصطلحات التكرار اللفظي) واهتم الفصل الثالث (بمصطلحات الائتلاف والتناسب)، ووقف الفصل الرابع عند (مصطلحات التقابل والتضاد).

واختص الباب الثاني(الدراسة الدلالية لمصطلح حقل التركيب) بمعالجة المصطلح الذي يتعلق ببناء الجملة وما يطرأ عليها من انحرافات أو تعديلات في نسقها أو نمطها المثالي. ويدخل في هذا الجانب التقديم والتأخير، والإيجاز والإطناب والمساواة، وما إلى ذلك. وقد اشتمل هذا الباب على أربعة فصول، تضمن الفصل الأول الحديث عن (مصطلحات أقسام الكلام)، وتوقف الفصل الثاني عند (مصطلحات التنوع في الأسلوب)، واعتنى الفصل الثالث (بمصطلحات التماسك النصي)، وأخيرا اختص الفصل الرابع بمعالجة (مصطلحات الحجاج العقلي).

أما الباب الثالث وهو بعنوان (الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الخيال والإبداع) فقد اختص بالحديث عن اللغة في حالات الاستخدام المختلفة.

ولما كان هذا الباب يشتمل على ظواهر عديدة ومتنوعة فقد جعلناه في خمسة فصول: اختص الفصل الأول بالحديث عن (مصطلحات الإبداع والاختراع) ، وعالج الفصل الثاني (مصطلحات التداخل في عملية الإبداع)، واهتم الفصل الثالث (بمصطلحات التجاوز والتوسع)، وتناول الفصل الرابع (مصطلحات الإيماء والإيحاء)، وأخيرا كان الفصل الخامس للحديث عن (مصطلحات الصورة الفنية).

وتجدر الإشارة في ختام الحديث عن هذا القسم بكل ما اشتمل عليه من أبواب وفصول إلى أننا حرصنا في معالجة المصطلحات الواردة فيه على الأخذ بالطرق المعاصرة في دراسة المصطلح، وذلك بتقسيمها وتصنيفها في شكل حقول دلالية، ولذلك كان الباب الأول مخصصا (لحقل الإيقاع) والثاني (لحقل التركيب) والثالث(لحقل الخيال والإبداع)، لأننا أدركنا أوجه القصور في الدراسات السابقة ورجبنا في تفاديها حتى نتمكن من اكتشاف الدلالات الاصطلاحية المشتركة بين مصطلحات الحقل الواحد، ثم اكتشاف العلاقات الضدية والتقابلية فيما بين الحقول الاصطلاحية.

ولا ننكر هنا أننا أفدنا في معالجة المصطلح بهذه الطريقة من الإنجازات العلمية التي تمت في حقل الدراسات اللغوية، سواء في تراثنا اللغوي كما جاءت في البدايات الأولى لجمع اللغة

وتدوينها في شكل موضوعات أو رسائل، مثل كتاب (الإبل) و (الخيول) للأصمعي (ت216هـ) وأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت213هـ)، و (البئر) لابن الأعرابي (ت231هـ) وما تلاها من جهود في جمع اللغة وتدوينها وتبويبها، وجميعها يعدّ من الإرهاصات السبّاقة إلى العناية بفكرة الحقول الدلالية، ولم نكتف بهذا بل حاولنا أن نعمق هذه الفكرة بالإفادة من الإنجازات التي تمّت على أيدي علماء اللغة المعاصرين.

واستكمالاً لما سبق في توضيح طريقة المعالجة فإننا نرى من الضروري في هذا المقام الإشارة إلى أننا حاولنا عند تعرضنا للمفهوم اللغوي للمصطلح أن نختار المفهوم اللغوي الأقرب إلى المفهوم الاصطلاحي بقصد بيان مدى الصلة بين المفهومين، وقد كان اعتمادنا في هذا بصورة أساسية على معجم لسان العرب لابن منظور (ت711هـ) لما لهذا المعجم من ميزة خاصة تتمثل في أنه خلاصة ما قدمته المعاجم السابقة عليه.

أما المفهوم الاصطلاحي فقد كانت مصادره هي الكتب المعتمدة وكل ماله صلة بالاصطلاح قديمه وحديثه مع مراعاة الأشهر الذي تعارف عليه جمهور البلاغيين والنفاد. وفيما يتعلق بنشأة المصطلح ودلالته وما يطرأ عليه من تطور، أو تغيير في المفهوم فقد وقفنا في ذلك عند المحطات البارزة في تطور المصطلح لاتساع حجم هذه الدراسة. أما فيما يخص الشواهد فلم نأت على ذكرها كلها لأن ذلك سيرهق البحث_ لكثرتها_، ولأن منها ما يدور في المضمار ذاته، فتكون بذلك الإعادة حشوا لا طائل من ورائها. كما أن تطبيق المنهج الوصفي على أكمل وجه_ يبدو مستحيلا_، لأن من الأمور ما هو متداخل جدا في الكتابين.

وكل ما تقدّم كان لنا مرهقا وشاقا ليس من حيث جمع المادة العلمية وتوثيقها من مصادرها الكثيرة، ولا من مراجعتها المتنوعة فحسب، وإنما في اقتحام موضوع واسع ومتشعب وذلك بالنظر إلى ما ينطوي عليه من جوانب عديدة تاريخية وثقافية ودينية ومعجمية وغيرها ومع ذلك فقد اقترن بطموح شخصي ورغبة ذاتية في دراسة المصطلح، ثم بدافع علمي غايته

تقديم إنجاز علمي في مجال الدراسة الاصطلاحية سواء عند "ابن أبي الإصبع المصري" بصفة خاصة، أو الدراسة الاصطلاحية بصفة عامة.

ولعل أكثر ما واجهني من صعوبات هو القسم الثاني الذي يتعلق بالدراسة الدلالية للمصطلح، وذلك لأن مصطلحات هذا القسم كثيرة ومتنوعة ومتداخلة، وكان من الصعوبة بمكان السيطرة عليها في عملية التقسيم والتصنيف والتحليل، ولكن بفضل الله عز وجل وبعبونه وبقدر من الإصرار على العمل وبذل الجهد تغلبنا_ إلى حد ما_ على هذه المعضلة على النحو الذي تحقق في نهاية المطاف.

وعلى نحو ما هو معمول به في كل بحث بأن تكون له خاتمة، فقد جاءت خاتمة هذا البحث عرضاً لنتائجه، وأتبعناها بملخصات له، وأخيراً كانت طائفة من الفهارس، الأول منها جعلناه للمعجم الألفبائي للمصطلحات الواردة في الدراسة لتسهيل مهمة الكشف عنها والرجوع إليها، والثاني لمصادر البحث ومراجعته، والثالث لمحتوياته.

وأخيراً، أتقدم بالشكر الجزيل لأستاذي الفاضل الدكتور: "موسى شروانة" الذي قبل الإشراف على هذا البحث، ولم يألُ جهداً، ولم يدخر وسعاً في رعايته بالنصح والتوجيه حتى جاء على هذه الصورة، فجزاه الله عز وجل عني خير الجزاء.

ولا يفوتني أيضاً أن أتقدم بخالص الشكر وعظيم التقدير إلى اللجنة العلمية التي ستتولى تقويم هذا البحث وإثراءه بما تقدمه من ملاحظات، وتنفيذ به من توجيهات لتسديد عثراتي فيه وفيما يمكن أن أقوم به من أعمال في المستقبل إن شاء الله تعالى.

فإن وقّقت في هذا العمل فمن الله، وإن كانت الأخرى فحسبي أني حاولت وما قصرت وما توفيقى إلا بالله.

وختاماً الله أشكر، نعم المولى ونعم النصير، عليه توكلت وإليه أنيب.

تمهيد

الإشكالية النظرية للمصطلح

المحور الأول_ مفهوم المصطلح وشروط صناعته والاختلاف بين دارسيه.

1_ المفهوم اللغوي والاصطلاحي.

2_ الشروط العامة لصناعته.

3_ اختلاف الدارسين في النظر لصناعته.

المحور الثاني_ علاقة المصطلح بعلم المصطلح وآليات صناعته.

1_ علاقة المصطلح بعلم المصطلح(المصطلحية).

2_ آليات صناعته.

أ_ آليات التوليد والاختراع.

ب_ آليات الإحياء والاستمداد.

المحور الأول_ مفهوم المصطلح وشروط صناعته والاختلاف بين دارسيه.

أولاً_ المفهوم اللغوي والاصطلاحي:

أ_ لغة:

لفظ "مصطلح" مصدر ميمي من الفعل المزيد "اصطلح" الذي مجرده "صلح". وقد استعمل الفعل الثلاثي " صلح" في المعاجم اللغوية بمعان واشتقاقات تكاد تكون متقاربة. حيث أورد "ابن فارس" في معجمه أن: «الصاد واللام والحاء أصل واحد يدل على خلاف الفساد...»⁽¹⁾. وفي الصيغة الاشتقاقية ذاتها أورد "ابن منظور" أن: «الصلاح: ضد الفساد... والصلح: السلم، وقد اصطلحوا وصالحو واصلحوا وتصالحو واصلحوا مشددة الصاد، قلبوا التاء صادًا وأدغموها في الصاد بمعنى واحد»⁽²⁾. وجاء في المعجم الوسيط: «صلح صلاحاً وصلوحاً زال عنه الفساد... اصطلح القوم: زال ما بينهم من خلاف وعلى الأمر تعارفوا عليه واتفقوا... الاصطلاح: مصدر اصطلح... اتفاق طائفة على شيء مخصوص، ولكل علم اصطلاحاته»⁽³⁾.

مما سبق، نخلص إلى أن مادة (صلح) ومصدرها وما يشتق عنها تدل على معنى المصالحة والسلم وكل ما هو ضد الفساد والخلاف، والاتفاق على شيء مخصوص من قبل فئة ما من الناس، وهي الدلالة التي وجدناها في جل المعاجم العربية.

اصطلح وجذره (صلح) بمعنى اتفق، فالمصطلح أو الاصطلاح يعني اتفاق أصحاب تخصص ما على استخدامه للتعبير عن مفهوم علمي محدد⁴، علماً أن المؤلفات العربية التراثية تشتمل على لفظي « مصطلح واصطلاح» بوصفهما مترادفين. مع هذا نجد بعض الباحثين المعاصرين يعتبرون لفظ مصطلح خطأ شائع، وأن اللفظ الصحيح هو اصطلاح، يقول: «إنه لغريب حقا أن نجد معظم الباحثين يستخدمون كلمة «مصطلح» بدلا

¹ - ابن فارس: معجم مقاييس اللغة ، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، (د ت)، ج3، مادة (صلح).

² - ابن منظور: لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد أحمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف ، القاهرة، (د ط)، (د ت)، مادة (صلح).

³ - مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط ، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004 م، مادة (صلح).

⁴ - ينظر: علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية و تطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008 م ، ص261.

من «اصطلاح»، مع العلم أن هذه الكلمة لا تصح لغة إلا إذا اصطلحنا عليها، ذلك أن أسلافنا لم يستخدموها، ولم ترد في المعجم لهذه الدلالة ولا لغيرها (...). وهكذا فإن كلمة مصطلح من الأخطاء الشائعة سماعاً، وذلك أنها لا تصح لدلالاتها المستخدمة لها إلا مع حرف الجر (على)، لأن الفعل اصطح يتعدى بها، وهذا ما يزيدها بعداً عن الصواب، فلا بدّ من الرجوع إلى كلمة اصطلاح¹.

يمكن تلخيص هذا القول في ثلاث نقاط:

الأولى- عدم استعمال القدماء للفظ "مصطلح" و استعمالهم لفظ "اصطلاح" بدلاً منه.

الثانية- غياب لفظ "مصطلح" في المعاجم العربية القديمة، ووجود لفظ "اصطلاح" فقط.

الثالثة- اعتبار لفظ "مصطلح" من الأخطاء الشائعة سماعاً.

بالنسبة للنقطة الأولى، يمكن القول إنه وعلى الرغم من عدم الوقوف عند أول استعمال للفظ "مصطلح" فإن عملية البحث التاريخي تدل على أنها قديمة في المؤلفات التراثية العربية، مع التسليم المسبق بأن لفظ "اصطلاح" أقدم ظهوراً منها. فمن أقدم استعمالات لفظ "اصطلاح" الفعلية قول "الجاحظ" (ت255هـ) متحدثاً عن المتكلمين وألفاظهم قائلاً: «وهم تخيروا تلك الألفاظ لتلك المعاني، وهم اشتقوا لها من كلام العرب تلك الأسماء، وهم اصطلحوا على تسمية ما لم يكن له في لغة العرب اسم (...). لذلك قالوا العرض والجوهر، وأيس وليس، وفرقوا بين البطلان والتلاشي، وذكروا الهدية والهوية وأشباه ذلك»².

ثم وجد بعد ذلك في عديد الكتب، ككتاب "المقتضب" "لأبي عباس المبرد" (ت285هـ)، حيث قال: «فهذا الذي ذكرت لك من أن النحويين جروا فيه على الاصطلاح...»³، وكتاب "مفاتيح العلوم" "للخوارزمي" (ت387هـ)، حيث جعله «جامعاً لمفاتيح العلوم وأوائل الصناعات، متضمناً ما بين كل طبقة من العلماء من المواضيع والاصطلاحات»⁴. ثم كتاب "الخصائص" "لابن جنّي" (ت392هـ) في «باب القول على اللغة إلهام هي أم

¹ يحيى عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة (اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب الرباط، ع36، 1992م، ص143.

² الجاحظ: البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998م، ج1، ص139.

³ المبرد: المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1994م، ج3، ص123.

⁴ الخوارزمي: مفاتيح العلوم، حققه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، ص13.

اصطلاح»¹، وكتاب "الصاجي" "لابن فارس" (ت395هـ) في «باب القول على لغة العرب أتوفيق أم اصطلاح»².

أما فيما يخص لفظ "مصطلح" فقد تأخر قليلا في الظهور، وهذا ما تؤكدته نتائج البحث المتوصل إليها لحد الآن. فقد كان رائجا في عدة حقول معرفية وعلمية مختلفة، حيث ظهر لفظ مصطلح في عناوين بعض مؤلفات علماء الحديث مثل: "الألفية في مصطلح الحديث" للزين العراقي" (ت806هـ)، وكتاب "نخبة الفكر في مصطلح أهل الأثر" للحافظ بن حجر العسقلاني" (ت852هـ)، كما استخدم لفظ "المصطلح" كتاب آخرون غير علماء الحديث مثل: "ابن فضل الله العمري" (ت749هـ) في كتابه "التعريف بالمصطلح الشريف" الذي تناول الألفاظ الاصطلاحية المستعملة في الكتابة الديوانية. واستعمل "ابن خلدون" (ت808هـ) لفظ "مصطلح" في "المقدمة" حيث قال: «الفصل الواحد والخمسون في تفسير الذوق في مصطلح أهل البيان»، إضافة إلى الكثير من المواضع التراثية التي جعلت من كلمة "مصطلح" عنوانا للكتاب³.

ينضاف إلى ما تقدم، أن كلمة "مصطلحات" قد عبر عنها في القديم بكلمات أخرى ترادفها زيادة على كلمة اصطلاحات منها: الحدود، والتعريفات، والمفاتيح، والأوائل، والكليات، والأسامي، والألقاب، والألفاظ، والمفردات.

أما النقطة الثانية المتعلقة بغياب لفظ مصطلح في المعاجم العربية القديمة إلا في "معجم الوجيز" لمجمع اللغة العربية الذي صدر سنة 1980م، و"المعجم العربي الأساسي" الذي صدر سنة 1989م، فيعود إلى طبيعة المعاجم العربية التي لا تسجل جميع ألفاظ اللغة وصيغ المشتقات المطردة⁴.

¹ - ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (دط)، 1913م، ج1، ص40.

² - ابن فارس: الصاجي في فقه اللغة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1997م، ص14.

³ - ينظر: علي القاسمي: علم المصطلح أسسه النظرية، وتطبيقاته العملية، ص262، وينظر كذلك: عبد العلي الوديعري، كلمة المصطلح بين

الخطأ والصواب، مجلة (اللسان العربي)، ع48، مكتب تنسيق تعريب، الرباط، 1999م، ص9-20.

⁴ - ينظر: المرجعان نفسيهما: ص263. وص9-20.

أمّا فيما يخص النقطة الثالثة والمتمثلة في إدراج كلمة "مصطلح" في باب الأخطاء الشائعة سماعاً، إجحاف في حق الكلمة، فالباحث يعتبر صيغة مصطلح اسم مفعول، وهي في صيغة المصدر الميمي.

مما تقدم، نخلص إلى أن العرب القدامى استعملوا لفظي "مصطلح" و"اصطلاح" بوصفهما مترادفين؛ أي أنهم كانوا على "مصطلح" و"اصطلاح" معاً. على الرغم من أن لفظ اصطلاح كان أقدم ظهوراً من لفظ مصطلح بحقبة زمنية ليست بالبعيدة.

ب_ اصطلاحاً :

1_ عند القدماء:

يعرّف "الجرجاني" (ت816هـ) الاصطلاح بأنه: « عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول، وإخراج اللفظ من معنى لغوي إلى آخر ، لمناسبة بينهما، وقيل: الاصطلاح إخراج الشيء من معنى لغوي إلى معنى آخر، لبيان المراد ، وقيل: الاصطلاح لفظ معين بين قوم معينين »¹.

إنّ الاصطلاح عنده هو اتفاق طائفة على وضع اللفظ لمعنى ما يراد منه، ولا بد في كل مصطلح من تجاوز المعنى اللغوي والخروج منه إلى معنى جديد وخاص ليصبح بذلك مصطلحاً، على أن يكون لنقل اللفظ من معناه اللغوي إلى معناه الاصطلاحي مناسبة بينهما.

لنقف قليلاً مع تعريف "الجرجاني" للاصطلاح، لنتبين في ضوءه علاقة الاصطلاح (المصطلح) بالمجاز.

يراد بالاصطلاح (المصطلح) كما عرفه "الجرجاني" عبارة عن اتفاق قوم على تسمية الشيء باسم ما ينقل عن موضعه الأول... .

ويراد بالمجاز عند علماء البيان اللفظ المنقول من معناه الأصلي الموضوع له إلى معنى آخر مع وجود علاقة بين المعنيين.

¹ - الشريف الجرجاني: كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت ، لبنان، ط4، 1998 م، ص44.

فالنقل في المجاز يكون عاما ولا يشترط فيه الاتفاق، أما النقل في المصطلح فيشترط فيه الاتفاق بين فئة مخصوصة على أمر مخصوص، كاصطلاح العلماء في مختلف العلوم، واصطلاح أهل الحرف والصناعات، وقد تشترك بعض العلوم في استعمال بعض المصطلحات، ولكنها تختلف في المفاهيم الإجرائية التي تدل عليها من مجال علمي لآخر، فالذي يتحكم في الدلالة الاصطلاحية هو النقل الذي يحدث للألفاظ بفعل خصوصية الاستعمال.

إضافة إلى ما سبق، فإن المصطلحات قائمة بذاتها ولا يتوقف معناها على غيرها، فهي تتميز بالدقة والوضوح في المفهوم على عكس المجاز الذي يفهم بقرائن. مما تقدم، نخلص إلى أن المجاز أوسع من المصطلح، فليس كل لفظ ينقل مصطلح، وليس كل مصطلح مجاز.

ولم يخرج كل من جاء بعد الجرجاني من القدامى عن جوهر تعريفه، ونذكر منهم "الكفوي" (ت1094هـ) و"التهانوي" (ق12هـ)¹.

2_ عند المحدثين:

أما عن تعريفه عند المحدثين فقد قال عنه "مصطفى الشهابي" «المصطلح العلمي هو لفظ اتفق العلماء على اتخاذه للتعبير عن معنى من المعاني العلمية»²، وعرفه "علي القاسمي" بقوله: «المصطلح كل وحدة (لغوية) دالة مؤلفة من كلمة (مصطلح بسيط) أو من كلمات متعددة (مصطلح مركب) وتسمى مفهوما محددًا بشكل وحيد الوجهة داخل ميدان ما»³، ويذكر "محمود فهمي حجازي" أن هناك تعريفات حديثة للمصطلح تربط المفهوم بالمصطلح الذي يدل عليه، منها: «المصطلح: كلمة أو مجموعة من الكلمات من لغة متخصصة (علمية أو تقنية...) يوجد موروثا، أو مقترضا للتعبير بدقة عن المفاهيم وليلد على أشياء مادية محددة»⁴، ويضيف أن أفضل تعريف أوروبي للمصطلح هو: «الكلمة الاصطلاحية مفهوم

¹ - ينظر: الكفوي: الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م، ص129. وينظر: التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون و العلوم، تحقيق علي دحروج، (د ط)، مكتبة لبنان ناشرون، ج1، ص212.

² - مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دار صادر، بيروت، ط2، 1988م، ص6.

³ - علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1987م، ص215.

⁴ - محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص11.

مفرد، أو عبارة مركبة، استقر معناها، أو بالأحرى استخدامها، وحدد في وضوح، وهو تعبير خاص ضيق في دلالاته المتخصصة، واضح إلى أقصى درجة ممكنة، وله ما يقابله في اللغات الأخرى، يرد دائما في سياق النظام الخاص لمصطلحات فرع محدد فيتحقق بذلك وضوحه الضروري»¹.

وأما التعريف الذي اتخذته المنظمة الدولية للتقييس (ISO) فهو: «المصطلح هو أي رمز يتفق عليه للدلالة على مفهوم، ويتكون من أصوات مترابطة أو من صورها الكتابية (الحروف) وقد يكون المصطلح كلمة أو عبارة. والمصطلح التقني هو مصطلح يقتصر استعماله أو مضمونه على المختصين في حقل معين»².

والملاحظ على معظم التعريفات الحديثة للمصطلح أن المحدثين تجاوزوا نوعا ما شرط الإصرار على العلاقة بين الداليتين المعجمية والاصطلاحية، وهذا نظرا لطبيعة المصطلح الذي قد لا يكون موضوعا أو مستتبنا في لغته الأصلية، بمعنى المصطلح الوافد من لغات أخرى عند ترجمتها أو تعريبها، عندئذ يصعب تحقيق شرط المشابهة والمناسبة بين معني المصطلح: اللغوي والاصطلاحي، وإن كانت جميع تعريفات القدماء والمحدثين تتفق على ما هو ثابت من شروط ولا تخرج عنها، وهي: اتفاق العلماء، وحدة الحقل المعرفي، لفظ (مفرد أو مركب)، دقة المفهوم، وإن كنا لا ننفي وجود فروق في المصطلح بين الثقافات وبخاصة في مجال صياغة عباراتها، ومعناها.

من هنا تلتقي الدلالة المعجمية بالاصطلاحية للفظ مصطلح أو اصطلاح، فالاتفاق الذي هو معنى المصطلح لغة، ركن مهم من أركان المصطلح، بل هو ركيته التي يتكئ عليها عند إنتاجه لتسمية مفهومه.

وللمصطلحات أشكال تأتي وفقها، فقد تأتي في شكل ألفاظ مفردة، مثل: حاسوب، قاموس، أو عدد من الألفاظ وهو الذي يذكر مضافا، مثل: هندسة المياه، أو موصوفا، مثل:

¹- محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 11 ، 12.
²- مؤسسة إيزو التوصية 1087: معجم مفردات علم المصطلح، مجلة (اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ع22، ص206.

الهندسة الكهربائية، أو بهما معا، مثل: علم اللغة الاجتماعي، على أن لا يكون عبارة طويلة تصف الشيء وتوحي به.

وليس على المصطلح أن يحمل كل صفات المفهوم الذي يدل عليه، فالمصطلح يحمل صفة واحدة على الأقل من صفات ذلك المفهوم. وتؤدي الحاجة إلى الإيجاز في بعض المصطلحات الرياضية والكيميائية والفيزيائية واللغوية على نحو يجعل حرفا واحدا دالا على المصطلح الواحد، ويشترط في هذه المختصرات أن تنتظم في نسق عام متفق عليه حتى تكون دالة في وضوح على المفاهيم، ومن ثم تتخذ مكانها في لغة العلم¹.

وقبل الانتقال إلى مفهوم المصطلح النقدي والبلاغي، تجدر الإشارة إلى قضية مهمة تتعلق بعلاقة النقد بالبلاغة ونحن طبعا لا نروم التفصيل فيها، فقد أفاض العلماء في الحديث عنها. والحقيقة التي لا مناص منها، هي أن النقد والبلاغة على علاقة تمازج وتكامل على الرغم من فوارق التطبيق بينهما، وطبيعة كل منهما. فالبلاغة أمدت النقد بمصطلحات جديدة، ومفاهيم لكشف خصائص النصوص، والنقد عمل على توسيع البلاغة وتطوير مناهجها، ولذلك فهما متكاملان ومتعلقان بعلائق لا تنفك عراها.

من هنا نستطيع أن نربط بين المصطلح النقدي والبلاغي وبخاصة وأن البلاغي معطوف على النقدي من جهة، ومن جهة أخرى فإن البلاغة متضمنة في النقد، لنسوق بعض التعاريف للمصطلح النقدي، حيث يقدم الدكتور "الشاهد البوشيخي" تعريفين، هما:²

أ- المصطلح النقدي: هو اللفظ الذي يسمى مفهوما معينا داخل تخصص النقد».

ب- « المصطلح النقدي: هو مجموع الألفاظ الاصطلاحية لتخصص النقد».

وغير بعيد عن هذه التعريفات، يقدم "يوسف وغليسي" تعريفا أكثر دقة وتحديدا للمصطلح النقدي على أنه: « رمز لغوي(مفرد أو مركب) أحادي الدلالة، منزاح نسبيا عن دلالاته

¹ - ينظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص16.

² - الشاهد البوشيخي: مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج)، عالم الكتب الحديث، اربد الأردن، ط1، 2009م، ص 64 ، 65.

المعجمية الأولى، يعبر عن مفهوم نقدي محدد وواضح، متفق عليه من أهل هذا الحقل المعرفي»¹.

فالمصطلح النقدي إذا، يحتفظ بأغلب الصفات التي للمصطلح ولا يختلف عنه إلا من خلال الحقل المعرفي الذي يكسبه خصوصيته.

ثانياً_ الشروط العامة لصناعته:

تخضع عملية وضع المصطلح لجملة من الشروط وجب توافرها فيه، ذلك أن « مفاتيح العلوم مصطلحاتها و مصطلحات العلوم ثمارها القصوى، فهي مجمع حقائقها، وعنوان ما به يتميز كل واحد منها عما سواه»²، ولأن المصطلحات تحدد قصد الباحث في أي علم من العلوم، كان القدماء يهتمون بها كثيراً، يقول "التهانوي": « إن أكثر ما يحتاج به في تحصيل العلوم المدونة والفنون المروجة إلى الأساتذة هو اشتباه الاصطلاح، فإن لكل علم اصطلاحاً خاصاً به إذا لم يعلم بذلك لا يتيسر للشارع فيه الاهتداء إليه سبيلاً، وإلى انفهامه دليلاً»³، ف«ببدايتها يبدأ الوجود العلني للعلم وفي تطورها يتلخص تطور العلم»⁴.

وعليه، فإن أي علم رهين مصطلحاته، فلا يمكن فهمه ما لم تكن هذه المصطلحات على درجة كبيرة من الدقة والوضوح، قادرة على التواصل العلمي المطلوب، وبغية الوصول إلى ذلك، نجد إسهامات الباحثين والمجامع اللغوية من أجل القضاء على العشوائية في وضع المصطلح، فقد أثار "أحمد مطلوب" إيجاد شروط لوضع المصطلح هي⁵:

- 1- اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.
- 2- اختلاف دلالاته الجديدة عن دلالاته اللغوية الأولى.
- 3- وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين المدلول الجديد والمدلول اللغوي.
- 4- الاكتفاء بلفظة واحدة للدلالة على معنى علمي واحد.

¹ - يوسف و غليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ص24.

² - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، (د ط)، 1984م، ص11.

³ - التهانوي: موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، ج1، ص1.

⁴ - الشاهد البوشيخي: مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط1990، 2م، ص13.

⁵ - أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م، ج1، ص10، 11.

وهي الشروط نفسها عند الباحث "محمد طبي" فيما اقترحه بخصوص المصطلح العلمي في مجال اللسانيات العربية، فحالها ليس بأفضل مما هو عليه في المجالات الأخرى بسبب حداثة معظم مصطلحاتها¹ :

1- اتفاق العلماء عليه للدلالة على معنى من المعاني العلمية.

2- اختلاف دلالاته الجديدة على دلالاته اللغوية الأولى.

3- وجود علاقة بين مدلوله الجديد ومدلوله اللغوي.

4- الاكتفاء بلفظه واحدة للدلالة على معنى علمي واحد.

فيما لخص "علي القاسمي" صفة المصطلح الجيد بشرطين² :

أولهما_ تمثيل كل مفهوم أو شيء بمصطلح مستقل.

ثانيهما_ عدم تمثيل المفهوم أو الشيء الواحد بأكثر من مصطلح واحد.

ودائماً وفي هذا الصدد نلني "عبد الله محمد العبد" يقدم لنا أهم الخصائص التي ساقها الباحثون والمتخصصون في علم المصطلح، على أنها_ الخصائص_ أخطر شيء في عملية وضع مصطلح، وهي³ :

1- يوجد المفهوم قبل المصطلح.

2- أن يدل المصطلح على مفهوم واحد.

3- المصطلح العلمي لا يلتبس بغيره ولا يلتبس بمفهومه بغيره.

4- التواضع العرفي بين أهل الاختصاص في مجال علمي ما.

5- الثبات والاطراد.

6- فهم مصطلح يكون في منظومة اصطلاحية.

7- لا يشترط في المصطلح الدلالة على كل صفات الشيء المصطلح عليه.

¹- محمد طبي: وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، (د ط)، 1992م، ص40.

²- علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص68.

³- عبد الله محمد العبد: المصطلح اللساني العربي وقضية السيرورة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2011م، ص32-

8-العلاقة بين المصطلح والمفهوم تكون علاقة رمزية، لا وصفية ؛ ولذلك فهو مختصر ومكثف.

09 - لا يشترط أن يتكون المصطلح من لفظة واحدة أو كلمة واحدة.

10- أن يكون منسجما_ قدر الطاقة_ مع طرق صياغة الكلمات في اللغة التي يستخدم فيها.

وهناك اهتمام جدير بالذكر تجلى على نحو ممنهج لدى الباحث "محمد رشاد الحمزاوي" من خلال ما يسميه "تنميطة"(F:Normalisation:Estandardisation)، ويعني به اعتماد نظام يسهل اختيار المصطلحات، بعد الاتفاق على طرائق الوضع ومناهج الترجمة، وذلك بوضع قوانين وقواعد منسجمة وموحدة تطبق على جميع المصطلحات دون استثناء.

وتعتمد "منهجية التنميطة" عند "الحمزاوي" على شرطين وأربعة مبادئ، هي كالآتي¹ :

أولهما_ توثيقي يستلزم الاتفاق التام على قائمة المصادر والمراجع التي تبدو في غاية الأهمية في التنميطة.

ثانيهما_ كفي يحدد قواعد الاختيار، وكمّي يضبط العناصر الكيفية بالأرقام. أما المبادئ، فهي:

1- الاطراد: ويعتمد على شيوع المصطلح بين المستعملين له (العامة، أو المتخصصين).

2- يسر التداول: بمعنى أن يكون اللفظ سهلا وقصيرا، وألا يكون معقد الشكل.

3- الملاءمة: أن يكون المصطلح المترجم ملائما للمصطلح الأجنبي، وألا يتداخل مع غيره.

4-الحوافز: وهي الأمور التي تدفع بالمستعمل إلى اختيار المصطلح بسهولة ويسر، منها:

بساطة الصيغة، سهولة الاشتقاق منه، وتركيبه الصرفي الواضح، يضاف إلى ذلك الابتعاد عن الطول والغرابة والحوشية والنحت الغريب المعقد.

على أن منهجية "التنميطة" هذه تعتبر تطورا لمنهجية "التوحيد" التي اعتمدها لـ«طرق

الوضع ومناهج الترجمة»²، متجاوزا بذلك " التوحيد" إلى " التنميطة" لأن الأول لا يكفي في نظره_ لضمان التنسيق والاتفاق المطلوبين.

¹- ينظر: محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية لوضع المصطلحات-من التوحيد إلى التنميطة، مجلة(اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب الرباط، ع24، 1985م، ص 45، 46.

²- محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية لوضع المصطلحات -من التوحيد إلى التنميطة، ص41.

أما المجامع العلمية العربية واللغوية في الوطن العربي، فقد كانت لها اليد الطولى في العناية بالمصطلحات، كمجمع دمشق، ومجمع القاهرة، والمجمع العلمي العراقي الذي بدل - هو الآخر - جهدا لا ينكره جاحد في الاهتمام بالمصطلحات.

ودائما وفي المجرى الكلامي نفسه، ما أقرته (ندوة توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي) التي نظمها مكتب تنسيق التعريب، في فيفري 1981 بالرباط. مشيرة إلى قرارات مهمة في أصول اللغة، وقضايا المصطلح. وقد اكتسبت هذه الندوة قيمتها بفضل العدد الكبير من المسهمين فيها؛ حيث اشتركت فيها 16 هيئة علمية عربية من: مجمل المجامع اللغوية، وبعض المعاهد العلمية والمراكز الثقافية العالمية وبعض وزارات التربية. وقد خرجت هذه الندوة بـ18 مبدأ هي¹ :

1- ضرورة وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة علمية بين مدلول المصطلح اللغوي ومدلوله الاصطلاحي، ولا يشترط في المصطلح أن يستوعب كل معناه العلمي.

2- وضع مصطلح واحد للمفهوم العلمي الواحد ذي المضمون الواحد في الحقل الواحد.

3- تجنب تعدد الدلالات للمصطلح الواحد في الحقل الواحد، وتفضيل اللفظ المختص على اللفظ المشترك.

4- استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو ما استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث وما ورد فيه من ألفاظ معربة.

5- مسايرة المنهج الدولي في اختيار المصطلحات العلمية.

6- استخدام الوسائل اللغوية في توليد المصطلحات العلمية الجديدة بالأفضلية طبقا للترتيب التالي: التراث فالتوليد (لما فيه من مجاز واشتقاق وتعريب ونحت).

7- تفضيل الكلمات العربية الفصيحة المتواترة على الكلمات المعربة.

8- تجنب الكلمات العامية إلا عند الاقتضاء بشرط أن تكون مشتركة بين لهجات عربية عديدة، وأن يشار إلى عاميتها بأن توضع بين قوسين مثلا.

¹ - مجلة (اللسان العربي)، الرباط، مجلد 18، ج 1، 1981م، ص 175-176. ينظر كذلك:- محمود فهمي حجازي، الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 251-253. - وعلي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص 107-112.

- 9- تفضيل الصيغة الجزلة الواضحة، وتجنب النافر والمحذور من الألفاظ.
- 10- تفضيل الكلمة التي تسمح بالاشتقاق على الكلمة التي لا تسمح به.
- 11- تفضيل الكلمة المفردة لأنها تساعد على تسهيل الاشتقاق والنسبة والإضافة والتنثية والجمع.
- 12- تفضيل الكلمة الدقيقة على الكلمة العامة أو المبهمة، ومراعاة اتفاق المصطلح النقدي العربي مع المدلول العلمي للمصطلح الأجنبي، دون تقييد بالدلالة اللفظية للمصطلح الأجنبي.
- 13- في حالة المترادفات أو القريبة من الترادف، تفضل اللفظة التي يوحى جذرها بالمفهوم الأصلي بصفة أوضح.
- 14- تفضيل الكلمة الشائعة على الكلمة النادرة أو الغريبة إلا إذا التبس معنى المصطلح العلمي بالمعنى الشائع المتداول لتلك الكلمة.
- 15- عند وجود ألفاظ مترادفة أو متقاربة في مدلولها، ينبغي تحديد الدلالة العلمية الدقيقة لكل واحد منها، وانتقاء اللفظ العلمي الذي يقابلها. ويحسن عند انتقاء مصطلحات من هذا النوع أن تجمع كل الألفاظ ذات المعاني القريبة أو المتشابهة الدلالة وتعالج كلها في مجموعة واحدة.
- 16- مراعاة ما اتفق المختصون على استعماله من مصطلحات ودلالات علمية خاصة بها، معربة كانت أو مترجمة.
- 17- التعريب عند الحاجة، وخاصة المصطلحات ذات الصيغة العالمية كالألفاظ ذات الأصل اليوناني أو اللاتيني أو أسماء العلماء المستعملة مصطلحات، أو العناصر والمركبات الكيماوية.
- 18- عند تعريب الألفاظ الأجنبية يراعى ما يأتي:
- أ- ترجيح ما سهل نطقه في رسم الألفاظ المعربة عند اختلاف نطقها في اللغات الأجنبية.
- ب- التغيير في شكله حتى يصبح موافقا للصيغة العربية ومستساغا.

ج- اعتبار المصطلح المعرب عربياً، يخضع لقواعد اللغة ويجوز فيه الاشتقاق والنحت، وتستخدم فيه أدوات البدء والالتحاق مع موافقته بالصيغة العربية.

د- تصويب الكلمات العربية التي حرفتها اللغات الأجنبية واستعمالها باعتماد أصلها الفصح.

هـ- ضبط المصطلحات عامة والمعرب منها خاصة بالشكل، حرصاً على صحة نطقها ودقة آدائها.

كل الشروط والتوصيات والمنهجيات السالفة الذكر تجنب المصطلح كل ما من شأنه أن يسبب اللبس والغموض والتكرار_ في حالة الأخذ بها_ وتضمن له الدقة والوضوح والشيوع بين مستعمليه، وبالتالي تضمن له الحياة.

ثالثاً_ اختلاف الدارسين في النظر لصناعته:

من المعلوم أن المصطلح وليد بيئته، فهو يخضع للمحيط الذي أنبته، سواء أكان الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، أم البيئة التي نشأ فيها، وهذا يسهم بشكل كبير في صياغة شكل المصطلح ومفهومه، على اعتبار أنه وجه من وجوه التواضع والاتفاق بين المختصين في التوليد والصياغة المنتسبين إلى حقل معرفي محدد، وهذا بسبب الحاجة إلى ضمان توحيد الخطاب أو تخصيصه وتمييزه عن الدلالة العامة. فهو «علامة لسانية (linguistique signe) خاصة تتكون من دال ومدلول محددين بمجال معرفي معين لا يبرحانه البتة، وهذا ما جعله يتميز بالدقة في الوضع، وبالوضوح في التعبير والتلقي على حد سواء».¹

وقد انماز من غيره داخل الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه باعتباره علامة لغوية لا يدركها إلا أصحاب الاختصاص، على عكس العلامة اللغوية العادية التي يشترك فيها جميع المتكلمين، مثل: لفظة الرجعة كما يرى "الخوارزمي" (ت387هـ) لها مواضع عدة: «فإنها عند أصحاب اللغة: المرة الواحدة من الرجوع، لا يكادون يعرفون غيرها. وهي عند الفقهاء: الرجوع في الطلاق الذي ليس ببائن، وعند المتكلمين: ما يزعمه بعض الشيعة من رجوع

¹ - قادة عقاق: إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر، مجلة (مقاليد)، ورقة، الجزائر، ع2، 2011م، ص159.

الإمام بعد موته، أو غيبته (...) وعند المنجمين: سير الكواكب من الخمسة المتحيرة، على
نضد البروج»¹.

زيادة على ما سبق، فإن هذه الخصوصية جعلته ألصق بالمحيط الذي نشأ فيه، ولعل ما
قام به "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ) خير دليل على ارتباط المصطلح بالبيئة التي
ولدت، فقد وضع علما لم يسبق إليه هو "علم العروض" الخاص بالشعر العربي، ووضع له
جهازه المصطلحي مستندا على حقله الدلالي الذي يعيده إلى البداية، مثل: الأسباب، الأوتاد،
بيت الشعر وغيرها.

هذا وقد تفتن القدماء في وقت مبكر إلى أهمية المصطلح، فأبدوا عنايتهم به،
ووصلت بهم الدقة في وضع المصطلحات إلى حد تأنيبهم لمن يخالف ما هو متواضع عليه
عند السابقين، ولذلك فقد عاب "الأمدي" (ت371هـ) على "قدامة بن جعفر" (ت337هـ)
مخالفته " لابن المعتز" (ت296هـ) في التسميات التي وضعها، يقول: « وهذا باب أعني
المطابق لـ لقبه " أبو الفرج قدامة بن جعفر" في كتابه المؤلف في نقد الشعر " المتكافئ" وسمى
ضربا من المجانس " المطابق" ... وما علمت أن أحدا فعل هذا غير أبي الفرج، فإنه وإن كان
هذا اللقب يصح لموافقته معنى الملقبات، وكانت الألفاظ غير محظورة، فإنني لم أكن أحب
أن يخالف من تقدمه مثل " أبي العباس عبد الله بن المعتز" وغيره ممن تكلم في هذه الأنواع
وألف فيها، إذ سبقوه إلى اللقب وكفوه المؤونة»².

من هنا يتضح الحذر الذي كان يتوخاه "الأمدي" مما قد يحدث إذا ما خالف أحدهم
المتعارف عليه، وأن تطبيق مضمون كلامه سيضمن لكثير من المصطلحات الثبات
والاستقرار.

ولعل هذه الأهمية التي اكتسبها المصطلح، هي التي كانت كما قال الأستاذ الدكتور "عبد
الرزاق جعنيدي": « وراء احتفاء النقاد به لدرجة جعلته يبسط سلطته على النص ويفرض نفسه
كعتبة لا يمكن تجاوزها وتخطيها»³.

¹ - الخوارزمي: مفاتيح العلوم، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1989م، ص14.
² - الأمدي: الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، 1961م، ج1، ص275.
³ - عبد الرزاق جعنيدي: المصطلح النقدي قضايا وإشكالات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د ط)، 2011م، ص11.

في مقابل ذلك فإن مقولة "لا مشاحة في الاصطلاح" قد فتحت الباب على مصراعيه أمام النقاد القدامى لاختراع مصطلحات جديدة، بل والتسابق إلى الإكثار منها وعيا منهم بأن تطور العلم والمعرفة يتطلب مصطلحات جديدة تواكب ذلك التطور، مثل ما حدث لمصطلحات البديع التي أضاف إليها "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) ثلاثة عشر نوعا بعد "ابن المعتز" (ت296هـ)، لتبلغ ستة وثلاثين ضربا مع "أبي هلال العسكري" (ت395هـ)، ولتصل إلى ما يربو عن المائة مع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ).

كما قام القدامى بتقييد المصطلحات، وذلك بوضع الكتب والمصنفات والمعاجم المختصة في مختلف مجالات المعرفة، ومن ذلك:

1_ مفاتيح العلوم: لمحمد بن أحمد بن يوسف الخوارزمي (ت387هـ)، ويعد هذا الكتاب أقدم موسوعة بالعربية تعرضت للعلوم ومصطلحاتها.

2_ التعريفات: لعلي بن محمد بن علي الجرجاني (ت716هـ) المعروف بالسيد الشريف، وهو من أدق الكتب تعريفا.

3_ الكليات لأيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت1094هـ) وهو معجم في المصطلحات والفروق اللغوية.

4_ كشاف اصطلاحات الفنون: لمحمد علي تهانوي (القرن الثاني عشر للهجرة)، وهو معجم لمصطلحات العلوم العربية الشرعية والحقيقية.

وعلى أية حال، فإن «الثقافة_ أية ثقافة كانت_ تنهض ويستقيم صرحها، كلما أفلحت في إنتاج معرفة خصبة وجديدة، توجهها اصطلاحات واضحة الدلالة. ومن المؤكد، أن ثقافة أية أمة من الأمم، تقوض وتتلاشى لأسباب كثيرة، منها: اضطراب دلالة المصطلح، وتعارض المفاهيم، وشيوع الغموض والقلق في التراسل العلمي بين مصادر المعرفة، وجهات التلقي»¹.

هذا ما حدث بالضبط للثقافة العربية، ففي الماضي وحينما كانت في أوج ازدهارها قادرة على الإنتاج المعرفي، اكسبها ذلك الوضع الحضاري صفة المركز، وقوة الحضور الواقعي والمادي، وحتى ما بدا من انفتاح على الثقافات الأخرى والتأثر بها، كاليونانية، والهندية،

¹ - عبد الله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ص160.

والفارسية، فقد كان من أجل الرغبة في الاستزادة وتحقيق التوسع في المعرفة بفهم متفتح، لكي لاتعزل الثقافة العربية عن حضارات الأمم الأخرى، فاستطاعت بذلك حل اشكالياتها المصطلحية التي عرفتها وعانتها، لأنها أكثر قدرة وثقة بلغتها وبامكانياتها على مسايرة التطور والتقدم الحضاريين، فاستطاعت أن تؤسس كيانا لنفسها تبني به صرحها، أما ما حدث مؤخرا، والحال أننا نعيش حالة من التبعية للثقافة العربية في إطار المثاقفة والتبادل المعرفي، وبسبب الحاجة ، مما أفضى إلى أزمة صارخة .و الجدير بالذكر أن هذه الأزمة مست حتى الثقافة الغربية التي أنتجت مصطلحات ، كالبنوية و التفكيكية، حيث سببت أزمة عند القارئ الغربي، ولطالما دعا الشتغلون في حقل النقد الغربي الى توحيد المصطلح وتحديد مفهومه. فهذا حال المصطلح عند أهله، فكيف به وهو يدخل بيئة حضارية لها خصوصيتها الفكرية والمعرفية، التي تختلف عن البيئة الأم التي أنجبته.

من هنا نجد بعض الباحثين يبحثون في أسباب هذه الإشكالية ، بغية التوصل إلى حلول تنقص من حدها. وقد ذهب معظم الباحثين إلى أن إشكالية المصطلح هي إشكالية ثقافة وفكر، فسمة الغموض والخلط والاضطراب التي يعاني منها المصطلح بعامة والمصطلح النقدي بخاصة في الثقافة العربية مردها إلى سببين اثنين أفضيا إلى كثير من المظاهر المتصلة بهما، وهما:¹

1_إشكالية الأصالة: تتجلى في خلل الممارسة الثقافية التي تحاول إضفاء دلالات حديثة على المصطلح القديم ، حيث تعمل على نقل المصطلح من حقل معرفي واستعماله في حقل معرفي آخر، دون مراعاة خصوصيته التي اكتسبها ضمن حقله الأصل. ما يؤدي إلى تغذية المصطلح بمفاهيم غريبة عن تلك التي اكتسبها في سياقه الثقافي.

2_إشكالية المعاصرة: التي تتجلى في ممارسة ثقافية أكثر ترددا وتنوعا على نقل المصطلح النقدي الأجنبي إلى الثقافة العربية، دون مراعاة الخصائص التي اكتسبها من البيئة التي نشأ فيها. دون مراعاة- أيضا- لخصائص البيئة التي سيوظف فيها. وقد ازداد هذا الوضع حدة بعد الاتصال غير المنتظم بين الثقافتين- العربية و الغربية-.

¹- ينظر: عبد الله ابراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، ص160، 161.

لعل محاولة شحن المصطلح القديم بدلالة جديدة ، قصد إحيائه وجعله قابلاً للتعامل مع الجديد من جهة ، أو نقل مصطلح ذي خلفية معرفية محددة ضمن ثقافة ما إلى ثقافة أخرى زاد من تقاوم الوضع، وأفضى إلى إشكالية معقدة تتعلق أساساً ب: أصول المصطلح، ومصادره، ومفاهيمه، وممارساته، وإجراءاته، وتطوراتهِ (شكلاً ومضموناً) فقد ينقل المصطلح الواحد بمفاهيم متعددة، أو ينقل المفهوم الواحد بمصطلحات عدة، أو أن ينقل المصطلح الغربي بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم وغيرها من المظاهر الإشكالية.

المحور الثاني: علاقة المصطلح بعلم المصطلح وآليات صناعته:

أولاً- علاقة المصطلح بعلم المصطلح(المصطلحية):

من المعلوم أن حركة المصطلح قامت مبكراً جداً، فقد كانت مصاحبة لنشاط الإنسان في الحياة وقدرته على التفكير والبحث والاكتشاف، ما أدى إلى حركة ونشاط على مستوى المصطلح، ويتعدّد العلوم وانتشارها وكثرة الاختصاصات فيها التصق هذا بالمصطلح فأسهّم في ظهوره، لما في المصطلح من تقريب المفاهيم، ولما فيه من اختصار، وكل هذا الوقت لم يؤخذ المصطلح على محمل علم مستقل.

وقد زاد الاهتمام به شيئاً فشيئاً بتطور العلوم وكثرة الاختصاصات، فكان التقدم العلمي السبب الرئيسي في الاهتمام بقضية المصطلح وتوحيده في التخصصات المختلفة، ذلك أن لغة العلم تعتمد بدرجة كبيرة على المصطلح. وقد أدى التعاون العلمي بين أصحاب التخصص الواحد من أبناء الدول الأوروبية المختلفة ذات اللغات المتعددة إلى الاهتمام بوضع المعايير الدولية التي تعمل على توحيد المصطلحات، وكانت المؤتمرات العلمية الخطوة الأولى لبحث موضوع التوحيد، ومنها: مؤتمر علماء النبات عام 1867م، ومؤتمر علماء الحيوان عام 1889م، ومؤتمر علماء الكيمياء عام 1892م¹.

أما فيما يخص توحيد المصطلحات داخل التخصص الواحد، فقد صدر عن اللجنة الدولية للصناعات الكهروبيائية سنة 1906م، التي قررت عمل مصطلحات موحدة لهذا التخصص.

¹- ينظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 16 ، 17.

من هنا تجلت أهمية وضع المواصفات القياسية للمنتجات الخاصة بهذا المجال، مما دفع بالدول الصناعية إلى الاهتمام بهذا الموضوع من أجل اللحاق بركب التقدم. وبقيت المحاولات قائمة في هذا الإطار حيث قامت اللجنة الفنية في الفدرالية الدولية للاتحادات الوطنية للتقييس سنة 1934م لبحث موضوع توحيد المصطلحات الدولية في مجالات الصناعة والعلم، لكن دون جدوى وبعد الحرب العالمية الثانية، وحين حلت (المنظمة الدولية للمواصفات القياسية ISO) محل (الفيدرالية الدولية للاتحادات الوطنية للتقييس ISA)، وضمت المنظمة الدولية لجنة متخصصة للمصطلحات يتولى (المعهد النمساوي للمواصفات القياسية) في "فيينا" أمانة سيرها ، ظهر تقدم ملموس في مجال توحيد المصطلحات¹.

ومع وفرة المصطلحات في المجالات العلمية المختلفة ، وضرورة العناية بها ، نشأ علم جديد له قواعده وأساسه هو " علم المصطلح" أو "المصطلحية (La Terminologie) وهو علم «من أحدث أفرع علم اللغة التطبيقي يتناول الأسس العلمية لوضع المصطلحات وتوحيدها»².

وقد عرفه "علي القاسمي" بـ«العلم الذي يبحث في العلاقة بين المفاهيم العلمية والمصطلحات اللغوية التي تعبر عنها. وهو علم ليس كالعلوم الأخرى المستقلة، لأنه يركز في مبناه ومحتواه على علوم عدة أبرزها علوم اللغة، والمنطق، والإعلامية (علم الحسابات الإلكترونية)، وعلم الوجود، وعلم المعرفة، وحقول التخصص العلمي المختلفة»³.

فعلم المصطلح - إذا - هو علم مشترك بين علوم كثيرة وله وشائج قري معها، وليس علما مستقلا بذاته.

¹ - ينظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص 17 ، 18.

² - المرجع نفسه: ص19.

³ - علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح، ص6.

ويتناول علم المصطلح جوانب ثلاثة متصلة من البحث العلمي والدراسة الموضوعية هي:¹

أولاً- يبحث علم المصطلح في العلاقات بين المفاهيم المتداخلة مثل : علاقات الجنس - النوع، والكل - الجزء التي تتبلور في صورة أنظمة المفاهيم التي تشكل الأساس في وضع المصطلحات المصنفة التي تعبر عن تلك المفاهيم في علم ما.

ثانياً- يبحث علم المصطلح في المصطلحات اللغوية، والعلاقات القائمة بينها، ووسائل وضعها، وأنظمة تمثيلها في بنية علم من العلوم، وبهذا المعنى يكون فرعاً من فروع علم المعجم.

ثالثاً- يبحث علم المصطلح في الطرق العامة المؤدية إلى خلق اللغة العلمية والتقنية، بغض النظر عن التطبيقات العلمية في لغة طبيعية بذاتها.

يذكر "محمود فهمي حجازي" المنطلقات الأساسية لعلم المصطلح، وهي² :

1- ينطلق العلم في علم المصطلح من المفاهيم بعد تحديدها تحديداً دقيقاً، محاولاً إيجاد المصطلحات الدقيقة الدالة عليها. ويتطلب هذا العمل تحديد المفهوم الواحد بدقة كبيرة تميزه عن المفاهيم الأخرى المماثلة له.

2- يقتصر علم المصطلح على بحث المفردات، ويركز بشكل خاص على المصطلحات الدالة على المفاهيم التي تفيد في التعبير عنها.

3- علم المصطلح ذو منطلق تزامني (Synchronic) ، فهو يبحث الحالة المعاصرة لنظم المفاهيم ويحدد علاقاتها القائمة ، ويبحث لها عن مصطلحات دالة.

4- يبحث علم المصطلح الوسائل الكفيلة بتكوين المصطلحات وتوحيد المصطلحات المتعددة للمفهوم الواحد .

5- يتجاوز علم المصطلح الوصفية إلى المعيارية .

6- يعتبر علم المصطلح جزءاً من التنمية اللغوية.

¹- ينظر : علي القاسمي : مقدمة في علم المصطلح، ص 17، 18.

²- ينظر: محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص24.

7- يهتم علم المصطلح بالكلمة المكتوبة .

8- يقوم علم المصطلح بتحديد قيمة مكونات المصطلح، ويتضمن التوحيد المعياري

للمصطلحات اختيار المصطلح المناسب ووضع المصطلح المنشود.

9- علم المصطلح ذو أفق عالمي، يتطلب التوحيد المعياري للمصطلحات أسسا ونظرية

عامة.

10- يتطلب علم المصطلح أن تعرض المصطلحات في مجالات محددة، على أن

تكون مصطلحات المجال الواحد متتابعة على أساس فكري.

11- علم المصطلح له علاقة بالعلوم الأخرى_ كما أسلفنا الذكر _.

فعلم المصطلح -إذا- يعمل جاهدا على توحيد المصطلحات في جميع مجالات العلم

والمعرفة، وذلك من خلال التركيز على المفاهيم أولا والمصطلحات ثانيا؛ فبعد تحديده

للمفاهيم بدقة متناهية يسعى إلى إيجاد المصطلح الدال عليه للوصول إلى الغاية المنشودة

وهي تحقيق التفاهم والتواصل بين الدول (الأمم).

ثانيا - آليات صناعته:

من المؤكد أن التوليد الاصطلاحي (المصطلحي) كان وسيلة اللغة التي اعتمدها في

نمائها وتطورها عبر العصور، وتتم هذه العملية بوساطة آليات تقتضيها المصطلحات، حيث

تخضع هذه الأخيرة في كل لغة إلى قوانين صوتية، وصرفية، ونحوية، ودلالية تتحكم في

إنشائها. فقد كان للعرب آليات عديدة، منها: الاشتقاق، والمجاز، والترجمة، والتعريب،

والوضع، والارتجال، والنحت، أنتجت من خلالها اللغة العربية تراكيب ودلالات جديدة مكنتها

من تغطية عجزها التعبيري، وقد أضاف المحدثون وسيلة أخرى هي "التراث" (الإحياء) التي

نصت عليها (ندوة توحيد وضع المصطلحات العربية) التي نظمت بمكتب تنسيق التعريب

بالرباط عام 1981م.

أ- آليات التوليد والاختراع:

1- الاشتقاق:

الاشتقاق في اللغة أخذ شيء من شيء. قال " ابن منظور": « اشتقاق الشيء: بنيانه من المترجل. واشتقاق الكلام: الأخذ فيه يمينا وشمالا. واشتقاق الحرف من الحرف: أخذه منه»¹.
أما في الاصطلاح فعمل أشهر تعاريفه ما قاله "ابن دحية" في "شرح التسهيل": «الاشتقاق أخذ صيغة من أخرى، مع اتفاقها معنى ومادة أصلية، وهيئة تركيب لها؛ ليدل بالثانية على معنى الأصل، بزيادة مفيدة، لأجلهما اختلافا حروفا أو هيئة؛ كضارب من ضرب، وحذر من حذر»².

وعليه، فالاشتقاق هو أخذ كلمة من كلمة أخرى شرط أن يكون بينهما تناسب في اللفظ والمعنى معا.

هذا النوع من الاشتقاق يسمى الاشتقاق الصغير، وهو أصل أنواع الاشتقاق وأكثرها ورودا في اللغة العربية، فإذا أطلقت كلمة اشتقاق فإنها تذهب إليه مباشرة ولا تذهب إلى غيره إلا إذا قيد التعريف بشرط.

وقبل المضي في الحديث عن الاشتقاق ومقدار اتصاله بالقضية الاصطلاحية، لابد لنا من التعرض إلى علاقة الاشتقاق بالقياس ف «الاشتقاق هو عملية استخراج لفظ من لفظ أو صيغة من أخرى ، والقياس هو الأساس الذي تبنى عليه هذه العملية، وهو المراد الذي تستند عليه مثل هذه العملية الاشتقاقية كي يصبح المشتق مقبولا معترفا به... وكثير من هذه الصيغ التي يجوز اشتقاقها لا وجود لها في نص صحيح من نصوص اللغة»³.

فالاشتقاق هو التطبيق الفعلي لأصول القياس، هذا الأخير الذي يعطي له شرعيته ويقوم له صرحه المنيع.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(شقق).

² - السيوطي: المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، (دت)، ج1، ص346.

³ - إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ط3، 1966، م، ص 46.

ونظرا لأهمية القياس في العملية الاشتقاقية، تجدر الإشارة إلى الخلاف الذي دار بين البصريين والكوفيين حول أصل المشتقات (المصدر أم الفعل)، والثابت أن العرب لم تقتصر على اشتقاق الألفاظ من المصدر والفعل، بل ذهبت إلى الاشتقاق من أسماء الأعيان ألوفا من المشتقات، فمن الذهب: أذهب وذهبه، ومن الفلأ: أفلس، كما اشتقت من أسماء الأعيان المعربة: كالدرهم، والفهرس، فقالت: درهم، وفهرس¹.

وقد كان معظم علماء العربية يرون أن الاشتقاق سماعي، ولا يجوز اشتقاق أسماء أو أفعال لم تسمع عن العرب، في مقابل ذلك كان بعض العلماء يجيزون على الدوام الاشتقاق والتعريب حتى تظل العربية تنمو وتتكاثر أخذا بالمقولة «ما قيس على كلام العرب فهو من كلام العرب».

والاشتقاق في العلوم المعاصرة ضرورة لا مناص منها، ولذلك اتسعت دائرته على الاشتقاق من أسماء الأعيان، وأسماء الأعيان المعربة، والاسم الجامد العربي، والاسم الجامد المعرب، يضاف إلى ذلك قياسية المصدر الصناعي لشدة الحاجة إليه في العلوم والفنون، ووضع ضوابط ومعايير قياسية لتكوين أفعال وصيغ لا وجود لها في نصوص اللغة العربية، للدلالة على معاني مستحدثة.

ويعد الاشتقاق من أنجع الآليات المعتمدة في توليد المصطلح في اللغة العربية، ونقصد هنا الاشتقاق الصغير (العام، أو الصرفي)، أو "الاشتقاق" التوليدي² حسب "عبد السلام المسدي"، وذلك بفضل قدرته التوليديّة «فمفهوم الاشتقاق الذي يتصل رأسا بقضية صوغ المصطلحات ونماء رصيد اللغة من الألفاظ إنما هو هذا التقولب الصرفي المظهري في نطاق المادة اللغوية الواحدة والذي لولاه لتعذر على العربية أن تحيا اللهم إلا أن تستعويض عنه بطواعية أخرى! فهو إذن ظاهرة حتمية الحضور في اللغة العربية: هو إحدى مسلمات وجودها... فنمط الاشتقاق التوليدي... قد اصطلح عليه بالاشتقاق الصغير»³ فهو «الأكثر

¹ - ينظر: مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص 15 .

² - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 33 .

³ - المرجع نفسه: ص 32، 33 .

إنتاجية وفاعلية في النمو المصطلحي»¹، و«فيه مجال لتنمية اللغة ولا سيما بالمصطلحات العلمية»²، ويقع «الاشتقاق العام ضمن المعيارية التفضيلية لأنه نشاط إبداعي يضيف إلى اللغة ما لا يخرج عن أصواتها و قواعدها ، ويقع في أعلى درجات الوليد»³.

فالاشتقاق - إذا - خاصة اللغة العربية ، فهو يسهم إلى حد كبير في تطورها، وإغنائها بمصطلحات جديدة تمكنها من التعبير عن المفاهيم المستجدة الوافدة عليها بأعداد هائلة لمواكبة التطور الحضاري، وتظهر فعاليتها وأهميته في كونه يحافظ على صفاء ونقاء العربية و يبعد عنها الدخيل.

2- المجاز:

يراد بالمجاز «كل لفظ نقل عن موضوعه فهو مجاز»⁴. أي العمد إلى الانتقال باللفظ من معناه الأصلي (القديم) إلى معنى آخر (جديد) بينهما علاقة. فالمجاز إذا يقابل الحقيقة «فالحقيقة هي الكلمة المستعملة لما وضعت له في اصطلاح التخاطب... والمجاز هو الكلمة المستعملة في غير ما وضعت له في اصطلاح التخاطب على وجه يصح مع قرينة عدم إرادته»⁵. ثم إن «المجاز إذا كثر لحق بالحقيقة»⁶، فيغيب المعنى الأصلي للفظ ويظهر المعنى الجديد الذي استقر عليه هذا اللفظ فيتحول بذلك إلى مصطلح.

يشرح " عبد السلام المسدي" المجاز في قوله: «يتحرك الدال فينزاح عن مدلوله، ليلايس مدلولاً قائماً أو مستحدثاً. وهكذا يصبح المجاز جسر العبور تمتطيه الدوال بين الحقول المفهومية... إذ يمد المجاز أمام ألفاظ اللغة جسوراً وقتية، تتحول عليها من دلالة الوضع الأول إلى دلالة الوضع الطارئ»⁷.

فهذا الانتقال باللفظ من معناه القديم للدلالة على مفاهيم جديدة يسمى مجازاً فإذا تكرر هذا الانزياح حتى بلغ حد التواتر «يستقر به اللفظ في الحقل الجديد، فيقطع عليه طريق

1 - علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص 98 .

2 - مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث ، ص 16 .

3 - عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د ط)، 2002م، ص 54.

4 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص 66.

5 - الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، ط1، 1904م، ص 293، 294.

6 - ابن جني: الخصائص، ج2، ص 447.

7 - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 44، 45.

الرجوع... حتى إنك لو حاولت العودة ببعض المصطلحات إلى استعمالها الأولي لتعذر عليك ذلك إلا بمجاز جديد»¹ .

واستقرار اللفظ في الحقل الجديد وثباته هو ما أطلق عليه البلاغيون "النقل"، فيتحول بذلك إلى مصطلح. فنحن إزاء معادلة رياضية من الدرجة الأولى ذات مجهول واحد هو المصطلح، ومعطياتنا هي: اللفظ القديم، المجاز، التواتر، النقل، وعامل الزمن. بحيث تتفاعل هذه المعطيات مع بعضها فتكون النتيجة مصطلحا علميا قائما بذاته» يتعامل المجاز مع التواتر فينتج النقل، ويقترن النقل مع اللفظ الفني فيوضع المصطلح، عندئذ يكون المجاز سبيل الرصيد اللغوي العام إلى الرصيد الخاص: المعرفي، الذي هو رصيد المصطلحات العلمية»².

وللمجاز وجهان، هما: "الاستعارة": وهي استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة المشابهة بين المعنيين، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي. و"المجاز المرسل": وهو استعمال اللفظ في غير معناه الأصلي لعلاقة غير المشابهة، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الأصلي³ . على أن تكون ثمة علاقة بين المعنيين الحقيقي والمجازي.

ومن أمثلة المصطلحات العربية المولدة عن طريق المجاز، مثلا: الصيام، الصلاة، القاطرة وغيرها. فالقاطرة كانت تطلق على الناقة التي تتقدم قطع الإبل، وأصبحت في الاستعمال الحديث تدل على الآلة التي تجر عربات القطار على السكة الحديدية. إن الذي حدث لكلمة (القاطرة) هو تطور دلالي اتخذ المجاز أداة له. وهكذا تظهر العلاقة بين مفهومي الكلمة (الحقيقي والمجازي).

والذي لا بد منه، هو توخي الوقوع في المشترك اللفظي باعتباره العقبة الكأداء للمصطلح، والتي من شأنها أن توقعه في شرك الالتباس عندما يصبح للمصطلح مدلولات كثيرة.

بناء على ما سبق، تتضح لنا قيمة المجاز الذي كان وما زال يشكل إحدى أهم الآليات المعتمدة في تنمية اللغة العربية، باعتبارها لغة مجاز بالدرجة الأولى، وذلك عن طريق

1 - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 45.

2 - المرجع نفسه: ص 45.

3 - ينظر: الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص 296-320.

توسيع معاني الكلمات وإعطائها مدلولات جديدة، والذي يحمده لهذه الآلية (المجاز) أنها صالحة في كل زمان بالعودة إلى التراث العلمي والمعرفي والإفادة منه.

3_الوضع(الاختراع):

يقصد بالاختراع في اصطلاح النقاد«اختراع كلمة لم توجد من قبل»¹، بمعنى وضع كلمة جديدة لم تكن معروفة من قبل في المعاجم اللغوية، وهذا الوضع ليس إنشاء محضاً لكلمة دالة، لأن «توليد الظاهرة وإنتاجها وإبداعها حضارياً، هو الذي يُعطي شرعية تسميتها؛ فوضع الكلمة قرين ما تشير إليه، حيث يصبح النشاط اللغوي تنويجاً لأنشطة إبداعية سابقة، من هنا، يرتبط الاصطلاح بالاختراع بالمفهوم الدقيق»².

ولعل هذا ما أشار إليه "قدامة بن جعفر" بقوله: «فإني لما كنت آخذاً في استنباط معنى لم يسبق إليه من يضع لمعانيه وفنونه المستنبطة أسماء تدل عليها، احتجت أن أضع لما يظهر من ذلك أسماء اخترعتها، وقد فعلت ذلك والأسماء لا منازعة فيها إذ كانت علامات، فإن قنع بما وضعته وإلا فليخترع لها كل من أبى ما وضعته منها ما أحب، فليس ينازع في ذلك»³.

ولكي يحظى الاختراع بالاستقرار فقد تسبق هذه المرحلة عثرات، ما يتطلب توخي الأفضل والأنسب.

4_ الارتجال:

يعتبر الارتجال الطريقة الأولى لوضع الألفاظ، وقد احتاجت اللغة إليه في بداية نشأتها، فكان وسيلة لنمو ألفاظها، يقول "ابن جني": «إن الأعرابي إذا قويت فصاحته وسمت طبيعته تصرف وارتجل ما لم يسبقه أحد به فقد حكي عن رؤية وأبيه أنهما كانا يرتجلان ألفاظاً لم يسمعاها ولا سبقا إليها»⁴، ومن المعلوم أن هذه الآلية «لا تتم في يوم وليلة، ولا بقرار سلطوي أو قانون استثنائي من الواضع، ومهما يكن التحصن بأسس ومعيارية المواضعة؛ فإن ثمة

1 - علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص67.

2 - صلاح فضل: إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، مجلة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، فاس، المغرب، 1988م، ص71.

3 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط3، (د ت)، ص23، 24.

4 - ابن جني: الخصائص، ج2، ص25.

متسعا من الوقت تحكمه آلية التداول حتى يستقر ذلك العضو الجديد وينسجم مع باقي أعضاء الجسد»¹.

ومهما يكن من أمر، فإن معظم الدارسين المحدثين ينكرون وجود الارتجال أصلا، منهم "مدوح محمد خسارة" في قوله: «أما نحن فإننا ننكر أشد الإنكار أن يُسلك للتوليد مثل هذا المسلك الذي انتهت مرحلته التاريخية منذ زمن بعيد، والذي لا تحده أية معالم أو ضوابط»²، كما قال "إبراهيم أنيس" «ولندرة الكلمات المترجلة في اللغات الأخرى وضعف أثرها في نمو اللغات، يرى معظم الباحثين من المحدثين أن الارتجال أتفه طرق الوضع»³.

وعلى الرغم من كون آلية الوضع (الاختراع)، والارتجال عرضة للمزلق المنهجية، والخلط بين المصطلحات لاعتمادهما على مرتكزات غير مؤسسة، فتبقيان آليتين من آليات التوليد المصطلحي.

5_ النحت:

النحت في اللغة: النشر والقشر والقطع. يقال: «نحت النجار الخشب، نحت الخشبة نحوها ينحتها و ينحتها نحتا، والنحاتة ما نحت من الخشب ، ونحت الجبل ينحته: قطعه»⁴. أما في الاصطلاح فيعرف بأنه: «انتزاع كلمة من كلمتين أو أكثر على أن يكون تناسب في اللفظ والمعنى بين المنحوت والمنحوت منه»⁵.

ويعتبر "الخليل بن أحمد" أول من اكتشف ظاهرة النحت في اللغة العربية. قال في معجمه "العين": «أخذوا من كلمتين متعاقبتين كلمة واشتقوا فعلا»⁶ ، وأوضح ذلك بعدة أمثلة، منها:

أقول لها ودمع العين جار ألم يحزنك حيلة المنادي

فكلمة (حيلة) جمعت من (حي) و (على).

وتضحك مني شيخة عبشمية كأن لم تر قبلي أسيرا يمانيا

¹ - عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، ص 61.
² - مدوح محمد خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2013، ص 217.
³ - إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 93.
⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (نحت).
⁵ - علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح ص 102 .
⁶ - الخليل بن أحمد: العين، تحقيق مهدي المخزومي و إبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم و الفهارس، (د ط)، (د ت)، ج 1، ص 60 .

فشرح بنية كلمة (عشمية) بقوله: «أخذ العين والياء من (عبد)، وأخذ الشين والميم من (شمس)، وأسقط الدال والسين، فبنى من الكلمتين كلمة. فهذا من النحت»¹. وجاء في " فقه اللغة " للثعالبي " أن « العرب تنحت من كلمتين و ثلاث كلمة واحدة وهو جنس من الاختصار»².

فالنحت في حقيقته ضرب من الاختصار عرفته اللغة العربية قديما، حينما احتاج العرب لتعويض بعض الجمل التي كثر تداولها بينهم فعبروا عنها بهذا الاختصار، من مثل: حمدل(قال: الحمد لله)، حولق و حوقل (لاحول ولاقوة إلا بالله)، سبحل (سبحان الله)، بسمل (بسم الله)، جعفد (جعلت فداك)، دمعز (أدام الله عزك)، صلعم (صلى الله عليه وسلم).

لقد تناول علماء اللغة القدامى النحت بأمتلة محدودة، أما علماء النحو فلم تعنهم هذه الأمثلة لقلتها، فكانوا جميعا متحفظين تجاه قياسيته، وعدوه سماعيا، على اعتبار أن اللغة العربية لغة اشتقاقية بالدرجة الأولى، والنحت أصل من أصول اللغات الهندوأوروبية ذات الطبيعة الإلصاقية. غير أن "ابن فارس" كان له شأن في هذا الموضوع، فعلى عكس ما ذهب إليه النحويون واللغويون القدامى يرى أن النحت قياسي وأن «للرباعي والخماسي مذهباً في القياس، يستنبطه النظر الدقيق، وذلك أن أكثر ما تراه منه منحوت»³.

وأكد كلامه هذا في كتابه "الصاحبي" في قوله: « هذا مذهبنا في أن الأشياء الزائدة على ثلاثة أحرف فأكثرها منحوت»⁴.

والملاحظ على هذا الرأي الشاذ "لابن فارس" أنه أراد أن يخرج بنظرية في النحت من خلال الأمثلة التي طبقها في كتابه "مقاييس اللغة".

أما المحدثون فقد تناولوا ظاهرة النحت بشيء من التوسع حتى أن معظم الدارسين جعلوه ضرباً من ضروب الاشتقاق، وأطلقوا عليه "الاشتقاق الكُّبار"، وحسب "محمود فهمي

¹ - الخليل بن أحمد: العين، ص 61.

² - أبو منصور الثعالبي: فقه اللغة وسر العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1998م، ج 2، ص 657.

³ - ابن فارس: مقاييس اللغة، ج 1، ص 328.

⁴ - ابن فارس: الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامهما، تعليق أحمد حسن بسج، ط 1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م، ص 210.

حجازي¹ فإن أدق تعريف للنحت هو قول " عبد القادر المغربي" « النحت في الاصطلاح أن تعتمد إلى كلمتين أو جملة فتنزع من مجموع حروف كلماتها كلمة فذة تدل على ما كانت تدل عليه الجملة نفسها... وهو في الحقيقة من قبيل الاشتقاق وليس اشتقاقا بالفعل»²، وهو إما اسمي، مثل: "جلمود" المنحوت من "جمد وجلد"، وإما فعلي، مثل: "حولق" المنحوت من "لاحول ولا قوة إلا بالله"، وإما وصفي، مثل "ضبطرة" للرجل الشديد منحوت من "ضبط وضبر" وإما نسبي، مثل: "عبقسي" من "عبد القيس"، وزاد بعضهم النحت الحرفي، مثل: "لن" المنتزعة من حرف النفي لا وحرف الاستقبال أن، والنحت التخفيفي، مثل: بلعبر من بني العنبر، وتشير الدكتورة رجاء وحيد دويدري" إلى ضرب جديد من النحت وهو «الذي يمزج ألفاظا أعجمية أو معربة مثل: بارا مغنطيس ومتافيزيقي، أو يمزج ألفاظا أعجمية مع أخرى عربية مثل: حمالوجيا في (Esthetics) وفكرولوجيا في (ideology)»³.

كما قسم المستشرق الروسي "كيفورك ميناجيان" وهو (مراسل مكتب تنسيق التعريب بالرباط من موسكو) النحت إلى قسمين، هما:⁴

1- تركيب نحتي: وهو توليد كلمة من كلمتين بحيث لا يبقى الشكل الأولي لكلتا المنحوتتين سليما.

2- تركيب مزجي: وهو تركيب كلمة من كلمتين (أو أكثر) بحيث لا تفقد أي كلمة حرفا من أصلها، بل تمزج بالأخرى، وتكتبان في شكل كلمة واحدة.

فالنوع الثاني ليس من النحت في شيء، فهو مزج أو لصق لكلمتين مع بعضهما، يقول "يوسف وغليسي": «هو أدنى إلى المصطلح الأجنبي (composition)؛ ولا حديث عن النحت _ في اللغة والاصطلاح _ بغير نحاته»⁵.

هذا، وقد نظر المحدثون في موضوع النحت، بين منكر للنحت، ومستنقل له، ومعتزف به. لقد تميز موقف المنكرين للنحت بالصرامة وعلى رأسهم "ممدوح محمد خسارة" قائلا: «أما

¹ - محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، ص73.

² - عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، (د ط)، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، 1908م، ص21.

³ - رجاء وحيد دويدري: المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر، ط1، دار الفكر، دمشق، 2010م، ص83 ، 84.

⁴ - ينظر: كيفورك ميناجيان: النحت قديما وحديثا، مجلة (اللسان العربي)، 9، ج1، يناير 1972م، ص165.

⁵ - يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص93.

نحن فإننا ننكر مع الشيخ أحمد الإسكندري أن يكون النحت وسيلة توليد لغوي، ونقر بأنه كان وسيلة اختزال ليس غير»¹، ويسوق لذلك أدلة عدة، هي:²

- 1_ إن "ابن فارس" أكبر القائلين بالنحت، لم يعده وسيلة توليد بل وسيلة اختصار.
- 2_ إن ما استقرت عليه العربية هو الجذر الثلاثي، ولذلك، أصبحت الثلاثية من خصائصها، وعليها بنيت معاجمها، وكذا ميزانها الصرفي.
- 3_ إنّ في النحت خروجاً على الخاصية الأساسية في اللغة العربية وهي الخاصية الاشتقاقية.
- 4_ عند عقد مقارنة بين المصطلحات المنحوتة والأخرى المركبة وصفاً أو إضافياً يتبين ما هو أدخل في العربية مما هو منها.
- 5_ إن أهم وظائف الكلمة هي الإبانة والتوضيح؛ بل هي مهمة اللغة إجمالاً. وما رأيناه من المنحوتات أو معظمها يلغي هذه الوظيفة الدلالية الميسورة للكلمة.
- 6_ إنه كلما قل الحذف من جزأي التركيب المنحوت منه كان معنى المنحوت أوضح، وانعدام الحذف يوصلنا إلى التركيب المزجي الذي هو أوضح دلالة من النحت.
- 7_ إذا كان مسوغ النحت عند القائلين به هو قابلية المنحوت للاشتقاق والتصريف، فإن هذا الاشتقاق لن يمر دون إشكالات.
- 8_ أما ما شرطه بعض الباحثين الوسطيين من وجوب تحكيم الذوق اللغوي في المنحوتات، فما ندري من يملك المقدرة على تقييس الأذواق وتمييز ما تقبله الأذن العربية مما تنفر منه. نأتي إلى الموقف الثاني الذي استنتج النحت، ويمثله معظم الدارسين وأصحاب المجامع اللغوية، فهم مطبقون على تجنب النحت في توليد المصطلح إلا عند الضرورة القصوى، لصعوبة وضع قواعد عربية له، ولذلك نادوا بـ«عدم التوسع باستعماله في توليد المصطلحات الجديدة لأنه يتنافى مع الذوق العربي ولأن المنحوت يطمس معنى المنحوت منه»³، ويقول "مصطفى الشهابي": «ولم ألجأ إلى النحت في معجمي إلا نادراً. فقد نحتُ مثلاً كلمة لبارز من

¹- ممدوح محمد خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات في العربية، ص194.

²- المرجع نفسه: ص194-198.

³- علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص103.

لبنان وأرز... ومما نحت في العصر الحاضر واستعملته في كُتبي الزراعية تَحْتُرْبَة، من تحت التربة، ترجمة للفرنسية (Sous-sol) ومن التركيب المزجي بَرْمَائِي من البر والماء»¹.

أما أنصار النحت_ ومع القليل من التحفظ _ يرون أن اللغة العربية عرفت النحت منذ القديم في حالات محددة، إلا أن الشأن اليوم غيره بالأمس» فما يستجد من ظروف، وما تواجه الأمة من مشكلات الحضارة والعلوم والمصطلحات، يجعل أي إمكانية شرعية في محاولة اللحاق بركب الحضارة مادامت تتوافق ومتطلبات الضرورة. على أن هذا لا يعني أن نخبط خبط عشواء في هذا الميدان؛ إذ إن الاندفاع وراء هذه الضرورة في غير ضابط سيؤدي إلى نتيجة غير المرجوة... ولذلك فقد أخذ العلماء المحدثون في محاولة لتفقيد النحت وإخضاعه للسيطرة»².

ويعتبر "ساطع الحصري" من المدافعين عن النحت باعتباره وسيلة توليد لغوي، حيث جمع في كتابه الموسوم "في اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية" بين النظرية والتطبيق، يقول: «قلما رأينا إقداما على الاستفادة من النحت بصورة فعلية، ونحن نعتقد أن الضرورة ماسة لذلك، إننا نعبر عن كثير من المعاني العلمية بتراكيب متنوعة، فإذا كانت هذه التراكيب قصيرة وسهلة فيمكننا أن نستمر في استعمالها على حالها، أما إذا كانت طويلة صعبة فمن مصلحة العلم واللغة أن ننحتها لأجل تسهيل استعمالها وانتشارها»³. ومن الكلمات التي وضعها نحنا: (قبتاريخ) مقابل المصطلح الفرنسي (préhistoire) أي (قبل التاريخ)، فيقال على طريقته: الإنسان القبتاريخي، وآثار قبتاريخية؛ وهي طريقة اختزال الظروف؛ يتابع قائلا: «وكذلك يمكننا أن ننحت كلمات (خارج، فوق، تحت) على شكل: (خا، فو، تح) و نقول: خامدرسي، وفوسوي، وتحشعوري»⁴. ومن منحواته غير الظرفية كلمة (السرمنة) لحالة (السير في المنام)⁵.

¹ - مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص 18.

² - عبد الله محمد العبد: المصطلح اللساني العربي وقضية السيرورة، ص 116.

³ - ساطع الحصري: في اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة خاصة، ص 87.

⁴ - المرجع نفسه: ص 89.

⁵ - المرجع نفسه: ص 88.

هذا، ويبقى الحكم في موضوع النحت للاستعمال والشيوع والوضوح لا للتظير والممارسة، ويبقى الاعتماد على هذه الآلية في توليد المصطلح محدودة، كما يجب أن نذكر بأبرز ميزة للنحت وهي الاختصار أو الاقتصاد اللغوي، فهو يعمد إلى اختزال كلمتين أو أكثر في كلمة واحدة، وهذا يخدم المصطلح بدرجة كبيرة وبخاصة إذا كانت الكلمة المنحوتة واضحة ودقيقة بالإضافة إلى الاختصار.

ب _ آليات الإحياء والاستمداد:

1_ الإحياء:

الإحياء أو (التراث) هو: «ابتعث اللفظ القديم ومحاكاة معناه العلمي الموروث بمعنى علمي حديث يضاهيه»¹ بمعنى بعث الألفاظ القديمة المهملّة أو الميتة وشحنها بدلالات مغايرة ومفهوم جديد، مادامت اللغة العربية غنية بألفاظ مهملّة يمكن إحيائها وتحميلها بدلالات جديدة لضمان الابتعاد عن الدخيل والغريب.

ومما لا شك فيه، أن المؤتمرات والندوات المعنية بقضية المصطلح العربي أوصت بالعودة إلى كتب التراث وعلى رأسها المعاجم اللغوية العربية، واستخراج ما فيها من مصطلحات، أو كلمات قابلة للدخول في حقل الاصطلاح.

فقد نبه المصطلحي والمجمعي "مصطفى الشهابي" على أن يكون واضعوا المصطلحات_ بما فيهم هو_ «مطلعين اطلعا واسعا على الألفاظ العلمية الميثوتة في المعاجم العربية، وفي مختلف كتبنا العلمية القديمة»².

وجاء في توصيات ندوة (توحيد منهجيات وضع المصطلح العلمي العربي) التي عقدت في الرباط سنة 1981م: «استقراء وإحياء التراث العربي وخاصة ما استعمل منه أو استقر منه من مصطلحات علمية عربية صالحة للاستعمال الحديث»³، جاعلة من التراث في المرتبة الأولى على رأس بقية الآليات، وكأساس قوي لتحقيق هوية الذات، وركيزة مهمة للاتكاء على الأصل حتى لا تقتلنا رياح الثقافات الغربية المعاصرة.

¹ - عبد السلام المسدي: المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د ط)، 1984م، ص105.

² - مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية، ص93.

³ - مجلة (اللسان العربي)، الرباط، مجلد18، ج1، ص175.

فلا ضرر إذن، من اتخاذ هذه الآلية (التراث) كلما دعت الحاجة إليها، لكن دون مبالغة ولا إسراف، وذلك بعدم جعل التراث هو الأصل في وضع المصطلح، فالأمر هنا نسبي_ لا إفراط ولا تفريط_، فالقضية تحتاج إلى رحلة معرفية جادة في الجذور الفلسفية والأيدولوجية للمصطلح الوافد، ثم البدء في البحث في التراث العربي عن مصطلح عربي محض، يقول الدكتور "عزت محمد جاد": «من الغبن الجائر المبالغة في سلطوية الفكر التراثي ما لم يتسق مع عصرية التوجه وفلسفة النظرية المطروحة، فالتراث ارتثا، هو مطيتنا ولسنا مطيته»¹. من هذا المنطق، يتبين أن التراث (الإحياء) آلية مهمة في إنشاء المصطلح، شرط أن يحمل معه مشروعيته في المفهوم والصيغة والشيوخ أو التداول.

2_ الترجمة:

الترجمة في اصطلاح النقاد هي نقل نص من لغته إلى لغة أخرى، أو «نقل كلام من لغة إلى أخرى، مفردات أو نصوصا قد تكون كتباً كاملة»². وعلى أية حال، فإن ما يعنينا من الترجمة هنا هي ترجمة المصطلحات التي حظيت بدراسة عدد كبير من الباحثين في الوقت الراهن، يقول "علي القاسمي" معرفاً للترجمة بأنها: «نقل المصطلح الأجنبي إلى اللغة العربية بمعناه لا بلفظه فيتخير المترجم من الألفاظ العربية ما يقابل معنى المصطلح الأجنبي». بمعنى إعطاء مصطلح من لغة ما مقابله العربي. تعدّ ترجمة المصطلح عقبة تعترض سبيل المترجم، ذلك أن المصطلح يتضمن شحنات ثقافية تقف في خلفية النص الأصلي وتحيط به، وعلى المترجم حينئذ أن يترجم ليس فقط العناصر المختلفة للإطار السيميولوجي، بل أيضاً عليه أن يترجم مكان هذا العنصر في المجتمع كله، باعتبار أن التصوّر أو المفهوم واحد، بيد أن المصطلح يختلف من شعب لآخر، وبالتالي يصبح لعلم الترجمة أهميته البالغة في التعامل مع المصطلح؛ باعتباره المرآة التي تعكس فهم المصطلح في لغته الأم ثم تنقله إلى المتلقي في اللغة الهدف³.

¹ - عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، ص53.

² - ممدوح محمد خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات، ص24.

³ - ينظر: عامر الزناتي الجابري: إشكالية ترجمة المصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجاً، مجلة (البحوث والدراسات القرآنية)، ع 09، السنة الخامسة والسادسة، ص333.

وقد تنبه القدماء إلى خطورة الترجمة غير الدقيقة، يقول "الجاحظ" الذي وضع شروطا للمترجم: «ولابد للترجمان من أن يكون بيانه في نفس الترجمة في وزن علمه في نفس المعرفة، وينبغي أن يكون أعلم الناس باللغة المنقولة والمنقول إليها، حتى يكون فيهما سواء وغاية»¹.

يبدو من خلال هذا القول، أن هناك شروطا تتحكم في نشاط الترجمة هي:

- 1 - أن يكون المترجم ملما بلغات الآخرين للاستفادة منها.
- 2- الحرص على ملاءمة المصطلح المنقول للغة المنقول إليها حتى تفهم المصطلحات على صورة موافقة لما قصده واضعها الأول.
- 3- التزام الأمانة والدقة في ترجمة المصطلح العلمي والأدبي.

ينضاف إلى ذلك، ضرورة ربط المصطلح الأصل بسياقه الحضاري الذي ظهر فيه، حتى لا يفقد خصائصه الجوهرية التي تميزه، فالمصطلح وليد بيئته وله خصوصيته التي يتميز بها عن غيره داخل الحقل المعرفي الذي ينتمي إليه، وعند نقله إلى بيئة أخرى يجد المترجم صعوبة في ذلك، مالم يكن على بيئية من أصله المنقول عنه، فقد يمر هذا المصطلح بمراحل متعاقبة قبل أن يستقر نهائيا في الحقل الجديد (البيئة الجديدة)، ويعد الاستعمال هو الأساس في حياة المصطلح أو انمائه، يوضح "عبد السلام المسدي" هذا الأمر في قوله: «فالمصطلح يبتكر فيوضع ويبث ثم يقذف به في حلبة الاستعمال فإما أن يروج فيثبت ، وإما أن يكسد فيمحي، وقد يدلى بمصطلحين أو أكثر لمتصور واحد فنتسابق المصطلحات الموضوعية وتتنافس في «سوق» الزواج، ثم يحكم الاستعمال للأقوى فيستبقيه، ويتوارى الأضعف»²، هذا يعني أن ثراء المصطلح يكمن في خلوده واستقراره.

فالترجمة على هذا النحو من أهم الروافد في تفعيل التداولية العالمية، وإثراء اللغة العربية بمصطلحات دالة. وهي مهمة جليلة، فما تروّجه الترجمة من مصطلحات قد يوجه الأمة للرقى أو للتخلف.

1 - الجاحظ : الحيوان ، تحقيق و شرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1965م، ج 1، ص 76 .

2- عبد السلام المسدي : قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص 27 .

3_ التعريب:

التعريب لغة: التبيين، والتهذيب، وتلقين العربية، وإحلال اللفظ العربي الأجنبي. جاء في لسان ابن منظور: « قال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة...وعرب منطقته؛ أي هذبه من اللحن... وعربه: علمه العربية... وتعريب الاسم الأعجمي: أن تتقوه به العرب على مناهجها».¹

أما اصطلاحاً، فقط كان للتعريب معان عدة، حصرها "علي القاسمي" في أربعة رئيسة رتبها من الخاص إلى العام كما يلي:²

1_ التعريب هو نقل اللفظ ومعناه من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية كما هو دون إحداث أي تغيير (الدخيل) أو مع إحداث تغيير وتعديل لينسجم مع النظامين الصوتي والصرفي للغة العربية (المعرب).

2_ التعريب هو نقل معنى نص من لغة أجنبية إلى اللغة العربية، فالتعريب بهذا المعنى يرادف الترجمة.

3_ التعريب هو استخدام اللغة العربية لغة للإدارة أو التدريس أو كليهما.

4_ التعريب هو جعل اللغة العربية لغة حضارية للإنسان العربي.

فتعدد هذه المفاهيم هي التي أوقعت لفظة تعريب في شرك المشترك اللفظي، وهو أخطر ما يكون على المصطلح.

والذي يهمننا من هذه المفاهيم لمصطلح (التعريب) هو مفهومه الأول الذي يفضي إلى «إخضاع اللفظ الأجنبي لطرق الصياغة العربية، وللعادات النطقية العربية، وهو من ثم يتضمن التزاماً صارماً بالأصوات العربية، والتزاماً أقل صرامة بظواهر التأليف وتجاوز الحروف في الكلمة الواحدة، ثم التزام أقل من ذلك بالصيغ الصرفية العربية»³، فبفضل

¹ - ابن المنظور: لسان العرب، مادة (عرب).

² - ينظر: علي القاسمي: مقدمة في علم المصطلح، ص 130-133.

³ - إبراهيم أنيس: من أسرار اللغة، ص 124

قولبة الكلمة الأجنبية مع شرعية اللغة العربية تغدو الكلمة المعربة كما قال عنها "الجواليقي"
:«عجمية باعتبار الأصل، عربية باعتبار الحال»¹.

يتصل هذا المفهوم بظاهرة لغوية حضارية عالمية عامة مست كل اللغات في أي عصر
من العصور أطلقوا عليها "الاقتراض"، حتى «أنا لا نكاد نظفر بتلك اللغة التي تعد خالية
من أي عنصر أجنبي»²، واللغة العربية مثلها مثل أي لغة إنسانية أخرى تؤثر وتتأثر بغيرها
بسبب الحاجة، فقد اقتضت العديد من الألفاظ العلمية والفنية الحضارية، كما أقرضت هي
الأخرى العديد من ذلك _ قديما _ عندما كانت تدخل على ثقافات العالم دخول المنتصر القوي
من جميع الجوانب.

لقد تناول القدماء ظاهرة الاقتراض هذه باسم (المعرب والدخيل)، ونظروا إليها على
أساس تاريخي فاعتبروا الألفاظ التي تم اقتراضها إبان عصر الاحتجاج من طرف العرب
الذين يحتج بكلامهم أنها معربة، سواء أ جاءت على أوزان العربية أم لا، والألفاظ التي تم
اقتراضها بعد عصر الاحتجاج أنها دخيلة، سواء أ جاءت مناسبة لأوزان العربية أم لا ولا
تكون محل استشهاد عندهم³.

أما المحدثون فقد تناولوا ظاهرة الاقتراض هذه من ناحية صرفية صوتية، ولم يهتموا
بالجانب التاريخي وخاصة وأن عصور الاحتجاج قد ولّت . فإن المحدثين أكثر عرضة لهذه
العملية من غيرهم والحال أن الأمة العربية تعيش حالة من الضعف الفكري _ إن صح
التعبير _ من جهة، وأخذاً بأحد مفاهيم المثاقفة القائم على عالمية المنجزات من جهة أخرى،
وبخاصة أن المصطلح لغة العلم والمعرفة، لا لغة الأعراف والقوميات، فهو ملك مشاع،
وبذلك تصبح هذه المثاقفة نوعاً من الممارسة الإيجابية في مجال العلم والمعرفة، وللحاق
بالركب الحضاري، يقول "عبد السلام المسدي" في هذا الشأن: «وليس كالعلوم جسور تمتد
بين الأقاليم وحضاراتهم، لذلك عدت المصطلحات العلمية سفراء الألسنة بعضها إلى بعض»⁴

¹ - السيوطي : المزهري في علوم اللغة و أنواعها، ج 1 ، ص 269 .

² - إبراهيم أنيس: دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984 م ، ص 151 .

³ - ينظر: سميح أبو مغلي: تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب، دار البداية ناشرون وموزعون، عمان ، الأردن، ط1،
2011م، ص 50 ، 51.

⁴ - عبد السلام المسدي: قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، ص28.

وبهذا فبمجرد دخول لفظ أعجمي إلى العربية وكتابته بحروف عربية، أو تعريفه بالألف واللام يمكن اعتباره معرباً تعريباً نسبياً فينتفي بذلك عنه اسم الدخيل.

لقد حكم بعض الدارسين بإجازة التعريب دون قيد أو شرط وعلى رأسهم "عبد القادر المغربي" الذي يرى أن «التعريب طبيعي في لغتنا وفي غيرها من اللغات، وأن استعمال المعرب لا يحط من قدر فصاحة الكلام»¹، في مقابل هذا الرأي الذي يفتح باب التعريب على مصراعيه، ثمة من يضيق إجازة التعريب أصلاً وفي مقدمة هؤلاء "أحمد الاسكندري" الذي كان «عدواً أزقاً للتعريب»²، ويرى المعتدلون أن خير الأمور أوساطها وهؤلاء عامة هم أصحاب المجامع اللغوية، فقد أصدر مجمع اللغة العربية في القاهرة جملة قرارات جاء فيها القرار الآتي: «يجوز المجمع أن يستعمل بعض الألفاظ الأعجمية- عند الضرورة- على طريقة العرب في تعريبهم»³.

ومهما يكن الأمر، فإن هناك مجالات لا بد من التعريب فيها، ولا سيما الأعلام والأسماء والأجناس، والمصطلحات التي يصعب وضع مقابل عربي لها.

هذا ويبقى للتعريب مكانته التي لا يستهان بها بين آليات إنشاء المصطلح، وبخاصة في الوقت الحاضر. فهو كما قال عنه "يوسف وغليسى": «شر لا بد منه في مجال التنمية اللغوية والوضع الاصطلاحي؛ إذ هو أسهل الوسائل وأسرعها إيتاء للأكل المعرفي (...) وهو وسيلة موقوتة لاستقبال المصطلحات»⁴، وهذا قبل إيجاد المقابل الدقيق للفظ، على أن يراعى في التعريب ما رعاه القدماء، وما يقرره اللغويون المحدثون من الانسجام والتوازن بين الأصوات اللغوية.

ونافذة القول، إن هذه الآليات هي الأكثر اعتماداً في توليد المصطلحات، وإثراء اللغة العربية بها، وقد بدأت هذه العملية بجهود أفراد قبل أن تظهر هيآت ومجامع لها دور كبير في خدمة اللغة العربية.

¹- عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، صفحة الواجبة.
²- مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، ص71.
³- المرجع نفسه: ص 71.
⁴- يوسف وغليسى: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، ص90.

القسم الأول

الدراسة التاريخية والوصفية للمصطلح في كتابي:

"تحرير التحرير" و"بديع القرآن"

الباب الأول

الدراسة التاريخية للمصطلح في الكتابين.

الفصل الأول: العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح

1_ عوامل نشأة المصطلح العربي

2_ العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح

الفصل الثاني: العوامل الدينية المؤثرة في التأليف الاصطلاحي

لدى المؤلف وعلاقتها بإعجاز القرآن

الفصل الأول

العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح

1_ عوامل نشأة المصطلح العربي

2_ العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح

1_ عوامل نشأة المصطلح العربي:

نشأت المصطلحات نشأة عربية لخدمة القرآن الكريم وبيان إعجازه، وكانت بوادٍ ظهورها في التراث العربي مع بدء ظهور الدراسات الإسلامية التي عُنيت بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف، والفقه، والتشريع، والسنة النبوية، والمغازي، فأصبح للمفسر مصطلحاته في علوم القرآن (المتشابه، والمحكم، والناسخ والمنسوخ...)، ولدارس الحديث مصطلحاته في علوم الحديث (الجرح، والتعديل، والسند، والضعيف، والحسن...)، وقس على ذلك بقية الدراسات الأخرى.

كانت بداية ظهور هذه المصطلحات في كتب المفسرين _ أكثرهم من النحويين واللغويين_، وكان تفسيرهم في بدايته يطغى فيه المعنى اللغوي على المعنى الاصطلاحي، وتأويلاً لما في القرآن الكريم من أمر ونهي وإشارة وحدود ومجاز.

ف نجد "الفراء" (ت207هـ) في كتابه "معاني القرآن" _الذي عني فيه بشرح آي الذكر الحكيم_ يتحدث عن الكثير من المصطلحات، كالتشبيه، والالتفات، والفاصلة¹، وإن لم يذكرها صراحة، كما تحدث أيضاً عن موسيقى ألفاظ القرآن الكريم ونظمه، وأثر ذلك في نفوس السامعين².

وقد عاصر "الفراء" "أبو عبيدة معمر بن المثنى" (210هـ) صاحب كتاب "مجاز القرآن"، ولعله أول كتاب أُفرد لدراسة إعجاز القرآن الكريم، والحقيقة أن "أبا عبيدة" لم يتكلم عن المجاز بمعناه الاصطلاحي كما يفهم من عنوان الكتاب، وإنما عني به تفسير وتأويل القرآن، وبيان طرقه في التعبير، لتمكين القارئ من فهمه، وهذا ما ذكره "شوقي ضيف"، في قوله: «وظاهر عنوانه يوهم أنه صنّفه في المجاز بالمعنى البلاغي الاصطلاحي، وحقيقة الأمر أن كلمة المجاز عنده تعني الدلالة الدقيقة لصيغ التعبير القرآنية المختلفة»³.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق حفي محمد شرف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1995م، ص38 من مقدمة المحقق.

² - ينظر المصدر نفسه: ص39 من مقدمة المحقق.

³ - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط9، (د ت)، ص29.

وقد اختار لذلك الآيات التي تصور طرقاً مختلفة في الصياغة والدلالة، متمثلاً بما يشبهها من أشعار العرب وأساليبهم، موضحاً ما تتضمنه من لفظ غريب. كما تكلم عن عدة مصطلحات بلاغية وجد لها شواهد في آي القرآن الكريم، من استعارة، وتشبيه، وكناية، وتقديم، وتأخير، وحذف، وتكرار، وإضمار، كما تنبه إلى الالتفات لكن دون ذكر لاسمه الاصطلاحي، وذلك في قوله: «ومن مجاز ما جاءت مخاطبته مخاطبة الشاهد، ثم تُركت وحُولت مخاطبته هذه إلى مخاطبة الغائب، قال الله: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ﴾ (سورة يونس، الآية 22) أي بكم»¹.

وبانتشار العلوم العقلية، ازدادت قضية المصطلح أهمية، وكان المتكلمون من أوائل الذين اهتموا بالمصطلح لحاجتهم إليه في المحاجة لإثبات صحة معتقداتهم، وأبرز هذه الطوائف "المعتزلة" الذين نصبوا أنفسهم بحق للدفاع عن الإسلام أمام خصومه من أصحاب المثل، وكذا لجدال أصحاب الفرق الإسلامية من مرجئة، وجبرية، وخوارج، وشيعة، فظهر بظهورهم أول كلام منظم عن القرآن الكريم، وكان "الجاحظ" (ت 255هـ) على رأس المعتزلة، حيث ألف كتاباً عن "نظم القرآن"² للرد على القائلين بأن القرآن في مقدور البشر الإتيان بمثله لكن الله صرفهم عن ذلك، مبيناً لهم أنه معجز للعرب بنظمه وأسلوبه، وغريب تأليفه، وبديع تركيبه، محتجاً على ذلك بقوله في وصف بيانه: «وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق، نظم البديع الذي لا يقدر على مثله العباد»³.

وذكر في كتابه "البيان والتبيين" ميزة أخرى في النظم وهي مجيء بعض ألفاظه مقترنة مع بعضها لا تكاد تفترق، مثل: الصلاة والزكاة، والجنة والنار، والجوع والخوف، والرغبة والرغبة، والجن والإنس⁴.

ولم يتوقف "الجاحظ" عند هذا الحد بل استخدم الكثير من المصطلحات بمعانٍ متطورة إلى حد ما عن معانيها اللغوية، مستخرجاً شواهداً من القرآن الكريم، مثل: البيان،

¹ - أبو عبيدة معمر بن المثنى: مجاز القرآن، تحقيق محمد فواد سيزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ط)، (دت)، ج 1، ص 11.

² - الجاحظ: الحيوان، ج 1، ص 9.

³ - المصدر نفسه: ج 4، ص 90.

⁴ - ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 21.

والفصاحة، والبديع، والاستعارة، والتشبيه، والكناية، والمجاز، والسجع، والإطناب، والمساواة، وحسن الابتدءات، وحسن التقسيم، وإن لم يعرفها ويحددها بدقة، فقد كان عرضه لها عرضاً لغويًا وأدبيًا ليس أكثر، يقول "شوقي ضيف": «إن الجاحظ قد ألمَّ في كتاباته بالصور البيانية المختلفة، وبكثير من فنون البديع، غير أنه لم يسق ذلك في تعريفات وتحديدات، فقد كان مشغولاً بإيراد النماذج البلاغية، وقلما عني بتوضيح دلالة المثال على القاعدة البلاغية التي يقرها»¹.

وجاء "ابن قتيبة" (ت276هـ) بكتابه "تأويل مشكل القرآن" لتجلية ما غمض من معنى القرآن، وتفسير المشكل الذي يقول بفساد النظم فيه، وللدرد على بعض المعتزلة والملحدّين ومن اتبعهم، الذين طعنوا في القرآن الكريم واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة، وابتغاء تأويله، ففي رأي هؤلاء أن القرآن به تناقض وفساد في النظم واضطراب في الإعراب، فقد تحدث عن مضمون آرائه حين درس مباحث كتابه، مبيناً جهل الملاحدة بمعرفة أسرار العربية، فذكر بعضاً من المصطلحات اتفق في الكثير منها مع "الجاحظ" قائلاً: «وللعرب «المجازات» في الكلام ومعناها طرق القول ومآخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم، والتأخير، والحذف، والتكرار، والإخفاء، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكناية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجميع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، ولفظ العموم لمعنى الخصوص؛ مع أشياء كثيرة سترها في «أبواب المجاز» إن شاء الله تعالى. وبكل «هذه المذاهب» نزل القرآن، ولذلك لا يقدر أحد من التراجم على أن ينقله إلى شيء من الألسنة»². على أن كلمة المجاز عنده لا تزال تستخدم بمعناها الواسع كما هي عند "أبي عبيدة".

ويطالعنا في القرن الرابع الهجري من عنوا عناية كبيرة بقضية الإعجاز وببلاغة القرآن، منهم: "الواسطي" (ت306هـ)، و"علي بن عيسى الرماني" (ت386هـ)، و"الخطابي" (ت388هـ)،

¹ - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص56.

² - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973م، ص 20، 21.

حيث ناقش هؤلاء كثيرا من القضايا طوروا عن طريقها بعضا من المصطلحات البلاغية وعمقوا مفاهيمها لإثبات إعجاز القرآن الكريم¹.

فأما "الواسطي" في كتابه "إعجاز القرآن البياني" - ودونما اطلاع على الكتاب -، يظهر من عنوانه أن بلاغة القرآن هي سر إعجازه، وقد ذكر "الرافعي" بأنه «أول من جود القول في بلاغة القرآن وصنف فيه»².

أما "الرماني" صاحب رسالة "النكت في إعجاز القرآن" فذهب إلى أن القرآن معجز ببلاغته وهو أعلى طبقات الكلام، حيث ذكر أن الإعجاز يظهر في سبع جهات هي: «ترك المعارضة مع توافر الدواعي وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية، ونقض العادة، وقياسه بكل معجز»³.

ركّز "الرماني" على واحدة من هذه الجهات وهي البلاغة، فقال إنها على ثلاث طبقات، منها ما هو في أعلى طبقة، ومنها ما هو في أدنى طبقة، ومنها ما هو في الوسائط بين أعلى طبقة وأدنى طبقة. فما كان في أعلى طبقة فهو معجز وهو بلاغة القرآن، والقرآن معجز للعرب والعجم كإعجاز الشعر للعجم، فالشعر معجز للعجم خاصة، والقرآن معجز للكافة⁴.

ثم ذكر أقسام البلاغة العشرة، وهي: «الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتجانس، والتصريف، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان»⁵.

والذي لا بد من ذكره هنا، هو أن "الرماني" نزع إلى التظهير وضبط هذه المصطلحات فقد قام بتعريفها، وذكر أقسامها، وتوضيحها بالشواهد القرآنية.

وأما "الخطابي" مؤلف رسالة "بيان إعجاز القرآن" فقد عرض لأراء السابقين في وجوه إعجاز القرآن الكريم، ورأى أنها غير مقنعة، وقد تنبه لما اختص به القرآن دون سائر كلام البشر، وأدرك أن إعجازه راجع إلى بلاغته المتمثلة في جمال لفظه، وحسن نظمه وتأليفه،

¹ - ينظر: شفيع السيد: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ص46.

² - الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000م، ج2، ص119.

³ - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت)، ص75.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص 75 ، 76.

⁵ - المصدر نفسه: ص76.

وسمو معانيه، وذلك في قوله: «وإنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة: لفظ حامل، ومعنى قائم به، ورباط لهما ناظم. وإذا تأملت القرآن وجدت هذه الأمور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئاً من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً وأشد تلاءماً وتشاكلاً من نظمه. وأما المعاني فلا خفاء على ذي عقل أنها هي التي تشهد لها العقول بالنقد في أبوابها، والترقي إلى أعلى درجات الفضل من نعوتها وصفاتها، وقد توجد هذه الفضائل الثلاث على التفرق في أنواع الكلام، فإما أن توجد مجموعة في نوع واحد منه فلا توجد إلا في كلام العليم القدير، الذي أحاط بكل شيء علماً، وأحصى كل شيء عدداً»¹.

ويضيف "الخطابي" وجهاً آخر للإعجاز إلى الوجوه الثلاثة السابقة، وهو قدرة القرآن الكريم على التأثير في النفوس البشرية وصنيعه بالقلوب، يقول: «في إعجاز القرآن وجهاً آخر ذهب عنه الناس، فلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم، وذلك صنيعه بالقلوب وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ولا منثوراً، إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه، تستبشر به النفوس وتشرح له الصدور، حتى إذا أخذت حظها منه عادت مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق، وتغشاها الخوف والفرق، وتقشعر منه الجلود، وتتزعج له القلوب، يحول بين النفس وبين مضمراتها وعقائدها الراسخة فيها»².

ومن الذين استخدموا المصطلحات البلاغية لبيان فكرة الإعجاز القرآني، نجد "أبا هلال العسكري" (ت395هـ) صاحب كتاب "الصناعتين" يربط بين البلاغة والفصاحة وكتاب الله تعالى في مقدمة كتابه، لما لهما من أهمية كبيرة في فهم القرآن الكريم، والوقوف على أسرارهِ، واستنباط الأحكام منه، في قوله: «اعلم _ علمك الله الخير ودللك عليه وقبضه لك وجعلك من أهله _ أن أحق العلوم بالتعلم وأولها بالتحفظ بعد المعرفة بالله _ جل ثناؤه _ علم البلاغة ومعرفة الفصاحة الذي به يعرف إعجاز كتاب الله... وقد علمنا أن الإنسان إذا أغفل

¹ - الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، ص27.
² - المصدر نفسه: ص70.

علم البلاغة، وأخل بمعرفة الفصاحة، لم يقع علمه بإعجاز القرآن من جهة ما خصه الله به من حسن التأليف، وبراعة التركيب، وما حباه به من الإيجاز البديع، والاختصار اللطيف، وما ضمنه من الحلاوة، واشتمل عليه من رونق الطلاوة، مع سهولة كلمه وجزالتها، وعذوبتها وسلاستها، إلى غير ذلك من محاسنه التي عجز الخلق عنها، وتحيرت عقولهم فيها»¹.

ثم ذكر مصطلحات بلاغية ونقدية كثيرة، منها: الاستعارة، والكناية والتعريض، ورد الأعجاز على الصدور، والالتفات، والمقابلة، والغلو، والتوشيح، والتشطير، والمحاورة، والمماثلة، وجمع المؤلف والمختلف...، وقد كانت دراسته لهذه المصطلحات أعمق من دراسات سابقه.

وبالاطلاع على كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني (ت403هـ)، ألفيناه ذهب إلى أن القرآن معجز لأنه نظم خارج عن المعهود من كلام العرب، ومباين للمألوف من ترتيب خطابهم، وله أسلوب يتميز عن أساليبهم في الكلام الموزون والمنثور، فهو أسلوب تطرد فيه البلاغة اطرادا يشمل جميع آياته دون أدنى تفاوت ولا تباين، بخلاف كلام الفصحاء فإنه يتفاوت ويتخالف من موضوع إلى آخر، ثم أخذ يدعو إلى إعادة النظر في القرآن ومقارنته بغيره من أقوال العرب ومعرفة أيهما أبلغ، وذلك في موازات أكد من خلالها أنه لم يوجد ولن يوجد أثر يضاهيه في بلاغة صوغه من الإنس والجن، فهو يتفوق على كلام البشر في إيجازه وإطنابه واشتماله على الموضوعات المختلفة من الأوامر والنواهي، والوعد والوعيد، والقصص، والصور البيانية والتعبيرية، بحيث يحفظ جمال الأسلوب مع هذا المقدار من الطول، وقال إنه من عجيب نظم القرآن أن الكلمة منه إذا ذكرت في تضاعيف الكلام (شعر أو نثر) فإنها تبدو كالدرة في واسطة العقد². ثم ذكر أن القرآن وُضع حروفا في مطالع بعض السور تبلغ عدتها أربعة عشر وهي بذلك تمثل نصف حروف المعجم، فهو إذن كلام منظم من نفس

¹ - العسكري: الصناعتين الكتابية والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، (دط)، 1986م، ص1 من المقدمة.

² - ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (دط)، (دت)، ص48-64.

الحروف، ومع ذلك عجزوا عن معارضته، كما ذكر خلوه من اللفظ الوحشي والغريب والصنعة المتكلفة¹.

كما تكلم عن مصطلحات كثيرة في القرآن الكريم استشهد لها بآي منه، منها: التشبيه، والاستعارة، والتمثيل، والمماثلة، والتجنيس، والمطابقة، والمساواة، والإشارة، والمبالغة، والغلو، والإيغال، والتوشيح، وصحة التقسيم، وصحة التفسير، والتكميل، والتتميم، والترصيع، والتكرار، والكناية والتعريض، والعكس والتبديل، ثم ذكر بأن وجوه البديع كثيرة اقتصر على بعضها كراهة التطويل.

وهذه الألوان البديعية _ في نظره _ ليست من الوجوه التي يعلل بها الإعجاز، لأنه يمكن التوصل إليها بالتدريب والتعود والتصنع لها، يقول: «إنه لا سبيل إلى معرفة إعجاز القرآن من البديع الذي ادَّعوه في الشعر ووصفوه فيه. وذلك أن هذا الفن ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف، بل يمكن استدراكه بالتعلم والتدرب به والتصنع له...أما شأؤ نظم القرآن فليس له مثال يُحتذى عليه ولا إمام يقتدى به ولا يصح وقوعه مثله اتفاقاً»².

ففي نظر "الباقلاني" أن القرآن معجز بدون بديع لأن الأخير يحمل طابع التكلف وبذلك لا يأخذه دليلاً على بلاغة القرآن الكريم وفصاحته.

وإذا وصلنا إلى "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) صاحب "أسرار البلاغة"، و"دلائل الإعجاز" وجدناه لا يرجع إعجاز القرآن الكريم إلى معاني الكلم المفردة، ولا يرجعه إلى ترتيب الحركات والسكنات، ولا إلى موازنة كلماته بكلمات العرب، ولا إلى ألفاظه السهلة أو القريبة، ولا إلى المقاطع والفواصل، لأن الفواصل في الآي كالفواقي في الشعر، والعرب قادرون على المقاطع والفواصل، وقد خُيِّلَ إلى بعضهم شيء من هذا³.

كما لا يرجع إعجازه إلى اشتماله على الاستعارة وسائر أنواع البديع، لأن ذلك يؤدي إلى كون الآي الخالية من تلك الأنواع غير معجزة، ليصل إلى ما قرره هو من أن إعجاز القرآن

¹ - ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص66.

² - المصدر نفسه: ص168.

³ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، ط2004، ص5، ص387.

الكريم يكمن في "النظم" الذي يعني توحي معاني النحو فيما بين الكلم وتعلق بعضها ببعض، حتى يؤدي النظم صورة للمعنى الأصلي تؤثر في النفس ويتفاضل على أساسها الكلام¹. وعلى هذا الأساس فقد طوّر "عبد القاهر الجرجاني" مفهوم "النظم" وعمقه، وجعل البلاغة بما في ذلك فنون البديع تدور في فلكه. والعمدة في نظره في إدراك هذا النظم وتلك البلاغة هو الذوق، والإحساس الروحي، وكثرة الاطلاع على كلام العرب. وبعدّ "عبد القاهر الجرجاني" قدوة الدارسين لبلاغة القرآن الكريم. ولكن يؤخذ عليه إهماله موسيقى الألفاظ وفصاحتها مفردة ومركبة، وعذره في ذلك أن «نظرية الألفاظ وبلاغتها كانت في زمانه وقبل زمانه معلنة لحرب شعواء على المعاني وبلاغتها، فجنّد نفسه لنصرة المعاني والنظم»².

وقد أثار "عبد القاهر الجرجاني" في "الزمخشري" (ت538هـ) بشكل كبير، حيث عدّ تفسير "الزمخشري" من أكثر كتب التفسير اعتماداً على مصطلحات البلاغة (المعاني والبيان) في كشف أسرار الإعجاز وتبيان ما في الآيات البينات من روعة وجمال، وقد عالج ذلك بطريقة تطبيقية واضحة، يقول في مقدمة تفسيره: «إن أملاً العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهز الألباب القوارح؛ من غرائب نكت يلطف مسلکها، ومستودعات أسرار يدق سلکها _ علم التفسير الذي لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذي علم؛ كما ذكر ذلك الجاحظ في كتاب «نظم القرآن»، فالفقيه وإن برز على الأقران في علم الفتاوى والأحكام، والمتكلم وإن بز أهل الدنيا في صناعة الكلام، وحافظ القصص والأخبار، وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصري أوعظ؛ والنحوي وإن كان أنحى من سيبويه، واللغوي وإن علك اللغات بقوة لحييه _ لا يتصدى منه أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شيء من تلك الحقائق؛ إلا رجل قد برع في علمين مختصين بالقرآن؛ وهما علم المعاني وعلم البيان وتمهل في ارتيادهما آونة، وتعب في التتقير عنهما أزمنة، وبعثه على

¹ - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص387 وما بعدها.
² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص47 من مقدمة المحقق.

تتبع مظانها همة في معرفة لطائف حجة الله، وحرص على استيضاح معجزة رسول الله...»¹.

واضح من هذا النص أن "الزمخشري" يجعل علمي المعاني والبيان أهم عُدَّة لمن يتصدى لتفسير القرآن وبيان إعجازه، إذ لا يمكن للإنسان أن يصل إلى علم التفسير إلا بمعرفتهما، فالتفسير عنده ليس هو «معرفة معاني القرآن الكريم فحسب، بل هو أيضا بيان لأسرار إعجازه»². وأخذ يطبق مصطلحات علمي المعاني والبيان على آي الذكر الحكيم مبينا اشتمال القرآن عليهما، من مثل: التقديم، والتأخير، والذكر، والحذف، والاستعارة، والكنائية، والمجاز.

وقد ذهب "السكاكي" (ت626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم" إلى ما ذهب إليه "أبو هلال العسكري"، من أن بلاغة القرآن وفصاحته هما سر إعجازه، فبعد أن تكلم عن أربعة وجوه للإعجاز ذكرها سابقوه يدلي برأيه، قائلا: «إن وجه الإعجاز: وهو أمر من جنس البلاغة والفصاحة، ولا طريق لك إلى هذا الخامس إلا طول خدمة هذين العلمين»³.

والجدير بالذكر، أن "السكاكي" عمل على تقسيم المصطلحات البلاغية وتوضيحها وفق عقلية منطقية وروح كلامية إلى: علم المعاني وعلم البيان ثم ألحق علم البديع بهما. وهكذا تتابعت الدراسات عن إعجاز القرآن البياني، كل يحاول جهده، ويبدل وسعه ولكن أحدا لم يخصص دراسته لبلاغة القرآن أو بديعه قبل "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ).

2_ العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح:

لقد كانت الخلفية الحضارية رافدا مهما في تشكيل الوعي المصطلحي لدى "ابن أبي الإصبع المصري" ما أدى إلى اتساع المصطلح عنده. فلما كان المرء ابن بيئته كما يقال، فإن "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) نشأ في مصر فاكتسب من أهلها رقة الطبع وصفاءه، وأكسبته مروجها وخمائلها تذوق الجمال، فكان شاعر القاهرة الأول في الوقت الذي

¹ - الزمخشري: الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض، السعودية، ط1998م، ج1، ص96.

² - شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، ص221.

³ - السكاكي: مفتاح العلوم، ضبطه وكتبه همامه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1987م، ص512، 513.

كان فيه" جمال الدين أبو الحسن الجزار" شاعر الفسطاط، وبذلك شارك أمته في الحياة العقلية، فكان مؤلفا، وأديبا، ونحويا، وشاعرا، وناقدا له القدرة علي التحليل والتعليل والموازنة، وكان فقيها درس الفقه والحديث وألف فيهما، كما تحدث عن السموات السبع، وعن الأنواء والنجوم والهداية بها¹.

كما كان بليغ مصر الأوحد الذي لم يلحق شأوه ولم يشق غباره، وهذا ما تحدث به صاحب كتاب "مسالك الأبصار" عندما تكلم عن علماء البلاغة في مصر، قائلا: «وأما مصر فلم يقع إلينا من أهلها إلا واحد، ولكنه أي واحد، وواحد كالألف إن أفرعنا، وهو: الزكي عبد العظيم عبد الواحد بن ظافر، المعروف بابن أبي الإصبع، جد حتى انقاد له الحظ، وسهر حتى رق عليه قلب الليل الفظ، طالما محا الشك بإدراكه، وتتحى سهيل فوقه في أشراكه، مر على قطائع الكواكب فساق قلائصها، وسام في طرائد الليل فنائصها وكان بمصر وله مثل مقطعاتها، ونظير مصبغات ربيعها ومصبغاتها قطع شعر هي السحر الحلال، والبارد العذب لا ماء النيل الزلال، وعليه تخرج جماعة من المتأخرين الأدباء»².

والحق أن" ابن أبي الإصبع المصري"(ت654هـ) اكتسب هذه المكانة بين علماء البلاغة بجده واجتهاده، يضاف إلى ذلك عوامل عدة، منها: العصر، والبيئة، والعلوم التي نهل منها.

والقمين بالذكر، أن كتب التراجم لم تحدثنا عن أمور عدة في حياته، منها: المدارس التي تعلم فيها وشيوخه الذين تلقى العلم عليهم، إلا أنه لا بد أن يكون تلقى العلم في هذه المدارس وعلى أساتذتها. كما يظهر جليا تأثره بمن سبقه من العلماء وخاصة" عبد القاهر الجرجاني"(ت471هـ)، صاحب "أسرار البلاغة" و"دلائل الإعجاز" و" فخر الدين بن الخطيب الرازي"(ت606هـ) صاحب" نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، و" ابن سنان الخفاجي"(466هـ) صاحب "سر الفصاحة" إذ إنه كثيرا ما ينقل عن هذه الكتب ويستشهد

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص5 من مقدمة المحقق
² - ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج7، ص247، 248.

بما فيها من آراء¹. كما يتضح تأثره ب"قدامة بن جعفر" (ت337هـ) فكثيرا ما يشيد بذكره وينقل عنه، ويتبعه في تعريفه ويمتدح رأيه.

وكما أسلفنا الذكر، يعدّ "ابن أبي الإصبع المصري" شاعرا تكلم في عديد من الأغراض الشعرية، وإن لم يصلنا من شعره سوى مقطّعات يسيرة، لا نستطيع من خلالها أن نصل إلى حكم سليم عليه من هذه الناحية.

والذي لا بد من الإشارة إليه هنا، أنه تكلم في عديد من الأغراض الشعرية منها: الوصف والغزل، والهجاء، والتصوف والزهد، والمدح، والناظر إلى شعره يدرك أنه يملك حسا أدبيا رقيقا، وموهبة فطرية استطاع أن يوظفها في دراسته للبديع، وعرض فنونه.

ويمكن أن نستدل على ذلك بما قاله في مدح الملك الأشرف موسى (الطويل)²:

فَضَحَتَ الحِياَ وَالبَحْرَ جودًا فَقَدَ بكَىَ الـ
حِياَ مِنْ حِياَءٍ مِنْكَ وَالتَطْمَ البَحْرُ
عِيونٌ مَعانِياَ صِحاخٌ وَأَعِينُ الـ
مِلاحِ مِراضٍ، في لَواحِظِها كَسْرُ
هي السحر فاعجب لامرئٍ جاء يبتغي
عَواظِفَ مِنْ موسى وَصنعتِه السحرُ

يقول معلقا على القصيدة: وقع لي في البيت الأول من هذه الأبيات ستة عشر ضربا من البديع، الاستعارة في ثلاثة مواضع: في افتضاح الحيا، وبكائه، وحيائه، والمبالغة إذ جعلت الممدوح يفضح الحيا والبحر بجوده، والتفسير في قولي: جودا، وقولي: من حياء، والإغراق لما في جملة القافية من زيادة، والترشيح بذكر الاستعارة الأولى للاستعارة الثانية، والتجنيس بين الحيا والحياء، والتورية في قولي: التطم البحر، والترشيح للتورية بذكر البكاء، وصحة التقسيم في حصر القسمين اللذين يضرب بهما المثل في الجود، ولا ثالث لهما، والتصدير في كون البحر مذكورا في صدر البيت وهو قافيته، والتعليل في كون العلة في بكاء الحيا والتطام البحر وفضحهما بجوده، والتسهميم في كون صدر البيت يدل على عجزه، وحسن النسق في كون جملة عطفت على بعض بأصح ترتيب، والإرداف في التعبير عن عظم الجود ببكاء الحيا من الحياء والتطام البحر.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، تقديم وتحقيق حفي محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط3، 1972م، ص 69، 70 من مقدمة المحقق.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص31 من مقدمة المحقق.

فهذا ما في تفصيل البيت، وأما ما في جملته: فالمساواة لكون لفظه جُعلَ قالباً لمعناه،
وائتلاف لفظه مع معناه في كون ألفاظ البيت متلائمة مختارة، لا يصلح موضع كل لفظة
غيرها، ولخلوه من تعقيد السبك، والتقديم والتأخير، وسوء الجوار، والإبداع، فكلُّ لفظة من
مفردات البيت تتضمّن نوعاً أو نوعين من البديع¹.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 35 ، 36 من مقمّة المحقق.

الفصل الثاني

العوامل الدينية المؤثرة في التأليف الاصطلاحي لدى المؤلف
وعلاقتها بإعجاز القرآن

لقد كان للقرآن الكريم بالغ الأثر على "ابن أبي الإصبع المصري"، فاتصاله به ومعاهدته له بطول النظر والتدبر، من أهم العوامل التي أثرت فيه بشكل خاص بطابع أدبي يعتمد على مقاييس فنية جمالية خاصة، جعله يتمتع بدوق رفيع وشعور بالجمال قوي، كل هذا جعله يهتم بالنصوص القرآنية والأدبية، أكثر من اهتمامه بالتقسيم والتحديد المنطقي المعروف عند "السكاكي" (ت626هـ) و من تبعه في ذلك¹.

وقد أشار "بهاء الدين السبكي" (ت773هـ) إلى ذلك في حديثه عن الاتجاه المصري في البلاغة العربية في قوله: «أما أهل بلادنا فهم يستغنون عن ذلك بما طبعهم الله عليه من الذوق السليم، والفهم المستقيم، والأذهان التي هي أرق من النسيم، وألطف من ماء الحياة في المحيا الوسيم، أكسبهم النيل تلك الحلاوة، وأشار إليهم بأصابعه فظهرت عليهم هذه الطلاوة، فهم يدركون بطابعهم ما أفنى فيه العلماء فضلا عن الأعمار الأعمار، يرون في مرآة قلوبهم الصقيلة ما احتجب عن الأسرار خلف الأستار»².

ومما يشهد على ما قلناه عن بلاغة "ابن أبي الإصبع المصري" واقتداره أنه ترك لنا العديد من الآثار، منها: "تحرير التحبير"، و"بديع القرآن"، و"الخواطر السوانح في أسرار الفواتح"، حيث اعتمد في دراسته لها على الاستقصاء، والتحليل، والموازنة، والابتكار؛ فقد تأثر بسابقه وأثر في لاحقيه، فجمع المصطلحات البلاغية والنقدية وبحثها مبديا رأيه فيها بذكاء ودراية، حيث ناقش تعاريف السابقين لبعض المصطلحات، وغير أسماء بعض منها رأى أنها لم توافق معنى مسمياتها، وفرق بين الملتبس منها، وفرع بعض الأنواع ووضع لكل فرع اسما يحدده، وطور في مفاهيم كثير من المصطلحات، كما أضاف إلى حقل الدراسات الاصطلاحية خمسة وعشرين مصطلحا انفرد بها جعلته متميز المكانة على غيره. وكتابه "بديع القرآن" يدل دلالة واضحة على مقدرته العلمية، فقد عكف فيه على دراسة الأنواع البديعية في القرآن الكريم دراسة وافية، واستقصى في القليل من الألفاظ القرآنية الكثير من الأنواع البديعية.

¹ - ينظر: أحمد مطلوب وحسن البصير: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999م، ص33.
² - بهاء الدين السبكي: عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2003م، ج1، ص20 من المقدمة.

وإن كان قد « سبقه غيره إلى الاستشهاد ببعض الآيات على بعض الألوان كابن المعتز وأبي هلال والرماني، إلا أن ذلك لم يكن على سبيل الحصر لهذه الأنواع، أو على سبيل الخاصية لدراسة بلاغة القرآن»¹، فقد كان مؤمنا بإعجاز القرآن البياني، ورأى بأن القرآن معجز بألفاظه وأسلوبه وتراكيبه، وأثره في النفوس البشرية، وعلى هذا الأساس نجده يصحح موقف السابقين منهم: "الباقلاني" و"عبد القاهر الجرجاني" في رأيهما الذي يقولان به من أن وجود الأنواع البديعية في القرآن الكريم غير دال كفاية على إعجازه، ويتضح ذلك من خلال جمعه للأنواع البديعية التي عرفت إلى عصره، وجديده الذي اخترعه أو ابتدعه في كتابيه "تحرير التحبير" و"بديع القرآن"، واستشهاده لها بأبي القرآن الكريم مخرجا لتلك الآيات على الوجوه البلاغية، مبينا من هذه الدراسة سلامة نظم القرآن، وسلاسة أسلوبه، وبلاغة معانيه، وفصاحة ألفاظه، ومقارنة هذه الشواهد بكلام البشر من شعر ونثر لإثبات بلاغة القرآن وبيان إعجازه.

ويمكن التأكد من قدرته وبراعته واستقصائه في تحليل قوله تعالى: ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴾ {سورة هود، الآية 44}. فقد استقصى هذه الآية جيّدا واستخرج منها ثمانية عشر ضربا من البلاغة عدا ما تكرر منها مثل الاستعارة فإنها تكررت في موضعين في كلمتي الابتلاع والإقلاع وهذه الضروب هي:

_ **المناسبة** بين ابلعي وأقلعي، والمطابقة اللفظية بين السماء والأرض، والاستعارة في ابلعي وأقلعي، والمجاز في قوله «ويا سماء» إنما أراد يا مطر السماء، والإشارة في قوله: «وغيض الماء»، لأن الماء لا يغيض حتى يقلع مطر السماء، وتبلع الأرض ما يخرج منها من عيون الماء، والإرداف في قوله: «واستوت على الجودي» فإنه عبر به عن استقرار السفينة في هذا المكان وجلوسها جلوسا متمكنا لا زيغ فيه ولا ميل، والتمثيل في قوله: «وقُضِيَ الأمر»، والتعليل لأن غيض الماء علة الاستواء، وصحة التقسيم حين استوعب

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص48 من مقدمة المحقق.

سبحانه وتعالى أحوال الماء حالة نقصه، والاحتراس من توهم من يتوهم أن الهلاك ربما عم من لا يستحق الهلاك بالدعاء على الهالكين، والانفصال، فإن لقاتل أن يقول: إن لفظة القوم يستغنى عنها؛ فإنه لو قيل: «وقيل بعدا للظالمين» لتم الكلام والمساواة لأن لفظ الآية لا يزيد على معناه ولا ينقص عنه، وحسن النسق في عطف القضايا بعضها على بعض حسبما وقعت، الأول فالأول، وانتلاف اللفظ مع المعنى لكون كل لفظة لا يصلح غيرها مكانها، والإيجاز، لأن الله عز وجل اقتص القصه بلفظها مستوعبة في أخصر عبارة بألفاظ غير مطوّلة، والتسهيم لأن من أول الآية إلى قوله تعالى: «أقلعي» يقتضي آخرها، والتهذيب لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة، وحسن البيان حيث أن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها، مطمئنة في مكانها، والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة وعذوبة سبك، والإبداع الذي هو في مجموع الآية الكريمة التي لا تتجاوز سبع عشر لفظة تضمنت أحدا وعشرين ضربا من البلاغة¹.

ومثلما جاء في باب "المناسبة" حين مثل ب قوله تعالى: ﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ وَهُوَ اللطيفُ الخبيرُ ﴾ {سورة الأنعام، الآية 103}.

يقول محلا الآية الكريمة: «فإن معنى نفي إدراك الأبصار للشيء يناسب اللطف، وهذا الكلام خرج مخرج التمثيل، لأن المعهود عند المخاطب أن البصر لا يدرك الأجسام اللطيفة، كالهواء وسائر العناصر، ولا الجواهر المفردة، وإنما يدرك اللون من كل متلون، والكون من كل متكون، فجاء هذا التمثيل ليتخيله السامع فيقيس به الغائب على الشاهد؛ وكذلك قوله تعالى: ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾، فإن ذلك يناسبه وصف المدرك بالخبرة؛ فإنه سبحانه لما أثبت له إدراك الأبصار: أي ألباب الأبصار التي نفي عنها إدراكه تكميلا للتمدح حسب ما اقتضته البلاغة من تصحيح معنى التمدح، واحتراسا ممن يظن أنه إذا لم يكن مدركا لم يكن موجودا، فوجب أن تقول: ﴿ وهو يدرك الأبصار ﴾، لتثبت لذاته الوجود وزيادة،

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 340-342.

ثم عطف على الأول والثاني ﴿ وهو اللطيف الخبير ﴾ ليناسب معنى آخر الكلام أوله، وعجزه صدره ورجح لفظة الخبير على لفظة البصير لما فيها من الزيادة على الإبصار والإدراك، إذ ما كل من أبصر شيئاً، أو أدركه كان خبيراً به، فتضمنت على ذلك الفاصلة معنى زائداً على معنى الكلام وُصفت لأجله بالإيغال»¹.

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" بعد هذا التحليل البارح استخراج الأنواع البديعية الموجودة في الآية الكريمة والتي فاقت عدد كلماتها، قائلاً: «فحصل في هذه الآية على ذلك اثنا عشر ضرباً من البديع وهي: التعطف الذي هو قوله: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾ لمجيء لفظة «الأبصار» في أول الكلام وآخره؛ والمقارنة، لاقتراحه بالمطابقة في قوله: ﴿ لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار ﴾؛ والإدماج لما أدمج في التعطف من الاحتراس... والمناسبة التي هي أم الباب؛ والترشيح بالمناسبة إلى الإيغال الذي بيناه؛ والإشارة لدلالة اللفظ القليل على المعاني الكثيرة؛ والمجاز لحذف المضاف من قوله: وهو يدرك الأبصار، أي ذوي الأبصار لتقرب ألفاظ التعطف بعضها من بعض، فيكون ذلك أحسن وأبين؛ والتخيير للعدول في الفاصلة عن البصير، والمدرک إلى الخبير؛ والإيجاز فإن هذه الآية تسع لفظات تضمنت اثني عشر ضرباً من البلاغة»².

وفي باب "التوهيم" تجده يستشهد بقوله تعالى: ﴿ وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكمُ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنصَرُونَ ﴾ {سورة آل عمران، الآية 111} ، ثم يعلق عليها بما يفيد معرفته لعلمي النحو والتفسير معرفة جيدة استطاع بفضلها أن يخرج الآية تخريجا يؤدي إلى المعنى المقصود، وينعى على النحويين تخريجهم لعطف غير المجزوم على المجزوم.

يقول: «وهذه الآية خولف فيها طريق الإعراب في الظاهر، من جهة عطف ما ليس بمجزوم على مجزوم، ليعدل عن الظاهر إلى تأويل يصحح المعنى المراد، فإن المراد _ والله أعلم _ بشارة المسلمين بأن هذا العدو لا ينصر أبداً ما قاتل المسلمين، ليكتمل سرور المسلمين بخذلان عدوهم في الحال و أبداً في الاستقبال، ولو عطف الفعل على ما تقدم

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص146.

² - المصدر نفسه: ص147.

على قاعدة العربية الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأن العدو لا ينصر في الحال، وهو زمان المقاتلة، ووقت التولية، ولا يعطى ذلك خذلانهم على الدوام في كل حال، فقد قال النحاة: إن الوجه في هذا الموضع أن يقال: هو من عطف الجملة على الجملة، فإن التقدير: ثم هم لا ينصرون»¹، ولكن هذا الكلام وذلك التخريج لم يعجبه، ولم يرقّ عنده، فعلق عليه بما يدل على فهمه للنحو والتفسير وحذقه بهما، ومعرفته التامة بأسباب النزول، فيقول: وعلى هذا التخريج أي تخريج النحويين لا يزال الإشكال باقيا و مع ذلك فإنه يقال: لم عدل عن مجيء الكلام على قاعدة العربية المعروفة إلى ما يحتاج إلى التأويل؟ وهلا قيل: وإن يقاتلوكم يولوكم الأدبار ثم لا ينصروا؟.. فيحتاج المجيب إلى أن يقول: لما كان مجيء الكلام على ما ذكرت غير محتاج إلى تأويل لا يوفي بالمعنى المراد، لأن المعنى المراد بشارة المسلمين أن عدوهم متى قاتلهم كان مخذولا. و مجيء الكلام على ما ذكر المعترض لا يوفي بذلك المعنى، فإنه لا يعطى إلا عدم النصر حالة المقاتلة وحسب، فعدل عن ذلك إلى ما جاء به التنزيل، ليكون مجيء الثاني غير مجزوم، وقد عطف على مجزوم منبها السامع إلى السبب الذي من أجله عدل عن قاعدة الإعراب، فيفطن إلى أن ذلك إشارة إلى خذلان العدو أبدا ما قاتل المسلمين لمجيء الفعل دالا على الحال والاستقبال. أما الحال فخذلان العدو حالة القتال، وأما الاستقبال فالبشارة بأنه كذلك ما وقع منه القتال، ولذلك عطف ب «ثم» لدلالاتها على التراخي والمهلة لأنها دون سائر حروف العطف ملائمة لما عطفه من الفعل الدال على الاستقبال².

كما نفى الشعر عن القرآن الكريم في باب "الانسجام" من كتابه "بديع القرآن"، قائلا: «وأما القرآن العزيز فلم يقع فيه من ذلك إلا ما جاء على مثال البيت المفرد فقط، والبيت المفرد لا يسمونه شعرا قصد أو لم يقصد»³، ثم ذكر أن لديه أدلة لا يتسع المقام لذكرها هنا، فقد بسط الرد عليها في كتابيه "الشافية في علم القافية" و "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وبين كلام خصومه".

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص132.

² - ينظر: المصدر نفسه: ص133.

³ - المصدر نفسه: ص166.

ولم يكتف "ابن أبي الإصبع المصري" بتتبع الشعراء ونقد العلماء، بل كانت له يد في وضع الأسس لصناعة الكلام، هذه الأخيرة التي شغلت كثيرا من نقاد العرب وأدبائهم، فألفوا في ذلك كثيرا من الكتب، وأفردوا الفصول، ووضعوا الرسائل¹.

و"ابن أبي الإصبع المصري" من بين علماء البلاغة والنقد الذين تكلموا عن هذا الأمر في أثناء كلامه عن الأنواع البديعية في كتابه "تحرير التحبير"، حيث أفرد له كلاما خاصا في "باب التأديب والتهديب"، فقد جاء بوصية "أبي تمام للبحثري" في عمل الشعر وعلق عليها، لأنه رأى أنه ارتجلها ارتجالا، فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها، وإيضاح ما أشكل منها، وزيادات تفتقر إليها، فحرر ما يحتاج إلى تحرير، وأضاف إليها ما تتعين إضافته، بعد أن قدّم لها بمقدمة تعتبر وصية قائمة بذاتها كشفت عن مذهبه في صناعة الكلام؛ وأوصى بالاعتماد عليها، وترسّم ما جاء فيها، ثم أفرد كلامه عنها في كتاب له خاص بالنقد وسمه "الميزان في الترجيح بين كلام قدامة وخصومه"².

مما تقدم، يمكن القول إن "ابن أبي الإصبع المصري" لم يكن ينظر إلى الألوان البديعية على أنها من قبيل الزينة أو الزخرفة اللفظية، كما هو الحال عند غيره من النقاد والبلاغيين وإنما هي خاصية طبيعية ومتأصلة في القرآن الكريم. فكل المصطلحات التي جاء بها جعلها مفاتيح لفهم الخصائص الجمالية الموجودة في القرآن الكريم، ومن خلالها يمكن استجلاء فصاحته وبلاغته. حيث حرص على وضع المصطلحات باعتبارها وعاء للمفاهيم والأفكار التي أراد من خلالها تبيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم، وبذلك فقد كان على وعي بأهمية المصطلح وأنه الركيزة الأساسية لذلك.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 15 من مقدمة المحقق.
² - ينظر: المصدر نفسه: ص 16 ، 17. من مقدمة المحقق.

الباب الثاني

الدراسة الوصفية للمصطلح في الكتابين

الفصل الأول: الدراسة الوصفية للمصطلح في تحرير التعبير

الفصل الثاني: الدراسة الوصفية للمصطلح في بديع القرآن

الفصل الأول

الدراسة الوصفية للمصطلح في "تحرير التعبير"

المحور الأول: تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج

المتبع في معالجته

1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان.

2_ بيان منهج المعالجة.

المحور الثاني: الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب.

المحور الأول: تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته.

1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان:

لما كانت المصطلحات هي المفاتيح التي من خلالها نلج إلى عالم النص، وجب علينا دراستها وتحليل مفهومها بقصد الوقوف على دلالتها، فقد رأينا أن تكون البداية بتحليل عنوان الكتاب.

يعدّ العنوان أول عتبة من عتبات النص ومفتاحه لإثارة القارئ، و«المتعارف عليه أن العنوان (اسم/ NOM) للكتاب، به يعرف»¹، والبحث في العنوان هو بحث في عمق النص لأنه أول ما يظهر للقارئ، وبدون فهمه وضبط دلالاته لا تحصل الفائدة المرجوة منه.

يستهل "ابن أبي الإصبع المصري" كتابه بعنوان: "تحرير التحبير" وهو أول عتبة في كتابه إلى المتلقي، ويلاحظ عليه أنه موجز ودقيق لا يتعدى في مظهره اللغوي الجملة المضافة المتكونة من المضاف والمضاف إليه، محملاً إياه رسالته إلى القارئ، مبيناً الهدف من وراء ذلك، كما قال محقق الكتاب "حفني محمد شرف": «إن لهذا الكتاب من اسمه نصيب»².

فكلمة "تحرير" لغة تعني التخليص والتحسين والإصلاح، جاء في لسان العرب: «وحرّره: أعتقه، والحرُّ: الفعل الحسن. وتحرير الحساب: إثباته مستويًا لا غلث فيه ولا سقط ولا محو، وتحرير الرقبة: عتقها»³، ومنه قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَأً فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُؤْمِنَةٌ﴾ {سورة النساء، الآية 92}، أي عتقها وتخليصها من العبودية، وقوله عز وجل: ﴿رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا﴾ {سورة آل عمران، الآية 35}، ومعناها مخلصاً لعبادتك.

أما كلمة "تحبير" في اللغة فتعني التحسين، يقال: «حبرت الشعر والكلام حسنته، وحبرت الشيء تحبيراً إذا حسنته»⁴.

¹ - عبد الحق بلعابد: عتبات (جبرار جينيت من النص إلى المناس)، تقديم سعيد يقطين، دار الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت لبنان، ط1، 2008م، ص78.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص55 من مقدمة المحقق.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (حرر).

⁴ - المصدر نفسه: مادة (حبر).

وعليه، فإن العنوان بهذا المعنى يحمل دلالة التقويم والتخليص والتحسين؛ أي تخليص البديع وتقويمه، ثم تحسينه وتزيينه حتى يتفق مع موضوعه.

2_ بيان منهج المعالجة:

يتضح لنا من تحليل عنوان الكتاب أن مؤلفه يسعى إلى أن يقدم الجديد في مفهوم المصطلح، سواء صياغة جديدة له، أو في المخالفة لغيره من السابقين عليه، ولهذا يمكن اعتبار هذا الكتاب صورة لجهد الرجل فيما حاول أن يضيفه للمصطلح ولمفاهيمه، وهذا يشير إلى ما كان يتمتع به من خبرة ودراية وإطلاع واسع على ثقافة المصطلح، وعلى المفاهيم، ولعل هذا ما جعل بعض الدارسين المعاصرين يشيد بهذا الجانب، منهم إحصان عباس¹ بقوله: «كان ابن أبي الإصبع (ت654هـ) صاحب كتاب «تحرير التحبير» من فرسان هذا الميدان»¹، وقد انماز هذا الكتاب من غيره من الكتب بأمرين هامين: «أولهما: محاولته في التوسع الإحصائي لفنون البديع ابتداء من ابن المعتز حتى عصر المؤلف وثانيهما: اتساع مجال المصادر التي اعتمد عليها في تأليف هذا الكتاب»².

وفي سياق الحديث عن المصادر التي اعتمدها في تأليف كتاب «تحرير التحبير» يصرح _كعادة القدماء في التقديم لمؤلفاتهم_ قائلاً: «ولقد وقفت من هذا العلم على أربعين كتاباً منها ما هو منفرد به وما هذا العلم أو بعضه داخل في بعضه كقندي قدامة وبديع ابن المعتز، وحلية المحاضرة، وكشفت عن «الحالي والعاطل» الذي ذكره الحاتمي في الحلية فلم أجد من يعترف بوقوعه عليه سوى ابن منقذ في بديعه، وكالصناعتين للعسكري، والعمدة لابن رشيق، وتزييف نقد قدامة له، ورسالة ابن بشر الأمدي التي رد بها على قدامة، وكشف الظلمة للموفق البغدادي، والنكت في الإعجاز للرماني، والجامع الكبير في التفسير له، والتعريف والإعلام للسهيلي، ودرة التنزيل وغرة التأويل للخطيب، وإعجاز القرآن للباقلاني، والكشاف للزمخشري، وإعجاز الجرجاني المسمى بدلائل الإعجاز، وأسرار البلاغة له، ونظم القرآن للجاحظ، والبيان والتبيين له، وإعجاز ابن الخطيب، ورسالة الصولي التي قدمها على

¹ - إحصان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب (نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، (د ت)، ص599.

² - المرجع نفسه: ص599.

شعر أبي نواس، ورسالته في أخبار أبي تمام، ورسالة ابن أفلح، وشروح أبي العلاء الثلاثة، وهي: ذكرى حبيب، وعبث الوليد، ومعجز أحمد، والمنصف لابن وكيع، والموازنة للآمدي، والوساطة للجرجاني، والغرر والدرر للمرتضى، وكتاب الصرف له، والمجاز لأخيه الرضي، وشرح حديث أم زرع للقاضي عياض_ رحمه الله _ وما لخصه في آخره من بديع الحديث، والحديقة للحجاري براء مهملة صاحب المُسهب في أخبار أهل المغرب، وبديع التبريزي، وسر الفصاحة لابن سنان الخفاجي، والمثل السائر لابن الأثير الجزري، والإقناع للصاحب ابن عباد، وبديع أبي إسحاق الأجدابي، وبديع شرف الدين التيفاشي»¹.

إن هذه المصنفات التي ذكرها في النص تؤكد على مدى الإصرار الذي كان يحده في التأليف في البديع وأنواعه في الكتاب، وتوضح بصورة جلية ذلك الكم الهائل من هذه المصنفات التي تم الاطلاع عليها في سبيل التأليف في هذا البديع، وفي أنواعه، ولعل في هذا ما يزيد في تأكيد ما سبق أن قلنا، من أن الرجل كان يسعى بكل طاقاته، أن تكون قراءته للتراث منتجة وفاعلة في التأسيس للمصطلح النقدي والبلاغي في العصر الذي كان يعيش فيه، وهو عصر تميّز بالتأسيس للعلوم، والتدقيق في مفاهيم المصطلحات كما رأينا ذلك عند السكاكي(ت626هـ) في كتابه "مفتاح العلوم"، وابن الأثير(ت637هـ) في "المثل السائر"، وابن مالك(ت672هـ) في "الألفية".

والذي يطّلع عن كُتب على محتوى هذا الكتاب يجد أنه جمع أنواعا عديدة من البديع قسمها إلى قسمين:

الأول أطلق عليها(الأصول) ويقصد بالأصول الأنواع التي جاء بها" ابن المعتز"(ت296هـ) في كتابه"البديع" و"قدامة بن جعفر"(ت337) في كتابه" نقد الشعر" وعددها ثلاثون(30).

الثاني أطلق عليها(الفروع) وهي الأنواع التي أخذها عن العلماء الذين جاءوا بعد" ابن المعتز" و" قدامة" وعددها ستون(60) نوعا، واخترع أو ابتدع هو ثلاثين(30) نوعا أضافها إلى ما سبق، ونسب "للأجدابي" ثلاثة أنواع(03) ذكر أنه غير أسماءها لأنها لم توافق

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص87- 91 من مقدمة المؤلف.

مسمياتها، قال في مقدمته: «فإني رأيت ألقاب محاسن الكلام التي نعتت بالبديع قد انتهت إلى عدد منه أصول و فروع: فأصوله، ما أشار إليها ابن المعتز في بديعه وقدامة في نقده، لأنهما أول من بتأليف ذلك»¹.

وبمكنا التعرف على الأنواع الأصول التي جاءت في الجزء الأول من كتابه، من خلال الجدولين الآتيين:

مصطلحات "ابن المعتز":

الصفحة	المصطلح	الصفحة	المصطلح
135	تجاهل العارف	97	الاستعارة
138	الهزل الذي يراد به الجد	102	التجنيس
140	حسن التضمين	111	الطباق
143	الكناية	112	رد الأعجاز على الصدور
147	الإفراط في الصفة	119	المذهب الكلامي
159	التشبيه	123	الالتفات
166	عتاب المرء نفسه	127	التمام
168	حسن الابتداءات	130	الاستطراد
		133	تأكيد المدح بما يشبه الذم

نلاحظ من خلال هذا الجدول:

- أن عدد المحسنات التي ألقها "ابن المعتز" بفنون البديع الخمسة هي اثنا عشر (12)، وعلى هذا يكون مجموع ما ذكره "ابن المعتز" سبعة عشر (17) محسنا، على أن "ابن المعتز" ذكر ثلاثة عشر (13) محسنا ألقها بفنون البديع الخمسة فصارت ثمانية عشر (18)، وربما يرجع السبب في ذلك إلى النسخ التي اطلع عليها "ابن أبي الإصبع المصري" والتي قد لا يوجد فيها محسن الرجوع".

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص83 من مقدمة المؤلف.

- لقد جعل ابن المعتز "الاستعارة" أول أنواع البديع، وهي عند "السكاكي" وعلماء البلاغة باب من أبواب علم البيان.

- تفرد ابن المعتز - حسب رأي ابن أبي الإصبع المصري- بذكر باب "عتاب المرء نفسه". والأرجح أن الباب بأكمله دخيل على "ابن المعتز"، حيث تكلم هذا الأخير عن "إعنات المرء نفسه" الذي يُعرف بـ"لزوم ما لا يلزم".

المصطلحات التي انفرد بها "قدامة بن جعفر":

المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة
صحة الأقسام	173	التمثيل	214
صحة المقابلات	179	ائتلاف اللفظ مع الوزن	221
صحة التبيين والتبيين	185	ائتلاف المعنى مع الوزن	223
ائتلاف اللفظ مع المعنى	194	ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت	223
المساواة	197	التوشيح	228
الإشارة	200	الإيغال	232
الإرداف و التتبع	207		

يبدو من خلال هذا الجدول أن "قدامة بن جعفر" قد اخترع مصطلحات اختزل بها مفاهيمه الجديدة التي ضاقت مصطلحات "ابن المعتز" عن استيعابها، وكان منطلقه في ذلك أنه لا منازعة ولا مشاحة في الاصطلاح، وبذلك فقد أضاف ثلاثة عشر (13) مصطلحا إلى الرصيد السابق الذي جاء به "ابن المعتز"، فبلغت الأنواع عندهما واحدا وثلاثين (31) نوعا. ومما يمكن ملاحظته كذلك أن معظم هذه المصطلحات معنونة بـ "الائتلاف"، فـ"قدامة بن جعفر" أقام دراسته للشعر على أربع قضايا (اللفظ، والمعنى، والوزن، والقافية) وألف منها أربعة مصطلحات، وذكر الأنواع التي تندرج تحت كل واحدة منها، وهذه المصطلحات هي:

1_ "ائتلاف اللفظ مع المعنى" فرّع منه أربعة مصطلحات، هي: المساواة، والإشارة، والإرداف والتتبع، والتمثيل.

2_ "ائتلاف اللفظ مع الوزن".

3_ "ائتلاف المعنى مع الوزن".

4_ ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت، وقد فرّع من هذا الأخير مصطلحين اثنين، هما: التوشيح والإيغال.

ومن هذا يتضح أن "لابن أبي الإصبع المصري" منهاجا خاصا في تصنيف المادة العلمية وتبويبها، فقد أعاد ترتيب أبواب البديع التي أخذها من غيره، فلم يكن مجرد ناقل عن السابقين، بل نقد آراءهم و شواهدهم، فكان بذلك ناقدا أكثر منه ناقلا. يقول في هذا: « ولا أدعي سلامة وضعي دون أبناء جنسي، غير أنني توخيت تحرير ما جمعته من هذه الكتب جهدي ودققت النظر حسب طاقتي، فحترست من التوارد، وتجنببت التداخل، ونقحت ما يجب تنقيحه، وصححت ما قدرت على تصحيحه، ووضعت كل شاهد في موضعه، وربما أبقيت اسم الباب وغيرت مسماه إذا رأيت اسمه لا يدل على معناه، إلى أن جمعت جميع ما في هذه الكتب من الأبواب على ما قدمت من الشرائط فكان ما جمعته من ذلك ستين بابا فروعاً، بعد ما قدمته من الأصول وهي: الاحتراس، والموارية، والترديد، والتعطف، و التفويف، والتسهيم، والتورية، والتوشيع، والاستخدام، والتغاير، والطاعة والعصيان والتسميط، والمماثلة، والتجزئة، والتسجيع، والترصيع، والتصريع، والتشطير، والتعليل، والتطريز، والتوشيح، والاشتراك، والتلفيف، والعكس، والإغراق، والغلو، والقسم، والاستثناء، والاستدراك، وجمع المختلفة والمؤتلفة، والتوهيم، والاستطراد، والتكميل، والمناسبة، والتفريع، والتكرار، ونفي الشيء بإيجابه والإيداع، والاستعانة، والموازنة، والتذليل، والمشاكله، والموارده، والتهديب، وحسن النسق، وبراعة التخلص، والانسجام، والحل، والعقد، والتعليق، والإدماج، والازدواج،

والإتساع، والمجاز، والإيجاز، وسلامة الاختراع من الإلتباع، وحسن الإلتباع، وحسن البيان، والتوليد، والتكيت، والإتفاق، والإغراق، والطفرة»¹.

ثم أضاف هذه الأبواب الفروع إلى تلك الثلاثين (30) الأصول فصارت تسعين بابا (90).

إلى جانب الإشارة إلى أن "الأجدابي" قد ذكر من محاسن القافية أربعة أبواب، يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن منها بابين هما باب واحد، سماهما "الأجدابي" تسميتين غير مطابقتين لمعناهما، فجعلهما هو بابا واحدا، وهذا ما أخذه على نفسه من تجنب التداخل، وتنقيح ما يجب تنقيحه وتصحيح ما قدر على تصحيحه، وسماه "الإلتزام"، لكن محقق الكتاب "حفني محمد شرف" ينفي أن يكون الباب المذكور من صنيع "الأجدابي" ولا مما أطلق عليه اسمين لم ينطبقا على مسماه كما زعم "ابن أبي الإصبع"، مؤكدا أن ذلك النوع من أنواع "ابن المعتز"، وقد سماه "لزوم ما لا يلزم" أو "إعنات المرء نفسه"².

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري"، أن "الأجدابي" ذكر بابين آخرين معناهما حسن سمي أحدهما تسمية غير لائقة، فسماه هو: "تشابه الأطراف". وينفي "حفني محمد شرف" أن تكون هذه التسمية من اختراع "ابن أبي الإصبع"، لأنها معروفة عند أرسطو³.

يضيف "ابن أبي الإصبع"، أن "الأجدابي" سمي بابا آخر بما لا يوافق فسماه هو "التوأم"، وبذلك سلمت "للأجدابي" ثلاثة أبواب عوض بها "ابن أبي الإصبع المصري" ما تداخل في باب "التهذيب" من «ائتلاف اللفظ مع الوزن، والمعنى مع الوزن»، وما تداخل في باب "التمكين" من «ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت»، لتصح القدرة على شرط السلامة تسعين (90) بابا كلها من المحاسن، وهي عند من لا يجعل التهذيب بابا واحدا، ثلاثة وتسعون (93) بابا⁴.

ثم يذكر "ابن أبي الإصبع" أنه امتثل لأمر الإمام الورع العدل "الرضي جلال الدين المكرم أبي الحسن موسى بن الحسن بن سناء الملك" بجمع ما في كتب الناس من ذلك على سبيل

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 91 ، 92 من مقدمة المؤلف.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص93 من مقدمة المؤلف.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص 93 من مقدمة المؤلف.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص93 من مقدمة المؤلف.

الاختصار من الشواهد، وتجنب الإطالة بذكر كل الاشتقاق، إلا إيضاح مشكل، أو كشف غامض، أو زيادة بسط في الكلام، على أنه من كتاب الله تعالى، أو بيت قد أهمل تقصي الكلام عليه، يقول: «ولما أخذت في ذلك عنّ لي استنباط أبواب تزيد بها الفوائد، ويكثر بها الإمتاع نسجا على منوال من تقدمني، وإتباعا لسنة من سبقني، ففتح عليّ من ذلك بثلاثين بابا، سليمة من التداخل والتوارد، لم أسبق في غلبة ظني إلى شيء منها، اللهم إلا أن يوجد في زوايا الكتب التي لم أقف على شيء مما اخترعته، فأكون أنا ومن سبقني إليه متواردين عليه، وما أظن ذلك، والله أعلم»¹.

وقد أفرد لهذه الأنواع الجزء الرابع من كتابه، وهي:

المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة	المصطلح	الصفحة
التخيير	527	التقدير	571	المقارنة	603
التدبيج	532	الإسجال بعد المغالطة	574	المناقضة	607
الاستقصاء	540	الإلغاز والتعمية	579	الانفصال	609
البسط	544	التصرف	582	الإبداع	611
الهجاء في معرض المدح	550	النزاهة	584	حصر الجزئي وإحاطه بالكلي	600
العنوان	553	التسليم	587	التهكم	568
الإيضاح	559	الافتتان	588	القول بالموجب	599
الفوائد	576	المراجعة	590	التشكيك	563
الحيدة والانتقال	566	السلب والإيجاب	593	التمزيج	536
الشماتة	567	الإبهام	596	حسن الخاتمة	616

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص94 من مقدمة المؤلف.

نستنتج من هذا الجدول أن "ابن أبي الإصبع المصري" قد أسهم في الإتيان بمصطلحات معتبرة حيث بلغ عددها ثلاثين (30) مصطلحا.

وحسب محقق كتابيه: "حفني محمد شرف"، فإن عدد الأنواع التي اخترعها أو ابتدعها "ابن أبي الإصبع المصري" خمسة وعشرون (25) مصطلحا نقديا وبلاغيا، أربعة وعشرون مصطلحا مما سلم له في الجزء الرابع من كتاب "تحرير التحبير" من ضمن ثلاثين مصطلحا زعم أنها من إبداعه أو اختراعه، ومن بين هذه المصطلحات مصطلح "التصرف" الذي وُسم في كتاب "بديع القرآن" "الاقتدار"، معللا ذلك بأن "الاقتدار" أنسب وأليق بالقرآن الكريم. حيث أخرج المحقق الأنواع المسبوق إليها، وهي: التخيير، والبسط، والتهكم، والإبهام، وحسن الخاتمة، والبقية من اختراعه أو إبداعه.

والملاحظ على هذه المصطلحات أن معظمها من نوات الكلمة والكلمتين عدا اثنين منها اشتملت على أربع كلمات، مما يدل على أن ما جاء به ابن أبي الإصبع المصري مؤسس اصطلاحيا؛ بمعنى أن تلك المصطلحات خاضعة لشروط وضع المصطلح، ويفيد هذا في سيرورته؛ فكلما كان عدد الكلمات المكونة للمصطلح أقل كان المصطلح أجود وأقرب للانتشار.

ثم أضاف الأبواب البديعية إلى بعضها ، فصارت مائة وثلاثة وعشرين بابا(123). عدا ما انشعب عن بعض الأبواب، مثل: أبواب الائتلاف من الجنس، والطباق، والتصدير. يُتِمُّ "ابن أبي الإصبع" كلامه عن الكتاب بذكر عنوانه، وأنه سماه "تحرير التحبير"، ثم يذكر بعد ذلك الأبواب البديعية التي تخص الشعر وهي الأقل وعددها ثلاثة وعشرون، وهي¹:

01	الهزل الذي يراد به الجد	09	التوشيع	17	الموارد
----	-------------------------	----	---------	----	---------

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص95 من مقدمة المؤلف.

02	ائتلاف اللفظ مع الوزن	10	الإغراق	18	الحل
03	ائتلاف المعنى مع الوزن	11	الغلو	19	العقد
04	التجزئة	12	الاشترار	20	الاتفاق
05	التشطير	13	التفريع	21	الهجاء في معرض المدح
06	الترصيع	14	الإيداع	22	الإلغاز والتعمية
07	التصرير	15	الاستعانة		
08	التطريز	16	المشاكلة		

يعلق المحقق على كلام "ابن أبي الإصبع" ، بقوله: «وهنا يحسن أن نبين أن الأنواع التي ذكرها ليست ثلاثة وعشرين كما أنها لا تخص الموزون دون المنثور إذ منها ما يأتي في النثر ومنها ما يأتي في الشعر كالتسجيع والمواربة والاستعانة والمشاكلة والهزل الذي يراد به الجد»¹ . والباقي من الأبواب _وعدها مائة_ تعم الموزون والمنثور، وتوجد في كتاب الله عز وجل.

وبعد هذه المقدمة، يشرع "ابن أبي الإصبع المصري" في عرض مادة كتابه، حيث قسم الكتاب إلى أربعة أجزاء، خصَّ الجزء الأول بالألوان الأصول_كما أسلفنا الذكر_، والجزئين الثاني والثالث للألوان الفروع، أما الجزء الرابع فقد أفرده لما اخترعه أو ابتدعه من الألوان البديعية وجعل الكل في أبواب بلغت مائة وخمسة وعشرين (125) بابا.

وأول ما يلفت النظر في نظام التبويب الذي اتبعه المؤلف، أنه لم يستخدم مصطلح البديع بمعناه الخاص، أي أن البديع عنده ليس ثالث علوم البلاغة، ولا تقتصر دلالاته على ألوان

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص95 من حاشية المحقق.

التحسين فقط. البديع عنده واسع الدلالة، فهو يطلقه على علوم البلاغة جميعها_ المعاني، والبيان، والبديع _ ، فقد اتبع في هذا: "ابن المعتز"، و"أبا هلال العسكري"(ت395هـ)، و"أسامة بن منقذ"(ت584هـ)، وعلى الرغم من هذا الاتباع فإنه انماز منهم فهو لم يقصر مصطلح البديع على خمسة ألوان كما فعل "ابن المعتز"، ولم يُخرج التشبيه من دائرة علم البديع كما فعل "أبو هلال العسكري" .

وفي ترتيبه للألوان البديعية، نلاحظ أن هناك خلطا واضحا، فقد وضع الاستعارة والتشبيه والكناية قبل المجاز لا بعده، فهو بهذا ينتقل من الجزء إلى الكل. كما لو أن المنطق يقتضي ذلك.

كذلك نلاحظ من هذا الترتيب أن المؤلف يقدم الاستعارة على التشبيه، وهو بذلك يشبه ما قام به كل من: "ابن المعتز" في كتابه "البديع"، و"ابن رشيق"(ت456هـ) في كتابه "العمدة"، و"ضياء الدين بن الأثير" في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ويخالف ما قام به كل من: "الرماني"(ت386هـ) في رسالته "النكت في إعجاز القرآن"، و"أبي هلال العسكري" في كتابه "الصناعتين"، و"السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" من تقديمهم التشبيه على الاستعارة.

لقد كان منهج "ابن أبي الإصبع المصري" عند ذكر أي مصطلح أن يعرفه تعريفا اصطلاحيا متفقا مع مسماه، وقليل ما يتعرض للمعنى اللغوي إذا كان في التسمية غرابة وكان ذلك في سبعة أبواب هي: باب الطبايق، وباب الإيغال، وباب المواردية، وباب التفويف وباب التسهيم، وباب التوشيع، وباب الغلو.

عرّف الطبايق بقوله: «الطبايق اللغوي الذي أخذ منه الصناعي هو قول العرب: طابق في مشيه إذا وضع خفَّ رجله موضع خف يده، وقد ردّ ابن الأثير على كل من ألف في الصناعة هذا الباب، وقال: إن الجمع من تسميتهم الضدين في هذا الباب خطأ محض، لأن أصل الاشتقاق يقتضي الموافقة لا المضادة، وهو أولى بالخطأ منهم، لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موطئ واحد، والرجل واليد ضدان، أو في معنى

الضدّين، فأروا أن الكلام الذي قد جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً لأن المتكلم به قد طابق فيه بين الضدين»¹.

و قال في تعريف المواردية لغة: «وهي من وَرَبِّ العِرْق بفتح الواو والراء: إذا فَسَدَ، فهو وَرِبٌ بكسر الراء»².

وعرّف التفوف بقوله: «اشتقاق التفوف من الثوب الذي فيه خطوط بيض، وأصل الفوف: البياض الذي في أظفار الأحداث، والحنة البيضاء في النواة، وهي التي تنبت منها النخلة، والفوفة القشرة البيضاء التي تكون على النواة، والفوف: الشيء، والفوف: قطع القطن، وبرد مُفَوَّف: أي رقيق»³.

ويقول في تعريف التسهيم: «هو من الثوب المُسَهَّم، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه، لكونه يقتضي أن يليه لون مخصوص له، بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده»⁴. وقال في تعريف الإيغال: «وأصله من الإيغال في السير وهو السرعة، فإن الإيغال في السير يُدخل السائر في المكان الذي يقصده بسرعة، يقال: أوغل في الأرض الفلانية أي بلغ منتهائها، أو ما قاربه»⁵.

في حين عرّف الغلو بقوله: «وقد رأيت من لا يفرق بين الغلو والإغراق، ويجعل التسميتين لباب واحد، وعندي أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما، إلا أن الإغراق أصله في النزع وأصل الغلو بعد الرمية، وذلك أن الرامي ينصب غرضاً يقصد إصابته، فيجعل بينه وبينه مدى يمكن معه تحقيق ذلك الغرض، فإذا لم يقصد غرضاً معيناً، ورمى السهم إلى غاية ما ينتهي إليه بحيث لا يجد مانعاً يمنعه من استيفاء السهم قوته في البعد سميت هذه الرمية غلوةً فالغلو مشتق منها»⁶.

والحقيقة التي لا مناص منها أن المؤلف قد تعامل مع مصطلحاته تعاملًا توثيقياً بمعنى أنه أرجع كل مصطلح إلى صاحبه، وذلك من باب الأمانة العلمية، ولأنه جاء متأخراً زمانياً

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص111.

² - المصدر نفسه: ص249.

³ - المصدر نفسه: ص260.

⁴ - المصدر نفسه: ص263.

⁵ - المصدر نفسه: ص232.

⁶ - المصدر نفسه: ص323.

كانت المصطلحات الموثقة كثيرة، كذلك كان ينسب التعريفات لأصحابها، وقد اخترنا بعضاً منها حرص فيها "ابن أبي الإصبع المصري" على هذين الأمرين:

قال في حديثه عن التجنيس أن "الرماني" حدّه بقوله: «هو بيان المعاني بأنواع من الكلام يجمعها أصل واحد في اللغة...»¹.

وقال عن المذهب الكلامي: «وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ»².

وقال عن الالتفات: «فسر قدامة الالتفات بأن قال: هو أن يكون المتكلم آخداً في معنى فيعترضه إما شك فيه، أو ظن أن راداً يردّه عليه، أو سائلاً يسأله عن سببه، فيلتفت إليه بعد فراغه منه، فإما أن يجلي الشك فيه أو يؤكدّه، أو يذكر سببه»³.

وقال عن التمام: «هو الذي سماه الحاتمي التتميم، وسماه ابن المعتز قبله: اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمّه»⁴.

وقال عن الإشارة: «وهو أيضاً مما فرعه قدامة من ائتلاف اللفظ مع المعنى»⁵.

وقال عن الطاعة والعصيان: «هذا النوع استنبطه أبو العلاء المعري عند نظره في شعر أبي الطيب المتنبّي وشرحه له»⁶.

في مقابل هذه الدقة في التوثيق، نلاحظ أن هناك خلطاً في بعض المصطلحات ربما لم ينتبه إليها، فقد نسب مصطلح "عتاب المرء نفسه" لابن المعتز، وحقيقة الأمر أن هذا المصطلح مدخول على "ابن المعتز"، لأن الأخير ذكر مصطلحاً آخر هو "إعنات المرء نفسه" الذي عرّف فيما بعد "بلزوم ما لا يلزم"، فالتصحيف قريب بين "إعنات وعتاب"، ثم نسب بعد ذلك مصطلح "الالتزام" الذي هو "لزوم ما لا يلزم" للأجدابي، وهو ليس من أنواعه _ كما سبق توضيحه _، ولكن الخطأ الذي وقع فيه عند كلامه على مصطلح "عتاب المرء نفسه" جعله لا يفتن لهذا الباب "الالتزام" الذي جاء به "ابن المعتز" تحت اسم "إعنات المرء

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص102.

² - المصدر نفسه: ص119.

³ - المصدر نفسه: ص123.

⁴ - المصدر نفسه: ص137.

⁵ - المصدر نفسه: ص200.

⁶ - المصدر نفسه: ص290.

نفسه" ¹. وعليه فإن باب "عتاب المرء نفسه" من جديد "ابن أبي الإصبع المصري" ، وقد استشهد عليه بشواهد مطابقة لمعناه.

كما أنه أورد بعض مصطلحاته دون أن يعرفها تعريفا لغويا ولا اصطلاحيا، وجدت منها حوالي أربعة مصطلحات، هي: عتاب المرء نفسه، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، والاستدراك والرجوع، والاشتراك.

قال في بداية باب "عتاب المرء نفسه": « هو من أفراد ابن المعتز، ولم ينشد فيه سوى بيتين... » ².

وقال عن تأكيد المدح بما يشبه الذم: «أنشد ابن المعتز فيه قول النابغة الذبياني...» ³.

وقال في باب الاستدراك والرجوع: «وهو على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه...» ⁴.

وقال عن الاشتراك: «وهو قسمان: معنوي ولفظي، وكل من هذين القسمين معيب، وغير معيب، وحسن» ⁵.

وبعد الانتهاء من تعريف المصطلح يبدأ بسرد الشواهد التي تنوعت بين القرآن الكريم والشعر العربي، والحديث النبوي الشريف، وأقوال العرب، كما كان لأقوال الصحابة رضوان الله عليهم نصيب في كتابه، وعلى رأسهم "أبو بكر الصديق" و"علي بن أبي طالب" و"عائشة أم المؤمنين"، ومناقشتها وتوضيحها، وقد أخذت الآيات القرآنية والأبيات الشعرية جانبا كبيرا من شواهد، مقارنة بشاهد الحديث والأقوال. والحق أنه لم يلتزم منها معينا في تقديم هذه الشواهد، فأحيانا يبدأ بشاهد القرآن الكريم، وأخرى بشاهد من الشعر.

وتجدر الإشارة إلى أن هذه الشواهد قد تكثر في أبواب، وقد تقل في أخرى. فمن الأبواب

التي حفلت بالشواهد المتنوعة، نذكر مثلا:

المجموع	الأقوال	الأحاديث النبوية	الأبيات الشعرية	الآيات القرآنية	الشواهد المصطلح
---------	---------	------------------	-----------------	-----------------	-----------------

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص166.

² - المصدر نفسه: ص166.

³ - المصدر نفسه: ص133.

⁴ - المصدر نفسه: ص331.

⁵ - المصدر نفسه: ص339.

46	07	06	19	14	التجنيس
31	00	01	18	12	الإفراط في الصفة
29	06	00	08	15	التشبيه
23	00	00	17	06	صحة التفسير والتبيين

في حين قلَّت هذه الشواهد في بعض الأبواب وربما وصل الأمر إلى الشاهد الواحد والشاهدين، كما هي موضحة في الجدول الآتي:

الأبيات الشعرية	الآيات القرآنية	الشاهد المصطلح
01	00	ائتلاف المعنى مع الوزن
01	01	التمزيج
02	00	التشطير

واستشهد بشواهد شعرية في واحد وعشرين بابا فقط ، هي:

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
372	التفريع	295	التسميط	331	الاستدراك والرجوع
386	الموازنة	133	تأكيد المدح بما يشبه الذم	339	الاشتراك
400	المواردة	166	عتاب المرء نفسه	352	الاطراد
550	الهجاء في معرض المدح	299	التجزئة	223	ائتلاف المعنى مع الوزن
590	المراجعة	300	التسجيع	308	التشطير
596	الإبهام	302	الترصيع	168	حسن الابتداءات
599	القول بالموجب	590	التطريز	314	التطريز

أما استشهاده بالحديث النبوي الشريف_ إلى جانب القرآن الكريم والشعر العربي_ فقد كان في ثلاثين بابا، هي على الترتيب:

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
388	التذليل	238	الإيغال	104 105 106	التجنيس
398	المشاكله	247	الاحتراس	112	الطباق
474	سلامة الاختراع من الاتباع	251	المواربه	118	رد الأعجاز على الصدور
540	الاستقصاء	284 288	التغاير	128	التمام
548	البسط	306	التعليل	144	الكناية
569	التهكم	316	التوشيح	153 156	الإفراط في الصفة
587	الفرائد	324	الغلو	176	صحة الأقسام
595	السلب والإيجاب	337	التلفيف	206	الإشارة
432	الانسجام	350	التوهيم	207	الأرداف والتتبع
518	الالتزام	367	المناسبة	217	التمثيل

كما استشهد بأقوال للإمام علي_كرم الله وجهه_ في اثني عشر بابا ، وهي:

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
383	الاستعانة	271	الترشيع	112	الطباق
442	العقد	277	التغاير	140	حسن التضمين

617	حسن الخاتمة	319	العكس والتبديل	174	صحة الأقسام
		380	الإيداع	251	المواربة
				411،412	التهذيب والتأديب

واستشهد بأقوال "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه _ في:

_ باب التغاير ¹ .

_ باب التهذيب والتأديب ² .

واستشهد بقولين لعائشة أم المؤمنين _ رضي الله عنها _:

_ أولهما: في باب التمثيل ³ .

_ وثانيهما: في باب الحيدة والانتقال ⁴ .

كما استشهد بأقوال العرب الفصحاء .

وقد ذكر شواهد من شعره ، حيث أورد خمسة وعشرين شاهدا شعريا في أبواب مختلفة

من الكتاب، هي كالآتي:

الصفحة	الباب	الصفحة	الباب	الصفحة	الباب
504	الاتفاق	351	التوهيم	118	رد الأعجاز على الصدور
508،515	النوادر	384	الاستعانة	189	صحة التفسير والتبيين
520	تشابه الأطراف	408،422	التهذيب	296	التسميط

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص280.

² - المصدر نفسه: ص402.

³ - المصدر نفسه: ص216.

⁴ - المصدر نفسه: ص566.

			والتأديب		
614	الإبداع	446،447	التعليق	317	التوشيع
285	التغاير	483	حسن الاتباع	322	الإغراق
،446 447	التعليق	497	التوليد	337	الاستثناء

والملاحظ على "ابن أبي الإصبع المصري" أنه لا يورد شاهدا من شواهد الشعرية دون أن ينبه إلى أنه من صنعه، إن كان من إبداعه الشخصي، ومثال ذلك، ماجاء في باب "رد الأعجاز على الصدور"، حيث ذكر أنه لم يقف لهذا القسم على شاهد شعريّ فقال هو¹:
(منسرح).

اصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِنْ تَعَاشِرِهِ وَاصْحَبْ صَبُورًا عَلَى أَدَى خُلُقِكَ

لقد كان يستشهد بشواهد في أكثر من باب، بعد أن يستغرقها في الباب الواحد، من أمثلة ذلك: تكراره لقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ {سورة هود، الآية 113}، في باب "انتلاف اللفظ مع المعنى" ثم في باب "التهذيب والتأديب"، وكذلك تكراره لقوله جل وعلا: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقْضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة هود، الآية 44}، في باب "حسن النسق" وباب "الإبداع"، أما بالنسبة للأبيات الشعرية، فإنه استشهد ببيت "عمر بن كلثوم" الذي يقول فيه²:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجْهَلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وذلك في باب "التجنيس"، وباب "صحة التفسير والتبيين"، والأمثلة كثيرة في هذا. كما كان يكتفي من الشاهد بموضع الاستشهاد، فيأتي بشرط من البيت، وبالكلمتين والثلاث من الآية القرآنية _لا يمكن حصرها_، ومثال ذلك ما أتى به في باب "التمثيل" بقوله

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص106-118.
² - المصدر نفسه: ص118.

تعالى: ﴿ وَقُضِيَ الْأَمْرُ ﴾ {سورة هود، الآية 44}، وفي باب "الإيجاز" اكتفى بقوله تعالى: ﴿ القصاص حياة ﴾ {سورة البقرة، الآية 179}.

أما الشواهد الشعرية التي اكتفى بشرط منها ولم يتم البيت فقد أورد خمسة عشر شاهدا في أبواب مختلفة ، هي كالآتي:

الصفحة	الشاهد	الباب
137	لجنية أم غادة رُفِعَ السجف	تجاهل العارف
161	فإنما هي إقبال وإدبار	التشبيه
218	فما الكرج الدنيا والناس قاسم	التمثيل
218	والنار قد تنتضي من ناضر السلم	التمثيل
219	لسان المرء من خدم الفؤاد	التمثيل
220	أنا الغريق فما خوفي من البلل	التمثيل
220	ليس التكحل في العينين كالكحل	التمثيل
221	من نسج داود بن سلام	انتلاف اللفظ مع الوزن
221	حتى إذا خرّت على الكلكال	انتلاف اللفظ مع الوزن
273	كشف الغطاء فأوقدي وأخمي	الترشيح
285	السيف أصدق أنباء من الكتب	التغاير
396	ورضتُ فذلتُ صعبةً أيّ إذلال	المشاكلة
465	علفتها تبنا وماءً باردا	الإيجاز
495	على مثلها من أربُع وملاعب	التوليد
496	فإنك شمس والملوك كواكب	التوليد

والملاحظ عليه أنه كان يتصرف في الشواهد التي يستشهد بها، فمثلا في باب "التهذيب والتأديب" نجده قد ذكر وصية "أبي تمام" (ت231هـ) "للبحثري" (ت283هـ)، ولكنه حبرها

وحررها وزاد فيها ما يحتاج إلى زيادة، وقدم لها بمقدمة بيّن فيها مذهبه في صناعة الشعر والنثر وما ينبغي على الراغب فيهما من إحكام كلامه ، ونظمه في نسق مطرد، وأن يلائم بين الألفاظ والسامعين، وأن يتوخى حسن التنسيق عند التهذيب¹ .

وفضلا على ذلك، لم يكتف بإيراد الشواهد فقط، بل قام بتحليلها تحليلا أدبيا بعيدا عن التعقيد قريبا إلى الفطرة والطبع، ولعل الإكثار من الشواهد وتناولها بالشرح والتحليل ينم عن ذوقه في حسن الاختيار، وبراعته في الشرح والتحليل. فقد يكون ذلك من شروط إيصال المعنى المراد لأي نوع بدعي، وإفهام المتلقي بأجلى صورة وأوضح طريقة، ومن الأمثلة على ذلك ما مرّ في الفصل الأول من هذا الباب في تحليله للآيات الكريّمات.

وما قاله في شرحه لنوع "التخيير" بعد أن عرّفه: «كقول الشاعر(البسيط) :

إِنَّ الْغَرِيبَ الطَّوِيلَ الذَّيْلَ مُمْتَنِّهِنَّ فَكَيْفَ حَالُ غَرِيبٍ مَالِهِ قَوْتُ

فإنه يسوغ أن يقول: فكيف حال غريب ماله حال أي ماله مال، ماله نشب، ماله صفد، ماله سبد، ماله حطر، ماله أحد، ماله وجد، ماله شيع، وإذا نظرت إلى قوله: ماله قوت وجدتها أبلغ من الجميع، وأدل على الفاقة، وأمسّ بذكر الحاجة، وأبين للضرورة وأشجى للقلوب، وأدعى للاستعطاف، ولذلك رجحت على كل ما ذكرناه»² .

وقال في نوع "التورية" بعد أن عرّفها: «... ومن شواهد هذا الباب الشعرية قول عمر بن أبي ربيعة(خفيف):

أَيُّهَا الْمُنْكَحُ الثُّرَيَّا سُهَيْلًا عَمْرُكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمَعَانِ

هِيَ شَامِيَةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يِمَانِ

فذكر عمرُ الثُّرَيَّا وسهَيْلا ليُوهم السامع أنه يريد النجمين المشهورين، لأن الثُّرَيَّا من منازل القمر الشامية، وسهَيْلا من النجوم اليمانية، وهو يريد صاحبتَه الثُّرَيَّا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يُسمى سهَيْلا، فتمكن لعمر أن ورَى بالنجمين عن الشخصين،

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص401.

² - المصدر نفسه: ص527.

ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد»¹ .

وقد كانت هذه الشواهد مما هو معروف ومشهور بين النقاد، ومما ذكره لأول مرة، وكان ينسب كل شاهد إلى قائله، ويجمع بين الآية والحديث النبوي والشعر والأقوال في الباب الواحد.

كما اهتم المؤلف اهتماما كبيرا بالمصطلح النقدي والبلاغي، فدرسه بأسلوب علمي يعتمد على أداء الحقائق والدقة في البحث والاستقصاء، والأسلوب الأدبي الذي يعتمد على الذاتية الفنية، فقد قام باستقصاء القواعد البلاغية التي جاء بها السابقون، ونظمها في كتابه وفرّق بين باب وآخر يقترب منه أو يلتبس به، وسنذكر هذه الأبواب _على كثرتها_ مما كان فيه التفريق بين:

_ التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان² .

_ الإرداف والإشارة³ .

_ التصدير والتوشيح، ثمّ بين التوشيح والتمكين⁴ .

_ التتميم والإيغال⁵ .

_ الاحتراس والتكميل والتتميم من جهة، وبين الاحتراس والموارية من جهة ثانية⁶ .

_ بين الاحتراس والمناقضة والانفصال، ثمّ بين الموارية والانفصال⁷ .

_ التعطف والترديد، ثمّ بين الترديد و التكرار⁸ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص268.

2 - المصدر نفسه: ص142.

3 - المصدر نفسه: ص208.

4 - المصدر نفسه: ص231.

5 - المصدر نفسه: ص241.

6 - المصدر نفسه: ص245.

7 - المصدر نفسه: ص246.

8 - المصدر نفسه: ص254.

وفرق بين:

- الترشيح والاستعارة والتورية¹ .

_ الاستخدام والتورية² .

_ التسجيع والتسميط، وبين التسجيع والتجزئة، ثم بين التسجيع والمماثلة³ .

_ المبالغة والإغراق والغلو⁴ .

_ الاشتراك والإيضاح⁵ .

_ الإيغال والتكميل والتمكين والتذليل⁶ .

_ التعليق والتكميل⁷ .

_ التعليق والإدماج⁸ .

_ الإيجاز والمساواة⁹ .

_ حسن البيان والإشارة من جهة، وبين حسن البيان والإيضاح من جهة أخرى¹⁰ .

أمّا في باب التخيير، فقد ألفناه يفرق بين التخيير وحسن النسق من جهة، ثم بين التخيير

والتسهيم من جهة ثانية، و بين التخيير والتوشيح ، من جهة ثالثة¹¹ .

_ كما فرّق بين:

- التمزيج والافتتان والتكميل والتعليق والإدماج¹² .

_ الاستقصاء والتكميل والتميم¹³ .

_ البسط والاستقصاء¹⁴ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص271.

2 - المصدر نفسه: ص 270.

3 - المصدر نفسه: ص 300 ، 301.

4 - المصدر نفسه: ص321.

5 - المصدر نفسه: ص342.

6 - المصدر نفسه: ص 391 ، 392..

7 - المصدر نفسه: ص448.

8 - المصدر نفسه: ص451.

9 - المصدر نفسه: ص465.

10 - المصدر نفسه: ص 492 ، 493 .

11 - المصدر نفسه: ص 530 ، 531 .

12 - المصدر نفسه: ص 538 ، 539 .

13 - المصدر نفسه: ص543.

14 - المصدر نفسه: ص549.

_ التهكم والهزل الذي يراد به الجد ¹ .

_ التندير والتهكم والهزل الذي يراد به الجد ² .

_ القول بالموجب وبين التعطف ³ .

_ المقارنة والتعليق والإدماج ⁴ .

ومع هذا، فقد فات المؤلف التفريق بين التوهيم والتورية كما عوّدنا فيما تقدم من الأبواب.

إلى جانب ما تقدم، فقد طوّر "ابن أبي الإصبع المصري" في مفاهيم كثير من المصطلحات، من ذلك مصطلح: "الإبداع" الذي عرّفه "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) بقوله: «هو إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف الذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع» ⁵.

في حين عرّفه "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «هو أن تكون مفردات كلمات البيت من الشعر، أو الفصل من النثر أو الجملة المفيدة، متضمنة بديعا بحيث يأتي في البيت الواحد والقريئة الواحدة عدة ضروب من البديع بحسب عدد كلماته أو جملته، وربما كان في الكلمة الواحدة المفردة ضربان فصاعدا من البديع، ومتى لم تكن كل كلمة بهذه المثابة فليس بإبداع» ⁶.

فالإبداع عند "ابن رشيق القيرواني" هو الإتيان بالمعنى الجديد، أمّا عند "ابن أبي الإصبع المصري" فقد أخذ مفهوما جديدا خاصا، يتعلّق بمهارة الشاعر أو الكاتب في توظيف ما يعرف بالمحسنات البديعية، مخضعا ذلك للكّم في الاستعمال، حيث يشترط توفّر الكلمة أو الجملة على نوعين من البديع فصاعدا، وإلا خرج ذلك عن معنى الإبداع.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص570.

² - المصدر نفسه: ص573.

³ - المصدر نفسه: ص599.

⁴ - المصدر نفسه: ص606.

⁵ - ابن رشيق: العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، حققه، وفصله، وعلق حواشيه محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج1، ص265.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص611.

بناء على ما سبق، يمكن القول إن منهج "ابن أبي الإصبع المصري" قائم على التفريعات البديعية الكثيرة، والميل إلى التفريق بين أنواع متقاربة جدا وتخصيص كل نوع بباب مستقل، في حين هذه الأنواع مقرونة إلى بعضها البعض عند معاصريه، والذي يُحسب له في هذا تلك البراعة في التفريق بين هذه الأبواب، حيث لا يترك مجالاً لأي لبس عند المتلقي أو القارئ.

إنّ الدارس لكتاب "تحرير التحبير" يجد فيه كثيراً من المصطلحات التي تستخدم لأول مرة في ميدان النقد والبلاغة في تلك الفترة، وهذا ليس بالجديد، فمقولة "لا مشاحة في الاصطلاح" فتحت الباب واسعاً أمام النقاد والبلاغيين للتنافس في اختراع أنواع جديدة، و التفاخر بذلك، والكل يحرص على أن ينسب لنفسه أنواعاً لم يسبق إليها، يضاف إلى ذلك ظهور مفاهيم وتصورات جديدة بسبب التقدم الحضاري لا يمكن للمصطلحات الموجودة التعبير عنها، فعمد "ابن أبي الإصبع المصري" إلى صياغة مصطلحات غير موجودة مسبقاً تعبر عن تلك المفاهيم والتصورات المستحدثة في عصره.

والحقيقة أن "ابن أبي الإصبع المصري" فتح الباب لاختراع المصطلحات بدون ضابط يذكر، فالأمر لا يتعلق بكثرة المصطلحات والبحث عن بدائل أخرى بالاختراع بقدر ما يتعلق بالحاجة إليها للتعبير عن المفاهيم والتصورات، فتوسيع دائرة المصطلحات لا يخدم المعجم الاصطلاحي (النقدي والبلاغي)، في مقابل ذلك فإن ما قام به يساعد بشكل كبير في معالجة معضلة المصطلح وتجاوز السابقين، وبذلك تكون له بصمته الخاصة في ميدان النقد والبلاغة.

كما كان يناقش العلماء السابقين في تعريفاتهم ويذيل تلك المناقشة برأيه الخاص، ويوفق بين تلك الآراء إن أمكن ذلك، وهذا كثير في كتابه، فمثلاً: في باب الاستعارة نجده يذكر تعريف "الرماني" ثم تعريف "ابن المعتز" ثم تعريف "ابن الخطيب" ثم يأتي بتعريفه هو، يقول: «هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي للمبالغة في التشبيه، كقول الله تعالى)

وإنه في أم الكتاب) وكقوله سبحانه: ﴿واخفض لهما جناح الذل من الرحمة﴾ وكقوله عز وجل: ﴿واشتعل الرأس شيبا﴾¹.

كما أنه كان يفرع نوعا من نوع، ويضع لذلك الفرع اسما يحدده، مثلما فعل في "باب رد الأعجاز على الصدور"، حيث يقول: «وهو الذي سماه المتأخرون التصدير، وكان ابن المعتز قد قسمه إلى ثلاثة أقسام: الأول: ما وافق آخر كلمة في البيت آخر كلمة في صدره (أو كانت مجانسة لها). كقول الشاعر:

يُلْفَى إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ عَرْمَرَمٍ فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْلَ عَرْمَرَمٍ

و الثاني: ما وافق آخر كلمة من البيت أول كلمة منه كقول المغيرة:

سَرِيعَ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عَرِضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِيِ النَّدَى بِسَرِيعٍ

والثالث: ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كان كقول جرير:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ عَمَامُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مَنْ حَلَّ بِالرَّمْلِ

هكذا عرّف ابن المعتز القسم الثالث من التصدير»².

يوصل كلامه: «وهو عندي مدخول التعريف من أجل قوله: ما وافق آخر كلمة من البيت بعض كلماته في أي موضع كانت. فإنها لو كانت في العجز لم يُسمّ تصديرا لأن اشتقاق التصدير من صدر البيت، فلا بد من زيادة قيد في التعريف يسلم به من الدخل بحيث يقول: بعض كلمات البيت في أي موضع كانت من حشو صدره. وأظن ابن المعتز اتكل في ذلك على البيت الذي جاء به مثالا (ولا ألوم ابن المعتز. وهذا ابن الخطيب على تأخر زمانه وإطلاعه لأجل التأخر على أكثر ما قيل. وتقدمه في الفضائل قد جاء على بعض أقسام التصدير يقول الشاعر (الطويل):

(وَإِنْ لَمْ يَكُنْ إِلَّا مُعْرَسَ سَاعَةٍ قَلِيلًا فَإِنِّي نَافِعٌ لِي قَلِيلُهَا)

ولم يضع ابن المعتز لهذه الأقسام اسما يعرّف بعضها من بعض، و الذي يحسن أن نسمي به القسم الأول تصدير التقفية، والثاني تصدير الطرفين، والثالث تصدير الحشو»³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 97 ، 98.

² - المصدر نفسه: ص 117.

³ - المصدر نفسه: ص 117.

كما غير كثيرًا من المصطلحات إلى غير ما هو متعارف عليه عند جمهور البلاغيين وفسرها بمفاهيم جديدة، واستشهد عليها بشواهد جديدة، مثلما فعل في باب "المشاكله"، وباب "جمع المختلفة والمؤتلفة"، وهذا كثير في كتابه، وسنمثل على ذلك بما جاء به في باب "جمع المختلفة والمؤتلفة"، حيث يكشف عن نقده لهذا المصطلح الذي يحمل اسما لا يليق به _ حسب رأيه هو_، يقول: « رأيت من المؤلفين من فسّر هذه التسمية بما لا يليق بها، وقد استشهد عليها بشواهد من جنس ما فسّر به، فاطّرحْتُ ذلك وفسرتها بما يليق واستشهدت عليها بشواهد مطابقة لتفسيرى، وكذلك فعلت في أكثر الأبواب، ومن وقف على كتابى وكتب الناس في هذا الشأن علم صدق دعواى»¹ .

ثم عرّفه بقوله: « إنها عبارة عن أن يريد الشاعر التسوية بين ممدوحين، فيأتى بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فصل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتى لأجل الترجيح بمعان تخالف معانى التسوية»² .

وقد علق محقق كتابه على هذا، بقوله: « وكان الأجدر بابن أبى الإصبع عند تفسيره لهذا النوع تفسيراً مغايراً لمن سبقه أن يدقق النظر فى شواهدة التى أتى بها وليس فيها جمع للمؤتلف والمختلف، بل ليس فيها زيادة بعد مساواة»³ .

وذكر أن تعريف "أبي هلال العسكري" لهذا النوع ينطبق عليه تمام الانطباق، وأن شواهدة توافق تعريفه موافقة تامة⁴ .

وكذلك ما يلاحظ عليه من اعتراض على تسمية بعض المصطلحات لمن سبقه من البلاغيين حسب ذوقه وعلمه ورأيه الخاص، مثلما فعل بمصطلحات "الأجدابى" السالفة الذكر، فى بابى "التسبيغ، والتشريع"، فالأول منهما وهو "التسبيغ" أطلق عليه "ابن أبى الإصبع المصرى" اسم "تشابه الأطراف"، قال فى ذلك: « هذا الباب سماه الأجدابى التسبيغ، وفسّره بأن قال: هو أن يعيد لفظ القافية فى أول البيت الذى يليها، والتسبيغ زيادة فى الطول،

¹ - ابن أبى الإصبع المصرى: تحرير التحبير، ص344.

² - المصدر نفسه: ص 344 .

³ - المصدر نفسه: ص 344 من حاشية المحقق.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص344 من حاشية المحقق.

ومنه قولهم: درع سابغة، إذا كانت طويلة الأذيال، وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لاثقة بهذا المسمى، فرأيت أن أسمى هذا الباب تشابه الأطراف، لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها»¹.

أما مصطلح "التشريع" وهو: «أن تبني القصيدة على وزن من أوزان العروض وقافيتين، فإذا أسقط من أجزاء البيت جزء أو جزآن صار ذلك البيت من وزن آخر»²، ثم سماه هو باسم آخر هو "التوأم"، معللاً ما قام به بقوله: «وهذه التسمية وإن كانت مطابقة لهذا المسمى فهي غير معلومة عند الكافة، فسميته التوأم»³. فاعتراض "ابن أبي الإصبع المصري" على التسمية كان بسبب عدم شيوعها، وفي الوقت ذاته يسميه باسم جديد، فإذا كان مصطلح "التشريع" غير معروف عند الكافة _ حسب رأيه _ فمصطلح "التوأم" غير معروف لاعدد الكافة ولا عند الخاصة.

وهذا الخلط غير مقبول في المصطلحات، وهو يؤدي بدوره إلى الغموض والاضطراب من قبل الدارسين.

وكما اعترض المؤلف على مفاهيم بعض المصطلحات، وكذا على تسمية بعض منها، فقد اعترض على شواهد بعضها الآخر، وهذا ما فعله في باب "الطاعة والعصيان" حين خالف "أبا العلاء المعري" في استشهاده ببيت "أبي الطيب المتنبي"، وشرحه له من قوله (الطويل)⁴:

يُرْدُ يَدَا عَنْ ثَوْبِهَا وَهُوَ قَادِرٌ وَيَعْصِي الْهَوَى فِي طَيْفِهَا وَهُوَ رَاقِدٌ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على كلام "المعري" في هذا الباب، ثم يذكر أن الناس تبعوه فيه، ثم يدلي برأيه قائلاً: «والذي ذهب عليهم أن البيت ليس فيه شيء أطاع الشاعر، ولا شيء عصاه، ودليل ذلك أن قول المعري إن المتنبي أراد مستيقظاً، ليحصل منها ومن

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص520.

2 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د ط)، 1986م، ج2، ص219.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص522.

4 - المصدر نفسه: ص290.

لفظة راقد طباق، فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن، فيحكم على المتنبى...فقد تبين من هذا البحث أن بيت المتنبى هذا لا يصلح أن يكون شاهداً على هذا الباب»¹.

كان "ابن أبي الإصبع المصري" يستنرد تحت معالجة المصطلح البلاغي إلى قضايا غير بلاغية، تتعلق بعلوم أخرى كعلم النحو، وعلم التفسير، وعلم الأصوات، وذلك مثل إدخاله مسألة حسن الترتيب في نظم الكلام البليغ في باب "التهذيب والتأديب"، يقول: «ومن حسن الترتيب في الجمل الفعلية تقديم الفعل، وتعقيبه بالفاعل، ثم الإتيان بالمفعول، فإن كان في الكلام مفعولان أحدهما تعذر وصول الفعل بنفسه إليه، والآخر تعدى إليه بنفسه قدام ما تعدى إليه الفعل بنفسه»²، كقوله تعالى: ﴿لئن بسطت إلي يدك لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك﴾ {سورة المائدة، الآية 38}، ثم يشرح ذلك قائلاً: «لو توخى حسن الترتيب في عجز الآية لأتى وزن صدرها، والجواب أن حسن الترتيب منع منه في صدر الآية مانع قوي، هو مخافة أن تتوالى ثلاثة أحرف متقاربات المخارج، فيثقل الكلام بسبب ذلك»³.

والذي لابد من الإشارة إليه، أنه أسقط السرقات من معجمه الاصطلاحي، واستعاض عنها بمصطلحات، من مثل: حسن الاتباع، والعقد، والحل، والاستعانة، والإبداع والاشتراك... وغيرها، فالسرقة إذن لا تدخل في دائرة اهتمامه، والإبداع عنده لا يكون من لاشيء فهو توليد، فإذا أحسن المبدع التعبير عن معنى مسبق إليه، لم يكن سارقاً، إنما هو متبع يُحسن التعبير عن معاني غيره مع إضافة معاني جديدة، بفضل قدرته على التغيير والتحوير، وهذا ما يعبر عنه في النقد المعاصر بمصطلح "التناص".

والملاحظ على "ابن أبي الإصبع المصري" أنه حاول أن يلتزم بشرط مهم من شروط وضع المصطلح وهو: وجود مناسبة أو مشاركة أو مشابهة بين مدلول المصطلح الجديد ومدلوله اللغوي _ إلا ما ندر_ ، ولإعطاء صورة عن هذا الالتقاء بين الداليتين اللغوية والاصطلاحية، اخترنا مصطلحين:

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 291، 292.

² - المصدر نفسه: ص 405.

³ - المصدر نفسه: ص 405.

1_ الإيضاح:

الإيضاح لغة مأخوذ من الجدر (وضح): يقال: وَضَحَ الأمرُ وَضُوحًا وَضَحَهُ: بَانَ وَظَهَرَ¹.

وفي اصطلاح "ابن أبي الإصبع المصري": «هو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره لئس ثم يوضحه في بقية كلامه»².

تبدو العلاقة واضحة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي للإيضاح، فكلا المعنيين يتطلب إزالة اللبس الذي يحصل في الكلام وتوضيحه.

2_ الافتنان:

الافتنان لغة من: «افتن الرجل في كلامه وخصومته، إذا توسع وتصرف. افتنَّ: أخذ في فنون من القول، والأفانين: الأساليب، وهي أجناس الكلام وطرقه»³.

وفي اصطلاح المؤلف: «هو أن يفتنَّ المتكلم فيأتي بفنين متضادين من فنون الكلام في بيت واحد أو جملة واحدة مثل النسب والحماصة والهجاء والهناء والعزاء»⁴.

فالملاحظ وجود علاقة تربط المعنى اللغوي بالمعنى الاصطلاحي، فالأول يشير إلى سلك أفانين القول وأساليبه وطرقه في كلام واحد، وهو ما يقابل الجمع بين فنين من القول في كلام واحد.

المحور الثاني _ الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب:

لقد تعددت صياغة المصطلح في كتاب "تحرير التحبير"، فشملت المصطلحات المفردة والمصطلحات الثنائية التي تفرعت إلى: المصطلحات المضافة، والموصوفة، والمتعاطفة والمقيدة بمتعلق، وشملت كذلك المصطلحات المكونة من ثلاث كلمات، وتعدى الأمر إلى مصطلحات جاءت على شكل جمل.

1 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة (وَضَحَ).

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص559.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فَنَن).

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص588.

01 _ المصطلحات المفردة:

ونقصد بها المصطلحات المكونة من كلمة واحدة، وقد ورد من هذا النوع في كتاب "تحرير التحرير" تسعة وثمانين (89) مصطلحا من أصل مائة وخمسة وعشرين (125) مصطلحا، وهذا يمثل ما نسبته (71.2 %) من مجموع المصطلحات.

ولا بد من الإشارة إلى أن الأصل في المصطلحات أن تكون مختصرة ودالة، وليس أقرب إلى تحقيق الاختصار من المصطلحات المفردة، ومن ثم إلى تحقيق شرط من شروط وضع المصطلح المشار إليها في التمهيد.

والملاحظ على المصطلحات المكونة من كلمة واحدة أن أغلبها يأتي على أوزان المصادر، وأكثرها على وزن (تفعيل)، وقليل منها يأتي بصيغ الجمع. فمما جاء على وزن (تفعيل)، نذكر على سبيل المثال: تفويف، تسهيم، ترشيح، تسجيع تجنيس، تطريز، تشطير، تعليل .

أما ما جاء بصيغة الجمع، فمثل: النوادر، والفرائد. على وزن (الفواعل).

02 _ المصطلحات الثنائية:

ونعني بها المصطلحات المكونة من كلمتين، والتي بلغ عددها عشرين (20) مصطلحا أي ما نسبته (16.8%) من مجموع المصطلحات البالغ عددها مائة وخمسة وعشرين (125) مصطلحا.

ويمكن تصنيف المصطلحات الثنائية إلى:

أ_ المصطلحات المضافة:

بلغ عدد المصطلحات المكونة من المضاف والمضاف إليه اثني عشرة (12) مصطلحا، وهي:

1_ المذهب الكلامي. 7_ حسن الاتباع.

2_ تجاهل العارف. 8_ حسن البيان.

3_ تشابه الأطراف. 9_ حسن الخاتمة.

4_ حسن التضمين. 10_ صحة الأقسام.

5_ حسن الابتداءات 11_ صحة المقابلات.

6_ حسن النسق. 12_ براعة التلخيص.

ويلحظ على هذا النوع من المصطلحات تكرار المضاف واختلاف المضاف إليه، فمثلا كلمة (حسن) وردت مضافة إلى ست (06) كلمات، وكلمة (صحة) وردت مضافة إلى كلمتين (02).

ب_ المصطلحات المقيدة بمتعلق:

وهي المصطلحات المكونة من كلمتين الثانية منهما مجرورة بالباء، أو اللام، وهذا النوع من المصطلحات نادر في كتاب "تحرير التحبير"، حيث ذكر المؤلف مصطلحا واحدا لا غير، هو: القول بالموجب.

ج_ المصطلحات المتعاطفة:

ونقصد بها المصطلحات التي يجتمع فيها كلمتان إحداهما معطوفة على الأخرى، وقد بلغ ما يندرج تحت هذا النوع سبعة (07) مصطلحات، ويتميز هذا النوع عن غيره من نوات الكلمتين بأنه يتكون من مصطلحين في آن واحد قرنا معا.

فمنها ما جاء متقابلا، وهي:

1_ السلب والإيجاب.

2_ الطاعة والعصيان.

ومنها من غير المتقابل ما يكون مترادفا، وهي:

1_ الإرداف والتتبع.

2_ الاستدراك والرجوع.

3_ الإلغاز والتعمية.

4_ التهذيب والتأديب.

ومنها من غير المترادف: وهي: الحيدة والانتقال.

03_ المصطلحات المكونة من أكثر من كلمتين:

بلغ عدد المصطلحات المكونة من أكثر من كلمتين ستة عشر (16) مصطلحا من مجموع مائة وخمسة وعشرين (125)، وهي تمثل ما نسبته (12.8%)، وهي تتوزع على النحو الآتي:

_ خمسة (05) مصطلحات مكونة من ثلاث كلمات، وهو ما يشكل (04.0%)

1_ الإفراط في الصفة.

2_ صحة التفسير والتبيين.

3_ جمع المؤنث والمختلفة.

4_ نفي الشيء بإيجابه.

5_ الإسجال بعد المغالطة.

_ سبعة (07) مصطلحات من ذوات الكلمات الأربع، أي ما نسبته (5.6%)، وهي:

1_ ائتلاف اللفظ مع المعنى.

2_ ائتلاف اللفظ مع الوزن.

3_ ائتلاف المعنى مع الوزن.

4_ حصر الجزئي وإحاطه بالكلي.

5_ رد الأعجاز على الصدور.

6_ سلامة الاختراع من الاتباع.

7_ الهجاء في معرض المدح.

_ مصطلحان من ذوات الخمس كلمات، وهذا يمثل ما نسبته (1.6%) ، وهما:

1_ تأكيد المدح بما يشبه الذم.

2_ الهزل الذي يراد به الجد.

_ مصطلح واحد مكون من ثمان كلمات، أي ما نسبته (0.8%) من مجموع مصطلحات

الكتاب، وهو: ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت.

والحق أن هذه المصطلحات لا تعد مصطلحات بمعنى الكلمة، وإنما هي جمل تصف المفهوم، وقد سبق لنا وأن ذكرنا في التمهيد: أن العلاقة بين المصطلح والمفهوم علاقة رمزية لا وصفية، ولذلك فهو مختصر ومكثف، ومثل هذه الجمل _ إن صح التعبير _ لا يمكن أن تستمر فهي غير قادرة على السيرورة والشيوخ لطولها، وستحسر مع الزمن وتطور المصطلحات.

وسنجد ما تقدم في الجدول الآتي:

النسبة	التواتر	الكلمات المكونة للمصطلح
71.2 %	89	كلمة واحدة
16.8 %	20	كلمتان
04.0 %	05	ثلاث كلمات
05.6 %	07	أربع كلمات
01.6 %	02	خمس كلمات
00.8 %	01	ثمان كلمات

نلاحظ من الجدول السابق أن أكثر مصطلحات الكتاب من ذوات الكلمة الواحدة بنسبة (71.2%)، تليها المصطلحات المكونة من كلمتين بنسبة (16.8%)، بينما كانت نسبة المصطلحات التي تكونت من (3 و 4 و 5 و 8) كلمات ضئيلة نسبياً، وعليه فإن مصطلحات "ابن أبي الإصبع المصري" مصطلحات مؤسسة اصطلاحياً، حيث تكونت من كلمة واحدة أو كلمتين في معظمها.

الفصل الثاني

الدراسة الوصفية للمصطلح في كتاب بديع القرآن

المحور الأول_ تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان منهج المعالجة.

1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان.

2_ بيان منهج المعالجة.

3_ مفهوم مصطلح البديع والتأسيس له بمنظور جديد.

المحور الثاني _ الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب.

المحور الثالث_ أوجه التشابه والاختلاف الاصطلاحي في الكتابين.

المحور الأول_ تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان منهج المعالجة.

1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان.

يقصد به العنوان الرئيسي للكتاب "بديع القرآن"، فهو أول عتبة من عتبات النص، وهو أساسه، منه يبدأ وإليه ينتهي، فحري بنا أن نقف عنده _كما فعلنا مع كتاب تحرير التعبير_ والذي يبدو جلياً أن هذا العنوان يتكون في مظهره اللغوي من الجملة المضافة، فهو بذلك مختصر ودقيق، وعلى الرغم من مظهره اللغوي القصير فإنه يحمل رسالة إبلاغية وجمالية إلى المتلقي بما يخفيه من تشويق.

2_ بيان منهج المعالجة:

بدأ "ابن أبي الإصبع المصري" كلامه بالتعريف بالكتاب، يقول: «كتاب (بديع القرآن) الذي هو تنمة للإعجاز المترجم (ببيان البرهان) أفردته من كتاب هو وظيفة عمري، وثمرة اشتغالي في إبان شببتي، ومباحثي في أوان شيخوختي، مع كل من لقيته من عقلاء العلماء، وأذكياء الفضلاء، ونبلاء البلغاء في علم البيان، وكل من له عناية بتدبر القرآن ونظر ثاقب في نقد جواهر الكلام، ومن له تمييز بين الذهب والشبه من نقود النثر والنظام»¹.

فكتاب "بديع القرآن" هو اختصار لكتاب "تحرير التعبير"، تناول فيه "ابن أبي الإصبع المصري" الألوان البديعية التي عُرفت إلى عصره، والمختصة بالقرآن العزيز، وإن كانت أكثر الشواهد القرآنية التي وظفها في "بديع القرآن" وردت في "تحرير التعبير"، يقول عنه، بعد أن تحدث عن "تحرير التعبير": «وسئلت اختصاره فلم أجد إلى ذلك من سبيل، لارتباط بعضه ببعض، ودعاء الحاجة إلى كل ما فيه، وتعلق معانيه بمعانيه، ورأيت أنني إذا أفردت منه الأبواب المختصة بالقرآن العزيز كان ذلك اختصاراً نافعاً، تتميز فيه بلاغات القرآن وبديعه،

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 3 ، 4 من مقدمة المؤلف.

ويسهل إخراج إعجازه، وطرق إطنابه وإيجازه، وأكون قد أتيت من ذلك بما لم أُسبق إليه، فأفردت الأبواب المختصة بالكتاب العزيز»¹.

تكلم فيه المؤلف عن مائة وتسعة (109) أنواع، تاركا من أنواع "تحرير التحبير" اثنين وعشرين (22) نوعا لم يذكرها. وقد علل عدم ذكر هذه الأنواع، أنها لا تتفق وموضوع "بديع القرآن"، إذ الهزل الذي يراد به الجد والإغراق والغلو والهجاء في معرض المدح والإلغاز والتعمية كل هذه الأنواع لا تليق بالقرآن الكريم الذي جاء منزها عن الفحش، ودستورا للأخلاق، وناشرا للفضيلة، وموضحا، ومبيننا لا مغلقا، فتعالى الله وكلامه عن هذه الأنواع علوا كبيرا. وإنما توجد هذه الأنواع في كلام البشر لا في كلام خالقهم².

وقد وضّح المؤلف في كتابه "تحرير التحبير" أن هذه الأنواع لا توجد في كلام البشر إلا مقرونة بما يخرجها من باب الاستحالة ويدخلها في باب الإمكان .

تكلم المؤلف عن أنواع بديعية في كتاب "بديع القرآن"، ولم يتكلم عنها في كتاب "تحرير التحبير" وهذه الأنواع منها ما هو من الفروع، ومنها ما هو من الجديد، كما هي موضحة في الجدول الآتي:

الصفحة	المصطلحات الجديدة	الصفحة	المصطلحات الفروع
313	التفريق والجمع	123	التأليف
321	الرمز والإيماء	154	التفصيل
238	التنظير	226	الإلجاء
305	الزيادة التي تقيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا أو تمييزا لمدلوله عن غيره		

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 91 من مقدمة المحقق.
² - ينظر: المصدر نفسه: ص 92 ، 93. من مقدمة المحقق.

وهذه الأنواع التي ذكرها في " بديع القرآن" ولم يذكرها في "تحرير التحبير" ليست مستحيلة الوقوع في كلام البشر، ولكنها وجدت في كلامهم.

لقد قسم المؤلف كتاب "بديع القرآن" إلى أقسام ثلاثة: تحدث في القسم الأول منه عن الألوان الأصول، وفي القسم الثاني عن الألوان الفروع، وخص القسم الثالث للألوان التي اخترعها أو ابتدعها.

وكما سبق لنا أن وضحنا فإن البديع عنده واسع الدلالة، فهو يطلقه على علوم البلاغة جميعها_ المعاني، والبيان، والبديع _، وقد اتبع في هذا: "ابن المعتز"، و"أبا هلال العسكري"، و"أسامة بن منقذ"، وعلى الرغم من هذا الاتباع فإنه انماز منهم بأن لم يقصر مصطلح البديع على خمسة ألوان كما فعل "ابن المعتز"، ولم يُخرج التشبيه من دائرة علم البديع كما فعل "أبو هلال العسكري".

لقد اعتمد "ابن أبي الإصبع المصري" في ترتيبه للألوان البديعية على الترتيب نفسه الذي اتخذه في كتاب "تحرير التحبير" _ عدا ما أضاف أو أسقط من الألوان البديعية _، فقد وضع الاستعارة والتشبيه والكناية قبل المجاز لا بعده، كذلك فقد قدم الاستعارة على التشبيه.

كذلك كان حرص المؤلف عند ذكر أي مصطلح أن يعرفه تعريفا اصطلاحيا متفقا مع مسماه ونادرا جدا ما يتعرض للمعنى اللغوي، وهكذا جاء تحديده للمعنى اللغوي في "بديع القرآن" منصبا على نوعين من مجموع الأنواع المذكورة فيه، وهي: التسميط، والمجاز.

قال في تعريف التسميط لغة: «واشتقاقه من السَّط الذي هو خيط العقد، لتتزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حبِّ العقد، وقافية البيت أو سجة النثر أوفاصلة الآية بمنزلة السَّط الذي يجمع حبَّ العقد ويربطه»¹.

وعرف المجاز بقوله: «والمجاز خلاف الحقيقة، والحقيقة فعيلة بمعنى مفعولة من أحق الأمر يحقُّه إذا أثبتته أو من حققته إذا كنت على يقين، وإنما سمي خلاف المجاز بذلك لأنه شيء مثبت معلوم بالدلالة، والمجاز مفعول من جاز الشيء يجوزُه، إذا تعداه، فإذا عدل

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص101.

باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وصف بأنه مجاز، على أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وضع فيه أولاً»¹.

ومع ذلك فتوجد بعض المصطلحات لم يعرفها لا تعريفا اصطلاحيا ولا لغويا، مثلما فعل في أبواب كثيرة، منها:

_ الاستطراد².

_ تأكيد المدح بما يشبه الذم³.

_ عتاب المرء نفسه⁴.

_ الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة⁵.

وبعد تعريف المصطلح يبدأ في سرد الشواهد التي من المفروض أن تكون جميعا من القرآن الكريم، ذلك أنه أخذ على نفسه عهدا ألا يستشهد فيه إلا بالآيات القرآنية، ولكنه خالف عهده ونقض شرطه في كثير من الأبواب، منها: باب "القسم"، وباب "جمع المؤنث والمختلفة" وباب "حسن الاتباع"، وقد التمس لنفسه العذر وبيّن السبب لما قام به، وهو التقديم للآية بشيء من الشعر هذا من جهة، من جهة ثانية أنه كان مضطرا لذكر الشواهد الشعرية ليقارن بينها وبين الآيات القرآنية ليكشف عن بلاغة القرآن وحسن بديعه، وهذا ما ذكره في باب "الموازنة"، فبعد إيراده لبيت السموءل (الطويل) ⁶ :

وننكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

يعلق بقوله: « فإنك إذا وازنته بقول الله سبحانه: ﴿ لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ﴾ {سورة الأنبياء، الآية 23}، تبيّن لك ما بين الكلامين من الفرق، وأمثال هذا الباب كثيرة، وهذا أحد وجوه الإعجاز وهو قياس القرآن بكل ما هو معجز من الكلام»⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص175.

2 - المصدر نفسه: ص49.

3 - المصدر نفسه: ص49.

4 - المصدر نفسه: ص63.

5 - المصدر نفسه: ص305.

6 - عروة بن الورد والسموأل: الديوانين، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1982م، ص 91.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص96.

كما أن حبه للأدب ونزعه الفنية كانا وراء استطراده وإيراده الأشعار، أو قيامه بنظمها ليتمثل بها، قال في باب "القسم": «وما أحسن قول من قال في معنى التقريب إلى المحبوب وخب قلبه بالتلطف؛(الطويل):

يودّ بأن يمسي عليلاً لعلها إذا سمعت شكواه يوماً ترأسله
ويهتّر للمعروف في طلب العلا لتُحمد يوماً عند ليلى شمائله

وما ذكرت هذين البيتين في هذا الكتاب مع ما التزمت أني لا أذكر من الشعر إلا ما تمس الحاجة إلى ذكره ضرورة إلا لشغفي بهما، ومن شغفي بهما عملت في معاهما»¹، على الرغم من حكمه على أبياته بالتقصير، قائلاً: (الطويل)² :

أجودُ لعلمي أنّ جودي يسرُّها لتحمدني وهي الحقيقة بالحمد
تبيّنتُ منها أنها تعشق النوى فأبديتُ من عشق النوى فوق ما عندي
وأهوى النوى لا عن ملال لعلها تقول تراه كيف حالته بعدي

وإذا نظرنا إلى الكتاب نظرة فاحصة، وجدنا المؤلف يستشهد بالأشعار إلى جانب القرآن الكريم في أبواب بلغ عددها أربعة وأربعين (44) باباً، هي على كثرتها كالآتي:

1_ الاستعارة	12_ الإيجاز	23_ المجاز	34_ القول بالموجب
2_ التشبيه	13_ تشابه الأطراف	24_ النوارد	35_ التشكيك
3_ صحة الأقسام	14_ التوأم	25_ التنظير	36_ الحيدة والانتقال
4_ المساواة	15_ التخيير	26_ التدبيح	37_ الفرائد
5_ التمثيل	16_ الانفصال	27_ الاستقصاء	38_ الاقتدار
6_ المواربة	17_ المماثلة	28_ الافتتان	39_ النزاهة
7_ الموازنة	18_ التسجيع	29_ المناقضة	40_ الإبهام
8_ التسميط	19_ الطاعة والعصيان	30_ الرمز والإيماء	41_ الإفراط في الصفة
9_ التوهيم	20_ القسم	31_ المراجعة	42_ الاسجال بعد

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص114.

² - المصدر نفسه: ص 114 ، 115..

المغالطة			
43_حصر الجزئي وإحاقه بالكلي	32_إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء	21_جمع المؤنث والمختلفة	10_الاتساع
44_حسن الخاتمة	33_الإبهام	22_التذييل	11_حسن الاتباع

وكما استشهد بالأشعار استشهد كذلك ببعض الأحاديث النبوية الشريفة، وكان ذلك في

ثمانية (08) أبواب، هي كآتي:

5_البسط	1_حسن التضمين
6_التلفيف	2_صحة الأقسام
7_الإيضاح	3_الاستقصاء
8_إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء	4_نفي الشيء بإيجابه

واستشهد بقولين "لأبي بكر الصديق" _ رضي الله عنه:

_الأول: في باب "التدبيج" ¹ .

_والثاني: في باب "الإيضاح" ² .

واستشهد بقول لعائشة أم المؤمنين _ رضي الله عنها _ في باب "التلفيف" ³ .

كما استشهد بقولين للإمام علي _ كرم الله وجهه _ في:

_ باب "صحة الأقسام" ⁴ .

_ وباب "حسن الخاتمة" ⁵ .

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص244.

² - المصدر نفسه: ص277.

³ - المصدر نفسه: ص121.

⁴ - المصدر نفسه: ص72.

⁵ - المصدر نفسه: ص343.

وبعض أقوال العرب الفصحاء في:

_ باب "المساواة" ¹ .

_ باب "التوهيم" ² .

_ وباب "الإيجاز" ³ .

والملاحظ على "ابن أبي الإصبع المصري" أنه لم يحقق توازنا بين أبواب الكتاب، فقد غزرت الشواهد في أبواب وندرت في أبواب أخرى، فمن الأبواب التي غزرت فيها الشواهد، كما يظهر في الجدول الآتي:

الشاهد المصطلح	الآيات القرآنية	الأحاديث النبوية	الأبيات الشعرية	الأقوال	المجموع
الإيضاح	36	01	00	01	38
الإيجاز	25	00	05	01	31
الاستعارة	20	00	04	00	24

أما الأبواب التي ندرت فيها الشواهد، واقتصر المؤلف فيها على الشاهد الواحد، وكان هذا الشاهد من القرآن الكريم، ففي ثلاثة أبواب، هي:

_ باب "الاستطراد" ⁴ .

_ باب "تأكيد المدح بما يشبه الذم" ⁵ .

_ باب "الاستخدام" ⁶ .

ولم يكتف المؤلف بإيراد هذه الشواهد، بل قام بتحليلها وشرحها للكشف عن بلاغتها، وقد ظهرت براعته في معظم الآيات القرآنية _ إن لم نقل كلها _ .

لقد كان المؤلف يستشهد بآياته في أكثر من باب بعد أن يستغرقها في الباب الواحد، وقد تحدث عن ذلك في باب "التهذيب" عندما استشهد بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص79.

² - المصدر نفسه: ص136.

³ - المصدر نفسه: ص196.

⁴ - المصدر نفسه: ص49.

⁵ - المصدر نفسه: ص50.

⁶ - المصدر نفسه: ص104.

فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴿سورة هود، الآية 113﴾، قائلاً: «إن كانت قد تقدّمت هذه الآية وتقدّم الكلام عليها، ولا نكير على الإتيان بالآية الواحدة في أبواب عدّة بحسب ما يكون فيها من أنواع البديع وأصناف المحاسن»¹. ومن ذلك أيضاً، تكراره لقوله تعالى: ﴿أَصْلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ ﴿سورة هود، الآية 87﴾ في باب "تجاهل العارف"، وباب "انتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام"، والأمثلة على ذلك كثيرة.

كما كان يكتفي من الشاهد بموضع الاستشهاد، فيأتي بالكلمتين والثلاث من الآية القرآنية، والشطر من البيت الشعري، فقد استشهد في باب "الإشارة" بقوله سبحانه: ﴿وَغِيَضَ الْمَاءُ﴾ ﴿سورة هود، الآية 44﴾، واستشهد في باب "الإرداف" بقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ ﴿سورة هود، الآية 44﴾، واستشهد في باب "التمثيل" بقوله عز وجل: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ ﴿سورة هود، الآية 44﴾، واستشهد في باب "الاحتباس" بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ ﴿سورة هود، الآية 44﴾ وغيرها كثير ولا يمكن إحصاؤه، أما الشواهد الشعرية التي اكتفى بشطر منها ولم يتمم البيت فقد أورد ثلاثة شواهد في ثلاثة أبواب، هي كالاتي:

الصفحة	الشاهد	الباب
55	فأنت غيث الورى لازلت رحمانا	الإفراط في الصفة
60	فإنما هي إقبال وإدبار	التشبيه
322	واختار أذراعه كيما يسب بها	الرمز والإيماء

كما ذكر شواهد من شعره، وظفها في دراسته للبديع، حيث أورد ثلاثة شواهد شعرية في ثلاثة أبواب من الكتاب، هي كالاتي:

_ باب القسم².

_ باب الاقتدار³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص162.
² - المصدر نفسه: ص114.
³ - المصدر نفسه: ص291.

باب الافتتان¹.

وكما سبق أن قلنا في كتاب "تحرير التحبير" أن الشواهد التي استشهد بها "ابن أبي الإصبع المصري" كانت مما هو معروف ومتداول بين النقاد، ومنها ما ذكره أول مرة، وكان ينسب كل شاهد إلى قائله، ويجمع بين الآية والحديث الشريف والشعر وأقوال العرب في الباب الواحد.

وقد اهتم بالمصطلح النقدي والبلاغي، فدرسه بأسلوب علمي يعتمد على الدقة في البحث والاستقصاء، والأسلوب الأدبي الذي يعتمد على الذوق الفني، حيث فرّق بين باب وآخر يقترب منه أو يلتبس به ، وهذه الأبواب - التي فرّق بينها - هي:

_ التعطف والترديد² .

_ المناسبة والملاءمة³ .

_ التذليل والتكميل⁴ .

_ الإيجاز والمساواة⁵ .

_ التخيير وحسن النسق ، ثم بين التخيير والتوشيح ، وثالثة بين التخيير والتصدير⁶ .

_ التمزيج والتكميل والافتتان والتعليق والإدماج⁷ .

_ الاستقصاء والتكميل والتتميم⁸ .

_ التهكم والهزل الذي يراد به الجد⁹ .

_ التندير والتهكم والهزل الذي يراد به الجد¹⁰ .

_ الإبهام والاشترار المعيب¹¹ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص299.

2 - المصدر نفسه: ص97.

3 - المصدر نفسه: ص146.

4 - المصدر نفسه: ص155.

5 - المصدر نفسه: ص181، 182.

6 - المصدر نفسه: ص237، 238.

7 - المصدر نفسه: ص246، 247.

8 - المصدر نفسه: ص251.

9 - المصدر نفسه: ص284.

10 - المصدر نفسه: ص285.

11 - المصدر نفسه: ص306.

_ القول بالموجب وبين التعطف ¹ .

_ المقارنة وبين الإبداع والاستعانة، ثم بين المقارنة وبين التعليق والإدماج ² .

_ الرمز والإيماء وبين الإلغاز ³ .

_ المناقضة وبين نفي الشيء بإيجابه ⁴ .

_ الانفصال والإيضاح ⁵ .

وعليه، فإن هذا التفريع في الألوان البديعية، والتفريق بين أنواع مقاربة جدا، وتخصيص كل نوع بباب مستقل، مردّه إلى أن "ابن أبي الإصبع المصري" يرى أن بعض المصطلحات البلاغية والنقدية قد تطلق لمجرد رشاقتها وليس لتخزل مفهوما معينا ⁶ .

3_ مفهوم مصطلح البديع في الكتاب والتأسيس له بمنظور جديد:

لكلمة "بديع" في اللغة معان عدّة مقاربة، هي: المُحدث، والعجيب، والجديد، والمخترع الذي ينشأ على غير مثال سابق، جاء في لسان العرب: «بَدَعَ الشيء يَبْدَعُهُ بَدْعًا وَابْتَدَعَهُ: أَنشأه وابدأه. وبدع الركبة: استتبطها وأحدثها. وركب بديع: حديثه الحفر. والبديع والبِدْعُ: الشيء الذي يكون أولاً. والبدعة: الحدث وكل مُحدثه. والبديع: المُحدث العجيب. وأبدعت الشيء: اخترعته لا على مثال. وسقاء بديع: جديد. فبديع فاعل بمعنى فاعل، مثل قدير بمعنى قادر، وهو صفة من صفات الله تعالى لأنه بدأ الخلق على ما أراد على غير مثال تقدمه» ⁷ .

وقد وردت كلمة "بديع" ومشتقاتها في القرآن الكريم بمعان متشابهة للمعاني اللغوية، من ذلك: قوله عز وجل: ﴿قُلْ مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ﴾ {سورة الأحقاف، الآية 9}؛ أي ما كنت أول مرسل، أو لست مبتدعا من عندي ما أدعو إليه، بل جنئت بما جاءوا به ⁸ .

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص315.

² - المصدر نفسه: ص320، 321.

³ - المصدر نفسه: ص321.

⁴ - المصدر نفسه: ص324.

⁵ - المصدر نفسه: ص339.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه: ص110.

⁷ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (بدع).

⁸ - ينظر: عبد السلام محمد هارون: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، ط2، 1989م، ج1، مادة (بدع).

أما إذا استعملت كلمة بديع مع الله تعالى فهي الإيجاد والإنشاء والاختراع على غير مثال سابق، في قوله تعالى: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [سورة البقرة، الآية 117]، وفي قوله: ﴿بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [سورة الأنعام، الآية 101].

كما وردت كلمة "بديع" في الحديث الشريف، والشعر الجاهلي، وشعر المخضرمين بالمعاني نفسها¹، بمعنى أنها كانت معروفة ومتداولة بهذه المعاني اللغوية (الحديث والجديد، والعجيب، والمخترع على غير مثال سابق).

أما عن مفهوم "البديع" في الاصطلاح، فقد آثرنا أن نتتبع ذلك في التراث النقدي والبلاغي عند العرب وصولاً إلى "ابن أبي الإصبع المصري"، وكما سبق أن ذكرنا أن كلمة "بديع" كانت متداولة بمعناها اللغوي: «من هنا فهم البلاغيون القدماء مصطلح البديع، على أنه درجة خاصة من التميز يظفر بها الفنان المطبوع، لذا نراهم يُوسَّعون دائرته تارة ويجعلونها مرادفة للبلاغة، وأخرى يضيقونها ويجعلونها خاصة بالتفرد في فنون بعينها»².

لقد قسم بعض الباحثين المراحل التي مر بها مصطلح "البديع" إلى مرحلتين، وهما مرحلة ما قبل القرن السابع الهجري ومرحلة ما بعده³.

ففي المرحلة الأولى كان البديع يستخدم بمعناه اللغوي، وكان يطلق على فنون البلاغة ومسائلها: البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة، فكان بذلك يرد مرادفاً لتلك المعاني⁴.

ولعل "الجاحظ" (ت255هـ) من أوائل العلماء الذين وردت عندهم كلمة "البديع"، فقد ذكر أن الرواة هم أول من أطلق اسم "البديع" على الجديد والطريف من القول، يقول: «ومن الخطباء الشعراء ممن كان يجمع الخطابة والشعر الجيد والرسائل الفاخرة مع البيان الحسن:

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص8 من مقدمة المحقق. وينظر: ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، تقديم وتحقيق محمد ناجي بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1، 2008م، المجلد1، ص72 من مقدمة المؤلف.
² - منير سلطان: البديع تأسيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د ط)، 1986م، ص11.
³ - ينظر: بسبوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2، 2004م، ص10. وينظر: منير سلطان: البديع تأسيل وتجديد، ص12. وينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، 1998م، ص13.
⁴ - ينظر: بسبوني عبد الفتاح فيود: علم البديع، ص10.

كلثوم بن عمرو العتابي(ت220هـ)، وكنيته أبو عمرو، وعلى ألفاظه وحذوه ومثاله في البديع يقول جميع من يتكلف مثل ذلك من شعراء المولدين، كنحو منصور النمري(ت192هـ)، ومسلم بن الوليد الأنصاري(ت208هـ) وأشباههما. وكان العتابي يحتذي حذو بشار(ت167هـ) في البديع، ولم يكن في المولدين أصوب بديعا من بشار، وابن هرمة(ت150هـ)»¹.

ويذكر "الجاحظ" النوع البلاغي الذي أطلق عليه لفظ "البديع" في تعقيبه على قول "الأشهب بن رميلة":

هُمُ سَاعِدُ الدَّهْرِ الَّذِي يَتَّقَى بِهِ وَمَا خَيْرُ كَفٍ لَا تَنْوُءُ بِسَاعِدِ

قال: «قوله "هم ساعد الدهر"، إنما هو مثل، وهذا الذي تسميه الرواة "البديع"»².

فالجاحظ يوجه مصطلح "البديع" في هذا المثال إلى المثل، والذي يعني من خلال الشاهد السابق "الاستعارة"³، وعليه فإن "الجاحظ" استخدم البديع بمعناه الواسع. ولعل كثرة البديع وفنونه وتميزه في هذا العصر جعلت "الجاحظ" يفاخر به غير العرب، حيث يقول: «البديع مقصور على العرب، ومن أجله فاقت لغتهم كل لغة، وأريت على كل لسان»⁴.

ويُعد ابن المعتز(ت296هـ) أول من أَلَّفَ في البديع كتابا سماه "البديع"، وقد بين فيه الدوافع التي من أجلها ألفه، في قوله: «قد قدمنا في أبواب كتابنا هذا بعض ما وجدنا في القرآن واللغة وأحاديث رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلام الصحابة والأعراب وغيرهم وأشعار المتقدمين من الكلام الذي سماه المحدثون البديع ليُعلم أن بشارا ومسلما وأبا نواس ومن تقلبهم وسلك سبيلهم لم يسبقوا إلى هذا الفن، ولكنه كثر في أشعارهم فعُرف في زمانهم حتى سُمِيَ بهذا الاسم فأعرب عنه ودلَّ عليه»⁵.

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص51.

² - المصدر نفسه، ج4، ص55.

³ - بنظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص14.

⁴ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج4، ص55، 56.

⁵ - ابن المعتز: البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس إغناطيوس كراتشوفسكي، دار المسيرة، بيروت، ط3، 1982م، ص1.

ثم عرّف البديع بقوله: « البديع اسم موضوع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم فأما العلماء باللغة والشعر فلا يعرفون هذا الاسم ولا يدرون ما هو»¹ ، فالبديع عنده واسع الدلالة، حيث أدخل فيه معظم فنون البلاغة.

وقد حدده في خمسة فنون، هي: الاستعارة، والتجنيس، والمطابقة، ورد أعجاز الكلام على ما تقدمها، والمذهب الكلامي. ثم ذكر بعض محاسن الكلام، وعدّها منها ثلاثة عشر نوعاً، هي: الالتفات، والاعتراض، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتجاهل العارف، والهزل الذي يراد به الجد، وحسن التضمين، والتعريض، والكنائية، والإفراط في الصفة، وحسن التشبيه، وإعانت الشاعر نفسه، وحسن الابتداء² .

لقد كان "ابن المعتز" يرى أن فنون البديع الخمسة هي المحك الذي يكشف عن أصالة الشاعر، وأن محاسن الكلام أقل درجة منها، وبالضبط هي الدرجة السائدة من الجودة، والتي لا تشهد بتميز أو ابتكار³ .

ثم فتح الباب واسعاً لإضافة أنواع جديدة من البديع إلى ما قدمه، في قوله: « فمن أحب أن يقتدي بنا ويقتصر بالبديع على تلك الخمسة فليفلح، ومن أضاف من هذه المحاسن أو غيرها شيئاً إلى البديع ولم يأت غير رأينا فله اختياره»⁴ .

ولقد تأثر "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) في كتابه "نقد الشعر" بسابقيه ولا سيما "ابن المعتز" في كتابه "البديع"، حيث أضاف أنواعاً جديدة إلى تلك التي جاء بها "ابن المعتز"، فذكر ثلاثة عشر نوعاً، وإن لم يسقها مساقه تحت عنوان البديع، فكتاب "قدامة بن جعفر" كان في نقد الشعر بكل خصائصه، فجاء تعرضه فيه للبديع كعنصر من العناصر التي منها تألف منهجه في نقد الشعر.

ويتسع مفهوم "البديع" عند "أبي هلال العسكري" (ت395هـ) ، حيث عقد له باباً مستقلاً في كتابه "الصناعتين" هو الباب التاسع، وجعل للبديع خمسة وثلاثين فصلاً جمع فيه أنواعاً

1 - ابن المعتز: البديع، ص58.

2 - المصدر نفسه: ص2 وما بعدها.

3 - ينظر: منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ص14.

4 - ابن المعتز، البديع، ص58.

بلاغية كثيرة له فيها ستة أنواع ، كما أورد أنواعا أخرى بلغ عددها ثمانية لم يجر ذكرها "عند قدامة" ولا عند "ابن المعتز" وإنما جمعها من السابقين عليهما، فالبديع عنده «مختلف الصور البيانية كالاستعارة والمجاز والمطابقة والتجنيس»¹، وعلى هذا يكون "العسكري" قد فهم البديع بمعناه الواسع، فجاء مرادفا لمفهوم البلاغة، حيث يقول: «فهذه أنواع البديع التي ادعى من لاروية له ولا دراية عنده أن المحدثين ابتكروها، وأن القدماء لم يعرفوها؛ وذلك لما أراد أن يفخم أمر المحدثين؛ لأن هذا النوع من الكلام إذا سلم من التكلف وبرئ من العيوب، كان في غاية الحسن، ونهاية الجودة»².

كما نجد هذا الاتساع في مفهوم البديع عند "الباقلاني" (ت403هـ)، فقد أطلق على فنون البلاغة اسم البديع، حيث عقد فصلا في كتابه "إعجاز القرآن" ذكر فيه خمسة وثلاثين فنا بلاغيا، يقول: «ووجوه البديع كثيرة جدا، فاقصرنا على بعضها، ونبهنا بذلك على ما لم نذكر كراهة التطويل، فليس الغرض ذكر جميع أبواب البديع»³.

ويستمر "البديع" في الاتساع عند "ابن رشيق" (ت456هـ) في كتابه "العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده"، على الرغم من أنه فصل بين البديع والبلاغة التي أورد لها تعاريف عدة جمعها من كتب الجاحظ، والرماني، وعبد الكريم النهشلي وغيرهم⁴، فعرفها بأنها: «وضع الكلام موضعه من طول أو إيجاز، مع حسن العبارة»⁵.

كما أفرد بابا خاصا للمبادئ والمخارج والنهايات، وأفرد كذلك بابا للإيجاز، ولهذا قال محقق كتاب "بديع القرآن" بأنه: «بداية التحول في التفرقة بين الأنواع المتصلة بأصل المعنى، والأنواع التي تعد محسنا زائدا على أصل الكلام»⁶.

ثم أفرد بابا للبديع بعنوان "المخترع والبديع"، يقول فيه: «المخترع من الشعر هو: مالم يُسبق إليه قائله، ولا عمل أحد من الشعراء قبله نظيره أو ما يقرب منه...وأما البديع فهو

1 - أحمد مطلوب: فنون بلاغية البيان - البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975م، ص201.

2 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص267.

3 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص161.

4 - ينظر: منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ص16.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص249، 250.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص23 من مقدمة المحقق.

الجديد، وأصله في الحبال، وذلك أن يفتل الحبل جديدا ليس من قُوى حبل نقضت ثم فتلت فتلا آخر»¹.

وقد حاول أن يفرق بين الاختراع والإبداع، في قوله: «والفرق بين الاختراع والإبداع _ وإن كان معناه في العربية واحدا _ أن الاختراع: خلق المعاني التي لم يُسبق إليها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والإبداع إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق»².

يُفهم من هذا النص أن "ابن رشيق" قد خص البديع باللفظ والمخترع بالمعنى. ثم قال بأن ضروب البديع متشعبة وأنواعه مختلفة ولن يذكر منها إلا « ما وسعته القدرة وساعدت فيه الفكرة»³.

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ)، فقد نظر هو الآخر إلى البديع نظرة عامة، حيث أطلقه على بعض فنون البلاغة، من مثل: الاستعارة، والتشبيه، والتمثيل، وعلى ألوان من البديع، من مثل: التجنيس، والسجع، وحسن التعليل، والتطبيق، والمبالغة، مبرزا حسنها الذي يأتيها من جهة المعنى، يقول: «وأما التطبيق والاستعارة وسائر أقسام البديع فلا شبهة أن الحُسن والفُبح لا يعترض الكلام بهما إلا من جهة المعاني خاصة»⁴.

وعلى هذا كانت الاستعارة بديعا عند "عبد القاهر الجرجاني"، وعنده أن البديع لا يكون مقبولا أو حسنا إلا إذا كان طيِّعا طلبه المعنى ولم يسع المعنى إليه، ولم يتكلفه المتكلم، يقول: «وعلى الجملة فإنك لا تجد تجنيسا مقبولا، ولا سجعا حسنا، حتى يكون المعنى هو الذي طلبه واستدعاه وساق نحوه، وحتى تجده لا تتبغى به بدلا، ولا تجد عنه حولا، ومن

1 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص 262 ، 265.

2 - المصدر نفسه: ج2، ص265.

3 - المصدر نفسه، ج2، ص265.

4 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص20.

هنا كان أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهب لطلبه...»¹ .

ويتسع مفهوم "البديع" اتساعا ملحوظا عند "أسامة بن منقذ" (ت584هـ) في كتابه "البديع في نقد الشعر"، فأطلقه على خمسة وتسعين نوعا من فنون البلاغة فضلا عن بعض قضايا الشعر ومحاسنه وعيوبه وفنونه² ، وقد وصف "ابن أبي الإصبع المصري" هذا الصنيع في قوله: «وإذا وصلت إلى بديع ابن منقذ وصلت إلى الخبط والفساد العظيم، والجمع من أشتات الخطأ وأنواعه من التوارد والتداخل، وضم غير البديع والمحاسن، كأنواع من العيوب، وأصناف من السرقات...»³ .

وإذا وصلنا إلى القرن السابع الهجري _المرحلة الثانية في رحلة البديع _ نجد "السكاكي" (ت626هـ) قد أدخل البلاغة في مرحلة جديدة، أو لعله كما قال عنه محقق كتابي "تحرير التحرير وبديع القرآن": «أول من حاول في وضوح أن يفصل بين هذه البحوث البديعية، وأن يتقدم بها خطوة لتتوزع على علوم البلاغة العربية (المعاني، والبيان والبديع)»⁴ ، وذلك في كتابه "مفتاح العلوم" الذي قسمه ثلاثة أقسام: جعل القسم الأول منه لعلم الصرف، وقصر القسم الثاني منه لعلم النحو، أما القسم الثالث فقد خص به علم المعاني والبيان، فقد ذكر بعض فنون البلاغة تحت علم المعاني، وبعض منها تحت علم البيان، ثم ذكر بعض الوجوه التي يصار إليها لقصد تحسين الكلام، قائلا: «وإذ تقرر أن البلاغة بمرجعيتها، وأن الفصاحة بنوعيتها مما يكسو الكلام حلة التزيين، ويرقيه أعلى درجة التحسين، فما هنا وجوه مخصوصة كثيرا ما يصار إليها لقصد تحسين الكلام، فلا علينا أن نشير إلى الأعراف منها، وهي قسمان: قسم يرجع إلى المعنى، وقسم يرجع إلى اللفظ»⁵ .

فالسكاكي إذن لم ينظر إلى البديع كعلم مستقل بذاته، ولذلك لم يعط له اسما، و قسم هذه الوجوه إلى قسمين: معنوية ولفظية.

1 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ، ص11.
2 - ينظر: جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص19.
3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص91 من
4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص29 من مقدمة المحقق.
5 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص422.

والذي لا بد من الإشارة إليه، أنه وضع ضوابط تقوم عليها هذه الوجوه في قوله: «وأصل الحسن في جميع ذلك أن تكون الألفاظ توابع للمعاني، لا أن تكون المعاني لها توابع، أعني أن لا تكون متكلفة»¹، فالتحسين الذي قصده "السكاكي" في هذه الوجوه هو التحسين الذي يأتي عفو خاطر، لا التحسين المتكلف.

وبذلك، فقد خطا "السكاكي" خطوة مهمة أنارت الطريق لمن جاء بعده، فنجد "الخطيب القزويني" (ت739هـ) في كتابه "الإيضاح في علوم البلاغة" يتوقف عند هذه الوجوه ليعطيها اسما يليق بها هو "علم البديع"، وقد عرفه بقوله: «هو علم يعرف به وجوه تحسين الكلام، بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال ووضوح الدلالة»². فأكمل ما قام به "السكاكي"، وبذلك أخذت علوم البلاغة شكلها المعروف إلى يومنا (المعاني، البيان، البديع) واتضحت موضوعاتها.

في حين نجد بعض النقاد والبلاغيين _ في هذا العصر وما بعده _ لا يزالون يستخدمون "البديع" بالاتساع ذاته الذي بلغه في نهايات القرن السادس الهجري عند "أسامة بن منقذ" بل وأكثر، منهم: "ضياء الدين بن الأثير" (ت637هـ) صاحب كتاب "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، و"ابن أبي الإصبع المصري" صاحب "تحرير التحبير" و"بديع القرآن". فأما "ابن الأثير" (ت637هـ) فقد قسم كتابه إلى: مقدمة ومقالتين، المقدمة في علم البيان، والمقالتين: الأولى في الصناعة اللفظية، والثانية في الصناعة المعنوية.

وقد درس الأنواع البديعية باعتبارها جزءا من علم البيان لا علما مستقلا بذاته، ولهذا «نراه يتوسع في مفهوم علم البيان بحيث يشمل مباحث علم المعاني والبديع، مجاريا في ذلك مدرسة الجاحظ التي تعتبر كلمة البيان مرادفة لكلمة البلاغة»³.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد سار في كتابيه المذكورين على خطا سابقه في فهم كلمة "البديع"، حيث «أطلقها على جميع الأنواع الطريفة التي دخلت فيما بعد

¹ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص432.

² - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م، ص255.

³ - عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص45.

في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع)¹ ، وكذلك «ما يتجاوز دائرة البلاغة إلى قضايا الشعر والآداب التي يجب على الشاعر التزامها، مثل: سلامة الاختراع من الاتباع، والطاعة والعصيان، والنزاهة»² ، وقد ذكر ما يربو عن مائة وثلاثين فنا بلاغيا، ولم يعرف البديع ولكنه ذكر فنا له صلة به هو الإبداع وعرفه بقوله: «وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعا أو بديعين بحسب قوة الكلام، وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد، والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع، ولا تخلو لفظة منه من بديع»³ .

أما فيما يخص "بديع القرآن" فقد أطلقها "ابن أبي الإصبع المصري" على ما في القرآن الكريم من البديع ليثبت أسرار الإعجاز فيه.

المحور الثاني _ الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب:

تعددت صياغة المصطلح في كتاب "بديع القرآن" _ مثلما هو الحال في كتاب تحرير التحبير_، فشملت المصطلحات المفردة، والمصطلحات الثنائية التي تفرعت بدورها إلى: المصطلحات المضافة، والموصوفة، والمتعاطفة، والمقيدة بمتعلق، كما شملت المصطلحات المكونة من ثلاث كلمات فأكثر، ووصل الأمر إلى مصطلحات على شكل جمل.

والذي لا بد من ذكره هنا هو أن "ابن أبي الإصبع المصري" تخيّر في هذا الكتاب المصطلحات التي تليق بالقرآن الكريم وترك ما عدا ذلك.

01 _ المصطلحات المفردة:

بلغ عدد المصطلحات المفردة في كتاب "بديع القرآن" خمسة وسبعين (75) مصطلحا من أصل مائة وتسعة (109)، أي ما نسبته (68.80%) من مصطلحات الكتاب.

02 _ المصطلحات الثنائية:

ورد من هذا النوع من المصطلحات في الكتاب واحدا وعشرين مصطلحا (21) من أصل مائة وتسعة (109)، وهذا يمثل ما نسبته (19.26%) من مجموع المصطلحات.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص21 من مقدمة المحقق.
² - جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، ص21.
³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص340.

ويمكننا تصنيفها إلى:

أ_ المصطلحات المضافة:

وقد بلغ عدد المصطلحات المكونة من المضاف والمضاف إليه ثلاثة عشر (13)

مصطلحا، هي كالاتي:

- | | |
|-------------------|-------------------|
| 1_ المذهب الكلامي | 8_ حسن النسق |
| 2_ تجاهل العارف | 9_ براعة التلخيص |
| 3_ حسن التضمين | 10_ حسن الاتباع |
| 4_ حسن الابتداءات | 11_ حسن البيان |
| 5_ صحة الأقسام | 12_ تشابه الأطراف |
| 6_ صحة المقابلات | 13_ حسن الخاتمة |
| 7_ صحة التفسير | |

ب_ المصطلحات المقيدة بمتعلق:

ورد من هذا النوع في كتاب "بديع القرآن" مصطلح واحد ووحيد، هو:

1_ القول بالموجب.

ج_ المصطلحات المتعاطفة:

بلغ ما يندرج تحت هذا النوع سبعة مصطلحات (07)، هي:

- | | |
|----------------------|---------------------|
| 1_ الطاعة والعصيان | 5_ الحيدة والانتقال |
| 2_ العكس والتبديل | 6_ التفريق والجمع |
| 3_ السلب والإيجاب | 7_ الرمز والإيماء |
| 4_ الاستدراك والرجوع | |

03_ المصطلحات المكونة من أكثر من كلمتين:

بلغ ما يندرج تحت هذا النوع (13) ثلاثة عشر مصطلحا، أي ما نسبته (11.92%)

من مجموع مصطلحات الكتاب. موزعة كالاتي:

_ خمسة (05) مصطلحات من ذوات الكلمات الثلاث، هي:

1_ الاسجال بعد المغالطة.

2_ الإفراط في الصفة.

3_ جمع المؤتلفة والمختلفة.

4_ عتاب المرء نفسه.

5_ نفي الشيء بإيجابه.

_ أربعة (04) مصطلحات من ذوات الكلمات الأربع، وهي:

1_ ائتلاف اللفظ مع المعنى.

2_ حصر الجزئي والحاقه بالكلي.

3_ رد الأعجاز على الصدور.

4_ سلامة الاختراع من الاتباع.

_ مصطلح واحد (01) مكون من خمس كلمات (05)، وهو:

1_ تأكيد المدح بما يشبه الذم.

_ مصطلح واحد (01) مكون من سبع كلمات (07)، وهو:

1_ إثبات الشيء للشيء بنفيه عن ذلك الشيء.

_ مصطلح واحد (01) مكون من ثمان كلمات (08)، وهو:

1_ ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام.

_ مصطلح واحد (01) مكون من ثلاث عشرة كلمة (13) ، وهو:

1_ الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا، والمعنى توكيدا أو تمييزا لمدلولة عن غيره،

فهذه جمل تصف المفهوم وليس مصطلحا، فالمصطلح يجب أن يكون مختصرا ودالا.

وسنبين ذلك في الجدول الآتي:

النسبة	التواتر	الكلمات المكونة للمصطلح
% 68.80	75	كلمة واحدة
% 19.26	21	كلمتان
% 04.58	05	ثلاث كلمات
% 03.66	04	أربع كلمات
% 00.91	01	خمس كلمات
% 00.91	01	سبع كلمات
% 00.91	01	ثمان كلمات
% 00.91	01	ثلاث عشرة كلمة

مما سبق نلاحظ أن أكثر مصطلحات الكتاب مكونة من كلمة واحدة (68.80 %) تأتي بعدها المصطلحات المكونة من كلمتين (19.26 %)، أما باقي المصطلحات فقد كانت نسبتها ضئيلة جدا (11.92 %) وهو ما يشير إلى أنه كان يميل إلى تفضيل المصطلحات المفردة، ثم تليها المصطلحات الثنائية، ثم تأتي في الترتيب الأخير سائر المصطلحات. ولو قارنا ما فعله "ابن أبي الإصبع المصري" في تعامله مع المصطلح، وفي نظرتة إليه في علاقتها بعملية التواصل لوجدناه يلتقي مع علماء المصطلح المعاصرين اليوم، في إلحاحهم على توفر هذه الخصائص في صياغة المصطلح وبخاصة في الجانب الذي يتعلق بالإيجاز والإفادة معا.

وفي هذا ما يدل على أن "ابن أبي الإصبع المصري" كان يدرك منذ البداية طبيعة عمله في المصطلح، فلم يكن مجرد ناقل لمعارفه كما هو الحال عند غيره. ولعل أهم شيء كان يضعه نصب عينه ، وهو يؤسس للمصطلح أو لما يقترب من علم المصطلح، أن خصائص الإعجاز القرآني من الأهمية بمكان بحيث يعبر عنها بكلمات

محدودة تفي بالغرض المطلوب. وذلك لتسهيل عملية التلقي والتواصل لنص القرآن الكريم على الوجه الذي يجب أن يكون عليه.

المحور الثالث _ أوجه التشابه وأوجه الاختلاف في الكتابين:

1_ أوجه التشابه:

ذكرنا أن كتاب "بديع القرآن" مستخلص من كتاب "تحرير التحبير" ألفه "ابن أبي الإصبع المصري" لما يختص بالقرآن الكريم من الأنواع البديعية ، فكان اختصارا نافعا تميزت فيه بلاغة القرآن الكريم وبديعه ليسهل من وراء ذلك إخراج إعجازه، فكان بذلك عملا متميزا لم يسبق إليه. وعليه فإن الكتابين يتشابهان في المنهج والصورة العامة.

2 _ أوجه الاختلاف:

يختلف الكتابان _ إلى حد قليل _ في الموضوع، "بديع القرآن" يختص بالأنواع البديعية التي وجدت إلى عصر المؤلف والخاصة بالقرآن الكريم و فقط، أما "تحرير التحبير" فكان جامعا لما في النثر والشعر من الأنواع البديعية.

تكلم المؤلف في "تحرير التحبير" عن مائة وخمسة وعشرين نوعا(125)، وفي "بديع القرآن" عن مائة وتسعة أنواع(109). تاركا من أنواع "تحرير التحبير" اثنين وعشرين(22) نوعا لم يتكلم عنها، وهي كما في الجدول الآتي¹ :

01	الهزل الذي يراد به الجد	09	التوشيع	17	الموارد
02	ائتلاف اللفظ مع الوزن	10	الإغراق	18	الحل
03	ائتلاف المعنى مع الوزن	11	الغلو	19	العقد
04	التجزئة	12	الاشتراك	20	الاتفاق

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص92 ، 93. من مقدمة المحقق.

05	التشطير	13	التفريع	21	الهجاء في معرض المدح
06	الترصيع	14	الإيداع	22	الإلغاز والتعمية
07	التصریح	15	الاستعانة		
08	التطريز	16	المشكلة		

وقد علل عدم ذكر هذه الأنواع في "بديع القرآن" أن منها ما لا يليق بالقرآن الكريم _ كما أسلفنا الذكر _ ، ومنها ما يخص المنظوم دون المنثور، من مثل: انتلاف اللفظ مع الوزن، الترصيع، التصريح التشطير، الحل... وغيرها، ومنها ما لم يجد له أمثلة في القرآن الكريم، كما ذكر أنواعا في "بديع القرآن" لم يذكرها في "تحرير التحبير" _ تم ذكرها في الصفحة السابقة _ تكشفت له وهو يدرس القرآن الكريم.

زيادة على ما تقدم، كان "ابن أبي الإصبع المصري" حرص على أن يذكر نوعين في كتاب "تحرير التحبير" باسمين ثم غير الاسمين في كتاب "بديع القرآن"، وهما: "انتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت" و"التصرف" وسماهما: "انتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام"، و "الاعتدار"، وهذا في رأيه أليق بالقرآن الكريم ، والأكثر من هذا كله، أنه تكلم عن نوع "السلب والإيجاب" في "تحرير التحبير" باسم "نفي الشيء بإيجابه" وفي "بديع القرآن" باسم "إثبات الشيء للشيء بنفيه عن ذلك الشيء"، وتكلم عن "السلب والإيجاب" فيما أخذه عن السابقين¹.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص93 من مقدمة المحقق.

القسم الثاني

الدراسة الدلالية لحقول المصطلح في الكتابين

الباب الأول

الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الإيقاع

تمهيد

_ الفصل الأول: مصطلحات التكرار الصوتي

_ الفصل الثاني: مصطلحات التكرار اللفظي

_ الفصل الثالث: مصطلحات الائتلاف والتناسب

_ الفصل الرابع: مصطلحات التقابل والتضاد

تمهيد:

يعدّ الإيقاع عنصراً من عناصر بناء النص وأحد الآليات التي يتم بواسطتها الكشف عن جمالياته، وهو خاصية تتوفر بدرجة عالية في الشعر، كما تتوفر في النثر كذلك، وقد وجد فيها البلاغيون كما قال "محمد عبد المطلب": «كثيراً من التغير والتساوي والتوازي والتوازن والتكرار، وكلها عناصر إيقاعية»¹.

وهذا ما ذهب إليه "عز الدين إسماعيل" من أن ظواهر الإيقاع محصورة في «النظام والتغير والتساوي والتوازي والتلازم والتكرار»².

ويعتمد الإيقاع عند "ريتشاردز" على التكرار والتوقع فآثاره «تتبع من توقعنا سواء كان ما نتوقع حدوثه يحدث بالفعل أو لا يحدث، وعادة يكون هذا التوقع لا شعورياً، فتتابع المقاطع على نحو خاص سواء كانت هذه المقاطع أصواتاً، أو صوراً للحركات الكلامية يهيء الذهن لتقبل تتابع جديد من هذا النمط دون غيره»³.

ويُعدّ الصوت منبع الإيقاع، فهو اللبنة الأولى في اللغة، ومنه تنبثق الكلمات وتؤلّف الجمل والعبارات لتعبر بعد ذلك عن المفاهيم والدلالات الموجودة في الأذهان.

وبتمثل الإيقاع في اللغة «من حيث هي أصوات ومن حيث هي دلالات»⁴.

يقوم الإيقاع الصوتي على التكرار كبنية أساسية، ويندرج تحته التكرار الصوتي أو تكرار الكلمة كلّها أو جزء منها، كما يدخل فيه التوازن الصوتي وتمائل الأجزاء وتعادلها دون الحروف، وكلها وثيقة الصلة بالدلالة.

أما الإيقاع الدلالي فيتمثل في التضاد والتقابل والتآلف والتناسب بين الألفاظ والمعاني.

1 - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة القاهرة، مصر، ط1، 1994م، ص291.
2 - عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي - عرض وتفسير ومقارنة-، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992م، ص187.
3 - أ. أ. ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة محمد مصطفى بدوي، مراجعة لويس عوض وسهير القلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط1، 2005م، ص185.
4 - عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، ص194.

الفصل الأول

مصطلحات التكرار الصوتي

1_ الازدواج:

الازدواج في اللغة من (زوج)، جاء في اللسان: «ازدوج الكلام وتزواج: أشبه بعضه بعضا في السجع أو الوزن، أو كان لإحدى القضيتين تعلق بالأخرى. والمزوجة والازدواج بمعنى»¹.

وفي الاصطلاح كما قال الكفوي: «هو في البديع تناسب المتجاورين»².

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) في كتابه "البيان والتبيين" بابا سماه "من مزدوج الكلام"، ولكنه لم يعرفه، ولكن الأمثلة التي ذكرها تشير إلى أن الازدواج عنده يعني التعادل بين الجمل مع السجع. كقوله _صلى الله عليه وسلم_ في معاوية: «اللهم علمه الكتاب والحساب، وقه العذاب»³.

وعدّ "الرماني" (ت386هـ) الازدواج نوعا من الجناس، فقال: والتجانس على وجهين هما: مزوجة ومناسبة، فالمزوجة تقع في الجزء كقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ {سورة البقرة، الآية194}، والمناسبة تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد، فمن ذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ {سورة التوبة، الآية127}، فجونس بالانصراف عن الذكر، صرف القلب عن الخير⁴.

وجمع "العسكري" (ت395هـ) الازدواج والسجع في باب واحد، وقال: «لا يحسن منثور الكلام ولا يخلو حتى يكون مزدوجا، ولا تكاد تجدُ لبليغ كلاما يخلو من الازدواج»⁵، ولم يفرق بين المصطلحين، فالازدواج عنده مرتبط بالسجع، أو التوازن بين العبارتين اللتين تأتيان مسجوعتين أحيانا، وغير مسجوعتين أحيانا أخرى، كما تحدث عن عيوب الازدواج⁶.

وقرن "الخفاجي" (ت466هـ) كذلك السجع بالازدواج، وقسم الفواصل إلى ضربين: «ضرب يكون سجعا، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع، وضرب لا يكون سجعا، وهو ما تقاربت

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (زوج).

2 - الكفوي: الكليات، ص82.

3 - بنظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص116.

4 - بنظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص 99، 100.

5 - العسكري: الصناعتين، ص260.

6 - المصدر نفسه: ص263، 264.

حروفه في المقاطع ولم تتماثل، ولا يحلو كل واحد من هذين القسمين أعني المتماثل والمتقارب_ من أن يكون يأتي طوعا سهلا وتابعا للمعاني، وبالضد من ذلك، حتى يكون متكلفا يتبعه المعنى، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدال على الفصاحة وحسن البيان، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض»¹، نفهم من كلامه أن الازدواج عنده هو المتقارب بمعنى الذي تقاربت حروفه في المقاطع ولم تتماثل.

وفصل "ابن منقذ" (ت584هـ) الازدواج عن السجع، وقال في تعريفه: «هو أن تزوج بين الكلمات بكلام عذب، وألفاظٍ عذبةٍ حلوة»².

ومثّل له بقوله تعالى: «فَمَنْ اغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَأَعْتَدُوا عَلَيْهِ» {سورة البقرة، الآية194}، وكقول العرب (البسيط)³:

وَمُطْعِمُ النَّصْرِ يَوْمَ النَّصْرِ مُطْعِمُهُ أَنَّى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مَحْرُومٌ

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد خالف أسلافه في مفهوم هذا المصطلح وعقد له بابا منفردا في كتابه "تحرير التخبير"، ولم يذكره في "بديع القرآن" لأنه خاص بالمنظوم من الكلام، وقال في تعريفه: «وهو أن يأتي الشاعر في بيته من أوله إلى آخره بجمل: كل جملة فيها كلمتان مزدوجتان، كل كلمة إما مفردة أو جملة. وأكثر ما يقع هذا النوع في أسماء مثناة مضافة»⁴.

واستشهد عليه بقول أبي تمام (المتقارب)⁵:

وكانا جميعاً شريكَي عِنَانٍ رَضِيعَي لِبَانٍ، خَلِيلِي صَفَاءٍ

ثم ذكر أن من الازدواج «نوع يؤتى فيه بكلمتين صورتها واحدة، ومفهومها واحد»⁶.

ومثّل على هذا النوع بقول ابن الرومي (مجزوء الكامل)⁷:

1 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م، ص172.
2 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (دط)، (د ت)، ص111.
3 - المصدر نفسه: ص112.
4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص452.
5 - أبو تمام: الديوان، شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع فهرسه راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ج2، ص189.
6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص452.
7 - ابن الرومي: الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ج2، ص4.

أبدانهنَّ وما لبسَد
نَ من الحرير معاً حريزُ
أزدأنهنَّ وما مسِسَد
نَ من العبيرِ معاً عبيزُ

وكقول بعض العرب (البيسيط) ¹:

وَمُطْعِمُ النَّصْرِ يَوْمَ النَّصْرِ مُطْعِمُهُ
أَنْى تَوَجَّهَ وَالْمَحْرُومُ مُحْرُومُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على البيت: «فقوله: ومطعم النصر مطعمه،
والمحروم محروم، ازدواج» ².

وقد فرّق بين الازدواج وبين التجنيس المماثل في قوله: «والفرق بينه وبين التجنيس المماثل
اختلاف معنى الكلمتين في التجنيس واتفقهما في الازدواج» ³، فالازدواج عنده غير
التجنيس.

ويبدو أنه لم يُعجبه ما فعله "الرماني" في عدّه الازدواج تجنيساً، وهذا في قوله: «على أن
الرماني قد عدّ الازدواج تجنيساً، وذكر منه قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اَعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا
عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة، الآية 194]، وأفرده غير الرماني باباً، واستشهد عليه بالبيت الثاني من
شواهد هذا الباب وأمثاله بغير ذلك» ⁴. ويقصد بغير "الرماني" "أسامة بن منقذ" الذي أفرّد
للازدواج باباً فصله فيه عن الجنس والسجع.

وذكر "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) أن الازدواج يسمى المزوجة ⁵، ونقل تعريف
"السكاكي" (ت626هـ) ومن تبعه للمزوجة، وهو: «أن يزواج المتكلم بين معنيين في الشرط
والجزاء» ⁶. وهذا ما ذهب إليه الرماني.

والذي يبدو جلياً أن الازدواج أعم من المزوجة، لأنه لا يرتبط بالشرط الذي ذكره الرماني
والسكاكي والحموي ⁷.

¹ - البيت في يدع ابن منقذ غير منسوب. ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص452 من حاشية المحقق. ومطعم النصر: أي معطيه على التشبيه. ومطعمه الثانية على الحقيقة وشبيهه المحروم.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص452.

³ - المصدر نفسه: ص452، 453.

⁴ - المصدر نفسه: ص453.

⁵ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص871.

⁶ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص425.

⁷ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص100.

2_ الالتزام:

الالتزام لغة من (لزم)، فيقال: «لزم الشيء يلزمه لُزماً ولُزوماً ولازمه ملازمةً ولِزاماً، والتزمه وألزمه إياه فالتزمه. ورجُلٌ لُزِمَ: يلزم الشيء فلا يفارقه. والتزم الشيء: أوجبته على نفسه. والالتزام: الاعتناق»¹. هذا هو المعنى اللغوي وهو معنى عام غير محدد بشيء، ومن هذا المعنى العام انتقل إلى الاصطلاح، على سبيل المشابهة، فخصص معناه بإطلاقه على التزام الناثر أو الشاعر في كلامهما قبل حرف الروي أو ما في معناه حرفاً فصاعداً.

ومعناه في لسان علماء البيان كما قال "العلوي": «أن يلتزم الناظم قبل حرف الروي حرفاً مخصوصاً، أو حركة مخصوصة من الحركات قبل حرف الروي أيضاً، وهكذا القول في الرّدْف، فإنه يجعله على حدّ حرف متماثل، وهكذا إذا ورد في النثر يكون على هذه الطريقة، كما سنوضحه بالأمثلة، فحاصل الأمر في لزوم ما لا يلزم، هو أن يلتزم حرفاً مخصوصاً قبل حرف الروي في المنظوم أو حركة مخصوصة، فما هذا حاله إذا التزمه الناثر أو الناظم فهو إعنات لنفسه وكدّ لقريحته، وتوسع في فصاحته وبلاغته، وإن خالفه فلا عيب عليه في ذلك، وكان له في تغييره مندوحة بخلاف ما إذا كان قبل حرف الروي ردفاً وهو الواو والياء، فإن ما هذا حاله لا يجوز تغييره إلى غيره، فلا يقال إنه من باب لزوم ما لا يلزم، بل لازم للناثر والناظم أن يأتي به على حاله»².

واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ، وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ {سورة العاديات، الآيات 6، 7، 8} فحرف الرّدْف ليس من باب لزوم ما لا يلزم، بل هو لازم بكل حال³.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (لزم).

² - العلوي: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط2002، م1، ج2، ص209.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص209.

والالتزام في البلاغة هو الإعانات، ويسمى كذلك: التضيق والتشديد ولزوم ما لا يلزم، وهذا الأخير أكثر استعمالاً في كتب البلاغة، وممن سماه "التزاماً" ابن مالك والمصري والحموي والسيوطي والمدني¹.

وسماه "ابن المعتز" (ت296هـ) الإعانات، قال: «ومن إعانات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له»²، وهو عنده من محاسن الكلام. ومن أمثله عليه قول هريم اليربوعي (الطويل)³:

فإلاً تُحاموني تُصَبِّمُ بَعْرَةً مفارقتي أو تَقْبَسُوا من شَرَارِيَا
إذا صَارَ لوني كل لون وبُدِّلَتْ نضارةٌ وَجْهي مُخَضَّباً باصْفَرَارِيَا

وقد أشار "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) إلى "الالتزام" في حديثه عن القوافي، فقال: «وقد التزم بعض الشعراء في القوافي إعادة ما لا يلزمه طلباً للزيادة في التناسب، والإغراق في التماثل»⁴. ومثل له بقول الحطيئة⁵:

ألاً من لَقَبِ عارمِ النظراتِ يُقَطِّعُ طولَ الليلِ بالزفراتِ
إذا ما الثرياَ أحرَّ الليلِ أَعْتَقَتْ كواكبها كالجَزَعِ منحدراتِ

وقال: فاللزم الراء في جميعها قبل حرف الروي وهي غير لازمة⁶. وذكر "التبريزي" (ت502هـ) الإعانات وقال: «الإعانات هو لزوم ما لا يلزم»⁷. ولكنه لم يعرفه ولم يمثل له بأمثلة توضحه.

وسماه "ابن الأثير" (ت637هـ) لزوم ما لا يلزم، وقال عنه: «هو من أشق هذه الصناعة مذهبا، وأبعدها مسلكا، وذاك أن مؤلفه يلتزم ما لا يلزمه، فإنَّ اللزوم في هذا الموضع وما جرى مجراه إنما هو السجع الذي هو تساوي أجزاء الفواصل من الكلام المنثور في قوافيها،

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص294.

2 - ابن المعتز: البديع، ص74.

3 - المصدر نفسه: ص74.

4 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص179.

5 - الحطيئة: الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط1987، ص1، ص112.

6 - ينظر: ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص179.

7 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، شرح وتعليق محمد أحمد قاسم، المطبعة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، 2004م، ص161.

وهذا فيه زيادة على ذلك، وهو أن تكون الحروف التي قبل الفاصلة حرفا واحدا. وهو في الشعر أن تتساوى الحروف التي قبل رويّ الأبيات الشعرية»¹.

والالتزام من الأبواب التي نسبها "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "للأجدابي" في كتابيه، وهذا في قوله: «هذا آخر أبواب المتقدمين، وقد بقيت أبواب الأجدابي الثلاثة التي أولها: باب الالتزام»².

و"باب الالتزام" ليس من أنواع "الأجدابي" كما ادعى "ابن أبي الإصبع المصري"، ولكن هذا النوع من أنواع "ابن المعتز" وقد سماه "لزوم ما لا يلزم" أو "إعناات المرء نفسه"، وهذا راجع إلى الخطأ الذي وقع فيه عند كلامه على باب "عتاب المرء نفسه"³.

وقد عرفه بقوله: «وهو أن يلتزم الناثر في نثره، أو الشاعر في شعره، قبل رويّ البيت من الشعر حرفا فصاعدا على قدر قوته، وبحسب طاقته، مشروطا بعدم الكلفة»⁴.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" في تعريفه الروي ولم يذكر الفاصلة على الرغم من ذكر النثر والشعر، كما أنه استشهد بشواهد من القرآن والشعر. وقد اشترط عدم التكلف فيه .

فمن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ﴾ {سورة الطور، آيتا1، 2}، فجاءت الطاء قبل واو الردف لازمة، والواو ردا مع جواز تبديلها بالياء⁵.

وقوله عز وجل: ﴿فَلَا أُفْسِمُ بِالْخُنُوسِ، الْجَوَارِي الْكُنُوسِ﴾ {سورة التكوير، آيتا15، 16}، فالتزمت النون قبل السين⁶.

وقوله سبحانه: ﴿وَاللَّيْلِ وَمَا وَسَقَ، وَالْقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ﴾ {سورة الانشقاق، آيتا17، 18}، فلزمت السين قبل القاف⁷.

وكقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ {سورة الضحى، آيتا9، 10}، فالتزم الهاء قبل الراء⁸.

1 - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، ج1، ص281.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص516.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص517.

4 - المصدر نفسه: ص517. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص227.

5 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص517. وص227.

6 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص517. وص227.

7 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص517. وص227.

8 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص517. وص227.

وكقوله عز وجل: ﴿لُنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُوذُنَّ فِي
مِلَّتِنَا﴾ {سورة الأعراف، الآية 88}، فلزمت التاء قبل النون في أمثلة كثيرة من فواصل القرآن
الكريم تعجز الفصحاء أشد تعجيز، لمجيئها سهلة منسجمة¹.

واستشهد عليه من السنة النبوية بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم في حديث أم زرع
في صفة الخادم قولها: «لا تُقَشْ طعامنا تقشيشا، ولا تملأ بيتنا تعشيشا،... ولا تخرج
حديثنا تعشيشا»².

أما عن شواهد الشعرية على الالتزام، فقول امرئ القيس (الطويل)³:

فمَثَلُكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعُ فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمِ مَحَوِلِ
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انصَرَفَتْ لَهُ بِشَقٍّ وَتَحْتِي شِقُّهَا لَمْ يَحْوَلِ

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن المتأخرين قد أكثروا من هذا الباب عن قصد
منهم، أما ما وقع منه لمتقدم فعن غير قصد، حتى عمل "المعري" من ذلك ديوانا كاملا سماه
اللزوميات، ومنه قوله (الطويل)⁴:

لَكَ الْحَمْدُ أَمْوَاهُ الْبِلَادِ بِأَسْرَهَا عَذَابٌ وَخُصَّتْ بِالْمَلُوحَةِ زَمْرُمُ
هُوَ الْحِظُّ غَيْرُ الْوَحْشِ يَسْتَأْفُ أَنْفَهُ خُزَامِي وَأَنْفُ الْعُودِ بِالْعُودِ يُخْرَمُ

وقال إن من مליح ما جاء في الالتزام قول أبي نواس (الكامل)⁵:

وَأَمَّا وَزَنْدُ أَبِي عَلِيٍّ إِنَّهُ زَنْدٌ إِذَا اسْتَوْرَيْتَ سَهْلٌ قَدْحَكَ
إِنِّي لَتَأْبَى الصَّنْعَ عَالِي هَمْتِي مِنْ غَيْرِكُمْ وَتَعَاْفُ إِلَّا مَدْحَكَ

وقد اهتم البلاغيون بهذا النوع من التكرار لما يحدثه من تناسب في الإيقاع الصوتي،
وحمدوا منه ما يأتي من غير كلفة لدلالته على الاقتدار وقوة المادة⁶.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص229.
2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص518. التقشيش: بمعنى لا تجمع طعامنا من هنا وهناك، والتعشيش: الخيانة بإفشاء السر.
3 - امرؤ القيس: الديوان، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م، ص113.
4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص519.
5 - المصدر نفسه: ص519. لم أعثر على البيتين في النسخة التي بحوزتي.
6 - ينظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص292، 293.

3_ التجزئة:

التجزئة لغة من (جزأ)، فيقال: «الجزء والجزء: البعض، والجمع أجزاء. وجزأ الشيء جزأً وجزأه، كلاهما: جعله أجزاء. وجزأ المال بينهم: مشدّد لا غير: قسمه. والمجزوء من الشعر: ما حذف منه جزآن أو كان على جزأين فقط»¹.

والتجزئة من المصطلحات النقدية التي ابتكرها "ابن منقذ" (ت584هـ)²، وعرفها بقوله: «أن يكون البيت مجزئاً ثلاثة أجزاء، أو أربعة»³.
ومثل له بأمثلة شعرية، كقول المتنبي (البيسط)⁴:

فنحن في جدلٍ، والرّومُ في وجلٍ والبرُّ في شغلٍ، والبحرُ في خجلٍ

وتابعه "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في هذا المصطلح ولكن تعريف الأخير كان أكثر دقة، ذلك أن "ابن منقذ" لم يشترط تسجيع الأجزاء العروضية على رويين مختلفين جزء بجزء كما فعل "ابن أبي الإصبع المصري"، في تعريفه الذي يقول فيه: «هو أن الشاعر يُجزئ البيت من الشعر جميعه أجزاء عروضية، ويسجعها كلّها على رويين مختلفين، جزء بجزء، إلى آخر البيت الأول من الجزأين، على رويٍ مخالف لروي البيت، والثاني على روي البيت»⁵.

وهذا اللون من البديع مما ذكره في كتاب "تحرير التحبير" ولم يذكره في "بديع القرآن"، لأنه يخص المنظوم، وقد استشهد عليه بشواهد شعرية، كقول الشاعر (الرملي)⁶:

هنديّة لحظاتها، خطيّة خطراتها، داريّة نفحاتها

وأما ما كان سجع كل ثان من أجزائه زائداً على قافيته فقد مثل له بقول أبي تمام (الطويل)¹:

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (جزأ).

² - ينظر: أحمد يحيى علي الدليمي: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ في كتاب البديع في نقد الشعر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، (د ط)، 2013م، ص163.

³ - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص63.

⁴ - المتنبي: الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، راجعه وفهرسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج2، ص110.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص299.

⁶ - المصدر نفسه: ص299.

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي وَطَابَ بِهِ نَمْدِي، وَأُورَى بِهِ زُنْدِي
كما استشهد كذلك بقول المتنبي (البيسيط) ²:

فَنَحْنُ فِي جَدَلٍ، وَالرُّومُ فِي وَجَلٍ وَالْبَرُّ فِي شُغْلٍ، وَالْبَحْرُ فِي خَجَلٍ

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التجزئة والتسميط في قوله: «والتجزئة تفارق التسميط من وجهين: أحدهما تقسيم بيتها على ثلاثة أجزاء مسجعة إن كان سداسيا، أو أربعة مسجعة إن كان ثمانيا. والثاني التزام السجع في الأجزاء على قافية البيت» ³.

كما فرق بين التجزئة والتسجيع فقال: «وبينه وبين التجزئة اختلاف زنة أجزائه، ومجيئها على غير عدد محصور معين» ⁴.

فهذا التقسيم وهذا التقابل بين الجمل الموزونة والمسجوعة يؤدي حتما إلى إحداث إيقاع جميل وموسيقية.

4_ الترصيع:

الترصيع لغة من (رصع)، جاء في اللسان: «الترصيع: التركيب، يقال: تاج مرصع بالجواهر، أي محلى بالرصائع وهي حلق يُحلى بها، الواحدة رصيعة، ورسع العقد بالجواهر: نظمه فيه، وضم بعضه إلى بعض» ⁵.

وهو في الاصطلاح: «توازن الألفاظ مع توافق الأعجاز أو تقاربها» ⁶.

عدّ "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) الترصيع من نعوت الوزن، وعرفه بقوله: «هو أن يتوخى فيه تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف» ⁷.

ومثل عليه بقول امرئ القيس ⁸:

مَخَشٌّ مَجَشٌّ مُقْبِلٌ مَدْبِرٌ مَعَا كَتَيْسٌ ظِبَاءٌ الْخُلْبِ الْعَدَوَانِ

1 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص268.

2 - المتنبي: الديوان، ج2، ص110.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص299.

4 - المصدر نفسه: ص300.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (رصع).

6 - الكفوي: الكليات، ص312.

7 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص40.

8 - امرؤ القيس: الديوان، ص166.

وعلق على البيت بقوله: «فأتى باللفظتين الأوليين مسجوعتين في تصريف واحد وبالتاليتين لهما شبيهتين بهما في التصريف»¹.

والترصيع عند "العسكري" (ت395هـ) هو: «أن يكون حشو البيت مسجوعا»².

وقال "الباقلاني" (ت403هـ) إنَّ الترصيع على أنواع، الأول ما جاء به "قدامة بن جعفر" ومنه ضرب سماه "الترصيع مع التجنيس"، ومثّل له بقول ابن المعتز:

ألم تجزغ على الربع المحيل وأطلالٍ وآثارٍ مُحولٍ

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ، وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ {سورة الأعراف، الآيتان 201، 202}³.

وقال "الباقلاني" أيضا: «ومما يقارب الترصيع ضرب يسمى المضارعة»، ومثّل له بقول الخنساء⁴:

حامي الحقيقة محمودُ الخليفة مه ديّ الطريقة نفاع وضرار
جوابُ قاصيةٍ جزائرٍ ناصيةٍ عقادُ ألويةٍ للخيل جرّار

وقال ابن رشيق " (ت456هـ) عن الترصيع: «إذا كان تقطيع الأجزاء مسجوعا أو شبيها بالمسجوع فذلك هو الترصيع عند قدامة»⁵.

وعده "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) من التناصب، وعرفه بقوله: «وهو أن يعتمد تصيير مقاطع الأجزاء في البيت المنظوم أو الفصل من الكلام المنثور مسجوعة، وكأن ذلك شبيه بترصيع الجوهر في الحلي»⁶.

وقال "ابن الأثير" (ت637هـ): «وهو أن تكون كل لفظة من ألفاظ الفصل الأول مساوية لكل لفظة من ألفاظ الفصل الثاني في الوزن والتقفية»⁷، ونفى وجود هذا المصطلح في

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص40.

2 - العسكري: الصناعتين، ص375.

3 - ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص145، 144.

4 - الخنساء: الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م، ص46. في هذه النسخة جاءت الأبيات هكذا:

حمال ألوية هياط أودية شهاد أندية للجيش جرّار
نخار راغية ملجاء طاغية فكاك عانية للعظم جبار

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص26.

6 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة: ص190.

7 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص277.

كتاب الله العزيز لما فيه من زيادة التكلف، ثم قال: «فأما قول من ذهب إلى أن في كتاب الله منه شيئاً ومثله بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ، وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ (سورة الانفطار، الآيتان 13، 14) فليس الأمر كما وقع له، فإن لفظة ﴿لَفِي﴾ قد وردت في الفقرتين معا، وهذا يخالف شرط الترصيع الذي شرطناه، لكنه قريب منه»¹، أما الشعر فقال إنه قليل فيه، وإذا جاء به فيه لم يكن عليه محض الطلاوة التي تكون إذا جاء به في الكلام المنثور².

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما جاء به أسلافه، وقال في تعريفه: «الترصيع كالتسجيع في كونه يُجَزَّؤُ البيت إما ثلاثة أجزاء إن كان سداسياً، أو أربعة إن كان ثمانياً وسجع على ثاني العروضين دون الأول، وأكثر ما يقع الجزآن المسجع والمهمل في الترصيع مدمجين إلا أن أسجاع التسجيع على قافية البيت»³. ثم فرق بينه وبين التسميط المسمى تسميط التبعض بأن المسجع من قسمي التسميط معا هي أجزاء عروضية، والمسجع من الترصيع أجزاء غير عروضية لوقوع السجع في بعض الأجزاء⁴. وقد استشهد عليه بقول أبي صخر التي ذكرها قدامة (البسيط)⁵:

وتلك هيكله خود مبتلة	صفراء رعبلة في منصب ستم
عذب مقبلها خذل مخلخلها	كالدعص أسفلها مخضوبة القدم
سود ذوائبها، بيض ترائبها	محض ضرائبها، صيغت على الكرم
سمخ خلانقها، درم مرافقها	يروى معانقها من بارد شيم
كان معتقة، في الدن مغلفة	صفرا مصفقة من رابي ودم
شيبب بموهبة، من رأس مرقبة	جرداء مهيبة، في حالق شيم
خالط طعم ثناياها وريقتها	إذ يكون توالى النجم كالنظم

¹ - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص278، 277.

² - ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص278.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص302.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص302.

⁵ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص47. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص302، 303. الهيكل: الجواد، الخود: المرأة الشابة، المبتلة: التامة الخلق الجميلة، الرعبلة: الضخمة، السنم: المشرف العالي، خذل مخلخلها: ممتلي، الدعص: الكثيف من الرمل، الترائب: جمع تريبة وهي عظام الصدر، محض ضرائبها: خالصة سجيبتها، درم: مستوية، الماء الشبم: العذب، شيبب: مزجت والموهبة: ثغرة في الجبل يستتقع فيها الماء، والمرقبة: المكان المشرف، المهيبة: المخوفة، الحالق الشمم: المرتفع العالي.

وقد أطلق على هذا النوع اسم "الترصيع المدمج" وعلل تسميته هذه بقوله: «لأن كل جزء مسجّع من أجزائه مُدمج في الجزء الذي قبله فرقا بينه وبين ما ليس كذلك من الترصيع»¹. ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن من الترصيع ما أجزأه المسجعة غير مدمجة فيما قبلها²، ومثل على هذا النوع بقول مسلم بن الوليد (البيسط)³:

كأنه قمرٌ، أو ضيغمٌ هصرٌ أو حيةٌ ذكّرٌ، أو عارضٌ هطلٌ

ثم ذكر أن هذا القسم من الترصيع يلتبس بالتسميط التباسا شديدا، والفرق بينهما أن التسجيع في التسميط على الجزء الأول من الأجزاء العروضية، أما في الترصيع فهو على ثاني العروضين⁴.

وقد فرق بين التسميط والترصيع في قوله: «الفرق بين التسميط والترصيع من وجهين: أحدهما كون الترصيع يكون بأجزاء مدمجة وغيرها، والتسميط لا يقع فيه الإدماج البتة. والثاني أن ما لا إدماج في أجزائه من الترصيع يقع التسجيع منه في ثاني العروضين، ومن التسميط في أولهما»⁵.

وقد أدخله "الخطيب القزويني" (ت739هـ) في السجع، في قوله: «وقيل: السجع غير مختص بالنثر»⁶. ومن أمثله الشعرية قول أبي تمام⁷:

تجلّى به رُشدي، وأثرت به يدي وطاب به نَمدي، وأورى به زُندي

ولا يخفى ما لهذا التقسيم والتوازن والتماثل في الترصيع من قيمة صوتية تعمل على زيادة النغم أو الرنين الذي يعطي للشعر إيقاعا تطرب له النفس وتنجذب نحوه.

5_ التسجيع:

التسجيع لغة من (سجع)، فيقال: «سجع يسجع سجعا: استوى واستقام وأشبه بعضه بعضا، والسجع: الكلام المقفى، والجمع أسجاع وأساجيع. وسجّع تسجيعا: تكلم بكلام له

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص303.

² - ينظر: المصدر نفسه: ص303.

³ - مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق وتعليق سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د ت)، ص250.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص303.

⁵ - المصدر نفسه: ص304.

⁶ - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص298.

⁷ - أبو تمام: الديوان، ج1، ص268.

فواصل كفواصل الشعر من غير وزن. قال ابن جنّي: سُمي سجعا لاشتباه أواخره وتناسب فواصله. وسجع الحمامة: مُؤالاة صوتها على طريق واحد»¹.

وقد نقل المعنى اللغوي الاستقامة والاستواء والاشتباه بأن كل كلمة تشبه صاحبها وليس تصويت الحمام فحسب إلى الاصطلاح، فهو في الاصطلاح يعني: «تواطؤ الفاصلتين أو الفواصل على حرف واحد أو على حرفين متقاربين أو حروف متقاربة، ويقع في الشعر كما يقع في النثر»².

والتسجيع هو السجع المعروف في الأدب العربي، وإنما سماه بهذا الاسم "قدامة بن جعفر" و"الزملكاني" و"المصري" و"ابن مالك" و"العلوي" و"المدني"³.

والذي لا بد من ذكره هنا هو أن السجع كما يسميه معظم البلاغيين فن أصيل عرف في الجاهلية وصدر الإسلام وانتشر في العصر العباسي حتى أسرف بعضهم فيه، ولذلك نزه الأشعرية كتاب الله من هذا الفن البديعي الذي أصبح من المحسنات اللفظية عند المتأخرين، فسموا نهاية الآيات "فواصل" وهي تسمية دقيقة من أجل أن يكون هناك فرق بين سجع البشر وآيات الله العزيز⁴.

عقد له "الجاحظ" (ت255هـ) بابا في كتابه "البيان والتبيين" سماه (باب أسجاع)، ولم يعرفه ولكن شواهد تدل على توافق الفقرات في الحرف الأخير، ومن أمثلته على ذلك، قول عيسى بن مريم: «البرُّ ثلاثة: المنطق، والنظر، والصمت. فمن كان منطقاً في غير ذكرٍ فقد لغا، ومن كان نظره في غير اعتبار فقد سها، ومن كان صمته في غير فكر فقد لها»⁵.

أما "الرماني" (ت386هـ) فقد آثر مصطلح "الفواصل" على مصطلح "السجع" فعنده أن الفواصل بلاغة، والأسجاع عيب، وذلك أن الفواصل تابعة للمعاني، وأما الأسجاع فالمعاني تابعة لها⁶.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (سجع).

2 - بسبوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ص250.

3 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص144.

4 - ينظر: المرجع نفسه: ج2، ص150.

5 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص297.

6 - ينظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص97.

ثم ذكر أن الفواصل على وجهين: على الحروف المتجانسة، والحروف المتقاربة. وحسن الفواصل في «الحروف المتقاربة لأنه يكتنف الكلام من البيان ما يدل على المراد في تمييز الفواصل والمقاطع... وأما القوافي فلا تحتمل ذلك لأنها ليست في الطبقة العليا من البلاغة»¹.

ولم يفرق "العسكري" (ت395هـ) بين السجع والازدواج والفاصلة في كلامه، حيث يقول: «وقد كثر الازدواج فيه في الكلام حتى حصل في أوساط الآيات فضلاً عما تزوج في الفواصل منه»². ويقول: «وكذلك جميع ما في القرآن مما يجري على التسجيع والازدواج مخالف في تمكين المعنى، وصفاء اللفظ»³.

ويرى "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) أن السجع ضرب من المناسبة في الصيغ بين الألفاظ، إذ يقول: «ومن المناسبة بين الألفاظ في الصيغ السجع والازدواج، ويُحدُّ السجع بأنه تماثل الحروف في مقاطع الفصول»⁴.

وذكر قضية اختلاف النقاد والبلاغيين في حكم استعمال السجع وتوظيفه في الشعر أو النثر، وأنهم ذهبوا في ذلك بين مؤيد ومعارض، على اختلاف الحجّة المقدّمة. وفي ذلك يقول: «وبعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج في الكلام، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً، وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمّل واستكراه، فأذهب طلاوة الكلام وأزال ماءه، وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يحسنها، ويظهر آثار الصنعة فيها، ولولا ذلك لم يرد في كلام الله تعالى، وكلام النبي صلى الله عليه وسلم، والفصيح من كلام العرب»⁵.

1 - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص98.

2 - العسكري: الصناعتين، ص260.

3 - المصدر نفسه: ص260.

4 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص171.

5 - المصدر نفسه: ص171.

والمذهب الصحيح عنده هو «أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة، وبحيث يظهر أنه لم يقصد في نفسه ولا أحضره إلا صدق معناه دون مرافقة لفظه، ولا يكون الكلام الذي قبله إنما يتخيّل لأجله، وورد ليصير وصلة إليه»¹.

أما عن فواصل القرآن فيقول: «وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سموها فواصل ولم يسموها أسجاعاً، وفرقوا فقالوا: إن السجع هو الذي يقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه، والواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها»².

ثم ذكر رأي "الرماني" السابق ورأيه هو فيه، وهذا في قوله: «فأما قول الرماني_ إن السجع عيب والواصل بلاغة_ على الإطلاق فغلط، لأنه إن أراد بالسجع ما يكون تابعا للمعنى وكأنه غير مقصود، فذلك بلاغة والواصل مثله، وإن كان يريد بالسجع ما تقع المعاني تابعة له ومقصود متكلف، فذلك عيب والواصل مثله، وكما يعرض التكلف في السجع عند طلب تقارب الحروف، كذلك يعرض في الفواصل عند طلب تقارب الحروف، وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعا، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام والمروي عن الكهنة وغيرهم، وهذا غرض في التسمية قريب، فأما الحقيقة فما ذكرناه، لأنه لا فرق بين مشاركة بعض القرآن لغيره من الكلام في كونه مسجوعا، وبين مشاركة جميعه في كونه عرساً وصوتاً وحروفاً وكلاماً وعربياً، ومؤلفاً، وهذا مما لا يخفى فيحتاج إلى زيادة في البيان، ولا فرق بين الفواصل التي تتماثل حروفها في المقاطع وبين السجع»³.

ويوضح "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) أن السجع والجناس جزء مهم من المعنى، وهذا في قوله: «فقد تبين من هذه الجملة أن المعنى المقتضى اختصاص هذا النحو بالقبول، هو أن المتكلم لم يقصد المعنى نحو التجنيس والسجع، بل قاده المعنى إليهما، وعبر به الطريق عليهما حتى إنه لو رام تركهما إلى خلافهما ممّا لا تجنيس فيه ولا سجع لدخل من عقوق

1 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص171.

2 - المصدر نفسه: ص172.

3 - المصدر نفسه: ص 173 ، 174.

المعنى، وإدخال الوحشة عليه في شبيهه بما ينسب إليه المتكلف للتجنيس المستكبر والسجع النافر»¹.

وأطلق عليها "السكاكي" (ت626هـ) الأسجاع وذكر بأنها في النثر كما في القوافي في الشعر، وأنها في القرآن فواصل². وبهذا فهو متأثر "بالرمانى".
وجاء السجع عند "ابن الأثير" (ت637هـ) ضمن حديثه عن الألفاظ المركبة، وخصه بالمنثور من الكلام، فعنده التصريح في الشعر بمنزلة السجع في المنثور، والترصيع يشملهما معا (التصريح والسجع).

وقد قسم "ابن الأثير" السجع إلى ثلاث، باعتبار الطول والقصر بين الفواصل المسجوعة³:

_الأول: أن يكون الفصلان متساويين، لا يزيد أحدهما على الآخر، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ، وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ {سورة الضحى، الآيتان 9، 10}.

_الثاني: أن يكون الفصل الثاني أطول من الأول، لا طولا يخرج به عن الاعتدال خروجا كثيرا، كقوله تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَاعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا، إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّضًا وَزَفِيرًا، وَإِذَا أَلْفَا مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُقَرَّبِينَ دَعَا هُنَالِكَ ثُبُورًا﴾ {سورة الفرقان، الآيات 11، 12، 13}.

_الثالث: أن يكون الفصل الآخر أقصر من الأول، وهو عندي عيب فاحش، وسبب ذلك أن السجع يكون قد استوفى أمره في الفصل الأول بحكم طوله، ثم يجيء الفصل الثاني قصيرا عن الأول، فيكون كالشيء المبتور، فيبقى الإنسان عند سماعه كمن يريد الانتهاء إلى غاية فيعثر دونها.

ثم قسمه على اختلاف أنواعه إلى ضربين :

_ أحدهما: يسمى السجع القصير: «وهو أن تكون كل واحدة من السجعتين مؤلفة من ألفاظ

1 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص14.

2 - ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص431.

3 - ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص 255-257.

قليلة، وكلما قلت الألفاظ كان أحسن، لقرب الفواصل المسجوعة من سمع السامع»¹.

وثانيهما: يسمى السجع الطويل: «وهو ضد الأول لأنه أسهل متناولاً. وإنما كان القصير من السجع أوعر مسلكا من الطويل لأن المعنى إذا صيغ بألفاظ قصيرة عزّ مواتاة السجع فيه، لقصر تلك الألفاظ، وضيق المجال في استجلابه، وأما الطويل فإن الألفاظ تطول فيه، ويستجلب له السجع من حيث وليس كما يقال، وكان ذلك سهلاً»².

من هنا نجد "ابن الأثير" «قد تظن إلى علاقة النظم بطول العبارة وقصرها، ومدى صعوبة ذلك في الحالة الثانية، لأن المعاني قد تستعصي على الإنسان في العبارة الموجزة، وهذا لا يختلف مع نظرة العرب للبلاغة التي اعتبروها إجازاً»³.

وفي موازنته بين النوعين السابقين من السجع، يرى أن: «كل واحد من هذين الضريين تتفاوت درجاته في عدة ألفاظ: أما السجع القصير فأحسنه ما كان مؤلفاً من لفظتين لفظتين... ومنه ما يكون مؤلفاً من ثلاثة ألفاظ وأربعة وخمسة، وكذلك إلى العشرة، وما زاد على ذلك فهو من السجع الطويل»⁴.

وإذا وصلنا إلى "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) نجده لم يول السجع هذا المصطلح الضارب في القدم الاهتمام الكافي كما فعل أسلافه، فقد عرضه في صفحة واحدة ودون مناقشة أو تحليل شواهد كعاداته، وهذا الأمر يدعو حقا للاستغراب.

وقد عرفه بقوله: «وهو أن يتوخى المتكلم أو الشاعر في أجزاء كلامه، بعضها غير متّزنة بزنة عروضية ولا محصورة في عدد معين، بشرط أن يكون رويّ الأسجاع رويّ القافية»⁵.

هذا في كتاب "تحرير التحبير"، أما في كتاب "بديع القرآن" فقد قال: «هو أن يتوخى المتكلم تسجيع جمل كلامه»⁶.

1 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص257.

2 - المصدر نفسه: ج1، ص257.

3 - عبد الحميد بوفاس: الإيقاع البلاغي في شعر مفدي زكريا، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. عزيز لكايشي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وأدابها، جامعة الإوة منتوري قسنطينة، 2016، 2017، ص531.

4 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص257، 258.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص300.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص108.

من خلال تعريفه نلاحظ أنه لم يذكر الشعر أو النثر، فهو لم يخصّه بالنثر وحده كما فعل بعض البلاغيين، ثم إن شواهدة جاءت متنوعة ما بين شعر وقرآن كريم ونثر.

والتسجيع عنده على ضربين: «ضرب تأتي الجمل المسجعة مجملة مدمجة في الجمل المهمله، وضرب تأتي فيه الجمل المسجعة منفردة»¹.

استشهد على الضرب الأول من الشعر بقول ديك الجن (الكامل)²:

حُرُّ الإِهَابِ وَسِيمُهُ، بَرُّ الإِيَا ب كَرِيمُهُ، مُحَضُّ النَّصَابِ صَمِيمُهُ

ومن القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿ق، وَالْقُرْآنِ الْمَجِيدِ، بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرٌ مِنْهُمْ فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ﴾ [سورة ق، الآيات 1-3]، وكقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [سورة الأحزاب، الآية 35] إلى آخر الآية .

واستشهد على الضرب الثاني من الشعر بقول أبي تمام (الطويل)³:

تَجَلَّى بِهِ رُشْدِي، وَأَثَرْتُ بِهِ يَدِي وَطَابَ بِهِ ثَمْدِي، وَأُورَى بِهِ زُنْدِي

ومن الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿الرَّحْمَنُ، عَلَّمَ الْقُرْآنَ، خَلَقَ الْإِنْسَانَ، عَلَّمَهُ الْبَيَانَ، الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ، وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [سورة الرحمن، الآيات 1-6]⁴.

وقد فرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التسجيع وبين بعض الألوان التي تقترب منه أو تتداخل معه في قوله: «والفرق بينه وبين التسميط كون أجزائه على روي قافيته، وبينه وبين التجزئة اختلاف زنة أجزائه، ومجيئها على غير عدد محصور معين»⁵.

ثم فرق بين التسجيع وبين المماثلة، كون أجزائه على روي بيتها، بخلاف أجزاء المماثلة فهي على غير روي بيتها⁶.

إن ما أورده في التفرقة بين التسميط والتجزئة والتسجيع، وبخاصة بين التجزئة والتسجيع من أنه اختلاف زنة أجزاء البيت ومجيئها على غير عدد محصور معين، لا يقوم دليلاً، لأن

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص108.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص300. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص108. وكما ذكر المحقق أنه يرجو عنا إلى ما لديك الجن من شعر في مصادر كثيرة لم نعثر على هذا البيت.

³ - أبوتمام: الديوان، ج1، ص268.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص108، 109.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص300.

⁶ - ينظر: المصدر نفسه: ص301.

ما مثّل به للتجزئة مثّل به للتسجيع، كبيت "أبي تمام" ، فكان الأجدر به أن يجعل التجزئة قسما من أقسام التسجيع لا مصطلحا مفردا، ويؤكد المحقق أنه لم ير من علماء البديع قبل "ابن أبي الإصبع المصري" من نهج نهجه وفصل التجزئة عن التسجيع، وعنه أخذ علماء البديع هذه التسمية وكانوا مضطربين فيها كاضطرابه، كابن حجة الحموي وابن معصوم المدني¹.

من هنا تظهر فائدة السجع في اهتمامه بالأصوات وحسن انسجامها، وذلك له علاقة بفصاحة المفرد، كما أن فيه إشارة إلى الإيقاع الداخلي من خلال النغمة المؤثرة والموسيقى التي تطرب لها الأذن².

6_ التسميط:

التسميط في اللغة من (سمط)، جاء في اللسان: «السَّمَطُ: الخيط مادام فيه الخرز والإلا فهو سلك، والسَّمَطُ خيط النظم لا يعلق. والسَّمَطُ: الخيط الواحد المنظوم. وسَمَّطْتُ الشيءَ: علّفته على السموط تسميطا، وسَمَّطْتُ الشيءَ: لزمته»³.

وقد نقل المعنى اللغوي وهو خيط النظم الذي يضم حبات العقد على سبيل المشابهة على القافية التي بمنزلة السمط، والأجزاء المسجعة بمنزلة حبات العقد، قال "التبريزي" (ت502هـ) عنه: «التسميط اعتماد الشاعر تصيير مقاطع الأجزاء في البيت على سجع أو شبيه به أو من جنس واحد في التصريف والتمثيل، وسُمي تسميطا تشبيها بالسَّمَط في نظمه»⁴. وهذا نفسه مفهوم "قدامة بن جعفر" للترصيع.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) على شبه إجماع سابقه في هذا المصطلح، وقال في تعريفه: «هو عبارة عن تصيير المتكلم مقاطع أجزاء الكلام من بيت شعر، أو جملة نثر مسجعة على رويّ يخالف رويّ قافيته، أو رويّ قرينته»⁵. فلم يقصر التسميط على الشعر فقط كما فعل أسلافه، وإنما عمّمه على الشعر والنثر على حدّ سواء.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص300 من حاشية المحقق.

² - ينظر: عبد الحميد بوفاس: الإيقاع البلاغي في شعر مفدي زكريا، ص537.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (سمط).

⁴ - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص159.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 101 . وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص295.

ثم ذكر وجه المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي في قوله: «واشتقاقه من السّمت الذي هو خيط العقد، لتنزيل سجعات الأجزاء بمنزلة حبّ العقد، وقافية البيت أو سجة النثر، أو فاصلة الآية بمنزلة السّمت الذي يجمع حب العقد ويربطه»¹.

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَى بَعْضٍ وَآتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ {سورة الإسراء، الآية 55}.

ومثّل له من الشعر بقول مروان بن أبي حفصة (الطويل)²:

هم القومُ إن قالوا أصابوا، وإن دُعوا أجابوا، وإن أعطوا أطابوا، وأجزلوا

لقد أنت بعض أجزاء هذا البيت مسجّعة على خلاف قافيته، لتكون القافية كالسمط، والأجزاء المسجّعة بمنزلة حب العقد، لأن السمط يجمع حب العقد، والمراد بأجزاء التسميط بعض أجزاء التقطيع، ويسمى هذا "تسميط التبويض"³.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من التسميط نوع آخر يسمى "تسميط التقطيع"، وهو أن يسجّع جميع أجزاء التفعيل على رويّ يخالف رويّ القافية، ومثّل له بقوله (البسيط):

وأسمرٍ مثمرٍ بمزهرٍ نضيرٍ من مُقمرٍ مُسفرٍ عن منظرٍ حسنٍ

فجاءت جميع أجزاء التفعيل في هذا البيت من سباعيّها وخماسيّها مسجّعة على خلاف سجة الجزء الذي هو قافية البيت⁴.

كما فرّق بين التسميط والتفويف في قوله: «والفرق بين التسميط والتفويف، تسجيع بعض أجزاء التسميط و، وخلوّ كل أجزاء بيت التفويف من السجع بتّة»⁵.

ولا شكّ أن اختلاف القافية في التسميط لم يأت عبثاً بل محافظة على كيان البيت، فلو تبعت القافية التسجيّعات لأصبحت كل الوحدات في البيت مسجّعة على حرف واحد، فتضيع بذلك صورة الأبيات⁶.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بدیع القرآن، ص 101.

² - ابن طباطبا: عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 2، 2005م، ص 69. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 295. وابن أبي الإصبع المصري: بدیع القرآن، ص 101.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 295.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص 295، 296.

⁵ - المصدر نفسه: ص 296.

⁶ - ينظر: عز الدين اسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي، ص 192.

7_ التشطير:

التشطير لغة من (شطر)، فيقال: «الشطر: نصف الشيء، والجمع أشطر وشطور. وشاطره ماله: ناصفه»¹.

التشطير من مخترعات "العسكري" (ت395هـ)²، قال في تعريفه: «هو أن يتوازن المصراعان والجزآن، وتتعاذل أقسامهما مع قيام كل واحد منهما بنفسه، واستغنائه عن صاحبه»³.

وقد مثل عليه من النثر بقول بعضهم: «من عتب على الزمان طالت معتبته، ومن رضي عن الزمان طابت معيشته»⁴.

ومن ذلك قول أوس بن حجر⁵:

فتحدركم عبسٌ إلينا وعامرٌ وترفعنا بكرٌ إليكم وتغلبُ

وجمع "ابن منقذ" (ت584هـ) بين التشطير وبين المقابلة في باب واحد، وعرفه بقوله: «هو أن يقابل مصراع البيت الأول، كلمات المصراع الثاني»⁶. ومثل له بعدة أمثلة نذكر منها قول جرير⁷:

وباسطٍ خيرٍ فيكمُ بيمينه وقابضٍ شرٍّ عنكم بشماليا

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "أبا هلال العسكري" فيما ذهب إليه في هذا الفن، حيث قال في تعريفه: «هو أن يقسم الشاعر بيته شطرين، ثم يصرع كل شطر من الشطرين، لكنه يأتي بكل شطر مخالفا لقاافية الآخر ليتميز من أخيه، فيوافق فيه الاسم المسمى»⁸، ولكنه زاد عليه في تعليقه للتشطير ومطابقة الاسم للمسمى، في قوله: «ليتميز من أخيه، فيوافق فيه الاسم المسمى»⁹.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (شطر).

2 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص267.

3 - المصدر نفسه: ص411.

4 - المصدر نفسه: ص411.

5 - أوس بن حجر: الديوان، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1980م، ص8.

6 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص128.

7 - جرير: الديوان، شرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، مصر، ط1، (د ت)، ص605.

8 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص308.

9 - المصدر نفسه: ص308.

والتشطير من المصطلحات التي ذكرها في كتاب "تحرير التحبير" لأنه خاص بالشعر.
وقد استشهد عليه بقول مسلم بن الوليد (البيسط) ¹:

مُوفٍ عَلَى مَهَجٍ، فِي يَوْمِ ذِي رَهَجٍ كَأَنَّهُ أَجَلٌ، يَسْعَى إِلَى أَمَلٍ
وكقول أبي تمام (البيسط) ²:

تَدْبِيرٌ مُعْتَصِمٌ، بِاللَّهِ مُنْتَقِمٌ **لِلَّهِ مَرْتَقِبٌ، فِي اللَّهِ مَرْتَعِبٌ**

ثم وازن "ابن أبي الإصبع المصري" بين البيتين في قوله: «وعندي أن بيت أبي تمام أولى من بيت مسلم بهذا الباب، لأنه عمد إلى كل شطر قدره بيتا وصرعه تصريعا صحيحا، وبيت مسلم شطره الأول مصرع تصريعا صحيحا، وشطره الثاني ليس بمصرع لمخالفة رويٍّ وسطه رويٍّ آخره في الإعراب» ³، ولكنه لا يعدّه عيبا في بيت مسلم، وفي هذا يقول: «اللهم إلا أن يُجعل الشطر على ضربين: ضرب يصرّع فيه أحد الشطرين دون الآخر، وضرب يُصرّعان فيه معا» ⁴.

والملاحظ على "ابن أبي الإصبع المصري" أنه يعدّ السجعتين في الشطر الواحد مصراعين، والمصرع هو الشطر وهو نصف البيت، وقد تابعه في ذلك "ابن حجة" (ت837هـ) في باب التشطير في تعليقه على بيت مسلم بن الوليد السابق، إذ يقول: «هذا البيت تصريعه صحيح، ولكن تصريع الشطر الثاني قافيته الأولى مرفوعة والثانية مجرورة، وهذا عيب في تصريع التشطير» ⁵.

وتبعه في تعريفه بالإضافة إلى الحموي كل من الحلبي والنويري ⁶.

ومن البلاغيين من عدّ التشطير نوعا من أنواع السجع في الشعر، منهم: الخطيب القزويني (ت739هـ) في قوله: «هو أن يجعل كل من شطري البيت سجعة مخالفة لأختها» ⁷،
لأختها» ⁷.

¹ - مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريع الغواني، ص9. موف على مهج: يوفي عليها بالقتل. في يوم ذي رهج: أي في يوم كثير الغبار من شدة الحر. كأنه يعمل في الناس عمل الأجل في الأمل.

² - أبو تمام: الديوان، ج1، ص41.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص308.

⁴ - المصدر نفسه: ص308.

⁵ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص368.

⁶ - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص223.

⁷ - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص298.

وتبعه في ذلك شرح التلخيص¹.

مما سبق تظهر القيمة الصوتية للتشطير لما فيه من تقسيم وتواز وتقابل وتماثل، ذلك أن الشاعر يضيف إلى القافية التي تبنى عليها القصيدة قافية أخرى داخلية تكون في حشو البيت، مما يزيد الإيقاع قوة وبروزا².

8_ التصريع:

التصريع في اللغة مأخوذ من مصراعي الباب، فيقال: «لأمر صرعان، أي طرفان. ومصراعا الباب: بابان منصوبان ينضمان جميعا، مدخلهما في الوسط من المصراعين. وبيت من الشعر مصرّع: له مصراعان. والتصريع في الشعر: تقفية المصراع الأول، مأخوذ من مصراع الباب. وصرّع البيت من الشعر: جعل عروضه كضربه»³. وقيل: اشتقاقهما من الصرّعين، وهما نصفا النهار⁴.

وفي الاصطلاح: «اتفاق لفظين في الجزء العروضي والقافية»⁵.

ذكر "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) التصريع ضمن نعت القوافي، في قوله: «أن تكون عذبة الحرف سلسلة المخرج، وأن تقصد لتصيير المصراع الأول، في البيت الأول من القصيدة مثل قافيتها»⁶، وهذا ليس لزاما في التصريع، ذلك أن من الشعراء من يصرّع أبياتا أبياتا آخر من القصيدة بعد البيت الأول، وهذا يدل على اقتدار الشاعر وسعة اطلاعه⁷.

وقد عرفه "ابن رشيق" (ت456هـ) بقوله: «فأما التصريع فهو ما كانت عروض البيت فيه تابعة لضربه: تنقص بنقصه، وتزيد بزيادته»⁸.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص223.
2 - ينظر: محمد الواسطي: ظاهرة البيدع عند الشعراء المحدثين -دراسة بلاغية نقدية-، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط2003، ص1، ص273.
3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(صرع).
4 - ينظر: المصدر نفسه: مادة(صرع).
5 - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص68.
6 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص51.
7 - ينظر: المصدر نفسه: ص51.
8 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص173.

وذكر أن سبب التصريح هو: «مبادرة الشاعر القافية ليعلم في أول وهلة أنه أخذ في كلام موزون غير منثور، ولذلك وقع في أول الشعر، وربما صرّع الشاعر في غير الابتداء، وذلك إذا خرج من قصة إلى قصة، أو من وصف شيء إلى وصف شيء آخر فيأتي حينئذ بالتصريح إخباراً بذلك وتنبئها عليه، وقد كثر استعمالهم هذا حتى صرّعوا في غير موضع تصريح، وهو دليل على قوة الطبع، وكثرة المادة، إلا أنه إذا كثر في القصيدة دل على التكلف، إلا من عند المتقدمين»¹.

ويرى "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) أن الفرق بين التصريح والتقفية يكمن في الموقع فقط، يقول: «وأما التصريح فيجري مجرى القافية، وليس الفرق بينهما إلا أنه في آخر النصف الأول من البيت، والقافية في آخر النصف الثاني منه، وإنما شبه مع القافية بمصراعي الباب»².

وقال "السكاكي" (ت626هـ) إن الأسجاع في النثر كالقوافي في الشعر³.

وإلى ذلك ذهب "ابن الأثير" (ت637هـ) في قوله: «واعلم أن التصريح في الشعر بمنزلة السجع في الفصلين من الكلام المنثور»⁴.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما جاء به أسلافه عن هذا المصطلح، ولكنه فرّق بين العروضي منه والبديعي، وهذا في قوله: «التصريح على ضربين: عروضي، وبديعي، فالعروضي عبارة عن استواء عروض البيت وضربه في الوزن والإعراب والتقفية، بشرط أن تكون العروض قد غيّرت عن أصلها لتلحق الضرب في زنته. والبديعي استواء آخر جزء في الصدر، وآخر جزء في العجز في الوزن والإعراب والتقفية، ولا يعتبر بعد ذلك أمر آخر»⁵.

ثم ذكر أن أهل الصناعة قد قسموه أيضاً إلى قسمين: قسم سمّوه تصريح التكميل، وقسم سمّوه تصريح التشطير، ثم قال: «وقد رأيت منهم من جعل هذا القسم الثاني باباً مفرداً يسميه التشطير من غير أن يضيف إليه لفظة التصريح»⁶.

1 - ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 174.

2 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص 188.

3 - بنظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص 431.

4 - ابن الأثير: المثل السائر، ج 1، ص 258.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 305.

6 - المصدر نفسه: ص 305.

كما أشار إلى أن أغلب التصريح يقع في أول القصائد، وأن أكثر الشعراء على هذا، كما قد يأتي في أثناء القصيدة وخاصة عند القدماء، يقول: «وهو في الأشعار كثير، لا سيما في أول القصائد، وكثير ما يأتي في أثناء قصائد القدماء، ويندر مجيئه في أثناء قصائد المحدثين، ووقوعه في الأشعار دليل على غزر مادة الشاعر، وحكمه في الكثرة والقلّة حكم بقية أنواع البديع، إذ كلُّ ضرب من البديع متى كثر في شعر سَمَّحَ، كما لا يحسن خلوّ الكلام منه غالباً، وكل ما جاء منه متوسّطاً من غير تكلف فهو المستحسن، وقد يأتي بعض أوائل القصائد مُصمّتا، ويأتي التصريح في أثناءها بعد ذلك»¹.

واستشهد على العروضيّ منه بقول امرئ القيس (الطويل)²:

ألا عم صباحاً أيها الطلُّ البالي وهل يعمّن من كان في العصر الخالي

أما البديعيّ منه فكقوله في أثناء هذه القصيدة:

ألا إنني بال على جمل بال يقودُ بنا بال ويتبعنا بال

وقوله أيضاً بعد تصريح أول القصيدة المعلقة، وإن كان إطلاق التصريح عليها إطلاقاً بديعياً، لا عروضياً، إذ أولها عند العروضيّين مقفى لا مصرّع (الطويل)³:

ألا أيها الليل الطويلُ ألا انجلي بصُبح وما الإصباح منك بأمثل

ومثال ما وقع في أثناء القصيدة وأولها مُصمّت قوله (المتقارب)⁴:

تروُح من الحيّ أم تبتكر وماذا يَصِيرُكَ لو تنتظر

فأول هذه القصيدة على أصح الروايتين:

لا وأبيك ابنة العامريّ لا يدعي القوم أنى أفر

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص305.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص122.

3 - المصدر نفسه: ص117.

4 - المصدر نفسه: ص68.

ثم والى التصريح بعد قوله:

تروح من الحيّ أم تبتكر

ثم ذكر أن أهل البديع يسمون التقفية تصريعا، إذ لا يعتبرون الفرق بينهما. والتصريح في أثناء القصائد والإصمات في أوائلها يستحسن من القدماء، ويستهن من المحدثين¹. وعدّ "الخطيب القزويني" (ت739هـ) التصريح من أنواع السجع، فقال: «ومنه ما يسمى التصريح، وهو جعل العروض مقفاة تقفية الضرب»². وقد تبع "ابن أبي الإصبع المصري" في فصل التصريح عن التسجيع بعض المتأخرين منهم: العلوي، وابن حجة الحموي، وابن معصوم المدني³. فالتصريح إذا كالتشطير والترصيع له قيمة صوتية تتولد مما فيه من توازن عروضي، وتقابل موقعي، وتمائل في التقفية⁴.

9_ التوأم:

التوأم في اللغة مأخوذ من الجذر (تأم)، جاء في اللسان: «التوعم من جميع الحيوان: المولود مع غيره في بطن من الاثنين إلى ما زاد، وقد يُستعار في جميع المزدوجات. وقال ابن برّي: وذهب بعض أهل اللغة إلى أن توعم فوعل من التوأم، وهو الموافقة والمشاكلّة، فقال هو يوائمني أي يوافقني»⁵.

والتوأم هو التشريع وهذه التسمية جاء بها "ابن أبي الإصبع المصري" وقد أراد بذلك مطابقة التسمية للمسمى. والتشريع من المصطلحات التي نسبها "ابن أبي الإصبع المصري" للأجدابي، حيث قال: «وهذا الباب أيضا سماه الأجدابي التشريع، وفسره بأن قال: هو أن يبيّن الشاعر البيت أو الناثر النثر على قافيتين إذا اقتصر على إحداهما كان البيت له وزن،

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص308.

2 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص298.

3 - ينظر: العلوي: الطراز، ج3، ص19. وينظر: ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص728. وينظر: ابن معصوم المدني:

أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص271.

4 - ينظر: محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ص278.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(تأم).

وإن كمله على القافية الأخرى كان له وزن آخر، وتكون القافيتان متماثلتين، وتكونان مختلفتين»¹.

وذكر "السيوطي" أن "الحريري" ابتدع هذا الفن، وأن "الأجدابي" هو من سماه "التشريع"، ويسمى كذلك "ذا القافيتين"².

كما أطلق عليه "ابن الأثير" (ت637هـ) اسم "التوشيح"، وعرفه بقوله: «وهو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفین، فإذا وقف من البيت على القافية الأولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض، وإذا أضاف على ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر آخر على عروض، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح، كذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور، فإن كل فقرة منهما تصاغ من سجتين»³.

وقد ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن سبب تغييره للتسمية (التشريع) أنها غير معلومة عند الكافة، ثم يأتي هو بتسمية جديدة (التوأم) غير معلومة لا عند الكافة ولا عند الخاصة، ثم يعرفه بقوله: «وهو أن يكون للبيت كما ذكر قافيتان، وصحة القول في تفسيره أن يقال: أنه متى اقتصر به على القافية الأولى كان من ضرب ذلك البحر الذي عمل الشاعر بيته منه، فإذا استوفى أجزاءه وبناءه على القافية الثانية كان البيت من ضرب غير ذلك الضرب من ذلك البحر، وغالبه أن يختلف الرويان وإن جاز توافقهما، هذا إن كان الكلام شعرا»⁴.

وأستشهد عليه من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شَوْاظٌ مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرَانِ، فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ (سورة الرحمن، آيات من 33 إلى 36) إلى آخر السورة، فلو أننا اقتصرنا فيه على أولى الفاصلتين دون الثانية لو كان التنزيل كذلك_ لكان الكلام تاما مفيدا، وبتكميل الكلام بالفاصلة الثانية أفاد

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص522، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص231.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص219.

3 - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص216.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص522.

معنى زائدا على معنى الكلام الذي خرج مخرج تجاهل العارف للاستفهام فيه عما هو معلوم،
لقصد التوبيخ بعد تعديد النعم، والتحذير من حلول النقم، بذلك جاءت الفاصلة الأولى في
غاية التمكين، والثانية متضمنة إيغالا حسنا جاء مقترنا بتجاهل العارف¹.

وقد استشهد من الشعر بشاهد "الأجدابي" وهو قول الأخطل (الكامل)²:

وإِذَا الرِّيَاحُ مَعَ العَشِيِّ تَنَاحَتْ هَدَجَ الرِّئَالِ تَكْبَهَنَّ شَمَالًا

أَلْفَيْتَنَا نَفْرِي العَبِيْطَ لَضِيْفَنَا قَبْلَ القِتَالِ وَنَقُتْلُ الأَبْطَالَا

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذا الشاهد بقوله: «فإن هذا الشاعر لو اقتصر على
الرئال، والقتال كان الشعر من الضرب المجزوء المرقل من الكامل، فإذا أتممت البيتين صارا
من الضرب التام المقطوع منه، فقدر أن لكل بيت من هذين البيتين قافيتين على تساوي
القافيتين في الرفع وتمائل الرويين وإن اختلف المجرى فيهما»³.

ثم ذكر أنه على هذا المنوال بنى الحريري قوله في المقامات (الكامل)⁴:

يَا خَاطَبَ الدنْيَا الدنْيَةَ إِنِّهَا شَرَكُ الرَدَى، وَقرَارَةُ الأَكْدَارِ

دَارٌ مَتَى مَا أَضْحَكْتُ فِي يَوْمَهَا أَبْكْتُ غَدًا بُعْدًا لَهَا مِنْ دَارِ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا: «لأن اقتصاره على قوله: شرك الردى و أبكت
غدا، يجعل الشعر من الضرب المجزوء السالم من الكامل، وتام البيت يجعل كل بيت من
الضرب المضمّر المقطوع منه، وإن اختلفت القافيتان والرويان والمجرى فيهما»⁵.

ويبدو أن في هذا المصطلح تكلف واضح ولهذا لا يستعمل إلا قليلا، وهو «ليس من الحسن
في شيء، واستعماله في الشعر أحسن منه في الكلام المنثور»⁶، كما قال كذلك " ابن حجة
حجة الحموي" (ت837هـ): «ولا شك أن هذا النوع لا يكفي إلا بتكلف زائد وتعسف، فإنه راجع
إلى الصناعة لا إلى البلاغة والبراعة»⁷.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص523، وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص233.

² - الأخطل: الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ص246. في الديوان: أنا
نعجل بدل(الفيتنا)، والعيال بدل(القتال).

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص523. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص232.

⁴ - المصدران نفسهما: ص523. وص232.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص232. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص523.

⁶ - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص216.

⁷ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص262.

10_ التفويف:

التفويف لغة مأخوذ من (الفوف) بالضم والفتح، جاء في اللسان: «الفوفُ: البياض الذي يكون في أظفار الأحداث، والحبّة البيضاء في النواة، وهي التي تنبت منها النخلة، والقوقة القشرة البيضاء التي تكون على النواة، والفوفُ: الشيء، والفوف: قطع القطن، وبرد مفوف: أي رقيق»¹.

ومن الثوب المَفُوف الذي فيه خطوط بيض، اشتقّ التفويف، والمراد تلوينه ونقشه²، فكأن المتكلم خالف بين جمل المعاني في التفوية كمخالفة البياض لسائر الألوان، لأن بعده من سائر الألوان أشدّ من بعد بعضها عن بعض، إذ هو بسيط بالنسبة إليهما، وكلها مركبة بالنسبة إليه، لأنه قابل لجميع الألوان، وجميع الألوان تقبل التغير إلى لون آخر بحسب التركيب، والشدة والضعف إلا السواد، فإنه لا يقبل تركيباً البتة، فهو ضد البياض ونقيضه، ولا جرم أن الجمع بينهما في الكلام يسمّى مطابقة، بخلاف بقية الألوان³.

وقال عنه "الخطيب التبريزي" (ت502هـ): «والتفويف المشبه بالبرد المفوف، وهو الذي يخلط وشيئاً شيء من بياض»⁴، فما ذكره التبريزي هو التعريف اللغوي لا أكثر، ولكنه استشهد عليه بقول جرير (الوافر)⁵:

هُمُ الْأَخْيَارُ مَنْسَكَةٌ وَهَدِيًّا فِي الْهَيْجَا كَأَنَّهُمْ صُفُورُ
بِهِمْ حَدَبُ الْكِرَامِ عَلَى الْمَعَالِي وَفِيهِمْ مِنْ مَسَاعَتِهِمْ فَتُورُ
خَلَاتِقُ بَعْضُهُمْ فِيهَا كِبَعُضٍ يَوْمٌ صَغِيرُهُمْ فِيهَا الْكَبِيرُ
عَنِ الْنُكْرَاءِ كُلُّهُمْ غَيْبِيٌّ وَبِالْمَعْرُوفِ كُلُّهُمْ بَصِيرُ

والذي يفهم من أمثلته أن التفويف عنده هو أن تصف الممدوح بما يدل على مدحه، وتورد صفات تدل على ذمّه مقترنة بما يجعلها مدحا له.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(فوف). وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص260.

² - بنظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص244.

³ - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص260.

⁴ - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص157.

⁵ - جرير: الديوان، ص234.

أما ابن أبي الإصبع المصري" (ت65هـ) فقد عرفه بقوله: «التفويف عند أرباب علم البيان: إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف والنسيب، وغير ذلك من الفنون التي ينتجها المتكلمون كل فنّ في جملة منفصلة من أختها بالسجع غالباً، مع تساوي الجمل في الزنة. ويكون بالجمل الطويلة، والجمل المتوسطة، والجمل القصيرة»¹.

فالتفويف عنده هو الجمع بين فنون وأغراض شتى، مع المخالفة بين جمل المعاني في التقفية كمخالفة البياض سائر الألوان.

وقد استشهد على التفويف المركب من الجمل الطويلة من الكتاب العزيز بقوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ، وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ، وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ﴾ {سورة الشعراء، الآيات 78_82}، ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة قوله عز وجل: ﴿تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ، وَتُؤَلِّجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ، وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ، وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ﴾ {سورة آل عمران، الآية 27}.

فانظر إلى تحليل "ابن أبي الإصبع المصري" للشاهدين خاصة وأنهما يحتويان على أكثر من لون بديعي، فقد توقف عندهما طويلاً، فقال محلاً: «وفي كلا هاتين الآيتين من المحاسن بعد التفويف طرف من المحاسن يستفز العقول طرباً، والآية الأولى أكثر بديعاً من الثانية، فمن ذلك ما حصل في الآية الأولى من المناسبة التامة المقترنة بالتفويف في قوله سبحانه: ﴿خَلَقَنِي﴾ و﴿يَطْعِمُنِي﴾، والتكيت في قوله: ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ﴾، فإن النكته التي أوجبت على الخليل عليه السلام إسناد فعل المرض إلى نفسه دون بقية الأفعال حسن الأدب مع ربه عزّ وجلّ، إذ أسند إليه أفعال الخير كلّها، وأسند فعل الشر إلى نفسه، وحسن الترتيب المقترن بحسن النسق، فإنه قدّم الخلق الذي يجب تقديم الاعتداد به من الخالق على المخلوق واعترف المخلوق بنعمته، فإنه أول نعمة، وفي إقرار المخلوق بنعمة الإيجاد من العدم إقراره بقدرة الخالق على الإيجاد والاختراع وحكمته، ثم تثنى بنعمة الهداية التي هي أولى بالتقديم

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص98، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص260، 261.

بعد نعمة الإيجاد من سائر النعم، ثم تلت بالإطعام والإسقاء اللذين هما مادة الحياة، وبهما من الله استمرار البقاء إلى الأجل المحتوم، وذكر المرض وأسنده إلى نفسه أديبا، كما قلنا مع ربه، ثم أعقب ذكر المرض بذكر الشفاء مسندا ذلك إلى ربه، ثم ذكر الإمامة مسندا فعلها إلى ربه لتكميل المدح بالقدرة المطلقة على كل شيء من الإيجاد والإعدام، ثم ردف ذكر الموت ذكر الإحياء بعد الموت، وفيه مع الإقرار بهذه النعمة والاعتراف بالقدرة والإيمان بالبعث، وكل هذه المعاني جمل ألفاظها معطوف بعضها على بعض بحروف ملائمة لمعاني الجمل المعطوفة، فما وجب عطفه بالواو عطف بالواو، وما وجب عطفه بالفاء عطف بالفاء، وما وجب عطفه بثمَّ عطف بثمَّ»¹.

وبعد هذا التحليل الشافي للشاهدين يواصل كلامه مبيِّنا (التقويف) وبقية الألوان التي جاءت في الآيتين، فـ "ابن أبي الإصبع المصري" يستهويه الكشف عن ألوان البديع في الآية الواحدة، فلا يغادرها حتى يستخرج منها كل الألوان البديعية، يقول: «فحصل في الآية أغرب أقسام التقويف، وهو الذي يكون جملة متماثلة المقاطع، لأن وقوع ذلك فيه نادر، والغالب وقوعه بخلافه، إذ لا يجب تماثل مقاطعه إلا في الزنة دون التقفية، ثم المناسبة التامة، وصحة التقسيم إذ استوعبت أقسام المعنى الدنيوية والأخروية من الخلق والهداية والإطعام والإسقاء والمرض والشفاء والموت والحياة والإيمان بالبعث وغفران الذنب، وإنما اعتد بالمرض من جملة النعم، لما فيه لو عقل المريض من تكفير السيئات، وحصول الحسنات، ورفع الدرجات، وكذلك الموت فإنه طريق إلى الحياة الأبدية، والنعم السرمدية. ووقع في الآية الثانية بعد التقويف المطابقة والعكس والتبديل»².

ثم ذكر أنه لم يأت شيء من المركب من الجمل القصيرة في شيء من الكلام الفصيح³.
وقد جاء من التقويف المركب من الجمل الطويلة من الشعر قول النابغة الذبياني (الطويل)⁴:

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص99، 100.

² - المصدر نفسه: ص100.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص100.

⁴ - النابغة الذبياني: الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د ت)، ص164.

فَلله عينا من رأى أهل قُبَّةٍ أَضَرَ لِمَنْ عَادَى وَأَكْثَرَ نافعاً
وأعظم أحلاماً وأكبر سيِّداً وأفضل مشفوعاً إليه وشافعا

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن أول من نطق بالتقويف المركب من الجمل الطويلة عنتره، في قوله¹:

إِنْ يَلْحَقُوا أَكْرُرُ، وَإِنْ يُسْتَلْحَمُوا أَشُدُّ، وَإِنْ نَزَلُوا بِضْنِكِ أَنْزِلِ

ومثال ما جاء منه بالجمل المتوسطة فقول أبي الوليد بن زيدون (البسيط)²:

تِهَ احْتَمَلِ، واحْتَكِمِ اصْبِرْ، وَعِزَّ أَهْنُ وِدَلَّ اخْضَعْ، وَقَلَّ أَسْمَعْ، وَمَرَّ أُطِعِ

أما ما جاء من التقويف بالجمل القصيرة فقول المتنبي (البسيط)³:

أَقِلْ أَنْزِلْ أَقْطِعِ احْمِلْ عَلَّ سَلَّ أَعِدْ زِدْ هَشَّ بَشَّ تَفَضَّلْ أَدْنُ سَرَّ صِلْ

ولكن "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) لم يرق له هذا المصطلح، فقال في شأنه: «التقويف تأملته فوجدته نوعاً لم يُفد غير إرشاد ناظمه إلى طرق العقادة. والشاعر، إذا كان معنوياً وتجنَّس مشاقه، تقصر يده عن التطاول إلى اختراع معنى من المعاني الغريبة، وتجفوه حسان الألفاظ، ولم يعطف عليه بُرْقَةٌ وتأنفُ كل قرينة صالحة أن تسكن له بيتاً، ولكن روع المعارضة ملزم به»⁴.

ثم نقل تعريف "ابن أبي الإصبع المصري" له وبعض أمثله⁵، وفعل مثله "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) وزاد أمثلة أخرى.

11_ التوشيع:

التوشيع لغة من وشع، فيقال: «وَشَعَ القطن وغيره ووشَّعه، كلاهما: لفَّه. والتوشيع: دخول الشيء في الشيء»⁶.

¹ - عنتره: الديوان، شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م، ص126.

² - ابن زيدون: الديوان، دراسة وتهذيب عبد الله سنرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م، ص73. في الديوان (استطل أصبر) بدل (احتكم أصبر) و(ولَّ أقبل) بدل (دلَّ أخضع).

³ - المتنبي: الديوان، ج2، ص113.

⁴ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص244.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص244. وينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص304.

⁶ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (وشع).

وفي الاصطلاح: «أن يؤتى في عجز الكلام بمثنى مفسر باسمين أحدهما معطوف على الآخر»¹.

وقد حاول "ابن أبي الإصبع المصري" أن يلتمس وجها للمناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحى للتوشيع في قوله: «التوشيع لغة من الوشيعه، وهي الطريقة في البرد المطلق، فكأن الشاعر أهمل البيت كله إلا آخره، فإنه أتى فيه بطريقة تعدّ من المحاسن»².

ثم ذكر تعريفه عند أهل الصناعة، فقال: «وهو عند أهل الصناعة عبارة عن أن يأتي المتكلم أو الشاعر باسم مثنى في حشو العجز، ثم يأتي ثلوه باسمين مفردين هما عين ذلك المثنى، يكون الأخير منهما قافية بيته أو سجة كلامه، كأنهما تفسير ذلك»³.

وقد استشهد عليه من السنة النبوية بما لا يلحق بلاغة وهو قول الرسول_ صلى الله عليه وسلم: «يَشِبُّ ابن آدم وتَشِبُّ فيه خَصَلتان: الحِرْصُ، وطولُ الأمل»⁴.

واستشهد على هذا الباب من الشعر بقول الشاعر (البيسط)⁵:

أُمْسِي وَأُصْبِحُ مِنْ تَذَكَرِكُمْ وَصَبَا	يَرِثِي لِي الْمُشْفِقَانِ: الْأَهْلُ وَالْوَلَدُ
قَدْ خَدَّدَ الدَّمْعُ خَدِّي مِنْ تَذَكَرِكُمْ	وَاعْتَادَنِي الْمَضْنِيَانِ: الْوَجْدُ وَالْكَمْدُ
وَغَابَ عَنِّ مَقَلَّتِي نَوْمِي لَغَيْبَتِكُمْ	وَخَانَنِي الْمُسْعِدَانِ: الصَّبْرُ وَالْجَدُّ
لَا عَزْوَ لِلدَّمْعِ أَنْ تَجْرِي عَوَارِبُهُ	وَتَحْتَهُ الْمَضْرَمَانِ: الْقَلْبُ وَالْكَبِدُ
كَأَنَّما مُهَجَّتِي شَلَوُ بِمَسْبَعَةٍ	يَنْتَابُهَا الضَّارِيَانِ: الدَّنْبُ وَالْأَسَدُ
لَمْ يَبْقَ غَيْرَ خَفِيِّ الرُّوحِ فِي جَسَدِي	فَدَى لَكَ الْبَاقِيَانِ: الرُّوحُ وَالْجَسَدُ

لقد استحسّن "ابن أبي الإصبع المصري" هذه الأبيات، ولكنه انتقد منها البيت الأول لتقصيره عما يجب في قوله: «وهذه الأبيات جيّدة، لو لم يقع في البيت الأول منها تقصير عمّا يجب في مثله على الطريقة المحمودة من طرائق النسيب حيث قال: "يرثي لي

1 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص239.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص316.

3 - المصدر نفسه: ص316.

4 - المصدر نفسه: ص316.

5 - وردت هذه الأبيات، عند ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ص316، 317. وعند ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ص360. وعند ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص183، غير منسوبة. الوصب: الوجد بكسر الجيم، وخدد الدمع خذي: أهزله، غوارب الدمع: ما خفي منها، المضمرمان: الملهبان، الشلو: واحد الأشلاء وهي أعضاء الإنسان، المسبعة: الأرض التي تسكنها السباع.

المشفقان" ، فإنه ليس من الكلام البليغ قول من يشكو محنة قد رثى لي المشفق منها، وأبلغ منه قول من يقول رثى لي العدو ورق لي الصخر، وأشباه ذلك»¹.

ثم قال: وما يشعر قلته في هذا المعنى من بأس (البيسط)²:

بِي مَحْنَتَانِ مُلَامٌ فِي هَوَىٰ بِهِمَا رَثَىٰ لِي الْقَاسِيَانِ: الْحُبُّ وَالْحَجْرُ
لَوْلَا الشَّفِيقَانِ مِنْ أَمْنِيَةِ وَأَسَىٰ أَوْدَىٰ بِي الْمُرْدِيَانِ: الشَّوْقُ وَالْفِكْرُ

وقد أطلق "ابن أبي الإصبع المصري" على مثاله هذا اسما جديدا، وهو "تطريف التوشيع" في قوله: «ويحسن أن يسمى ما وقع في بيتي تطريف التوشيع، إذ وقع التوشيع في طرفي كل بيت في أوله وآخره»³.

ونقل "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) تعريف "ابن أبي الإصبع المصري" لهذا المصطلح وشواهد. وكذا العلوي (ت705هـ) وابن معصوم المدني (ت1120هـ).

فهذا التعبير عن المعنى الواحد بالمتنى المفسر باسمين مفردين متعاطفين في البيت الواحد يحدث نوعا من الإيقاع تطرب له الأذن وتشد له النفس، كما أن توالي ذلك يدفع الملل عنها.

12_ المماثلة:

المماثلة لغة من المثل بمعنى المشابهة، يقول ابن منظور: «مثل: كلمة تسوية. يقال: هذا مثله ومثله، كما يقال شبيهه وشبيهه بمعنى. قال بن برّي: الفرق بين المماثلة والمساواة أن المساواة تكون بين المختلفين في الجنس والمتفقين لأن التساوي هو التكافؤ في المقدار لا يزيد ولا ينقص، والمماثلة فلا تكون إلا في المتفقين»⁴.

الملاحظ على المماثلة أن أهل الصناعة ذكروا فيها مفاهيم عدة.

فقد عرفها "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) بقوله: «المماثلة: أن يريد المتكلم العبارة عن معنى، فيأتي بلفظة تكون موضوعة لمعنى آخر، إلا أنه ينبئ إذا أورده عن المعنى الذي

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص317.

² - المصدر نفسه: ص317، شعره.

³ - المصدر نفسه: ص317.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(مثل).

أراد، كقولهم: فلان نقي الثوب، يريدون به أنه لا عيب فيه»¹، فالمماثلة عنده قريبة الشبه بالتمثيل.

وعدها "الباقلاني" (ت403هـ) ضرب من الاستعارة، قال بأنها: «ضرب من الاستعارة، سماه قدامة التمثيل، وهو على العكس من الإرداف؛ لأن الإرداف مبني على الإسهاب والبسط، وهو مبني على الإيجاز والجمع. وذلك أن يقصد الإشارة إلى معنى، فيضع ألفاظا تدل عليه؛ وذلك المعنى بألفاظه مثال للمعنى الذي قصد الإشارة إليه»².

وأدخلها "ابن رشيق" (ت456هـ) في التجنيس، وهذا في قوله: «التجنيس ضروب كثيرة: منها المماثلة، وهي أن تكون اللفظة واحدة باختلاف المعنى»³.

وتابع "التبريزي" (ت502هـ) الباقلاني فيما ذهب إليه، في قوله: «والمماثلة ضرب من الاستعارة»⁴.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد خالف أسلافه في مفهوم المماثلة، حيث قال في تعريفها: «هو أن تتماثل ألفاظ الكلام أو بعضها في الزنة دون التقفية»⁵. فالمماثلة عنده تحسين لفظي وهي قريبة الشبه بالتسجيع والتجزئة، أما عند "أبي هلال العسكري" وغيره من البلاغيين فهي تحسين معنوي.

وقد استشهد "ابن أبي الإصبع المصري" عليها من القرآن الكريم والشعر العربي. قال عز وجل: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ، النَّجْمُ الثَّاقِبُ، إِنَّ كُلُّ نَفْسٍ لَمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ﴾ {سورة الطارق، آيات من 2-4}، فالطارق والثاقب وحافظ متماثلات في الزنة دون التقفية⁶.

ثم ذكر أنه قد تأتي بعض ألفاظ المماثلة مقفاة من غير قصد، لأن التقفية في هذا الباب غير لازمة، كقول امرئ القيس (المتقارب)⁷:

فَتَوَّرُ الْقِيَامَ، فَطَوَّعُ الْكَلَامَ
تَفْتَرَّ عَنْ ذِي غُرُوبٍ خَصِرَ

1 - العسكري: الصناعتين، ص353.

2 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص119.

3 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص321.

4 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص146.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص297. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص107.

6 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص297. وص107.

7 - امرؤ القيس: الديوان، ص69. تفتَّر: تبسَّم، الغروب: حدة الأسنان، الخصر: البارد، القطر: العود الذي يتبخر به، المستحر: الصوت بالسحر.

كَأَنَّ الْمُدَامَ، وَصَوَّبَ الْعَمَامَ وَرِيحَ الْخُزَامِي، وَنَشَرَ الْفُطْرُ
يُعَلُّ بِهِ بَرْدُ أَنْيَابِهَا إِذَا غَرَّدَ الطَّائِرُ، الْمُسْتَحَرَّ

أما شاهده الذي هو على أصل هذا الباب في التزام الزنة دون التقفية، فكقول الشاعر (المتقارب) ¹:

صَفْوَحٌ، كَرِيمٌ، رَصِينٌ إِذَا رَأَيْتَ الْعَقُولَ بَدَا طَيْشُهَا
نَدَاهُ سَحْوَحٌ عَلَى أَنْفَسِ بِهِ أَخْضَرَ لَمَّا سَقَى عَيْشُهَا
وكقول أبي ذؤيب (الوافر) ²:
مَعْتَقَةٌ، مَصْفَقَةٌ، عُقَارٌ شَامِيَةٌ، إِذَا جُلِيَتْ مَرَوْحٌ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على البيت الشعري: «فقوله: معتقة، مصفقة، شامية متماثلة لتساوي الكلام في الزنة، وهذا البيت من أقوى دليل على أن التقفية في المماثلة غير لازمة، إذ لو كانت لازمة لأتى بشامية على سجع معتقة مصفقة» ³.

ثم ذكر أنه قيل: إن المماثلة تماثل الألفاظ في المعنى مع اختلاف اللفظ، ومثل لهذا النوع بقول أبي تمام (البسيط) ⁴:

وَقَالَ ذُو أَمْرِهِمْ لَا مَرْتَعٌ صَدَرٌ لِلسَّارِحِينَ وَلَيْسَ الْوَرْدُ مِنْ كَثِبِ

فالصدر: القريب، والكثي: القريب. ومثل هذا في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَخُزْنِي إِلَى اللَّهِ﴾ {سورة يوسف، الآية 86} ⁵.

وفرق بين المماثلة والمناسبة في قوله: «والفرق بين المماثلة والمناسبة توالي الكلمات المستويات في المماثلة، وتفارقها في المناسبة» ⁶.

ونقل "ابن حجة الحموي" (ت 837هـ) تعريف ابن أبي الإصبع المصري للمماثلة وأمثله، ثم ذكر أنه لا طائل من ورائها سوى التكرير، يقول: «هذا النوع، أعني المماثلة، ما تستحق عقود

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 398. ويرى المحقق أنه ربما تكون الأبيات لابن أبي الإصبع المصري .

² - المصدر نفسه: ص 398.

³ - المصدر نفسه: ص 298. مصفقة: تحول من إناء إلى آخر كأنه مزاج لها. عقار: لازمت العقل والذن. مروح: لها سورة في الرأس.

⁴ - أبو تمام: الديوان، ج 1، ص 48.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 107. ذو أمرهم: أمرهم. المرتع: المرعى الخصيب. والورد: المورد.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 298.

أنواع البديع، بسموها، أن ينتظم النوع السافل في أسلاكها، وما أعلم وجه الإبداع فيه ما هو؟ ولا نرى من استخراجها وعدّه بديعا غير الكثرة، وقد حسن أن أنشد ههنا(الطويل) :

وكثر فارتابت ولو شاء قللا

وتا الله ما اختلج في فكري من حين تأدبت أن أرصعه في قصيدة من قصائدي، ولكن حكم المعارضة أوجب ذلك»¹.

فالحظ ما يحدثه تماثل وتكرار الأوزان في الألفاظ من قيمة صوتية.

13_ الموازنة:

الموازنة لغة من (وزن)، فيقال: «وازنت بين الشيئين موازنة ووزانا، وهذا يوازن هذا إذا كان على زنته أو كان محاذيه. ووازنه: عادله وقابله. وهو وزنه وزنته ووزانه وبوزانه أي قبالتة»².

أما في الاصطلاح فتعني: «تساوي الفاصلتين في الوزن دون التقفية»³.

ذكر "الباقلائي" (ت403هـ) الموازنة ولم يعرفها⁴.

والموازنة نوع من المقابلة عند "ابن رشيق" (ت456هـ)، وفي هذا يقول: «ومن المقابلة ما ليس مخالفا ولا موافقا كما شرطوا إلا في الوزن والازدواج فقط، فيسمى حينئذ موازنة، نحو قول أبي الطيب⁵:

نصيبك في حياتك من حبيب نصيبك في منامك من خيال

وازن قوله "في حياتك" بقوله "في منامك" وليس بضده ولا موافقه، وكذلك صنع في الموازنة بين حبيب وخيال، وإن اختلف حرف اللين فيهما، فإن تقطيعه في العروض واحد»⁶.

وعرفها "التبريزي" (ت502هـ) بقوله: «والموازنة: أن تكون الألفاظ متعادلة الأوزان، متوالية الأجزاء»⁷.

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص742.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(وزن).

3 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة مجددة، 2003م، ص352.

4 - بنظر: الباقلائي: إعجاز القرآن، ص134.

5 - المتنبي: الديوان، ج2، ص70.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص19، 20.

7 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص141.

وعدها"ابن الأثير"(ت637هـ) من الصناعة اللفظية، وعرفها بقوله:«وهي أن تكون ألفاظ الفواصل من الكلام المنثور متساوية في الوزن، وأن يكون صدر البيت الشعريّ وعجزه متساويي الألفاظ وزنا»¹. وذهب إلى أن أسلوبها أخو السجع في المعادلة دون المماثلة، لأن في السجع اعتدالا وزيادة الاعتدال، وهي تماثل أجزاء الفواصل لورودها على حرف واحد، وأما الموازنة ففيها الاعتدال الموجود في السجع ولا تماثل في فواصلها. فيقال: كل سجع موازنة، وليس كل موازنة سجعا، وعليه فالسجع أخص من الموازنة².

وجاءت الموازنة عند"ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) على معنيين:

الأول: المعنى البديعي، حيث عرفها بقوله:«وهو أن تأتي الجملة من الكلام، والبيت من الشعر متزن الكلمات، متعادل اللفظات في التسجيع والتجزئة معا في الغالب»³. يفهم من تعريفه للموازنة أنه يشترط فيها أن تأتي الكلمات على وزن صرفي واحد، وأن تتماثل حروفها في نهاية الجمل، فجمع بذلك بين مصطلحي السجع والتجزئة.

ومثّل لها بقول امرئ القيس(المتقارب)⁴:

أفادَ، وسادَ، وقادَ، وزادَ وشادَ، وجادَ، وزادَ، وأفضَلَ

وكقول الآخر(المتقارب)⁵:

وهُوبٌ، مهيبٌ، رحيبُ الفناءِ ربيعٌ، مريءٌ، رفيعُ الدُّرا

وقد فرّق بين الموازنة والمماثلة من جهة وبين الموازنة والتجزئة من جهة ثانية، وهذا في قوله:«والفرق بين الموازنة والمماثلة التزام التسجيع في الموازنة، وخلوّ المماثلة عنه، والفرق بينها_أعني الموازنة_ وبين التجزئة مخالفة تسجيع أجزاء التجزئة، ومشابهة تسجيع أجزاء الموازنة»⁶.

1 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص291.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص291.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص386.

4 - امرؤ القيس: الديوان، ص151.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص386.

6 - المصدر نفسه: ص386.

والثاني: المعنى النقدي؛ بمعنى موازنة بعض الكلام ببعض، في قوله: «وهي مقارنة المعاني بالمعاني ليعرفَ الراجحُ في النظم من المرجوح»¹.

وقد استشهد على ذلك بقول السموأل (الطويل)²:

وننكرُ إن شئنا على الناسِ قولهم ولا ينكرون القولَ حين نقولُ

ثم أتى بآية ليوازن بينها وبين البيت الشعري، يقول: «فإنك إذا وازنته بقول الله سبحانه: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّ يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 23) تبين لك ما بين الكلامين من الفرق، وأمثال هذا الباب كثيرة، وهذا أحد وجوه الإعجاز، وهو قياس القرآن بكل معجز من الكلام»³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص95.
² - عروة والسموأل: الديوانين، ص91.
³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص96.

الفصل الثاني

مصطلحات التكرار اللفظي

1_ الاطراد:

الاطراد في اللغة من الجدر (طرد)، جاء في اللسان: «اطرد الشيء: تبع بعضه بعضاً وجرى. واطرد الأمر: استقام. واطرد الكلام: إذا تتابع. واطرد الماء: إذا تتابع سيلانه»¹. وقد نقل هذا المعنى على المشابهة فأطلق على تتابع أسماء متتالية على الترتيب دون كلفة، حتى يكون ذكر الاسم في سهولته كاطراد الماء وسهولة جريانه. وقد عرفه "ابن رشيق" (ت456هـ) بقوله: «هو أن تطرد الأسماء من غير كلفة، ولا حشو فارغ، فإنها إذا اطردت، دلّت على قوة طبع الشاعر، وقلة كلفته ومبالاته بالشعر»². ولعل "ابن رشيق" هو أول من ذكر هذا المفهوم³. ومثّل له بقول الأعشى (الطويل)⁴:

أقيسَ بن مسعود بن قيس بن خالدٍ وأنتَ امرؤُ ترجو شَبَابكَ وائلِ

وسماه "ابن منقذ" (ت584هـ) الاتفاق والاطراد، قال في تعريفه: «أن يتفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلاً كثيراً»⁵. كقول أبي تمام⁶:

لِسَلْمَى سَلَامَانَ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وَهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ وَسُعْدَى بَنِي سَعْدِ

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "ابن رشيق" في مفهومه لهذا المصطلح وذكر بعض أمثله، قال في تعريفه: «وهو أن تطرد للشاعر أسماء متتالية يزيد الممدوح بها تعريفاً، لأنها لا تكون إلا أسماء آبائه تأتي منسوقةً صحيحةً التسلسل غير منقطعة، من غير ظهور كلفة على النظم، ولا تعسف في السبك، بحيث يشبه تحدرها باطراد الماء لسهولته وانسجامه، فمتى جاءت كذلك دلّت على قوة عارضة الشاعر وقدرته»⁷.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (طرد).

2 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص82.

3 - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحماداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014م، ص42.

4 - الأعشى: الديوان، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ط1، 2010م، ج2، ص26.

5 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص87.

6 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص291.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص352، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص141.

واستشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه وعلى آبائه أفضل الصلاة والسلام: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ﴾ {سورة يوسف، الآية 38} ¹ .

وفي تحليله للآية الكريمة، يذهب "ابن أبي الإصبع المصري" -كعاداته- إلى استخراج ما فيها من الألوان البديعية ليبين للمتلقى فرق ما بينها وبين أشعر فصحاء العرب في هذا الباب، حيث يقول: «فالحظ ما اتفق في هذه اللفظات الست من أنواع البلاغة لتقدر نظم القرآن العزيز قدره، وتعرف فرق ما بينه في هذا الباب وما جاء من أشعار فصحاء العرب، وذلك أن في هذه اللفظات الست التي هي بعض آية ثمانية أضرب من البديع والمحسن، أولها الاحتراس من توجيه دَخَل على المعنى، فإن لقائل أن يقول: لو اقتصر على قوله: ﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي﴾ دون البديل، لكان ذلك كافياً، فنقول: لو وقف عند ذلك لاختلت صحة المعنى، لأن مطلق الآباء يتناول من الأب الأدنى الذي ولد الإنسان إلى آدم-عليه السلام- وفي آباء يوسف- عليه السلام- إلى آدم من لا يجب أن يتبع ملته، فاحترس بذكر البديل عما يرد على المبدل منه لو كان وقع الاقتصار عليه، فقال مصرحاً بالآباء الذين أرادهم، لدفع ما يتوجه على الكلام من ذلك الاحتمال، والتفسير الذي خرج البديل في قوله: إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب» ² .

يتابع تحليله قائلاً: «والإدماج لأن الاحتراس لم يلفظ به، وإنما جاء مدمجاً في لفظ التفسير؛ وحسن النسق، إذ عطف الآباء على الترتيب، ولم يقع في نسقهم تقديم ولا تأخير؛ والتكثيف، في كونه- عليه السلام- لم يأت بأسماء آبائه على الترتيب المألوف، فإن القاعدة لمن يذكر آباءه أن يبتدئ بالأب الذي جاء من صلبه، ثم الأعلى فالأعلى، وإنما خالف هذه القاعدة لأنه هنا لم يرد مجرد ذكر الآباء، وإنما ذكرهم ليذكر ملتهم التي اتبعها، وهي الملة الحنيفية التي ابتدأها إبراهيم- عليه أفضل الصلاة والسلام-، فوجب أن يبدأ لأجل ذلك باسم المبتدئ بالملة المتبعة، ثم يذكر من أخذها عنه أولاً فأولاً على الترتيب، فاقتضت البلاغة ذكر إسحاق بعد إبراهيم، وذكر يعقوب بعد إسحاق» ³ .

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص141.

² - المصدر نفسه: ص141.

³ - المصدر نفسه: ص142.

وكقوله تعالى حكاية عن أولاد يعقوب عليهم السلام: ﴿قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَانُكَ إِبرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ﴾ {سورة البقرة، الآية 132}، فتجاوز الجد الأدنى إلى الجد الأعلى لأنه المبتدئ بالملّة المتبعة؛ والمساواة، لأن ألفاظ هذا المعنى لا فضل فيها ولا تقصير؛ وحسن البيان، فإنه عليه السلام أبان عن دينه بأحسن بيان؛ والإبداع إذ جاء في كل لفظه بديع وبديعان، فهذه ثمانية أضرب من البديع في ست لفظات¹.

أما عن شواهد الشعرية فقد استشهد بقول الأعشى (الطويل)²:

أَقْبَسَ بِنِ مَسْعُودِ بِنِ قَيْسِ بِنِ خَالِدٍ وَأَنْتَ الَّذِي تَرْجُو حِبَاءَكَ وَائِلٌ

ثم قال: «وأحسن من هذا البيت قول دريد لكون الأسماء المطردة جاءت في عجز البيت (الطويل):

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذُوَابَ بَنِّ أَسْمَاءِ بِنِ زَيْدِ بِنِ قَارِبِ

حتى قال عبد الملك بن مروان لما سمع هذا البيت: لولا القافية لبلغ به آدم»³.

وكقول الحارث بن دوس الإيادي (الرملي)⁴:

وَشَبَابٌ حَسَنٌ أَوْجُهُهُمْ مِنْ إِيَادِ بِنِ نِزَارِ بِنِ مَعْدُ

وقد أرى على هؤلاء الشعراء كما يرى ابن أبي الإصبع المصري بعض القائلين (الخفيف)⁵:

مَنْ يَكُنْ رَامَ حَاجَةً بَعْدَتْ عِنْدَهُ وَأَعَيْتَ عَلَيْهِ كُلَّ الْعِيَاءِ

فَلَهَا أَحْمَدُ الْمُرْجِيُّ ابْنُ يَحْيَى بِنِ مُعَاذِ بِنِ مُسْلِمِ بِنِ رَجَاءِ

يقول معلقا على البيتين: «فلو لم يقع في هذا البيت التضمين والفصل بين الأسماء بلفظة المرجى لكان غاية لا تدرك، وعقلية لا تملك، هكذا أعظم المؤلفون قبلي أمر هذا البيت، وأثنوا عليه بما حكيتهم عنهم، وعندي أنه دون بيت دريد بطبقات، وهي أن دريدا اطردت له أربعة أسماء سهلة السبك، سلسلة الألفاظ بغير فصل في أربعة أجزاء من

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 142.

² - الأعشى: الديوان، ج 2، ص 26. في الديوان (شبابك) وليس (حباءك).

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 352.

⁴ - المصدر نفسه: ص 353.

⁵ - المصدر نفسه: ص 353.

الطويل: جزآن خماسيان، وجزآن سباعيان؛ وهذا الشاعر اطّردت له خمسة أسماء في ستة أجزاء سباعية، من الخفيف، مع الفصل والتكليف والتضمين»¹.

وقد استشهد ببيت من شعره في هذا الباب يقول فيه (البسيط)²:

أجلّ ملكٍ إلى العلياءِ منسوبٍ محمدُ بنُ أبي بكرٍ بنِ أيوبٍ

ثم ذكر أن هذه شواهد ما جاء من الاطراد بأسماء إذا فصلت من الإضافة استقلّ المضاف إليه بنفسه.

أمّا ما جاء الاطراد فيه بأسماء إذا فصلت استقلّ المضاف إليه بنفسه، فمثل له بقول أبي تمام (الكامل)³:

طلبتُ ربيعَ ربيعةَ المُهمَى لها ووردن ظلّ ربيعةَ الممدودا
بكرِيها علويها صغبيها الـ حصني شيبانيها الصنديدا
ذهليها مريها مضرِيها يُمنى يديها خالد بن يزيدا
نسبٌ كان عليه من شمس الضحى نورا ومن فلق الصّباح عمودا

أراد البيتين الأوسطين.

فهذا التتابع والتسلسل في الأسماء أحدث نوعا من الانسجام في الكلام دلّ على قوة طبع المتكلم وقلة تكلفه.

2_ التجنيس:

التجنيس في اللغة من (جنس)، جاء في اللسان: «الجنس: الضرب من كل شيء، وهو من الناس ومن الطير ومن حدود النحو والعروض والأشياء جملة، والجنس أعمّ من النوع. ومنه المجانسة والتجنيس. ويقال: هذا يجانس هذا أي يشاكله»⁴.

وقد نقل المعنى اللغوي على المشابهة فأطلق في الاصطلاح على تشابه اللفظين مع بعضهما في الشكل واختلافهما في المعنى، كما جاء عند النقاد والبلاغيين.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص353.

2 - المصدر نفسه : ص353 من شعره.

3 - أبوتمام: الديوان، ج1، ص220.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(جنس).

و«الجناس والتجنيس والمجانسة والتجانس: كلها ألفاظ مشتقة من الجنس، فالجناس مصدر جانس، والتجنيس تفعيل من الجنس، والمجانسة مفاعلة منه. لأن إحدى الكلمتين إذا شابهت الأخرى وقع بينهما مفاعلة الجنسية، والتجانس مصدر تجانس الشيطان: إذا دخلا تحت جنس واحد»¹.

وقد اختلفت أنواع الجناس وتعددت أقسامه وتفرعاته خاصة ما كان عند المحدثين، وإلى ذلك أشار "ابن الأثير" في قوله: «اعلم أنّ التجنيس غرّة شاذخة وجه الكلام، وقد تصرّف العلماء من أرباب هذه الصناعة، فغربوا وشرقوا، لاسيّما المحدثين منهم، وصنّف النَّاس فيه كتباً كثيرة، وجعلوه أبواباً متعدّدة، واختلفوا في ذلك، وأدخلوا بعض تلك الأبواب في بعض، فمنهم عبد الله بن المعتزّ، وأبو علي الحاتمي والقاضي أبو الحسن الجرجاني، وقدامة بن جعفر الكاتب، وغيرهم»².

ذكره "سيبويه" (ت180هـ) دون أن يسميه، في قوله: «اتفاق اللفظين واختلاف المعنيين»³.

وسماه "ثعلب" (ت291هـ) المطابق، وقال: «هو تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين»⁴.

وسماه "ابن المعتز" (ت296هـ) "التجنيس"، وعدّه ثاني أبواب البديع الخمسة عنده، وعرفه بقوله: «هو أن تجيء الكلمة تجانس أخرى في بيت شعر وكلام، ومجانستها لها أن تشبهها في تأليف حروفها على السبيل الذي ألف الأصمعي كتاب الأجناس عليه. وقال الخليل الجنس لكل ضرب من الناس والطير والعروض والنحو»⁵.

أما "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) فقد أدخله في باب ائتلاف اللفظ والمعنى، وسماه المطابق وعرفه بقوله: «فأما المطابق فهو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها»⁶.

وسماه كذلك المجانس، وعرفه بقوله: «وأما المجانس؛ فإن تكون المعاني اشتراكها في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق»⁷.

1 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج1، ص97.

2 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص262.

3 - سيبويه: الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط3، 1988م، ج1، ص24.

4 - ثعلب: قواعد الشعر، ص60.

5 - ابن المعتز: البديع، ص25.

6 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص162.

7 - المصدر نفسه: ص163.

وعليه فالمطابق عند "قدامة بن جعفر" هو التجنيس التام، أما المجانس فهو شبيه به أو أحد أنواعه الذي يسمى تجنيس الاشتقاق .

وأطلق عليه "الرماني"(ت386هـ)"التجانس" وذكر أنه على وجهين هما: المزوجة والمناسبة، وعرفه بقوله:«تجانس البلاغة هو بيان بأنواع الكلام الذي يجمعه أصل واحد في اللغة. والتجانس على وجهين؛ مزوجة ومناسبة، فالمزوجة تقع في الجزاء كقوله تعالى:﴿فَمَنْ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾{سورة البقرة، الآية194}... والمناسبة، وهي تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد فمن ذلك قوله تعالى:﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾{سورة التوبة، الآية127}»¹.

ومفهوم التجنيس عند "العسكري"(ت395هـ) هو:«أن يُوردَ المتكلم كلمتين تجانس كلُّ واحدة منهما صاحبتهما في تأليف حروفها»².

وذكر "ابن رشيق"(ت456هـ) أن التجنيس على أنواع منها: المماثل، والمحقق، والمضارع، والمنفصل، والمضاف. وذكر أيضا أن التجنيس يعدّ طباقا إذا دخل عليه نفي، وكذلك الطباق يصير بالنفي تجنيسا³.

وسماه "ابن سنان الخفاجي"(ت466هـ) المجانس، وقال:«ومن التناسب بين الألفاظ المجانس وهو أن يكون بعض الألفاظ مشتقا من بعض إن كان معناهما واحدا أو بمنزلة المشتق إن كان معناهما مختلفا، أو تتوافق صيغتا اللفظتين مع اختلاف المعنى»⁴.

وتحدث "عبد القاهر الجرجاني"(ت471هـ) عن التجنيس دون أن يعرفه، وذلك في قوله:«أما التجنيس فإنّك لا تستحسن تجانس اللفظتين إلا إذا كان موقع معنيهما من العقل موقعا حميدا، ولم يكن مرمى الجامع بينهما مرمى بعيدا»⁵، ثم أبرز سرّ حسنه وجماله قائلا:«...ورأيت الآخر قد أعاد عليك اللفظة كأنه يخدعك عن الفائدة وقد أعطاها، ويوهمك

¹ - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص 99 ، 100 .

² - العسكري: الصناعتين، ص321.

³ - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج1، ص 331 ، 332 .

⁴ - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص193.

⁵ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص7.

كأنه لم يزدك وقد أحسن الزيادة ووفاهها»¹، فأمر التجنيس ليس تكراراً صوتياً لا يدل على معنى وإنما فضيلة الحسن عنده «أمر لم يتم إلا بنصرة المعنى، إذ لو كان باللفظ وحده لما كان فيه إلا مستحسنٌ، ولما وُجد فيه معيب مستهجن»².

والإكثار من التجنيس والولوع به مذموم وغير محمود لأن «أحلى تجنيس تسمعه وأعلاه، وأحقه بالحسن وأولاه، ما وقع من غير قصد من المتكلم إلى اجتلابه، وتأهّب لطلبه»³. ومثل له بقول الإمام الشافعي رحمه الله_ وقد سُئل عن النبيذ فقال: «أجمع أهل الحرمين على تحريمه»⁴.

وبقول البحتري (الكامل)⁵:

وهوى هوى بدموعه فتبادرت نسقاً يطان تجلداً مغلوباً

وعدّ "الخطيب التبريزي" (ت502هـ) التجنيس مما تجب معرفته من صنعة الشعر، وعرفه بقوله: «أن يأتي الشاعرُ بلفظتين في البيت إحداهما مشتقة من الأخرى، وهذا الجنس يسمونه المطلق»⁶. ثم ذكر بعض أنواعه دون أن يعرفها ولكنه مثل لها بأمثلة، وهي: التجنيس المستوفي، والتجنيس الناقص، والتجنيس المضاف⁷.

وجعل "ابن منقذ" (ت584هـ) التجنيس على ثمانية أضرب، وهي⁸:

التجنيس المغاير: وهو أن تكون الكلمتان اسماً وفعلاً، مثل قوله تعالى حكاية عن بلقيس: ﴿وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ {سورة النمل، الآية44}، والتجنيس المماثل: وهو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، كما قال الله عز وجل: ﴿فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ﴾ {سورة الواقعة، الآية89}، وتجنيس التصحيف: وهو أن تكون النقط فرقا بين الكلمتين، وتجنيس التحريف، والتصريف، والترجيع، والعكس، والتركيب.

1 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 7، 8.

2 - المصدر نفسه: ص8.

3 - المصدر نفسه: ص11.

4 - المصدر نفسه: ص11.

5 - البحتري: الديوان، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3، (د ت)، مج1، ص184.

6 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص137.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ص 138، 139.

8 - ينظر: ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص12-34.

وقال "السكاكي" (ت626هـ): «التجنيس هو تشابه الكلمتين في اللفظ، والمعتبر منه في باب الاستحسان عدة أنواع»¹، هي²:

أحدها: التجنيس التام: وهو أن لا يتفاوت المتجانسان في اللفظ؛ كقوله: رَحْبَهُ، رَحْبَهُ.

وثانيها: التجنيس الناقص: وهو أن يختلفا في الهيئة دون الصورة؛ كقولك: البُرْدُ يمنع البُرْدَ.

وثالثها: التجنيس المذيل: هو أن يختلفا بزيادة حرف؛ كقولك: مال كمالِي.

ورابعها: التجنيس المضارع، أو المطرف: وهو أن يختلفا بحرف أو حرفين، مع تقارب

المخارج؛ كقولك: دامس طامس.

وخامسها: التجنيس اللاحق: وهو أن يختلفا لا مع التقارب؛ كقولك: سعيد بعيد.

وذكر نوعا آخر سماه "التجنيس المشوَّش"، كقولك: بلاغة وبراعة .

وقال "ابن الأثير" (ت637هـ) عن التجنيس: «وحيقيقته أن يكون اللفظ واحدا والمعنى

مختلفا»³،

وقد قسمه سبعة أقسام واحد منها هو الذي يدل على التجنيس الحقيقي والأخرى هي ما

شبهه به أو ما جرى مجراه، فأما الأول: وهو ما دلّ على التجنيس الحقيقي هو أن تتساوى

حروف ألفاظه في تركيبها ووزنها، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا

لَبِئْتُوا عَيْرَ سَاعَةٍ﴾ {سورة الروم، الآية 55} ⁴.

أما الأقسام الستة المشبهة بالتجنيس ⁵:

فالأول منها: أن تكون الحروف متساوية في تركيبها، مختلفة في وزنها، فمن ذلك

قوله_صلى الله عليه وسلم_: «اللهم كما حسنت خلقي حسن خلقي» .

والثاني: أن تكون الألفاظ متساوية في الوزن مختلفة في التركيب بحرف واحد، كقوله

تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ، إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ {سورة القيامة، الآية 23} .

والثالث: وهو أن تكون الألفاظ مختلفة في الوزن والتركيب بحرف واحد.

¹ - السكاكي : مفتاح العلوم، ص429.

² - المصدر نفسه : ص 429 ، 430.

³ - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص262.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص263.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص268-277.

والرابع: ويسمى المعكوس. وذلك ضربان: أحدهما عكس الألفاظ، والآخر عكس الحروف.

والخامس: ويسمى المجنّب، وهو أن يجمع مؤلف الكلام بين كلمتين إحداها كالتبع للأخرى والجنبية لها، كقول بعضهم:

أبا العباس لا تحتسب بأني لشيء من حلى الأشعار عاري

والسادس: وهو ما يساوي وزنه تركيبه غير أن حروفه تتقدم وتتأخر، كقول أبي تمام:

بيض الصفائح لا سودّ الصحائف في متونهنّ جلاء الشكّ والرّيب

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فلم يخرج عن شبه إجماع أسلافه في هذا المصطلح، فقد ذكر أقوال سابقيه من البلاغيين، وقارن بينها، ونوع في الشواهد بين قرآن كريم وحديث شريف وشعر عربي.

فقد ذكر حدّ الجناس_السابق_ عند "الرماني"، ثم ذكر حدّه عند "قدامة" و"ابن المعتز"، فقال: «وأما قدامة وابن المعتز وإن اختلفا في تسمية هذا الباب فقد اتفقا على معناه، فقال قدامة في حدّه: هو اشتراك المعاني في ألفاظ متجانسة على جهة الاشتقاق كقول زهير (البسيط):

كأنّ عيني وقد سال السليلُ بهم وعبرة ما همو لو أنّهم أمم

وهذا الحد بعينه هو تجنيس المناسبة الذي ذكره الرماني، ولولا قول قدامة على جهة الاشتقاق لكان حدّه بعينه هو حد الرماني المطلق. وقال ابن المعتز هو أن تجيء الكلمة مجانسة أختها كقول الله تعالى: ﴿فَأَقْمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾ {سورة الروم، الآية43}... وهذا بعينه هو تجنيس المناسبة من جهة الاشتقاق»¹.

ثم قال: «ولم يخرج من جاء بعد هؤلاء عما حدّوه به، لكنهم فرّعوه ثمانية فروع، وعلى هذا التفرع أكثر المتأخرين سوى التبريزي، فإنه نقص من هذه الأقسام أربعة وأثبت أربعة، وخط في الشواهد، وغير الأسماء، هذا وإن كان متأخراً عنّ قسم التجنيس ثمانية أقسام،

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص 102 ، 103.

واخترع أسماءها، فإني لم أقف على صحة ذلك، ورأيت ابن منقذ قد أتى على الأقسام الثمانية، وفاته قسم تاسع أتى به التبريزي»¹. وسماه التجنيس المضاف .

وللتجنيس عند ابن أبي الإصبع المصري "أصلان هما: جناس المزوجة، وجناس المناسبة، تفرع فيهما عشرة فروع: منها لفظي، ومنها معنوي² .

ومثّل على جناس المزوجة اللفظي بقوله تعالى: ﴿وَجَزَاء سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾ {سورة الشورى، الآية 40}، يعلق على الآية الكريمة بقوله: «لأن السيئة الثانية ليست بسيئة، وإنما هي مجازاة عن السيئة، سُميت باسمها لقصد المزوجة»³ .

ومثّل على جناس المناسبة اللفظي بقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 79}⁴ .

وقد قسم ابن أبي الإصبع المصري "فروع التجنيس إلى قسمين اثنين هما: تجنيس تغاير، وتجنيس تماثل، والملاحظ عليه أنه كان متناقضا في طرحه لهذا الباب بين الكتابين.

حيث ذكر في كتاب "تحرير التعبير" أن تجنيس التغاير هو أن تكون إحدى كلمتي التجنيس اسما، والأخرى فعلا، وهذا سماه "التبريزي" التجنيس المطلق... وقد فرّع "التبريزي" من هذا القسم ضربا سماه التجنيس المستوفي، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظا وخطا، وإحداهما اسم والأخرى فعل... وهذا الفرع وإن وضعت له تسمية تخالف تسميات الأقسام الثمانية، وكانت له صورة مثاله غير صور الأمثلة، فإنه داخل في القسم الذي إحدى كلمتيه اسم والأخرى فعل، فلذلك لم يعتدّ به قسما مستقلا⁵ .

ثم عرف تجنيس التماثل بأن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، وهو على ضربين: ضرب تتماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين أو فعلين في اللفظ والخط... وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان إلا من جهة الاشتقاق سواء أكانتا اسمين أم فعلين⁶ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير ، ص 103 ، 104 .

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 27 ، 28 .

3 - المصدر نفسه: ص 28 .

4 - المصدر نفسه: ص 28 .

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 104 ، 105 .

6 - المصدر نفسه: ص 105 .

أما في كتاب "بديع القرآن" فعرف التماثل بقوله: «والتماثل أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، أو فعلا وحرفا، وهو على ضربين: ضرب تتماثل فيه الكلمتان لفظا وخطا، وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان إلا من جهة الاشتقاق»¹، فبين الفعل والحرف لا يوجد تماثل.

ونجده قد فصل أنواع الجناس عن أضربه وهما: التغاير والتماثل، وهذا في كتابه "تحرير التحبير، حيث قال: «وهذان التجنيسان أعني التغاير والتماثل فرعان من التجنيس الذي أصله قدامة وابن المعتز. وباقي الثمانية استخرجها المتأخرون بالاستقراء، وهي تجنيس التصحيف... وتجنيس التحريف... وتجنيس التصريف... وتجنيس الترجيع، وهو الذي سماه التبريزي التجنيس الناقص، وسماه قوم تجنيس التذييل... وتجنيس التركيب»².

أما في كتاب "بديع القرآن" فقد جمع هذه الأنواع كلها، أعني: تجنيس التصحيف، والتحريف، والتصريف، والترجيع أو التجنيس الناقص وتجنيس العكس، وأدخلها تحت جناس التماثل³.

فالتجنيس عنده إذن ينقسم إلى فرعين: تجنيس التغاير وتجنيس التماثل.

_ تجنيس التغاير: وعرفه بقوله: «وهو أن تكون إحدى الكلمتين اسما، والأخرى فعلا»⁴.
واستشهد عليه بقوله تعالى: ﴿إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 79}، وكقوله تعالى: ﴿أَتَأْتَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ﴾ {سورة التوبة، الآية 38}.
ومنه قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «عصية عصت الله ورسوله»، و«غفار غفر الله لها»، و«أسلم سلمها الله»⁵.

وكقول جرير (الوافر)⁶:

كَأَنَّكَ لَمْ تَسِرْ بِيَلَادِ نَجْدٍ وَلَمْ تَنْظُرْ بِنَاظِرَةِ الْخِيَامَا

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 28 ، 29.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 105-109.

3 - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 29 ، 30.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 104.

5 - المصدر نفسه: ص 104.

6 - جرير: الديوان، ص 503.

ثم ذكر أن هذا النوع سماه "التبريزي" التجنيس المطلق، وفرّع منه ضرباً سماه التجنيس المستوفي، وهو أن تتشابه الكلمتان لفظاً وخطاً، وإحداهما اسم والأخرى فعل، وأنشد فيه قول أبي تمام (الكامل) :

ما مات من كرم الزمان فإنه يحيى لدى يحي بن عبد الله

ويبدو أن "ابن أبي الإصبع المصري" لم يعتدّ بهذه التسمية_الجناس المستوفي_، لأنه يرى بأن هذا الفرع داخل تحت تجنيس التغاير، حيث يقول: «وهذا الفرع وإن وضعت له تسمية تخالف تسميات الأقسام الثمانية، وكانت له صورة مثاله غير صور الأمثلة، فإنه داخل في القسم الذي إحدى كلمتيه اسم والأخرى فعل، فلذلك لم يعتدّ به قسماً مستقلاً»¹.

_ **تجنيس التماثل**: وعرفه بقوله: «وهو أن تكون الكلمتان اسمين أو فعلين، وهو على ضربين: ضرب تتماثل فيه الكلمتان سواء كانتا اسمين أم فعلين في اللفظ والخط كقول الشاعر (الخفيف) :

عينه تقتل النفوس وفوه منه تُحيي عين الحياة النفوساً

وضرب لا تتماثل فيه الكلمتان إلا من جهة الاشتقاق، سواء أكانتا اسمين أم فعلين، كقوله تعالى: ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ﴾ {سورة الواقعة، الآية 89}، وقوله سبحانه: ﴿وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ﴾ {سورة الرحمن، الآية 54}»²،

وهذين المثالين استشهد بهما في كتاب "بديع القرآن" على الضرب الأول من تجنيس التماثل.

أما باقي الثمانية فهي:

_ **تجنيس التصحيف والتحريف**:

معظم القدماء العرب استعملوا التصحيف والتحريف بوصفهما مترادفين، بمعنى التغيير في الحروف والحركات، ومنهم من فرّق بينهما³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 104 ، 105.

² - المصدر نفسه: ص105.

³ - ينظر: عواطف بنت صالح بن سالم الحربي : البديع بين ابن أبي الإصبع المصري والخطيب القزويني، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد بن إبراهيم شادي، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، 2005م، ص400.

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" في كتاب "تحرير التحبير" كما سبقت الإشارة_ أن التغاير والتماثل فرعان من التجنيس الذي أصله قدامة وابن المعتز، وأن باقي الثمانية استخرجها المتأخرون بالاستقراء، وهي تجنيس التصحيف، وتجنيس التحريف...، بمعنى أنه أخرجهما عن أصل التجنيس، وخاصة وأن "التبريزي" لم يذكرهما وجعل لهما أبوابا خاصة¹. أما في كتاب "بديع القرآن" فقد عدّ هذه الأنواع فروعا من أصلي التجنيس، وهما التغاير والتماثل، حيث قال: « ومثال الثاني_ من فروع التماثل_ قوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَحْسِبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ {سورة الكهف، الآية 104}، وهذا الفرع يسمى تجنيس التصحيف، وهو أن يكون النقط فيه فارقا بين الكلمتين؛ ومثال الثالث وهو تجنيس التحريف، الذي يكون الضبط فيه فارقا بين الكلمتين أو بعضهما، قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ﴾ {سورة العاديات، الآية 11}، وقوله تعالى: ﴿وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسَلِينَ﴾ {سورة القصص، الآية 45}، وقوله عز وجل: ﴿مُنذِرِينَ فَاظْطُرُّ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ﴾ {سورة الصافات، الآيتان 82، 83}»².

وقد قسم "ابن أبي الإصبع المصري" تجنيس التحريف ثلاثة أقسام، هي³:

_ قسم تبدّل فيه الحركة بالحركة، كقول الشاعر :

* جُبَّةُ الْبُرْدِ جَنَّةُ الْبُرْدِ *

وقسم تبدّل فيه الحركة بالسكون، كقولهم: البدعة شَرَكُ الشَّرِكِ.

_ وقسم يبدّل فيه التخفيف بالتشديد، كقولهم: الجاهل إما مُفْرَطٌ وإما مَفْرَطٌ.

_ تجنيس التصريف:

تكلم "ابن أبي الإصبع المصري" عن هذا النوع_ كما سبقت الإشارة _ ضمن الأنواع الثمانية التي استخرجها المتأخرون، وهذا النوع كذلك مما لم يذكره "التبريزي"، وعرفه بقوله: «

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 105.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 29.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 106 ، 107.

وهو اختلاف صيغة الكلمتين بإبدال حرف من حرف إما من مخرجه أو من قريب منه»¹.
ومثل عليه بقوله تعالى: ﴿وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْأُونَ عَنْهُ﴾ (سورة الأنعام، الآية 36)².

وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «الخیل معقود بنواصيها الخير»³.

وقول الشاعر (البسيط)⁴:

لَا يُذَكِّرُ الرَّمْلُ إِلَّا حَنَّ مُعْتَرِبٌ لَهُ بِذِي الرَّمْلِ أَوْطَارٌ وَأَوْطَانُ

أما في كتابه "بديع القرآن" فقد جاء هذا النوع عنده المثال الرابع من أمثلة التجنيس العشرة التي ذكرها، حيث قال: «ومثال الرابع وهو تجنيس التصريف...»⁵. ثم عرفه وذكر الآية الكريمة مثالا عنه ولم يضيف شيئا آخر.

وقال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) بعد أن أنهى الحديث عن الجناس اللاحق والفرق بينه وبين المضارع، من أن اللاحق هو ما أبدل من أحد ركنيه حرف من غير مخرجه، ومتى كان الحرف المبدل من مخرج المبدل منه سُمي مضارعا، قال: «ومن الناس من سمي كل ما اختلف بحرف: تجنيس التصريف، سواء كان من المخرج أو من غيره، ولكن رأيت استجلاء الفرق أنور، ولا يشترط أن يكون الإبدال في الأول ولا في الوسط ولا في الآخر، فإن جُلَّ القصد الإبدالُ كيفما اتفق»⁶.

_ تجنيس الترجيع:

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" في كتاب "تحرير التحبير" أن تجنيس الترجيع سماه "التبريزي" التجنيس الناقص، وسماه قوم تجنيس التذييل، وعرفه بقوله: «وهو على الحقيقة الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى، وجميع حروف الأخرى موجود في الأول»⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص107.

2 - المصدر نفسه: ص107.

3 - المصدر نفسه: ص107.

4 - المصدر نفسه: ص107.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص29.

6 - ابن حجة الحموي: خزائن الأدب وغاية الأرب، ج1، ص64.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص108.

أما في كتابه "بديع القرآن" فقال: «ومثال الخامس وهو تجنيس الترجيع، ويسمى التجنيس الناقص، وتجنيس التبديل، وهو الذي يوجد في إحدى كلمتيه حرف لا يوجد في الأخرى، وجميع حروف الأخرى يوجد في أختها على استقامتها»¹.

والملاحظ عليه أنه متأثر ب"أسامة بن منقذ" في تسميته تجنيس الترجيع، أما فيما يخص التسمية الأخرى: تجنيس التذييل التي ذكرها في كتاب "تحرير التحبير" وتجنيس التبديل في كتاب "بديع القرآن"، فالأصح هو تجنيس التذييل.

وهو عنده ثلاثة أقسام، هي²:

_ قسم تقع الزيادة منه في أول الكلمة، كقوله تعالى: ﴿والتفت الساق بالساق إلى ربك يومئذ المساق﴾ {سورة القيامة، الآيتان 29، 30}.

_ وقسم تقع الزيادة منه في وسط الكلمة، كقوله تعالى: ﴿وانه على ذلك لشهيد، وانهُ لِحُبِّ الخَيْرِ لشديد﴾ {سورة العاديات، الآيتان 7، 8}، الملاحظ على هذا المثال أنه لا يتطابق مع تعريف هذا القسم الذي تقع الزيادة منه في وسط الكلمة، فلا زيادة في المثال بل اختلاف في نوع الأحرف. وهذا ما سماه "الحموي" الجنس المضارع واللاحق الذي سبق توضيحه من قبل في تجنيس التصريف، وهذا المثال من الجنس اللاحق لأن حرفا الهاء والذال غير متقاربين.

وهذا المثال نفسه استشهد به "الخطيب القزويني" (ت739هـ) على اللاحق في الوسط، وهذا بعد أن قال: «ثم الحرفان المختلفان إن كانا متقاربين سمّي الجنس مضارعا... وإن كانا غير متقاربين سمّي لاحقا...»³.

وكذلك قولهم: من جدّ وجدّ، وهذا المثال كذلك لم تكن الزيادة فيه في الوسط بل في أول الكلمة وهو حرف الواو.

_ وقسم تقع الزيادة منه في آخر الكلمة، كقوله تعالى: ﴿ثمّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ﴾ {سورة النحل، الآية 69}، وقول أبي تمام: *يمدّون من أيدٍ* البيت.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص30.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ص30. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص107.

³ - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 291، 292.

ثم قال: «وقد تكون الزيادة حرفين: فإما أن يقعا في أول الكلمة ويكونا متقاربين، كقولهم: ليل دامس، وطريق طامس، وإما أن يقعا في وسطها، كقولهم: ما خصصتني بل خسنتني، أو آخر الكلمة ويكونا متباعدين، كقولهم: سالب وساكب. أو متقاربين كقولهم: شاحب وشاغب»¹.

يواصل قوله: «ومن القسم الذي توسط فيه الحرف الواحد قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ، وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ (سورة العاديات، الآيتان 7، 8)»².

وهنا توضح الأمر لأن قوله هذا تابع للذي قبله؛ أي حديثه عن المتباعدين قبله. من هنا يمكننا القول بأن "ابن أبي الإصبع المصري" عدّ المضارع واللاحق ضمن الجنس الناقص عنده.

ويبدو أن تسمية تجنيس التذييل لم ترق له، حيث قال: «وقالوا: هو الذي يرجع فيه لفظ الكلمة الأولى في الكلمة الأخرى، كقول أبي تمام (الطويل):

يُمْدُونَ مِنْ أَيْدٍ عَوَاصٍ عَوَاصِمٍ تَصُولُ بِأَسْيَافٍ قَوَاضٍ قَوَاضِبٍ

وعندي أن تسميته تجنيس التداخل لدخول إحدى الكلمتين في الأخرى، أو تجنيس التضمن لتضمن إحدى الكلمتين لفظ الأخرى أولى بالاشتقاق، إذ لا معنى لقولهم: يرجع لفظ إحدى الكلمتين في لفظ الأخرى لأن ظاهر الرجوع يؤذن بذهاب قبله ولا ذهاب، أو كما قالوا: تجنيس التذييل»³.

_ تجنيس العكس:

وهذا النوع كذلك مما لم يذكره "التبريزي"، جاء في كتاب "تحرير التحبير": «وتجنيس العكس، وهو مما لم يذكره التبريزي، وتعريفه أن تكون إحدى الكلمتين عكس الأخرى بتقديم بعض حروفها على بعض»⁴.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 107 ، 108.

2 - المصدر نفسه: ص108.

3 - المصدر نفسه : ص108.

4 - المصدر نفسه: ص108.

وكان هذا النوع سادس الأنواع وآخرها في كتاب "بديع القرآن"، وقد استشهد عليه بآية قرآنية واحدة ذكرها في تحرير التحبير_ وهي قوله تعالى: ﴿أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ {سورة طه، الآية 74} ¹.

أما عن شواهد الشعرية في كتابه "تحرير التحبير"، فكقول عبد الله بن رواحة يمدح رسول الله صلى الله عليه وسلم (البسيط) ²:

تَحْمَلُهُ النَّاقَةُ الْأَدْمَاءُ مُعْتَجِرًا بِالْبُرْدِ كَالْبُذْرِ جَلَى لَيْلَةَ الظُّلَمِ
وَفِي عَطَافِيهِ أَوْ أَثْنَاءِ بُرْدَتِهِ مَا يَعْلَمُ اللَّهُ مِنْ دِينٍ وَمَنْ كَرَمِ

وكقول البحتري (الطويل) ³:

إِذَا احْتَرَبْتُ يَوْمًا فِغَاضَتْ دِمَاؤُهَا تَذَكَّرْتُ الْقُرْبَى فِغَاضَتْ دِمَوْعُهَا
شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ تُقَطِّعُ بَيْنَهُمْ شَوَاجِرُ أَرْحَامٍ مَلُومٍ قَطُوعُهَا

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن البحتري أخذ معنى البيت الأول من رجل من بني عقيل، وقصّر حيث قال (الوافر):

وَبِكِي حِينَ نَقَتَكُمْ عَلَيْكُمْ وَنَقَتَكُمْ كَأَنَّا لَا نِبَالِي

والبيت الثاني من بيتي البحتري أراد.

_ تجنيس التركيب:

تحدّث "ابن أبي الإصبع المصري" عن هذا النوع في كتاب "تحرير التحبير"، فقال: «وتجنيس التركيب مما لم يذكره التبريزي، وهو أن تركّب كلمة من كلمتين ليماثل بها كلمة مفردة في الهجاء واللفظ» ⁴.

ولكنه لم يذكره في كتابه "بديع القرآن" وذلك لعدم ورود أمثلة له في القرآن الكريم لما يدل عليه نظمه من التكلف والتصنع ⁵، وخاصة وأن كتاب "بديع القرآن" خاص بالأنواع البديعية الموجودة في القرآن الكريم_ كما سبق وأن أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص30.

² - عبد الله بن رواحة: الديوان، دراسة وإيد قصّاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1981م، ص164.

³ - البحتري: الديوان، مج2، ص1299.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص109.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص30.

وقد قسمه إلى قسمين، هما :

_قسم تتشابه الكلمتان فيه لفظاً وخطاً كقول القائل (مجزوء الرمل) ¹:

يا من تُدِلُّ بوجنةٍ وأنامل من عنْدَم

كُفِّي جُعِلتْ لكِ الفِدا الحَاظَّ عَيْنِكَ عن دَم

وكقول الآخر (المتقارب) ²:

إذا مَلِكٌ لم يُكُنْ ذَا هِبةٍ فدَعُه فدولته ذَاهِبه

_وقسم يتشابهان فيه لفظاً لا خطأ، كقول الشاعر (مجزوء الرمل) ³:

كَلُّكُمْ قَد أَخَذَ الجَا مَ وَلَا جَامَ لَنَا

ما الذي ضَرَّ مَدِيرَ الـ جَامِ لَوْ جَامَلْنَا

فهذه أقسام التجنيس الثمانية كما ذكر، وقد جعل لها قسماً تاسعاً هو التجنيس المضاف.

_ **التجنيس المضاف:**

وهذا الفرع كذلك مما ذكره في كتاب " تحرير التحبير " ولم يذكره في كتاب "بديع القرآن" _

للسبب ذاتها المذكورة في التجنيس المركب.

فقد ذكر أنه القسم الذي جعله تاسعاً، وهو الذي ذكره التبريزي وسماه التجنيس المضاف،

وأنشد فيه قول البحترى (الوافر) ⁴:

أيا قمر التَّمَامِ أعنتِ ظُلماً عليَّ تَطَاوُلَ اللَّيْلِ التَّمَامِ

يعلق على الشاهد بقوله: «فهو مع قطع النظر عن الإضافة من تجنيس التحريف، ولكن هو

قسم قائم بذاته، لاتصال المضاف بالمضاف إليه» ⁵.

وختم حديثه في باب التجنيس في كتاب "بديع القرآن" بذكر نوع التجنيس المعنوي

والتمثيل له، في قوله: «وكل ما سقناه من أصول التجنيس وفروعه أمثلة القسم اللفظي من

التجنيس، وأما المعنوي فمثل قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ﴾ مع قوله: ﴿وَلَا أَنْتُمْ عَابِدُونَ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص109.

² - المصدر نفسه: ص110.

³ - المصدر نفسه: ص110. الجام: إناء من فضة.

⁴ - البحترى: الديوان، مج3، ص2030.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص110.

مَا أَعْبُدُ﴾ {سورة الكافرون، الآيتان 1 و3}، فإن التقدير_والله أعلم_ يا أيها المكذَّبون أنتم المكذَّبون»¹.

فالتجنيس إذا من أكثر المصطلحات موسيقية، وقد تحقق له ذلك من «ناحية التماثل في الصورة، وناحية الجرس الموسيقي، وناحية التآلف والتخالف بين ركنيه لفظاً ومعنى»². فيُحدث بذلك نوعاً من الإيقاع في النص الأدبي، يدل على مقدرة المبدع في استثماره في إغناء المعنى.

3_ التريديد:

التريديد لغة من الردّ وهو إعادة الشيء، فيقال: «الردّ: صرف الشيء ورجعه»³. وقال "العلوي": «التريديد تفعيل من قولهم: ردد الثوب من جانب إلى جانب، وردد الحديث تريديداً: أي كرهه»⁴.

وقد نقل المعنى اللغوي إعادة الشيء وتكراره بوجه عام على المشابهة فخصص في اصطلاح علماء البيان وأطلق على إتيان المتكلم بلفظة متعلقة بمعنى ثم إعادتها بعينها متعلقة بمعنى آخر.

عرفه "ابن رشيق" (ت456هـ) بقوله: «هو أن يأتي الشاعر بلفظة متعلقة بمعنى، ثم يرددها بعينها متعلقة بمعنى آخر في البيت نفسه أو في قسيم منه»⁵، لقد قصر "ابن رشيق" التريديد على الشعر دون النثر.

ونقل "التبريزي" (ت502هـ) مفهوم "ابن رشيق" مع تغيير بسيط في الصياغة، في قوله: «التريديد: أن يعلّق الشاعر لفظة في البيت بمعنى ثم يردّها بعينها، أو يعلّقها بمعنى آخر»⁶.

وقال "ابن منقذ" (ت584هـ) إن التريديد يسمى التصدير⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص30.

2 - علي الجندي: فن الجناس، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مصر، (د ط)، (د ت)، ص30.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ردد).

4 - العلوي: الطراز، ج3، ص47.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص333.

6 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص154.

7 - ينظر: أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص51.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أسلافه في مفهوم التريديد، ولكنه لم يقصره على الشعر وحده، كما فعلوا، وعرفه بقوله: «وهو أن يعلّق المتكلم لفظة من الكلام بمعنى، ثم يردّها بعينها ويعلّقها بمعنى آخر»¹.

وقد استشهد على هذا المصطلح بقوله تعالى: ﴿حَتَّى يُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رَسُولُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَاتِهِ﴾ {سورة الأنعام، الآية124}، فلفظ الجلالة الأول مضاف إليه، والثاني مبتدأ به².

وذكر أنّ من التريديد نوعا يسمى التريديد المتعدد، وعرفه بقوله: «وهو أن يتردد حرف من حروف المعاني، إما مرة أو مرارا، وهو الذي يتغيّر فيه مفهوم المسمّى لتغيّر الاسم: إما لتغاير الاتصال؛ أو تغاير ما يتعلق بالاسم»³.

ومثّل له بقوله عز وجل: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ﴾ {سورة المائدة، الآية51}، فاتصال "من" بضمير المخاطبين والغائبين في الموضعين مع ما تضمنت "من" من معنى الشرط أصارت المؤمنين كافرين⁴.

وقد يتردّد حرف الجر في الجملة من الكلام، والبيت من الشعر مراراً عدّة في جمل متغايرة المعاني، ومثّل له بقول الشاعر (البيسط)⁵:

يُريكَ فِي الرَّوْعِ بَدْرًا لَاحَ فِي عَسَقِ
فَلَيْتَ عَرِيْسَةً فِي صَوْرَةِ الرَّجُلِ

ثم ذكر أنه ربما كان المتردد غير حرف الجر، كحرف النداء أو غيره، ومثاله قول المتنبي (المنسرح)⁶:

يَا بَدْرُ يَا بَحْرُ يَا غَمَامَةٌ يَا
لَيْتَ الشَّرَى يَا حِمَامُ يَا رَجُلُ

ومثّل على المتردد من الجمل غير المتعدّدة بقول أبي نواس (البيسط)⁷:

صَفْرَاءُ لَا تَنْزِلُ الْأَحْزَانَ سَاحَتِهَا
لَوْ مَسَّهَا حَجْرٌ مَسَّتْهُ سَرَّاءُ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص253. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص96.

2 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص253. وص96.

3 - المصدران نفسيهما: ص253. و ص96.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص253. وص96.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص254.

6 - المتنبي: الديوان، ج2، ص191.

7 - أبو نواس: الديوان، ص7.

يلق على البيت بقوله: مسّها، ومستّه ترديد حسن، وهو مما جاء الترديد في عجزه دون صدره¹.

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الترديد الذي ليس تعدّدا من هذا الباب بباب التعطف، في قوله: «والفرق بينهما: أن هذا النوع من الترديد يكون في إحدى قسمي البيت تارة وفيهما معا مرة، ولا تكون إحدى الكلمتين في قسم والأخرى في آخر، والمراد بقرئهما أن يتحقق الترديد، والتعطف وإن كان ترديد الكلمة بعينها، فهو لا يكون إلا متباعدة، بحيث تكون كل كلمة في قسم. والتريد يتكرر، والتعطف لا يتكرر، والتريد يكون بالأسماء المفردة، والجمل المؤتلفة والحروف، والتعطف لا يكون إلا بالجمل غالبا»².

ثم فرق بين التريد والتكرار قائلا: «والفارق بين التريد والتكرار أن اللفظة التي تكرر في التكرار لا تفيد معنى زائدا، بل الأولى هي تبيين للثانية وبالعكس، واللفظة التي تتردد تفيد معنى غير المعنى الأولى منهما، واشتقاقهما مُشعر بذلك، لأن الرادّ من وجه لا يبلغ إلاّ الموضع الذي أراده، والكارّ هو الذي انتهى إلى الموضع المراد، وكرّر راجعا، ومنه الكرّ والفرّ»³.

ويوضح "علي الجندي" مراد "ابن أبي الإصبع المصري" من الفرق بين التريد والتكرار في قوله: «إن اللفظ المردد يفيد بتريده معنى آخر من حيث تعلقه بشيء غير ما تعلق به الأول، كقول المجنون مثلا:

قضاها لغيري وابتلاني بحبها فهلا بشيء غير ليلى ابتلانيا

فمتعلق الفعل ابتلاني مختلف في البيت، وأما التكرار فإنه لا يفيد معنى ثانيا من حيث أنه لم يتعلق بشيء جديد، كقول القائل:

لا لا أبوح بحب بثنة إنها إنها أخذت علي موثقا وعهودا

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 254.

2 - المصدر نفسه: ص 254.

3 - المصدر نفسه: ص 254 ، 255.

فلا الثانية عين الأولى ومتعلقهما واحد، فلم تقد معنى جديدا من هذه الناحية، وكل ما هنالك أنها زادت المعنى توكيدا ومبالغة، فالفرق بينهما إذن أن التردد يتكرر فيه المتعلق فيتغير المعنى»¹.

4_ ردّ الأعجاز على الصدور:

الردّ في اللغة من (ردد)، جاء في اللسان: «الردّ: صرف الشيء ورجعه»². والأعجاز لغة من (عجز)، قال ابن منظور: «أعجاز الأمور: أواخرها، وعجز الشيء: آخره»³. والصدر لغة من (صدر)، فيقال: «الصدر: أعلى مقدم كل شيء وأوله، حتى إنهم ليقولون: صدر النهار والليل، وصدر الشتاء والصيف»⁴.

وعليه فردّ العجز على الصدر لغة يعني إرجاع آخر الكلام على أوله. وقد نقل هذا المعنى على المشابهة فهو في الاصطلاح كما عرفه "القزويني": «وهو في النثر أن يجعل أحد اللفظين المكررين أو المتجانسين، أو الملحقين بهما، في أول الفقرة، والآخر في آخرها. وفي الشعر: أن يكون أحدهما في آخر البيت، والآخر في صدر المصراع الأول، أو حشوه، أو آخره، أو صدر الثاني»⁵.

ردّ الأعجاز على الصدور ويسمى أيضا التصدير، ورجّح "الحموي" (ت837هـ) تسمية هذا الفن بالتصدير معللا رأيه بأنه_ التصدير_ أخف على المستمع وأليق بالمقام⁶. وقال "المدني" (ت1120هـ)_ بخصوص التسمية_: «ردّ العجز على الصدر، هذا النوع سماه بعضهم بالتصدير، والأول أولى، لأنه مطابق لمسامه، وخير الأسماء ما طابق المسمى»⁷.

1 - علي الجندي: فن الجناس، ص190.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ردد).

3 - المصدر نفسه: مادة(عجز).

4 - المصدر نفسه: مادة(صدر).

5 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص294.

6 - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص251.

7 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج3، ص94.

أشار "الجاحظ" (ت255هـ) في رسائله في كتاب القيان إلى مصطلح الأعجاز والصدور دون أن يعرفه، قال: «إنّ الفروع لا محالة راجعة إلى أصولها، والأعجاز لاحقة بصدورها، والموالي تبع لأوليائها، وأمور العالم ممزوجة بالمشاكلة ومنفردة بالمضادة»¹.

وجعله "ابن المعتز" (ت296هـ) الفن الرابع من فنون البديع الخمسة، وسماه "رد الأعجاز على ما تقدمها"، ولم يعرفه ولكنه ذكر أقسامه التي حصرها في ثلاثة، وهي²:

_ القسم الأول: ما يوافق آخر كلمة فيه آخر كلمة في نصفه الأول.

_ القسم الثاني: ما يوافق آخر كلمة منه أول كلمة في نصفه الأول.

_ القسم الثالث: ما يوافق آخر كلمة فيه بعض ما فيه.

فكلام "ابن المعتز" على القسم الثالث يجعل المكان غير محدد، فقد يكون في وسط حشو الصدر، وقد يكون في أول أو وسط حشو العجز، إذا استثنينا المواطن الواردة في القسمين الأول والثاني.

وسماه "العسكري" (ت395هـ) "ردّ الأعجاز على الصدور" وقال: «إنك إذا قدّمت ألفاظا تقتضي جوابا فالمرضي أن تأتي بتلك الألفاظ بالجواب، ولا تنتقل عنها إلى غيرها مما هو في معناها»³. وأخذ تقسيم "ابن المعتز" لهذا المصطلح.

وأطلق عليه "ابن رشيق" (ت456هـ) اسم "التصدير" وعرفه قائلاً: «وهو أن يردّ أعجاز الكلام على صدره، فيدل بعضه على بعض، ويسهل استخراج قوافي الشعر إذا كان كذلك وتقتضيها الصنعة، ويكسب البيت الذي يكون فيه أبهة، ويكسوه رونقا وديباجة، ويزيده مائة وطلاوة»⁴.

ثم ذكر تقسيم "ابن المعتز" وقال: «والتصدير قريب من الترديد، والفرق بينهما أن التصدير مخصوص بالقوافي تُردّ على الصدور، فلا تجد تصديرا إلا كذلك حيث وقع من كتب المؤلفين، وإن لم يذكروا فيه فرقا، والترديد يقع في أضعاف البيت»⁵.

¹ - الجاحظ: رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج2، ص146.

² - بنظر: ابن المعتز: البديع، ص47، 48.

³ - العسكري: الصناعتين، ص385.

⁴ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص3.

⁵ - المصدر نفسه: ج2، ص3.

وجمع "ابن منقذ" (ت584هـ) "الترديد والتصدير" وقال: «اعلم أن التردد هو ردّ أعجاز البيوت على صدورها، أو ردّ كلمة من النصف الأول في النصف الثاني»¹.

وأشار "ابن الأثير" (ت637هـ) في باب حديثه عن التجنيس الحقيقي إلى مصطلح ردّ الأعجاز على الصدور الذي خالف فيه "الغانمي"، قائلا: «ورأيت الغانمي قد ذكر في كتابه بابا وسماه (ردّ الإعجاز على الصدور) خارجا عن باب التجنيس، وهو ضرب منه وقسم من جملة أقسامه كالذي نحن بصدد ذكره هاهنا»².

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "ابن المعتز" في هذا المصطلح، وأسماه "ردّ الأعجاز على الصدور" وقال بأنه يسمى التصدير، وعرفه بقوله: «وهو عبارة عن كل كلام بين صدره وعجزه رابطة لفظية غالبا، ومعنوية نادرا، تحصل بها الملاءمة والتلاحم بين قسمي كل كلام»³.

ثم ذكر الأقسام الثلاثة التي جاء بها "ابن المعتز" واستشهد عليها بشواهد من الكتاب العزيز والشعر العربي.

_ القسم الأول: «ما وافق آخر كلمة في الكلام آخر كلمة في صدره، أو كانت مجانسة لها»⁴.

كقوله تعالى: ﴿أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةَ يَشْهَدُونَ وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ {سورة النساء، الآية 166}⁵.

ومثاله من الشعر، قول الشاعر (الكامل)⁶:

يُلْفَى إِذَا مَا كَانَ يَوْمٌ عَرْمَرِمٌ فِي جَيْشٍ رَأَى لَا يُفْلُ عَرْمَرِمٌ

_ القسم الثاني: «ما وافق آخر كلمة من الكلام أول كلمة منه»⁷.

1 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص51.

2 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص267.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص36.

4 - المصدر نفسه: ص36.

5 - المصدر نفسه: ص36.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص116.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص36.

كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ﴾ {سورة الشعراء، الآية 168}، وكقوله سبحانه: ﴿وَهَبْنَا لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ﴾ {سورة آل عمران، الآية 8} ¹.

ومن الشعر قول المغيرة بن عبد الله المعروف بالأقشير (الطويل) ²:

سَرِيحٌ إِلَى ابْنِ الْعَمِّ يَشْتُمُ عَرِضَهُ وَلَيْسَ إِلَى دَاعِي النَّدَى بِسَرِيحِ

_ القسم الثالث: «ما وافق آخر كلمة من الكلام بعض كلمات صدره حيث كانت» ³.

كقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ اسْتَهْزَيْتُمْ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 10} ⁴.

وكقول جرير (الطويل) ⁵:

سَقَى الرَّمْلَ جَوْنَ مُسْتَهْلٍ غَمَامُهُ وَمَا ذَاكَ إِلَّا حُبٌّ مِنْ حَلِّ بِالرَّمْلِ

وقد انتقد "ابن أبي الإصبع المصري" تعريف القسم الثالث، وقال: وهو عندي مدخول التعريف، وأيده "الحموي" (ت837هـ) في ذلك فقال: وصدق "ابن أبي الإصبع" فإن ابن المعتز قال: في أي موضع كانت، والكلمة إذا كانت في العجز لم تُسمَّ تصديراً، لأن اشتقاق التصدير في صدر البيت، فلا بدّ من زيادة قيد في التعريف يسلمُ به من الدخل، بحيث يقول: بعض كلمات البيت في أي موضع كانت من صدره ⁶.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذه الأقسام من الضرب الأول الذي رابطته لفظية، أما ما كانت رابطته معنوية فقد مثل له بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسُكُمْ لَا يَصْرُكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ {سورة المائدة، الآية 105} ⁷.

يقول معلقاً على الآية الكريمة: «فإن معنى صدر الكلام يتقاضى معنى عجزه» ⁸.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص36.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص116.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص36.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص117. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص37.

⁵ - جرير: الديوان، ص460. في الديوان (ربابيه) بدل (غمامه).

⁶ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص252.

⁷ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص37.

⁸ - المصدر نفسه: ص37.

ووضع "ابن أبي الإصبع المصري" تسمية لكل قسم، وذكر أن "ابن المعتز" لم يضع لها أسما يعرف بعضها من بعض، فسمى القسم الأول: تصدير التقفية، والثاني: تصدير الطرفين، والثالث: تصدير الحشو¹.

وجاء بقسم رابع إضافة إلى الأقسام الثلاثة التي جاء بها "ابن المعتز" والتي تأتي فيما الكلام فيه موجب، وهذا القسم يأتي فيما الكلام فيه منفي، واعتراض فيه إضراب عن أوله²،² ومثل له بقول أبي عطاء السندي (الطويل)³:

فَأَنَّكَ لَمْ تَبْعُدْ عَلَى مَتَعَهْدٍ بَلَى كُلُّ مَنْ تَحْتَ التُّرَابِ بَعِيدٌ

وقال إن "قدامة بن جعفر" قد جاء من التصدير بنوع آخر، غير ما ذكرنا، وسماه "التبديل"، وهو «أن يصير المتكلم الآخر من كلامه أولاً وبالعكس، كقولهم: اشكر لمن أنعم عليك، وانعم على من شكرك»⁴.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" إنه لم يقف لهذا النوع على شاهد شعري، فقال (المنسرح)⁵:

اصْبِرْ عَلَى خُلُقٍ مِّنْ تُعَاشِرُهُ وَاصْنَبْ صَبُورًا عَلَى أَدَى خُلُقِكَ

وعليه، فإن مصطلح "ردّ الأعجاز على الصدور" وإن تداخل مع مصطلحات عديدة، منها: الترديد، والتكرار، والتجنيس، والتعطف، وغيرها فإن له هندسته الخاصة التي يتوزع وفقها، والتي ميّزته عن غيره من المصطلحات السابقة وجعلته يتقاطع معها في تحقيق شعرية اللغة من خلال النغم الموسيقي الذي تحدّثه المقاطع الصوتية المكررة على مسافات معينة، وكذا التناسب في الأوزان والمقادير، علاوة عن التنوع في المعاني⁶.

5_ تشابه الأطراف:

التشابه لغة من شبه، فيقال: «تشابه الشيطان واشتبها: أشبه كل واحد منهما صاحبه»⁷.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص117.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص118.

3 - المصدر نفسه: ص118.

4 - المصدر نفسه: ص118.

5 - المصدر نفسه: ص118 من شعره.

6 - ينظر: عبد الحميد بوفاس: الإيقاع البلاغي في شعر مفدي زكرياء، ص646.

7 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (شبه).

وقد نقل المعنى اللغوي وهو تشابه أطراف أي شيء على المشابهة فخصص في الاصطلاح على تشابه أطراف الكلام لفظاً أو معنى، يقول الكفوي: «هو ختم الكلام بما يناسب صدره»¹.

أطلقه ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) على "التسيبغ"، وقال: «هذا الباب سمّاه الأجدابي التسيبغ، وفسّره بأن قال: هو أن يعيد لفظ القافية في أول البيت الذي يليها، والتسيبغ زيادة في الطول، ومنه قولهم: درع سابغة، إذا كانت طويلة الأذيال، وهذه اللفظة في اصطلاح العروضيين عبارة عن زيادة حرف ساكن على السبب الخفيف في آخر الجزء، وعلى هذا لا تكون هذه التسمية لائقة بهذا المسمى، فرأيت أن أسمى هذا الباب تشابه الأطراف، لأن الأبيات فيه تتشابه أطرافها»².

والقمين بالذكر أن "الأجدابي" لم ينفرد باستنباط هذا النوع كما قال "ابن أبي الإصبع المصري" وإنما انفرد بتسميته بالتسيبغ فقط، كما أن الأخير لم ينفرد بتغيير التسمية إلى تشابه الأطراف، لأن هذا النوع قد عرف عند "أرسطو" باسم تشابه الأطراف وبالمفهوم الذي جاء عندهما، وهذا في قوله_ أعني أرسطو_: وهي ما كانت أجزاءها متشابهة في مطلع كل جزء أو في مقطعه³.

ثم ذكر أن ما جاء به "الأجدابي" من شواهد في هذا الباب لا يتطابق والتسمية (التسيبغ)، فقد أنشد قول ليلي الأخيلية في الحجاج بن يوسف (الطويل)⁴:

إذا نزل الحجاج أرضاً مريضةً تتبّع أقصى دائها فشفاهما
شفاها من الداء العُضالِ الذي بها غلامٌ إذا هزّ القناة سقاها
سقاها فرواها بشربٍ سجّاله دماء رجالٍ يحلبون صراها

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن أحسن ما وقع في هذا الباب لمولّد قول أبي نواس (السريع)⁵:

1 - الكفوي: الكليات، ص316.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص520. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص229.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص520 من حاشية المحقق.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص521. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص230.

5 - المصدران نفسهما: ص521. وص230. لا توجد هذه الأبيات في النسخة التي بحوزتي.

خزيمَةُ خيرُ بني خازم وخازمٌ خيرُ بني دارم
ودارمُ خيرُ تميمٍ وما مثلُ تميمٍ في بني آدم

وقد جاء "ابن أبي الإصبع المصري" بشاهد من شعره قاله في هذا النوع (الطويل) ¹:

خليلي إن لم تعذراني في الهوى ولم تحملا عني اذهبا ودعاني
دعاني إليه الحُبَّ فالحب آنفا دعاني قلبي إذ دعاه جناني
جناني في سكر فلا رغي عنده بكأس بها ساقِي الغرام سقاني
سقاني من لم يَغْنِه من صبابتي ووجدني به ما شفني وعناني
عاني منه ما براني ولم يكن ليرثي لما قد حلَّ بي ودهاني
دهاني الهوى من حيث لم أدر عندما رأى ما شجى قلبي الكثيب عياني
عياني على قلبي تعدى بنظرة إلى ناظر باللحظ منه رماني
رماني بسهم من كنانة لحظه أصاب فوادي شجوه فشجاني
شجاني بسقمٍ من مراضِ جفونه وغضَّ حياءً منه حين سباني
سباني بسحرٍ ليس يبطل بالرقى تُقرُّ له في بابل الملكان

أما عن شواهد هذا المصطلح القرآنية فيقول "ابن أبي الإصبع المصري": «ولم أظفر من الكتاب العزيز في هذا الباب إلا بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ﴾ {سورة النور، الآية 35}، فالحظ تشابه هذه الجمل لتقدّر هذا النظم قدره» ².

وتشابه الأطراف عند " الخطيب القزويني" (ت739هـ) من مراعاة النظير، وقد انتقد من أخرجه عن إطاره وعدّه منفصلاً عنه، حيث قال: «ومن مراعاة النظير ما يسميه بعضهم تشابه الأطراف، وهو أن يختم الكلام بما يناسب أوله في المعنى» ³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 520 ، 521 من شعره.
² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 230.
³ - الخطيب القزويني: الإيضاح، ص 261.

وقد استشهد عليه بقوله تعالى: ﴿لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ {سورة الأنعام، الآية 103}، وهو ما استشهد به "ابن أبي الإصبع المصري" في باب المناسبة المعنوية.

وذكر "ابن حجة الحموي" (ت 837هـ) أن نوع تشابه الأطراف ليس تحته كبير أمر، وقال: «وتالله ما خطر لي يوماً، ولا حسن في الفكر أن ألحق طرفاً من تشابه الأطراف بذيل من أبيات شعري»¹.

ولكن "ابن معصوم المدني" (ت 1120هـ) أدرك أهمية هذا المصطلح من التكرار في تلاحم الدلالة؛ ذلك أن فيه «دلالة على قوة عارضة الشاعر، وتصرفه في الكلام، وإطاعة الألفاظ له، ولا يخلو مع ذلك من حسن موقع في السمع والطبع، فإن معنى الشعر يرتبط ويتلاحم به، حتى كأن معنى البيتين أو الثلاثة معنى واحد»².

6_ التطريز:

التطريز لغة من (طرز)، جاء في اللسان: «الطَّرُزُ: البَرُّ والهيئة، والطرَّازُ: ما ينسج من الثياب للسلطان، والطرَّزُ والطرَّازُ: الجيد من كل شيء، يقال: هذا طرَّزُ هذا أي شكله»³.
التطريز من المصطلحات التي ابتدعها "أبو هلال العسكري" (ت 395هـ)⁴، ومعناه «أن يقع في أبيات متوالية من القصيدة كلمات متساوية في الوزن، فيكون فيها كالطرَّاز في الثوب»⁵، وذكر أن هذا النوع قليل الوقوع في الشعر، وأحسن ما جاء فيه قول أحمد بن أبي طاهر⁶:

إذا أبو قاسمٍ جادت لنا يده	لم يُحمد الأجدان: البَحْرُ والمطر
وإن أضاعت لنا أنوار غرته	تضاعل الأنوران: الشمس والقمر
وإن مضى رأيه أو حدَّ عزمته	تأخر الماضيان: السيفُ والقدر
من لم يكن حذراً من حدِّ صَوْلته	لم يدرِ ما المزعجان: الخوفُ والحذر

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 1، ص 226.
2 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج 3، ص 50.
3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (طرز).
4 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص 267، وينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2، ص 267.
5 - العسكري: الصناعتين، ص 425.
6 - المصدر نفسه: ص 425.

فقد جاء التطريز في هذه الأبيات في قوله: "الأجودان" ، و"الأنوران"، و"الماضيان"، و"المزعجان" ¹.

وكقول أبي تمام ²:

أعوامَ وَصَلِ كَادِ يُنْسِي طَوْلَهَا ذَكَرَ النَوَى، فَكَأَنَّهَا أَيَّامٌ
ثُمَّ انْبَرَتْ أَيَّامٌ هَجْرٌ أَرْدَفَتْ نَجْوَى أَسَى فَكَأَنَّهَا أَعْوَامٌ
ثُمَّ انْقَضَتْ تِلْكَ السَّنُونَ وَأَهْلَهَا فَكَأَنَّهُمْ وَكَأَنَّهَا أَحْلَامٌ

فقد جاء التطريز في الكلمات المتوالية والمتساوية الأوزان: "فكأنها أيام"، "فكأنها أعوام"، "وكأنها أحلام" فكانت كالطرز في الثوب.

وذكر "ابن منقذ" (ت584هـ) تعريف "العسكري" مع تغيير بسيط في الصياغة، في قوله: «أن تأتي في الأبيات مواضع متقابلة، فتجيء في القصيدة كأنه طراز» ³. ثم ذكر بعض أمثلة "العسكري" وأمثلة أخرى، كقول ابن الرومي ⁴:

أموركُم بني خاقان عندي عجاب في عجاب في عجاب
قرون في رؤوس في وجوه صلاب في صلاب في صلاب
هجرتكم وهجركم ورأيي صواب في صواب في صواب

ووصولاً إلى "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) نجده قد خالف "العسكري" في تسمية هذا المصطلح، فالتطريز الذي جاء به "العسكري" يوافق التوشيع عند "ابن أبي الإصبع المصري".

وهو من الألوان التي ذكرها في "تحرير التحبير" ولم يذكرها في "بديع القرآن" لأنه خاص بالكلام المنظوم .

ومفهوم التطريز عنده هو: «أن يبتدئ المتكلم أو الشاعر بذكر جمل من الذوات غير مفصلة، ثم يخبر عنها بصفة واحدة من الصفات مكررة بحسب العدد الذي قدره في تلك

¹ - العسكري: الصناعتين ، ص425.

² - أبو تمام: الديوان، ج2، ص73.

³ - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص64.

⁴ - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص 245 ، 246.

الجملة الأولى، فتكون الذوات في كل جملة متعدّدة تقديرا والجمل متعدّدة لفظا والصفة الواحدة المخبرُ بها عن تلك الذوات متعدّدة لفظا، وعدد الجمل التي وُصِفَت بها الذوات لا عدد الذوات عددُ تكرار واتحاد لا تعداد تغاير»¹.

ومثّل له بقول ابن الرومي الذي مثل به ابن منقذ(الوافر)²:

أموركُم بني خاقان عندي عجابٌ في عجابٍ في عجابٍ
فُرونٌ في رؤوسٍ في وجوهٍ صلابٌ في صلابٍ في صلابٍ

فصدر البيت عبارة عن جمل غير مفصلة، والخبر عن هذه الجمل يأتي في العجز بصفة واحدة مكررة عدة مرات، تعداد تكرار واتحاد، لا تعداد تغاير، أي تعداد توكيد.

ومثله قوله(الوافر)³:

كأنّ الكأسَ في يدها وفيها عقيقٌ في عقيقٍ في عقيقٍ

وكقول القائل(الوافر)⁴:

فثوبِي والمُدَام ولونُ خدي شقيقٌ في شقيقٍ في شقيقٍ

وتبعه فيما ذهب إليه: ابن مالك والحلبي والنويري والعلوي والسبكي والحموي والسيوطي⁵.

وعلى هذا فإن التطريز عند "ابن أبي الإصبع المصري" من جديده⁶.

ففي كل هذه الأمثلة نلاحظ عناية موجهة إلى تكرار اللفظ في الكلام وما يتبع هذا من إيقاع موسيقي تطرب له الآذان وتستمتع به الأسماع.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص314.

2 - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص 245 ، 246 .

3 - المصدر نفسه: ج2، ص506.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص315.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص269.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص314 من حاشية المحقق. وأحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج2، ص268.

7_ التعطف:

التعطف لغة من (عطف)، فيقال: «عطفَ الشيءَ يعطفه عطفًا وعطوفًا فانعطف، وعطفَه فتعطفَ: حناه وأماله»¹.

فكأن المتكلم يعطف أو يحنّ على الكلمة فيكررها من هنا أخذ المعنى الاصطلاحي الذي أطلق على إعادة اللفظة بعينها في البيت، شرط أن تكون إحدى اللفظتين في مصراع والأخرى في مصراع آخر.

وقد عرفه "العسكري" (ت395هـ) بقوله: «أن تذكر اللفظ ثم تكرر المعنى مختلف»²، ومن خلال الأمثلة التي ذكرها كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ {سورة الروم، الآية55}، يتضح أن التعطف عنده نوع من التجنيس.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ): «التعطف وقد سماه قوم المشاكلة، وقد تقدم أن التعطف كالتريّد، في إعادة اللفظة بعينها في البيت، وأن الفرق بينهما بموضعهما وباختلاف التريّد، وثبت أن التعطف لابدّ وأن تكون إحدى كلمتيه في مصراع والأخرى في المصراع الآخر، ليشبه مصراعا البيت في انعطاف أحدهما على الآخر بالعطفين في كل عطف منهما يميل إلى الجانب الذي يميل إليه الآخر»³، فقد خص التعطف بالشعر واشترط أن تكون كل كلمة منه في مصراع، هذا في كتاب "تحرير التحبير" أما في كتاب "بديع القرآن" فقد أضاف «... الجملة من الكلام...»⁴. ليقع التعطف في النثر والشعر على حد سواء .

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلاَّ إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ﴾ {سورة التوبة، الآية52}.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(عطف).

2 - العسكري: الصناعتين، ص420.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص257.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص97.

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية الكريمة بقوله: «فانظر كيف أتى التعطف في هذه الآية الكريمة من صدرها في قوله: ﴿تَرِيصُونَ بِنَا﴾، وقوله: ﴿وَنَحْنُ نَتَرِيصُ بِكُمْ﴾»¹.

وكقوله تعالى: ﴿وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أَوْفٍ بِعَهْدِكُمْ﴾ (سورة البقرة، الآية 40)².

واستشهد على التعطف من الشعر بقول زهير (البسيط)³:

مَنْ يَلْقَى عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلْقَى السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

وكقول أبي تمام (الكامل)⁴:

فَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيْكَ خُلُوقًا وَلَقَيْتُ بَيْنَ يَدَيَّ مَرَّ سُؤَالِهِ

وكقول المتنبي (الطويل)⁵:

فَسَاقَ إِلَيَّ الْعُرْفَ غَيْرَ مُكَدَّرٍ وَسَقَتُ إِلَيْهِ الْمَدْحَ غَيْرَ مُذَمَّمٍ

يقول معلقا على البيت: «وهذا أفضل بيت سمعته في هذا الباب، فإنه انعطفت فيه ثلاث كلمات من صدره على ثلاث كلمات من عجزه، ففيه بهذا الاعتبار ثلاث تعطفات، وذلك قوله: "فساق"، فإنها انعطفت على قوله في العجز: "وسقت"، وقوله: "إلي" فإنها انعطفت على قوله في العجز: "إليه" وقوله "غير" فإنها انعطفت على قوله في العجز "غير"... فهذه مفردات الألفاظ، وأما الجمل المركبة منها، فانظر إلى قوله: "فساق إلي"، و"سقت إليه"، و"غير مكدّر" و"غير مذمم"، ولم أر مثل هذا اتفق إلا لأبي تمام في البيت الذي قدّمته على هذا البيت، لأنه ساوى بيت المتنبي في التعطفات الثلاث»⁶.

وقد تبعه في ذلك "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) فقال في تعريفه: «التعطف شبيه بالترديد في إعادة اللفظة بعينها في البيت، والفرق بينهما أن التعطف شرطه أن تكون إحدى

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص98. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص259.

2 - المصدران نفسهما: ص98. وص259.

3 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م، ص38.

4 - أبو تمام: الديوان، ج2، ص30.

5 - المتنبي: الديوان، ج2، ص407. في الديوان (الشكر غير مجمّم) بدل (الحمد غير مذمم).

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص258.

كلمتيه في مصراع، والأخرى في مصراع آخر»¹، ثم ذكر أن التعطف من الأنواع التي ليس تحتها كبير أمر، وأن رتبة البديع أعلى من هذه الأنواع السالفة².
وعليه، فإن التعطف يأخذ شكل التقابل الموضعي، وهذا الانتظام أو التوازي يحدث نوعاً من الإيقاع يجعله أكثر تأثيراً على نفس المتلقي.

8_ التكرار:

التكرار لغة مأخوذ من الجذر (كَرَّرَ)، جاء في اللسان: «كَرَّرَ: الكُرُّ: الرجوع، وكَرَّرَ الشيء وكرره: أعاده مرة بعد مرة»³.

وقد نقل المعنى اللغوي _ إعادة الشيء مرة بعد أخرى _ وهو معنى عام على المشابهة فأطلق على إعادة اللفظة الواحدة أو التركيب.

والتكرار من المصطلحات الخاصة بالنحو واللغة، ثم انتقلت دراسته إلى البلاغة والنقد. ذكر "الفراء" (ت207هـ) التكرار في قوله: «والكلمة قد تكررهما العرب على التغليب والتخويف»⁴.

وسماه "أبو عبيدة" (ت210هـ) مجاز المكرر⁵.

وأطلق عليه "الجاحظ" (ت255هـ) اسم الترداد، وقال: «وجملة القول في الترداد، أنه ليس فيه حد ينتهي إليه، ولا يُؤتى على وصفه. وإنما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواص، وقد رأينا الله عزّ وجلّ ردّد ذكر قصة موسى وهود، وهارون وشعيب، وإبراهيم ولوط، وعاد وشمود. وكذلك ذكر الجنة والنار، وأمور كثيرة؛ لأنه خاطب جميع الأمم من العرب وأصناف العجم»⁶.

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص834.
2 - ينظر: المصدر نفسه: ص834.
3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(كرر).
4 - الفراء: معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج3، ص287.
5 - أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج1، ص12.
6 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص105.

وجعل "الخطابي" (ت388هـ) التكرار على ضربين: مذموم، وهو ما كان مستغنى عنه ولا يأتي بفائدة، وليس في القرآن شيء من هذا النوع، ومقبول مستحسن، وهو الذي يأتي بفائدة¹.

والتكرار عند "ابن رشيق" (ت456هـ) «مواضع يحسن فيها، ومواضع يقبح فيها، وأكثر ما يقع التكرار في الألفاظ دون المعاني، وهو في المعاني دون الألفاظ أقل، فإذا تكرر اللفظ والمعنى جميعاً فذلك الخذلان بعينه»².

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما جاء به أسلافه، وعرفه بقوله: «وهو أن يكرر المتكلم اللفظة الواحدة لتأكيد الوصف أو المدح أو الذم أو التهويل أو الوعيد»³. ويأتي التكرار عنده في المفرد والمركب، وقد استشهد عليه بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي.

مثال ما جاء منه للمدح في القرآن الكريم، قوله تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾ {سورة الواقعة، الآيتان 10، 11}، فهذا ما جاء منه بالمفردات⁴.

ومثال ما جاء منه بالمركبات فقوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا﴾ {سورة المائدة، الآية 93}⁵.

ومثال ما جاء منه للوعيد والتهديد، قوله تعالى: ﴿الْحَاقَّةُ مَا الْحَاقَّةُ﴾ {سورة الحاقة، الآيتان 1، 2}، وكقوله عز وجل: ﴿الْقَارِعَةُ مَا الْقَارِعَةُ﴾ {سورة القارعة، الآيتان 1، 2}، فهذا ما جاء منه بالمفردات⁶.

1 - الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ص52.

2 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص73.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص375. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص151.

4 - بنظر: المصدران نفسيهما، ص376. وص151.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص151.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص151. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص376.

أما ما جاء منه بالمركب فقوله تعالى: ﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ، ثُمَّ مَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الدِّينِ﴾ {سورة الانفطار، الآيتان 17، 18}، وكقوله سبحانه أيضا: ﴿كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ، ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ {سورة التكاثر، الآيتان 3، 4} ¹.

ومثال ما جاء منه للاستبعاد قوله عز وجل: ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ لِمَا تُوعَدُونَ﴾ {سورة المؤمنون، الآية 36} ². وكذا التكرار الذي جاء في سورة الرحمان.

واستشهد عليه من الحديث النبوي الشريف بقول الرسول صلى الله عليه وسلم حكاية عن أم زرع: «أبو زرع وما أبو زرع» في معرض المدح ³.

أما عن شواهد الشعرية عن هذا المصطلح، فقول عبيد بن الأبرص في الذم (الكامل) ⁴:

هَلَّا سَأَلْتَ جُمُوعَ كِنْدٍ دة يَوْمَ وَلَوْأَ أَيْنَ أَيْنَا؟

وكقول مهلهل بن ربيعة أخي كليب في التهديد والوعيد (المديد) ⁵:

يَا لَبَكْرٍ أَنْشِرُوا لِي كُنَيْبًا يَا لَبَكْرٍ أَيْنَ أَيْنَ الْفِرَارِ

9_ المراجعة:

من معاني المراجعة في اللغة المحاوراة والمعاودة، فيقال: «وراجعه الكلام مراجعة ورجاعا: حاوره إيَّاهُ. وما أرجع إليه كلاما أي ما أجابه. والمراجعة: المعاودة، والرجيع من الكلام: المردود إلى صاحبه» ⁶.

ذكر ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) أن المراجعة من مخترعاته، وعرفها بقوله: «وهو أن يحكي المتكلم مراجعة في القول، ومحاوراة في الحديث جرت بينه وبين غيره أو بين اثنين غيره بأوجز عبارة وأرشق سبك وأسهل ألفاظ، إما في بيت واحد، أو في أبيات، أو جملة واحدة» ⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص151.

2 - المصدر نفسه: ص151. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص376.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص376.

4 - عبيد بن الأبرص: الديوان، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م، ص129.

5 - مهلهل بن ربيعة: الديوان، شرح وتقديم طلال حرب، دار العالمية، (د ط)، (د ت)، ص35.

6 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (رجع).

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص590. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص300.

ولكن محقق كتابيه يرى بأنه مسبوق إلى هذا النوع «إذ هو بعينه النوع المعروف بالسؤال والجواب. والذي تحدث عنه فخر الدين الرازي في نهاية الإيجاز صفحة114»¹.

أما "الحموي"(ت837هـ) فقال عنها:«المراجعة ليس تحتها كبير أمر، ولو فُوض إلي حكم في البديع ما نظمتها في أسلاك أنواعه، وذكر ابن أبي الإصبع أنها من اختراعاته، وعجبت من مثله كيف قرنها مع الذي استنبطه من الأنواع البديعية الغريبة، كالتهمك، والافتتان، والتدبيح، والهجاء في معرض المدح، والاشترار، والألغاز، والنزاهة. ومنهم من سمى هذا النوع_ أعني المراجعة_ السؤال والجواب»².

وإلى ذلك أشار "ابن معصوم المدني"(ت1120هـ) في قوله:«المراجعة وسماها جماعة منهم الإمام فخر الدين الرازي السؤال والجواب... قال الشيخ صفي الدين الحلبي في شرح بديعيته: وذكر ابن أبي الإصبع أن هذا النوع من مخترعاته وقد وجدناه في كتب غيره بالاسم الثاني»³. أي السؤال والجواب.

ومثل له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ﴾ {سورة البقرة، الآية124}⁴.

أما شواهد الشعرية فقول عمر بن أبي ربيعة(الرملي)⁵:

بينما ينعتني أبصرتني	مثل قيد الرمح يغدو بي الأعز
قالت الكبرى: ترى من ذا الفتى	قالت الوسطى لها: هذا عمر
قالت الصغرى وقد تيمتها	قد عرفناه، وهل يخفى القمر؟

ومن جيد هذا النوع حسبه قول أبي نواس(مجزوء الرمل)⁶:

قال لي يوماً سليماً	نُ وبعض القول أشنع
قال صفني وعلياً	أيناً أتقى وأنفع

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 590 من حاشية المحقق.

2 - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص219.

3 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص350.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص301.

5 - عمر بن أبي ربيعة: الديوان، صححه بشير يموت، مكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط1، 1934م، ص143.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 591 ، 592. لا توجد هذه الأبيات في النسخة التي بحوزتي.

قلت إنّي إن أقل ما فيكما بالحقّ تجزَع
قال: كلا قلت: مهلاً قال قل لي: قلت: فاسمع
قال: صفه قلتُ يُعطي قال: صفني قلت: تمنع

كما يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن لطافة هذا الباب تنتهي رياستها في قول
البحثري (الخفيف) ¹:

بثُّ أسقيه صفوة الرّاح حتى وضع الكأس مائلاً يتكفأ
قلتُ: عبدُ العزيز تفديك رُوحِي قال: لبّيك قلت: لبّيك ألفاً
هاكها، قال: هاتها، قلت: خذها قال: لا أستطيعها، ثم أغفى

ونقل "السيوطي" (ت911هـ) تعريف "ابن أبي الإصبع المصري"، وقال: «المراجعة ذكرها ابن
مالك وعبد الباقي وغيرهما وهي حكاية التحاور بين المتكلم وغيره في البيت الواحد بألفاظ
وجيزة» ².

10_ المشاكلة:

المشاكلة لغة: الموافقة والمشابهة والمماثلة، جاء في اللسان: «الشكّل، بالفتح: الشبّه
والممثل. والجمع أشكال وشكول. والشكل: المثلُ تقول: هذا على شكل هذا، أي مثاله. وفلان
شكل فلان أي مثله في حالاته. ويقال: هذا من شكل هذا، أي من ضربه ونحوه. وهذا أشكل
بهذا أي أشبه. والمشاكلة: الموافقة، والتشاكل مثله» ³.

ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر، ولكن ما ذكرناه لها من معانٍ هو الأقرب إلى
الاصطلاح، وهي في الاصطلاح تعني: «أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته
تحقيقاً أو تقديراً» ⁴.

تحدث "الفراء" (ت207هـ) عن المشاكلة ولكنه لم يسمها بهذا الاسم، حيث قال في قوله
تعالى: ﴿فَإِنْ انْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ {سورة البقرة، الآية194}: «فإن قال قائل:

1 - البحثري: الديوان، مج 3، ص 559. يتكفا: مخففاً أي يتكفأ مهموزاً ومعناه تهنّز يده بالكأس فيقع ما فيه.

2 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص127.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(شكل).

4 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص263.

أرأيت قوله: ﴿فلا عدوان إلا على الظالمين﴾ أعدوان هو وقد أباحه الله لهم؟ قلنا: ليس بعدوان في المعنى إنما هو لفظ على مثل ما سبق قبله، ألا ترى أنه قال: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾، فالعدوان من المشركين في اللفظ ظلم في المعنى والعدوان الذي أباحه الله وأمر به المسلمين إنما هو قصاص فلا يكون القصاص ظلماً وإن كان لفظه واحداً¹.

ولعل "أبا علي الفارسي" (ت هـ) كان أول من سمي هذا اللون البديعي باسم "المشاكلة"². واعتبر "الرماني" (ت386هـ) المشاكلة جزءاً من الجناس، لأن الجناس عنده على وجهين؛ مزوجة ومناسبة، فالمزوجة عنده تقع في الجزء، وقد مثل لها بقوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ﴾ {سورة البقرة، الآية194}، أي جازوه بما يستحق على طريق العدل، إلا أنه استعير للثاني لفظ الاعتداء لتأكيد الدلالة على المساواة في المقدار، فجاء على مزوجة الكلام لحسن البيان³.

وللمشاكلة عند "التبريزي" (ت502هـ) مفهوم آخر، حيث عرفها بقوله: «والمشاكلة أن يجمع الشاعر في البيت كلمتين متجاورتين أو غير متجاورتين شكلهما واحد ومعنيهما مختلفان»⁴، كقول أبي سعد المخزومي (المديد)⁵:

حَدَقُ الْآجَالِ آجَالُ وَالهُوَى لِلْحُرِّ قَتَالُ

فلفظة الآجال الأولى: القطيع من بقر الوحش والظباء، والثانية: منتهى الأعمار، وهذا هو الجناس.

وتبع "السكاكي" (ت626هـ) "الفراء" في نظره للمشاكلة وذكر أمثله القرآنية، وعرفها

1 - الفراء: معاني القرآن، ج1، ص82. نقلا عن: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص258.

2 - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص258.

3 - بنظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص99.

4 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص162.

5 - المصدر نفسه: ص162.

بقوله: «أن تذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته»¹. وتبعه في ذلك ابن مالك والقرويني وشرح التلخيص وغيرهم .

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد خالف أسلافه تمام الاختلاف في مفهوم المشاكلة، ثم إنه ذكرها في كتاب "تحرير التبرير" ولم يذكرها في كتاب "بديع القرآن"، لأن مفهومه الذي جاء به يخص الكلام المنظوم فقط، وليس لأنه لا يوجد لها أمثلة في القرآن الكريم كما ذكر في مقدمة كتاب "بديع القرآن".

فبعد أن ذكر معنى كلام "التبريزي" وبعض أمثله «وهي أن يأتي المتكلم أو الشاعر في شعره باسم من الأسماء المشتركة في موضعين فصاعداً من البيت الواحد، وكذلك الاسم في كل موضع من الموضعين مسمى غير الأول، تدلّ صيغته عليه بتشاكل إحدى اللفظتين الأخرى في الخط واللفظ، ومفهومهما مختلف»².

وأشد قول الشماخ (البسيط)³:

كادت تُساقطني والرحل أن نطقت حمامة فدعت ساقاً على ساق

ثم قال: فالساق الأولى ذكر الحمام والثانية ساق الشجرة .

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" منتقداً ما جاء به "التبريزي" في هذا الباب: «وعندي أن ما أنشده التبريزي في هذا الباب داخل في أحد قسمي التجنيس المماثل، والذي ينبغي أن تفسر به المشاكلة قولنا: إن الشاعر يأتي بمعنى مشاكل لمعنى في شعر غير ذلك الشعر، أو في شعر غيره بحيث يكون كل واحد منهما وصفاً أو نسباً أو غير ذلك من الفنون، غير أن كل صورة أبرز المعنى فيها غير الصورة الأخرى، فالمشاكلة بينهما من جهة الغرض الجامع لهما، والتفرقة بينهما من جهة صورتيهما اللفظية»⁴.

قال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ): «قول الشيخ زكي الدين ظاهر ليس في صحته سقم، وهذا البيت الذي أنشده التبريزي من أحسن الشواهد على الجنس التام، ولو اعتمد البديعيون

1 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص424.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التبرير، ص393.

3 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص162.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التبرير، ص393.

على المشاكلة المعنوية لخلصوا من هذا الاعتراض، وعلى كل تقدير، فالمعارضة تعدت حكم الالتزام في نظم هذا النوع، أعني المشاكلة اللفظية»¹.

فالمشاكلة التي ذكرها "ابن أبي الإصبع المصري" غير التي ذكرها "التبريزي"، فهو يقصد المشاكلة المعنوية، فلذلك كان "ابن أبي الإصبع المصري" منفردا بهذا اللون، كما ذكر المحقق .

وفي هذا يقول "صاحب الصبغ البديعي": «وما أحرى ما ذهب إليه ابن أبي الإصبع بأن يكون نوعا من أنواع السرقات»².

وقد مثل "ابن أبي الإصبع المصري" على مشاكلة الشاعر نفسه بقول امرئ القيس في صفة الفرس (الطويل)³:

وقد أَعْتَدِي وَالطَيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بَمَنْجَرِدٍ قَيْدِ الْأَوَابِدِ هَيْكَلِ

وقوله في صفة الفرس أيضا (الطويل)⁴:

إِذَا مَا جَرَى شَوْطَيْنِ وَابْتَلَّ عَطْفُهُ تَقُولُ هَزِيْزُ الرِّيحِ مَرَّتْ بِأَثَابِ

يعلق على البيتين بقوله: «فكل معنى من هذين المعنيين مشاكل لصاحبه إذ الجامع بينهما وصف الفرس بشدة العدو، غير أن قدرة الشاعر تلاعبت به، فأبرزته في صور مختلفة، فهذا ما شاكل الشاعر فيه نفسه»⁵.

ومثال مشاكلة الشاعر غيره فكقول جرير (البسيط)⁶:

إِنَّ الْعَيُونَ الَّتِي فِي طَرْفِهَا حَوْرٌ قَتَلْنَا ثُمَّ لَمْ يُحْيَيْنَا قَتْلَانَا

يَصْرَعُنَ ذَا اللَّبِّ حَتَّى لَا حَرَكَ بِه وَهَنَّ أَضْعَفُ خَلْقِ اللَّهِ أَرْكَانَا

1 - الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص704.

2 - أحمد إبراهيم موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 1969م، ص286.

3 - امرؤ القيس: الديوان، ص118.

4 - المصدر نفسه: ص34.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص395.

6 - جرير: الديوان، ص595.

وقول عدي بن الرقاع(الكامل) ¹:

وكأنَّها بين النساءِ أَعَارَها عِينِه أَحورُ من جَادرِ جاسِمِ
وَسنانُ أَقصدَه النُّعاسِ فرنَّفتُ في عينه سِنَةٌ وليس بنائمِ

ثم قال: «فالمشكلة بين الرجلين من جهة أن كلا منهما وصف العيون بالمرض والفتور، فأبرز معناه في صورة غير الصورة الأخرى بحسب قوة عارضته في السبك، وحسن اختياره اللفظ، وجودة ذهنه في الزيادة والنقص في التفضيل بين هذين الشعيرين: شعر جرير، وعدي، بحيث لا يسعه هذا المكان» ².

والذي لا بد من ذكره هنا هو أن "ابن أبي الإصبع المصري" لم يذكر مصطلح المشكلة بمفهومه المعروف خاصة عند "السكاكي" و"القزويني" تحت أي اسم آخر، وإنما ذكر بعض شواهدا في باب "المناقضة".

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص395.
² - المصدر نفسه: ص395.

الفصل الثالث

مصطلحات الائتلاف والتناسب

1_ ائتلاف اللفظ مع المعنى:

أشار "بشر بن المعتمر" (ت210هـ) في صحيفته إلى هذا المصطلح، في قوله: «ومن أراد معنى كريما فليتمس له لفظا كريما، فإن حق المعنى الشريف اللفظ الشريف»¹.

كما نبّه "الجاحظ" (ت255هـ) إلى أهميته قائلا: «ومتى شاكل_أبقاك الله_ ذلك اللفظ معناه؛ وأعرب عن فحواه، وكان لتلك الحال وَفقا، ولذلك القدر لِفقا، وخرج من سماجة الاستكراه، وسلم من فساد التكلّف، كان قمينا بحسن الموقع، وبانتفاع المستمع، وأجدر أن يمنع جانبه من تناول الطاعنين، ويحمي عرضه من اعتراض العائنين، وألّا تزال القلوب به معمورة، والصدور مأهولة، ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه، متخيّرا من جنسه، وكان سليما من الفضول بريئا من التعقيد، حُبب إلى النفوس، واتصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشّت إليه الأسماع، وارتاحت إليه القلوب، وخفّ على ألسن الرواة، وشاع في الآفاق ذكره، وعظّم في الناس خطره، وصار بذلك مادة للعالم الرئيس، ورياضة للمتعلّم الریض»².

هذا المصطلح ذكره "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) ولم يبين معناه، وفرع منه: المساواة والإشارة والتمثيل والإرداف والتتبع، وشرحه "الأمدي" (ت370هـ) ولم يوفه حقه³.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في مفهومه لهذا المصطلح، حيث عرفه بقوله: «وتلخيص هذه التسمية أن تكون ألفاظ المعنى المطلوب ليس فيها لفظة غير لائقة بذلك المعنى»⁴.

هذا في كتاب تحرير التعبير، أما في كتاب بديع القرآن فقد بسط القول في مفهومه، حتى غدا شرحا أدبيا له، حيث قال: «وتلخيص تفسير هذه التسمية أن تكون: ألفاظ المعنى المراد يلائم بعضها بعضا ليس فيها لفظة نافرة عن أخواتها، غير لائقة بمكانها، كلها موصوف بحسن الجوار، بحيث إذا كان المعنى غريبا فُحّا كانت ألفاظه غريبة محضة، وإذا كان المعنى مؤلدا كانت الألفاظ مؤلدة، وإذا كان المعنى متوسطا كانت الألفاظ كذلك، وإذا

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص136.

2 - المصدر نفسه: ج2، ص7، 8.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص194.

4 - المصدر نفسه: ص194.

كان غريبا كانت الألفاظ غريبة، وإذا كان متداولاً كانت الألفاظ معروفة مستعملة، وإذا كان متوسطاً بين الغرابة والاستعمال كانت ألفاظه كذلك»¹.

وقد جاء الائتلاف عنده على ضربين: لفظي ومعنوي.

ومثاله على الضرب الأول (اللفظي) قوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ﴾ {سورة آل عمران، الآية 59}، فعدل سبحانه عن الطين الذي أخبر في كثير من مواضع الكتاب العزيز أنه خلق آدم منه، منها قوله تعالى: ﴿إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ﴾ {سورة آل عمران، الآية 71}، وقوله حكاية عن إبليس: ﴿خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ﴾ {سورة آل عمران، الآية 72}، فعدل سبحانه عن ذكر الطين الذي هو مجموع التراب والماء إلى ذكر مجرد التراب؛ لأنه أدنى العنصرين وأكثرهما لما كان المقصود مقابلة من ادعى في المسيح الإلهية بما يصغر أمر خلقه عند من ادعى ذلك، فلهذا كان الإتيان بلفظة التراب أمتن بالمعنى من غيرها من العناصر، ولو كان موضعه غيره لكان اللفظ غير مؤتلف بالمعنى المقصود².

وقوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذُكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ {سورة يوسف، الآية 85}، يقول ابن أبي الإصبع المصري: «فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها، فإن والله وبالله أكثر استعمالاً وأعرف عند الكافة من تالله لما كان الفعل الذي جاور القسم أغرب الصيغ التي في بابيه، فإن كان وأخواتها أكثر استعمالاً من تفتأ وأعرف عند الكافة، ولذلك أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك بالنسبة، وهي لفظة "حرض"³، فكانت الملاءمة في هذه الآية من حيث الغرابة، لأن ألفاظها كلها جاءت غريبة.

ولما أراد غير ذلك قال سبحانه في غير هذا الموضع: ﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ﴾ {سورة فاطر، الآية 2}، وعلّق على هذه الآية بقوله: «لما كانت جميع ألفاظ هذا الكلام المجاورة لهذا القسم كلها مستعملة متداولة لم تأت فيها لفظة غريبة تفتقر إلى مجاورة

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 77.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 194.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 195. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 77، 78.

ما يشاكلها في الغرابة ويلائمها»¹، فكانت بذلك الملاءمة من حيث الاستعمال المألوف المتداول.

أما شاهده الشعري على هذا الضرب فهو قول زهير بن أبي سلمى (الطويل)²:

أثافي سُعْفًا في معرْسِ مِرْجَلٍ ونُؤْيًا كَجِدْمِ الحَوْضِ لَمْ يَتَثَلَّمْ
فلما عرفتُ الدارَ قلتُ لربِّعها ألا عمّ صباحا أيُّها الربعِ واسلَمْ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيتين بقوله: «فإن زهيراً لما قصد إلى تركيب البيت الأول من ألفاظ تدل على معنى عربيّ لكن المعنى غير غريب، ركّبه من ألفاظ متوسطة بين الغرابة والاستعمال، ولما قصد في البيت الثاني إلى معنى أبين من الأول وأعرف وإن كان قريباً ركّبه من ألفاظ مستعملة معروفة»³.

وقد استشهد على الضرب الثاني (المعنوي) بقوله عز وجل: ﴿وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ﴾ [سورة هود، الآية 13]، يقول محللاً الآية الكريمة: «لما كان الركون إلى الظالم دون فعل الظالم وجب أن يكون العقاب عليه دون عقاب الظالم، ومس النار في الحقيقة دون الإحراق، ولما كان الإحراق عقاباً للظالم أوجب العدل أن يكون المس عقاب الركان إلى الظالم، فلهذا عدل عز وجل عن قوله: ﴿لَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ فتدخلوا النار؛ لكون الدخول مظنة الإحراق، وخص المس ليشير به إلى ما يقتضي الركون من العقاب، ويميز به بين ما يستحق الظالم وما يستحق الركان له من العقاب، وإن كان مسّ النار قد يطلق ويراد به الإحراق، لكن هذا الإطلاق مجاز، والحقيقة ما ذكرناه، لأن حقيقة المس أول ملاقة الجسم حرارة النار، وإذا احتمل اللفظ احتمالات صُرِفَ منها إلى ما تدل عليه القرائن»⁴.

2_ ائتلاف اللفظ مع الوزن:

هذا النوع من مخترعات "قدامة بن جعفر" (ت337هـ)، وهو أحد أقسام الائتلاف عنده، وقد عرفه بقوله: «هو أن تكون الأسماء والأفعال في الشعر تامة مستقيمة كما بُنيت، لم

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص196. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص78.

2 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص65.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص195.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص78. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص196.

يضطر الأمر في الوزن إلى نقضها عن البنية بالزيادة عليها والنقصان منها، وأن تكون أوضاع الأسماء والأفعال والمؤلفة منها، وهي الأقوال، على ترتيب ونظام لم يضطر الوزن إلى تأخير ما يجب تقديمه، ولا إلى تقديم ما يجب تأخيره منها، ولا اضطر أيضا إلى إضافة لفظة أخرى يلتبس المعنى بها، بل يكون الموصوف مقما والصفة مقولة عليها»¹.

ثم ذكر أن من هذا الباب أيضا «ألا يكون الوزن قد اضطر إلى إدخال معنى ليس الغرض في الشعر محتاجا إليه، حتى أنه إذا حذف لم تنقص الدلالة لحذفه، أو إسقاط معنى لا يتم الغرض المقصود إلا به، حتى أن فقده قد أثر في الشعر تأثيرا بان موقعه»².

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما جاء به "قدامة بن جعفر"، وذكر تعريفه لهذا المصطلح، ثم قال "ابن أبي الإصبع المصري" إن "قدامة بن جعفر" لم يأت بأمثلة في هذا الباب، وأنه ذكر أن كل شعر سليم من هذا الذي قدّمه هو مثال لهذا الباب³.

ورأى "ابن أبي الإصبع المصري" أن "قدامة بن جعفر" أتى في عيوب الوزن بأمثلة لا بدّ من ذكرها هنا ليُعلم أنّ كل بيت جاء بضدّها يصلح شاهدا لهذا الباب.

من هذه الشواهد قول القائل يصف ذرعا (الكامل)⁴:

من نسج داود أبي سلام

فالشاعر يريد سليمان، ولكن الوزن اضطرّه إلى حذف الياء والنون منه، وتشديد اللام وتقديم الألف على الميم.

ومثال ما اضطر الوزن فيه إلى التقديم والتأخير، قول الفرزدق (الطويل)⁵:

**وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكٌ
أخو أمّه حيّ أبوه يقاربُهُ**

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت بقوله: «فإن اضطرار الوزن حمله على رداءة السبّك، فحصل في الكلام تعقيد يمنع من فهم معناه بسرعة، ولو قال: وما مثله إلا مملك

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص166.

2 - المصدر نفسه: ص167.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص221.

4 - ينظر: المصدر نفسه، ص221. وهذا عجز بيت للأسود بن يعفر، صدره: *ودعا بمحكمة أمين سكها*.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص222. لم أعثّر على البيت في النسخة التي بحوزتي.

أبوه يقارب خاله لسهل مأخذه، وقرب متناوله، ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان هو الشعر الذي ائتلف لفظه مع وزنه»¹.

3_ ائتلاف المعنى مع الوزن:

هذا الباب كالذي سبقه، من مخترعات "قدامة بن جعفر" (ت337هـ)، وأحد أقسام الائتلاف عنده، قال في تعريفه: «أن تكون المعاني تامة مستوفاة، لم يضطر الوزن إلى نقصها عن الواجب، ولا إلى الزيادة فيها عليه، وأن تكون المعاني أيضا مواجهة للغرض لم تمتنع من ذلك ولم تعدل عنه من أجل إقامة الوزن والطلب لصحته»².

ولم يذكر "قدامة بن جعفر" أمثلة لهذا الباب لنفس السبب المذكور في الباب السابق. وتبعه "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في هذا المصطلح، وعرفه بقوله: «وهو أن تأتي المعاني في الشعر على صحتها، لا يضطر الشاعر الوزن إلى قلبها عن وجهها، ولا خروجها عن صحتها»³. وهذا المفهوم أخذه من "قدامة" مع تغيير بسيط في الصياغة. ومثل له بقول عروة بن الورد (الوافر)⁴:

فإنّي لو شهدتُ أبا سعاد غداة غدٍ بمهجته يفوقُ
فديتُ بنفسه نفسي ومالي وما آله إلا ما أطيقتُ

فإن هذا الشاعر أراد أن يقول: فديت نفسه بنفسه نفسي ومالي، فألجأته ضرورة الوزن إلى قلب المعنى، ومهما كان الشعر سليما من مثل هذا كان الشعر الذي ائتلف معناه مع وزنه⁵.

4_ ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت:

هذا المصطلح يتكون من ثمان كلمات فهو جملة تصف المفهوم وليس مصطلحا بالمعنى الحقيقي للكلمة، فالمصطلح لا بد أن يكون مختصرا ومكتفا، من هنا ينتقي مبدأ من المبادئ الأساسية في صياغة المصطلح ووضعه، وهو مبدأ الاختصار.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص222.

2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص167.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص223.

4 - المصدر نفسه: ص223. لم أعثر على البيتين في النسخة التي بحوزتي.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص223.

هذا النوع كذلك من مخترعات "قدامة بن جعفر" (ت337هـ)، قال في تعريفه هو: «أن تكون القافية متعلقة بما تقدّم من معنى البيت تعلّق نظم له وملائمة لما مرّ فيه»¹.
وقد فرّع منه بابين هما: التوشيح والإيغال.

وتبعه "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) كذلك في هذا المصطلح ولكنه كان أكثر توسعا من سابقه، فقد أكثر من الشواهد عليه، وذكر أن هذا المصطلح سماه من جاء بعد "قدامة" التمكين، وعرفه بقوله: «وهو أن يمهد الناثر لسجعة فقرته، أو الناظم لقافية بيته، تمهيدا تأتي القافية به متمكنة في مكانها، مستقرة في قرارها، مطمئنة في موضعها، غير نافرة ولا قلقة، متعلّقا معناها بمعنى البيت كلّه تعلّقا تاما، بحيث لو طُرحت من البيت اختلّ معناه واضطرب مفهومه، ولا يكون تمكّنها بحيث يقدّم لفظها بعينه في أول صدر البيت، أو معنى يدلّ عليها في أول الصدر، أو في أثناء الصدر، ولا أن يفيد معنى زائدا بعد تمام معنى البيت، فإن الأول يسمى تصديرا، والثاني توشيحاً، والثالث إيغالا، ولا يقال لشيء من ذلك تمكين البتة»².

والملاحظ على تعريفه هذا أنه يفتقر إلى التحديد والإيجاز، فتعريف "قدامة بن جعفر" أكثر دقة منه.

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصَلَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (سورة هود، الآية 87)³.

يقول معلقا على الآية الكريمة: «فإنّ هذه الآية الكريمة لما تقدّم فيها ذكر العبادة والتصرّف في الأموال كان ذلك تمهيدا تاما لذكر الحلم والرشد، لأنّ الحلم: العقل الذي يصحّ به التكليف، والرشد حسن التصرف في الأموال»⁴.

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص167.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص224.

3 - المصدر نفسه: ص224.

4 - المصدر نفسه: ص224.

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُثْبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنْفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾ {سورة يس، الآية 36}، وكقوله سبحانه: ﴿قَالُوا رَبَّنَا عَلِّمْنَا لِنَا الْإِسْلَامَ الَّذِي بَعَثْنَا فِي الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّ نُنَظِّرُكَ مِنَ الْفِتَنِ الَّتِي يُفْتَنُ بِهَا الْبَشَرُ كُلًّا﴾ {سورة يس، الآية 16، 17}، وقوله تعالى: ﴿قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ﴾ {سورة يس، الآية 26}، ثم ذكر أن كل فواصل الكتاب العزيز بين تمكين، وتوشيح، وإيغال، وتصدير¹.

ثم انتقل "ابن أبي الإصبع المصري" للاستشهاد على هذا المصطلح من الشعر العربي، بقول أبي تمام (الوافر)²:

ومن يأذن إلى الواشين تُسَلِّقُ مسامعُه بألسنةٍ حَدَادٍ
وقوله أيضا في غزل هذه القصيدة³:
مَذَاكِي حَلْبَةٍ وَشُرُوبِ دَجْنٍ وسامرٍ قَيْنَةٍ وَقُدُورِ صَادٍ
وَأَعِينِ رَبِّبٍ كُحِلَّتْ بِسِحْرِ وَأَجْسَادٍ تَضَمَّخَ بِالْجِسَادِ
وكقول البحتري (الطويل)⁴:

فلم أرَ ضِرْغامينَ أصدقَ منهما عراقا إذا الهَيَابَةُ النَّكْسُ أَكْذَبَا
حَمَلَتْ عَلَيْهِ السَّيْفَ لَا عَزْمُكَ انْتَنَى وَلَا يَدُكَ ارْتَدَّتْ وَلَا حُدَّهُ نَبَا
وَكُنْتَ مَتَى تَجْمَعُ يَمِينُكَ تَهْتِكُ الضَّرِيَّةَ أَوْلَا تُبْقِ لِلسَّيْفِ مَضْرِبَا
أَلَنْتَ لِي الْأَيَّامَ مِنْ بَعْدِ قَسْوَةِ وَعَاتَبْتَ لِي دَهْرِي الْمَسِيءِ فَأَعْتَبَا
وَأَلْبَسْتَنِي النُّعْمَى الَّتِي غَيَّرْتَ أَخِي عَلِيٍّ فَأَمْسَى نَازِحَ الْوُدِّ أَجْنَبَا
فَلَا فُزْتُ مِنْ مَرِّ اللَّيَالِي بِرَاحَةٍ إِذَا أَنَا لَمْ أَصْبِحْ بِشُكْرِكَ مُتَعَبَا
وقول المتنبي (البيسط)⁵:

يا من يعزُّ علينا أن نفارِقهم
وجدائنا كلَّ شيءٍ بعدكم عَدَمُ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 224، 225.

2 - أبو تمام: الديوان، ج 1، ص 205.

3 - المصدر نفسه، ج 1، ص 198.

4 - البحتري: الديوان، مج 1، ص 200، 201.

5 - المتنبي: الديوان، ج 2، ص 292.

إِنْ كَانَ سِرْكُمُ مَا قَالَ حَاسِدُنَا فَمَا لَجُرْحِ إِذَا أَرْضَاكُمُ أَلْمُ

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" : لم نسمع لمتقدّم شعرا أشدّ تمكين قوافٍ من قول النابغة الذبياني(الكامل) ¹:

كَالْأَفْحُونَ عَدَاةَ غِبِّ سَمَائِهِ جَفَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي
زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذُقْهُ بِأَنَّهُ يُرْوِي بِرَيْقَتِهِ مِنَ الْعَطَشِ الصَّدِي

وسماه كل من ابن مالك وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني تمكيناً ².

5_ ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام:

ورد هذا المصطلح في "بديع القرآن" بهذا الاسم، وكان "ابن أبي الإصبع المصري" قد أورده في "تحرير التحبير" باسم "ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت"، والسبب في ذلك أن الفاصلة أليق بالقرآن الكريم، فنهايات الآيات لا تسمى قوافي ولا أسجاعاً بل فواصل، لاختصاص القوافي بالشعر، والسجع بالمنافرة عن معنى الكلام. وقال إنه من مخترعات "قدامة" وسماه من بعده التمكين ³.

ثم عرّفه بالتعريف نفسه الذي قال به في "ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت" في "تحرير التحبير"، واستشهد عليه بالشواهد القرآنية نفسها التي جاء بها في "تحرير التحبير"، أما الشواهد الشعرية فلم يذكرها.

6_ التوشيح:

التوشيح لغة من الوشاح، جاء في اللسان: «الوشاح: كلّه حلي النساء، كرسان من لؤلؤ وجوهر منظومان، مخالف بينهما، معطوف أحدهما على الآخر، تتوشح المرأة به، وتوشح الرجل بثوبه وبسيفه، وقد توشّحت المرأة واتّشحت» ⁴.

وهو مما فرّعه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) من "ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت"، وعرّفه بقوله: «هو أن يكون أول البيت شاهداً بقافيته، ومعناها متعلقاً به، حتى أنّ

1 - النابغة الذبياني: الديوان، ص95.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص15.

3 - ينظر ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص89.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(وشح).

الذي يعرف قافية القصيدة التي البيت منها، إذا سمع أول البيت عرف آخره وبانت له قافيته»¹.

ومثل له بقول الراعي النميري (الوافر)²:

وإن وُزِنَ الحصى فَوَزِنَتْ قَوْمِي وَجَدْتُ حصى ضَرِيْبَتِهِمْ رَزِينَا

يعلق "قدامة" على البيت بقوله: «فإذا سمع الإنسان أول هذا البيت، وقد تقدمت عنده قافية القصيدة، استخرج لفظة قافيته، لأنه يعلم أن قوله: وُزِنَ الحصى ، سيأتي بعده: رزين، لعلّتين: إحداهما أن قافية القصيدة توجهه، والأخرى أن نظام المعنى يقتضيه، لأن الذي يفاخر برجاحة الحصى يلزمه أن يقول في حصاه إنه رزين»³.

واقترح "العسكري" (ت395هـ) تسمية التوشيح تبيننا، وعرفه بقوله: «وهو أن يكون مبتدأ الكلام يُنبئُ عن مقطعه؛ وأوله يخبر بآخره، وصدده يشهد بعجزه، حتى لو سمعت شعرا، أو عرفت رواية؛ ثم سمعت صدر بيت منه وقفت على عجزه قبل بلوغ السماع إليه»⁴.

وأطلق عليه "ابن رشيق" (ت456هـ) التسهيم، وقال في تعريفه: «هو أن يكون معنى البيت مقتضيا قافيته، وشاهدا بها دالا عليها»⁵. وهذا هو المفهوم الذي جاء به "قدامة" مع تغيير بسيط في الصياغة.

أما "أسامة بن منقذ" (ت584هـ) فقد خالف أسلافه في مفهوم التوشيح ، وعرفه بقوله: «هو أن تريد الشيء فتعبر عنه عبارة حسنة وإن كانت أطول منه»⁶، فالتوشيح عنده فيه إطناب؛ إطناب؛ بمعنى أن يكون اللفظ زائدا عن المعنى لأجل التحسين .

وقال "ابن الأثير" (ت637هـ): «وهو أن يبني الشاعر أبيات قصيدته على بحرین مختلفين، فإذا وقف على البيت من القافية الأولى كان شعرا مستقيما من بحر على عروض، وإذا أضاف على ذلك ما بنى عليه شعره من القافية الأخرى كان أيضا شعرا مستقيما من بحر

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص168.

2 - المصدر نفسه: ص168.

3 - المصدر نفسه: ص168.

4 - العسكري: الصناعتين، ص382.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص32.

6 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص89.

آخر على عروض، وصار ما يضاف إلى القافية الأولى للبيت كالوشاح، كذلك يجري الأمر في الفقرتين من الكلام المنثور»¹،

وهذا هو "التشريع" ويسمى "ذا القافيتين" وكذا "التوأم".

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما قاله "قدامة بن جعفر" بشأن هذا المصطلح، وذكر وجه المناسبة بين المعنيين (اللغوي والاصطلاحي) في قوله: «سُمِّيَ هذا الباب توشيحاً لكون معنى أول الكلام يدلّ على لفظ آخره، فيتنزّل المعنى منزلة الوشاح، ويتنزّل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح اللذين يجول عليهما الوشاح»².

ثم عرفه بقوله: «هو أن يكون في أول الكلام معنى إذا علم علمت منه القافية إذا كان شعراً، أو السجع إن كان نثراً، بشرط أن يكون المعنى المتقدم بلفظه، من جنس معنى القافية، أو السجعة بلفظه، أو من لوازم لفظه»³. والملاحظ على تعريفه أنه يشمل الشعر والنثر، فلم يخصه بالشعر فقط كما فعل "قدامة بن جعفر". فتتوعد بذلك شواهد بين شعر وقرآن كريم.

واستشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ {سورة آل عمران، الآية 23}، فمن معنى اصطفاء المذكورين تُعلم الفاصلة، لأن المذكورين نوع من جنس العالمين⁴.

وقوله تعالى: ﴿وَأَيُّ لَّهُمُ اللَّيْلُ نَسَلُخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ﴾ {سورة يس، الآية 37}⁵.

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على الآية الكريمة: «فإن من كان حافظاً لهذه السورة، متقظاً إلى أن مقاطع أيها النون المردفة، وسمع في صدر الآية انسلاخ النهار من

1 - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص216.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص228.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص90. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص228.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص90. وص228.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص90. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص228.

الليل، عَلِمَ أن الفاصلة تكون مظلّمين، لأن من انسلخ النهار عن ليله أظلم، أي دخل في الظلمات ما دامت تلك الحال»¹.

أمّا عن شواهد الشعرية فقد استشهد ببيت الراعي النميري السابق الذي جاء به "قدامة". وذكر أن من عجائب هذا الباب، ما حكى عن عمر بن أبي ربيعة المخزومي أنه أنشد عبد الله بن العباس رضي الله عنهما (المتقارب)²:

تَشَطُّ عَدَا دَارُ جِيرَانِنَا

فقال له عبد الله :

وَلِلدَّارِ بَعْدَ غَدٍ أَبْعَدُ

فقال عمر: هكذا والله قلت، فقال له ابن عباس: وهكذا يكون ويقرب من هذه القصة قصة عدي بن الرّقاع العامليّ حين أنشد الوليد بن عبد الملك بحضرة جرير والفرزدق كلمته التي مطلعها (الكامل)³:

عَرَفَ الدِّيَارَ تَوْهُمًا فَاعْتَادَهَا

حتى انتهى إلى قوله:

تُرْجَى أَعْنَ كَأَنَّ إِبْرَةَ رَوْقِهِ

ثم شغل الوليد عن الاستماع، فقطع عديّ الإنشاد، فقال الفرزدق لجرير: ما تراه يقول؟ فقال جرير: أراه يستلّب منها مثلا، فقال الفرزدق، يالْكَع، إنه سيقول (الكامل) :

قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

فلما عاد الوليد إلى الاستماع، وعاد عديّ إلى الإنشاد قال:

قَلَّمَ أَصَابَ مِنَ الدَّوَاةِ مِدَادَهَا

قال جرير للفرزدق: أكان قلبك مخبوءًا في صدره؟ فقال الفرزدق: شغلني سبُّك عن جيّد الكلام، فقال الفرزدق: والله لما سمعتُ صدر بيته رحمته، فلما أنشد عجزه انقلبت الرحمة

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص91. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 228 ، 229.

2 - عمر بن أبي ربيعة: الديوان، ص72.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص229.

وقد فرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التوشيح والتصدير من جهة، وبين التوشيح والتمكين من جهة أخرى، في قوله: «وربما اختلط التوشيح بالتصدير لكون كل منهما يدلّ صدره على عجزه. والفرق بينهما أن دلالة التصدير لفظية، ودلالة التوشيح معنوية. والفرق بين التوشيح والتمكين أن التوشيح لا بدّ أن تتقدّم القافية معنى يدلّ عليها، ولا كذلك التمكين، ولا تكون كلمة التوشيح إلا في أول الصدر، وإن لم تكن كذلك فلا توشيح»².

7_ الانسجام:

الانسجام لغة من (سجم)، يقال: «سجمت العين الدمع والسحابة الماء تسجمه سجما: وهو قطران الدمع وسيلانه قليلا كان أو كثيرا، وانسجم الماء والدمع فهو منسجم: إذا انصب، وسجمت السحابة مطرها: إذا صبته»³.

وقد انتقل المعنى اللغوي وهو تحدر الماء وانسيابه إلى المعنى الاصطلاحي فأصبح يطلق على تحدر الكلام بسهولة وسلاسة من غير كلفة، مع خلوه من التعقيد. والانسجام من المصطلحات التي ابتكرها "ابن منقذ" (ت584هـ)⁴، وقد عرفه بقوله: «أن يأتي كلام المتكلم شعرا، من غير أن يقصد إليه، وهو يدل على فور الطبع والغريزة»⁵، فالانسجام عنده من قوة الطبع.

وقد وسّع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في مفهوم الانسجام فلم يقصره على قوة الطبع في قول الشعر، وإنما أراد معناه العام وهو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدّر الماء المنسجم سهولة سبك، وعذوبة ألفاظ، إضافة إلى ما جاء به "ابن منقذ". قال في تعريفه: «هو أن يأتي الكلام متحدرا كتحدّر الماء المنسجم، سهولة سبك وعذوبة ألفاظ، حتى يكون للجملة من المنثور والبيت من الموزون وقع في النفوس وتأثير في القلوب

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص230.

2 - المصدر نفسه: ص231.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(سَجَم).

4 - ينظر: أحمد يحيى علي الدليمي: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ في كتاب البديع في نقد الشعر، ص159.

5 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص131.

ما ليس لغيره، مع خلوه من البديع، وبعده عن التصنيع. وأكثر ما يقع الانسجام غير مقصود، كمثل الكلام المتزن الذي تأتي به الفصاحة في ضمن النثر عفوا كمثل أشطار، وأنصاف، وأبيات وقعت في أثناء الكتاب العزيز»¹.

وذكر أن الانسجام على ضربين :

_الضرب الأول: وهو الذي يأتي مع البديع الذي لم يقصد، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ {سورة يوسف، الآية 86}، فانظر إلى سهولة هذا النظم، وعذوبة هذه الألفاظ، وإلى ما في هذا الكلام من الانسجام، مع ما وقع فيه من التعطف في قوله تعالى: ﴿إِلَى اللَّهِ﴾ و«أعلم من الله»².

_الضرب الثاني: وهو الخالي من البديع ، ومثل له بقوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ {سورة الأعراف، الآية 199}، وذكر أن أكثر آي القرآن الكريم من شواهد هذا الباب³.

ومثل للانسجام من الحديث النبوي الشريف بقول الرسول صلى الله عليه وسلم في وصف القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ هَذَا الْقُرْآنَ أَمْرًا وَزَجْرًا، وَسَنَةً خَالِيَةً، وَمَثَلًا مَضْرُوبًا، فِيهِ نَبَأُكُمْ، وَخَبْرٌ مَا كَانَ قَبْلَكُمْ، وَنَبَأٌ مَا بَعْدَكُمْ، وَحُكْمٌ مَا بَيْنَكُمْ، لَا يُخْلِفُهُ طَوْلُ الْمُدَدِ، وَلَا تَنْقُضِي عَجَائِبِهِ، هُوَ الْحَقُّ، لَيْسَ بِالْهَزْلِ، مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ، وَمَنْ حَكَمَ بِهِ عَدَلَ، وَمَنْ خَاصَمَ بِهِ فَلَجَ، وَمَنْ قَسَمَ بِهِ أَقْسَطَ، وَمَنْ عَمِلَ بِهِ أُجِرَ، وَمَنْ تَمَسَّكَ بِهِ هُدِيَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ، وَمَنْ طَلَبَ الْهُدَى مِنْ غَيْرِهِ أَضَلَّهُ اللَّهُ، وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِهِ قَصَمَهُ اللَّهُ، هُوَ الذِّكْرُ الْحَكِيمُ، وَالنُّورُ الْمُبِينُ، وَالصِّرَاطُ الْمُسْتَقِيمُ، وَجِبِلُّ اللَّهِ الْمَتِينُ﴾⁴.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 429. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 166.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 166.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 167.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 432.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الحديث النبوي بقوله: «فانظر إلى انسجام هذه العبارة وما جاء فيها من البديع غير مقصود، تشهد الخواطرُ السليمة أنه كلام مسترسل غير مرؤ ولا مفكر»¹.

ومن شواهد الشعرية على الانسجام ما وقع مقصودا كقول أبي تمام (البيسيط)²:

إِنْ شِئْتَ أَلَا تَرَى صَبْرًا لِمُصْطَبِرٍ فَاَنْظُرْ عَلَى أَيِّ حَالٍ أَصْبَحَ الظَّلُّ
وكقوله أيضا (الكامل)³:

نَقْلٌ فُوَادِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ الْهَوَى مَا الْحُبُّ إِلَّا لِلْحَبِيبِ الْأَوَّلِ
وكقول البحرني (الطويل)⁴:

فِيَا لَائِمِي فِي عِبْرَةٍ قَدْ سَفَحْتُهَا لِبَيْنٍ، وَأُخْرَى قَبْلَهَا لَتَجَنَّبِ
تُحَاوِلُ مِنِّي شِيمَةً غَيْرَ شِيمَتِي وَتَطْلُبُ مِنِّي مَذْهَبًا غَيْرَ مَذْهَبِي

وذكر أن من الانسجام ما قد يحصل مع البديع الذي أتت به القرينة عفوا من غير استدعاء ولا كلفة، ومثل له ببيت أبي تمام الأول: *إِنْ شِئْتَ...* ، وقال: «فأنت ترى انسجام هذا الكلام مع كون البيت قد وقع فيه المبالغة، والتعليق، والإشارة، فإنه علق عدم صبر المصطبرين برؤية الظل على تلك الحالة، وأشار بقوله: *على أي حال أصبح الظل* إلى أحوال كثيرة لو عبّر عنها بلفظها لاحتاجت إلى ألفاظ كثيرة، وعلق أحد الأمرين بالآخر، إذ جاء بلفظ الشرط والمشروط»⁵.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" في مفهوم الانسجام كل من "ابن الجوزية" و"الحموي" و"السيوطي" و"المدني"⁶.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 432.

2 - أبو تمام: الديوان، ج 2، ص 111.

3 - المصدر نفسه: ج 2، ص 290.

4 - البحرني: الديوان، مج 1، ص 191.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 431.

6 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 1، ص 330.

8_ التخيير:

التخيير لغة من خير، جاء في اللسان: «خَيْرُهُ بين الشَيْنَيْنِ أي فَوَّضْتُ إليه الخِيار. وتخيَّرَ الشيءَ: اختاره»¹.

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أنّ مصطلح التخيير من مبتدعاته، ولكن المحقق يرى بأن هذا المصطلح قد اختلط عليه فظن أنه من مخترعاته، فما عدّه هو تخييرا عدّه غيره تمكينا وتقسيما، وقد تحدث عن ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام، وللتأكد من ذلك، ينظر باب التمكين في خزانة ابن حجة الحموي، ج2، ص881². وعرفه بقوله: «هو أن يأتي الشاعر أو الناثر بفصل من الكلام، أو بيت من الشعر يسوغ أن يقف بقواف شتى، فيتخير منها قافية مرجحة على سائرها بالدليل، يدل اختياره لها على حدقه»³.

ومثل له بقول الحريري (البيسط)⁴:

إنّ الغريبَ الطويلَ الذَّيلَ مُمتَهِنٌ فكيف حال غريب ماله قوت

فإنه يسوغ أن يقول: فكيف حال غريب ماله حال؛ أي ماله مال، ما له نشب، ماله سبب، ماله صفد، ماله سبد، ماله أحد⁵، فإذا تأملت في قوله: «ماله قوت»، وجدتها أبلغ من من الجميع، وأدلّ على الفاقة، وأمسّ بذكر الحاجة، وأبين للضرورة، وأشجى للقلوب، وأدعى للاستعطاف، فلذلك رجحت على كل ما ذكرناه⁶.

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بما لا يلحق سبقا كقوله تعالى في أول الجاثية: ﴿إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ، وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَابَّةٍ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ، وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(خير).

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص233 من حاشية المحقق. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص527 من حاشية المحقق.

3 - المصدران نفسيهما : ص233. و ص527.

4 - المصدران نفسيهما ص233. و ص527.

5 - النشْب بالتحريك: المال الأصيل من الناطق والصامت، الصغد بالتحريك: الوثاق، السبد بالتحريك: القليل.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص527. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص234.

وَتَصْرِيفِ الرِّيَّاحِ آيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿سورة الجاثية، الآيات 3_5﴾، فالبلاغة تقتضي أن تكون فاصلة الآية الأولى: للمؤمنين، لأنه سبحانه وتعالى ذكر العالم بجملته، حيث قال: ﴿السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ ومعرفة ما في العالم من الآيات الدالة على أن المخترع قادر، عالم، حكيم، مختار. فلا بد من التصديق أولاً بالصانع، حتى يصح أن يكون ما في المصنوع من الآيات دليلاً على أنه موصوف بتلك الصفات، والتصديق هو الإيمان¹.

وكذلك قوله في الآية الثانية: ﴿لِقَوْمٍ يوقنون﴾، فإنّ نفس الإنسان وتدبير خلق الحيوان، والتفكير في ذلك مما يزيد يقينا في معتقده الأول، كما أن معرفة جزئيات العالم، من اختلاف الليل والنهار، وإنزال الرزق من السماء، وإحياء الأرض بعد موتها، وتصريف الرياح، تقتضي رجاحة العقل، ليُعلم أن من صنع الجزئيات هو الذي صنع العالم الكلي بعد قيام البرهان على أن للعالم الكلي صانعا مختارا. فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون فاصلة الآية الثالثة: ﴿لِقَوْمٍ يعقلون﴾، وإن احتيج للعقل في الجميع إلا أن ذكره هاهنا أمس بالمعنى من الأول².

ويرى المحقق أن "ابن أبي الإصبع المصري" قد تعارض في تعريفه مع تحليله للآية الكريمة، ذلك أن قوله: «في فاصلة الآية الأولى والثانية: البلاغة تقتضي أن تكون الأولى للمؤمنين والثانية "يوقنون" إذن لا تخيير هنالك، وكيف يكون تخييرا وآيات القرآن محكمات لا تبديل لكلمات الله»³.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنّ من التخيير ضرب آخر وهو «أن يؤتى بقطعة من الكلام أو بيت من الشعر قد عطفَ بعض جملة على بعض بأداة التخيير»⁴.

ومثل له بقوله تعالى: ﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كَسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ {سورة المائدة، الآية 79}⁵.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص528 وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 234.

2 - ينظر: المصدران نفسهما: ص528. و ص 234 ، 235.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص528 من حاشية المحقق.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص529. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص236.

5 - المصدران نفسهما: ص529. وص236.

وكقول الشاعر (البسيط) ¹:

خَلُّوا التَّفَاخُرَ أَوْ حُلُّوا الْيَفَاعَ إِذَا مَا أَسْنَتَ النَّاسُ أَوْ لُبُّوا الصَّرِيخَ ضَحَى

ثم قال: «ولا يكون هذا الضرب من المحاسن حتى تكون الجمل المعطوف بعضها على بعض متضمنة صحة التقسيم كما جاء في الآية الكريمة، إذ حصر سبحانه وتعالى فيها أنواع الكفارة التي لا يجزئ الموسر غيرها، كما جاء في البيت من حصر أعظم الأسباب التي نفاخر بمثلها، وهي نهاية الكرم، وغاية الشجاعة إذ لا يحل بالمكان المرتفع من الأرض في المجاعة ليدلّ على بيته إلا الجواد المؤثر، كما قال شاعر الحماسة (الوافر):

لَهُ نَارٌ تُشَبُّ عَلَى يَفَاعٍ إِذَا النَّيْرَانُ أُلْبَسَتِ الْقِنَاعَ
وَلَمْ يَكْ أَكْثَرَ الْفَتِيَانِ مَالاً وَلَكِنْ كَانَ أَرْحَبَهُمْ ذِرَاعَا

كما أنه لا يبادر إلى تلبية الصرّيح عند الضحى، وهو وقت الغارات إلا أشجع القوم» ².

وقد استشهد كذلك على هذا القسم من التخيير بقوله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا أَوْ خَلْفًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾ (سورة الإسراء، آيتا 50، 51)، فتأمل حسن هذا التخيير وصحة الترتيب في الانتقال من الأدنى إلى الأعلى حتى بلغ النهاية في أوجز إشارة، وأعذب عبارة، حيث انتقل سبحانه من الحجارة إلى الحديد الذي هو أصلب منها، ثم قال: ﴿أَوْ خَلْفًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ﴾، غير حاصر لهم في صنف من الأصناف ³.

ثم فرّق بين التخيير وحسن النسق وغيره بقوله: «والفرق بين التخيير بـ أو وحسن النسق من وجهين: أحدهما أنّ حسن النسق يكون بجميع حروف النسق وأغلب وقوعه بالواو للجمع، وربما جاء بالفاء للتعقيب، أو بـ ثمّ للمهلة، أو ببيل للإضطراب، أو بـ لكن للاستدراك، ووقوعه بالواو أكثر، والتخيير لا يكون إلا بأو التي هي للتخيير خاصة.

والثاني أنّ التخيير يشترط فيه صحة التقسيم، ولا كذلك حسن النسق، والفرق بين تخيير مقطع الكلام وبين التسهيم أنّ صدر كلام التسهيم يدلّ على ما زاد على المقطع، إلى أنّ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري تحرير التخبير، ص 530.

² - المصدر نفسه: ص 530.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 530. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 237.

يبلغ نصف البيت أو الجملة، وصدر الكلام من التخيير لا يدلّ على المقطع، بشرط أن لا يكون المقطع منه متعلقاً بالصدر، والفرق بين التخيير والتوشيح أن التوشيح مقطع يتقدّم مقطع الكلام فيه ما يكون في معناه، ومحلّه أول الصدر، والفرق بينه وبين التصدير أن تكون لفظة المقطع في أول الصدر، أو في أثناؤه، أو في آخر الصدر، ولا كذلك التخيير»¹.

9_ التسهيم:

التسهيم لغة من (سهم): يقول ابن منظور: «المسهم: البرد المخطط، وبردٌ مسهمٌ: مخطط بصُور على شكل السّهام»².

وقيل بأن التسهيم مأخوذ «من الثوب المسهم، وهو الذي يدلّ أحد سهامه على الذي يليه، لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص له، بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده»³. والتسهيم هو الإرساد⁴.

ومصطلح "التسهيم" « وضعه"علي بن هارون المنجم"، حيث ذكر"أبو علي الحاتمي"(ت388هـ) أنه قال له: ما رأيت أعلم بصناعة الشعر منك في "التسهيم"، فقال: وهذا لقب اخترعناه نحن، فقلت: وما كلفيته؟ فأجابني بجواب لم يبرزه في عبارة يحكيها عن غيره: إن صناعة الشعر المسهم أن يسبق المستمع إلى قوافيه قبل أن ينتهي إليها راويه، منذ الشطر الأول قبل أن يخرج إلى الشطر الأخير ومن قبل أن يسمعه»⁵، وسماه "ابن وكيع"(ت393هـ) "المطمع"، وذلك لما فيه من سهولة الظاهر وقلة التكلف، فإذا حول امتنع وبعد مرامه⁶.

وسماه "قدامة بن جعفر"(ت337هـ) "التوشيح"⁷، وفضل"العسكري"(ت395هـ) أن يسمى "تبييناً"⁸.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص530، 531. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص237، 238.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(سهم).

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص263.

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص160.

5 - محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ص197. وينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص31.

6 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص31.

7 - ينظر: قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص168.

8 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص382.

والتسهيم عند"ابن رشيق"(ت456هـ) هو:«أن يكون معنى البيت مقتضيا قافية، وشاهدا بها دالا عليها»¹.

ورأى"ابن الأثير"(ت637هـ) أن تسميته بالإرصاد أولى، وذلك حيث ناسب الاسم مسماه، ولاق به، وأما التوشيح فإنه نوع آخر من علم البيان².

وقد خالف"ابن أبي الإصبع المصري"(ت654هـ) أسلافه في مفهوم هذا المصطلح.

وذكر أن هذا الباب عرفه من تقدمه بأن قال: هو أن يكون ما تقدم من الكلام دليلا على ما يتلوه. ورأى أن هذا التعريف وإن روعي فيه الاشتقاق لا يخص هذا الباب من البديع، بل يدخل معه غيره. والذي عنده أن هذا الباب من مشكلات هذا المصطلح، ويصلح أن يعرف بقول القائل هو أن يتقدم من الكلام ما يدل على ما تأخر منه، أو يتأخر منه ما يدل على ما تقدم بمعنى واحد أو بمعنيين، وطورا باللفظ³.

ومثل له بأبيات جنوب أخت عمرو ذي الكلب، فإن الحذاق ببنية الشعر وتأليف النثر يعلمون أن معنى قولها(المتقارب)⁴:

فَأَقْسِمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهَّاكَ

يقتضي أن يكون تمامه:

إِذَا نَبَّهَّا مِنْكَ دَاءً عُضَالًا

وليثا غضوبا وأفعى قنولا؛ وموتا ذريعا، وسُمًا وحَيًّا، وغضبا صقيلا، كريا شديدا، وغما طويلا، إلى أشياء يعزُّ حصرها، لكن معنى البلاغة تقتضي اقتصارها من ذلك كله على الأوّل، لكونه أبلغ، وإنما قلت: إنه أبلغ، لأن الليث الغضوب، والأفعى القتل، يمكن مغالبتهما وغلبهما، والسيف الصقيل يمكن التوقّي منه، والحيدة عنه، وما كل جريح يتوقع موته، ولا يبئس من بُرئه، والكرب الشديد، والغم الطويل، يُرجى انكشافهما، والسّمّ الوحيّ،

¹ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص32.

² - ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص208. والتوشيح عنده وقد تقدم هو التشريع، أو التوأم أو ذا القافيتين.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص263. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص100.

⁴ - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص132. والعسكري: الصناعتين، ص142. وابن رشيق: العمدة، ج2، ص31. وابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص752.

والموت الدَّريع، يريحان صاحبهما، فأشدّ من الجميع الداء العضال الذي لا يميت فيريح، ولا يأمل صاحبه مداواته فيستريح، فلذلك علم الحدّاق باختيار الكلام وبنيته أن قولها:

فَأَقْسِمُ يَا عَمْرُو لَوْ نَبَّهَاكَ

يقتضي أن يكون تاممه:

إِذَا نَبَّهَا مِنْكَ دَاءٌ عُضَالًا

وكما دلّ الأول على الثاني، دلّ الثاني على الأول، فإن قيل لحاذق بما يصلح أن يوطأ لقولها «إذا نبها منك داء عضالا»، فلا يجد إلا قولها: فأقسم يا عمرو لو نبهاك. فهذا مثال ما يدلّ الأول فيه على ما بعده دلالة معنوية¹.

وأما ما يدلّ فيه الأول على الثاني دلالة لفظية فمثل له بقولها²:

إِنَّ نَبَّهَا لَيْثَ عَرِيْسَةٍ مُفِيْتَا مُفِيْدَا نَفُوْسًا وَمَالًا

يقول معلقا: «فإن العارف ببنية الشعر إذا سمع قولها: مفيتا مفيدا، تحقق أن هذا اللفظ يوجب أن يتلوّه قولها: نفوسا ومالا»³.

وكقول البحترى (الطويل)⁴:

فَلَيْسَ الَّذِي حَلَّتْهُ بِمَحَلِّ وَلَيْسَ الَّذِي حَرَّمَتْهُ بِحَرَامٍ

واستشهد عليه من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ، أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ، لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾ (سورة الواقعة، الآيات 63_65)، وقوله تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ﴾ الآية، وقوله سبحانه: ﴿أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ﴾ الآية⁵.

يقول معلقا على هذه الآيات: «فانظر إلى اقتضاء أوائل هذه الآيات أواخرها اقتضاء لفظيا ومعنويا، وائتلاف الألفاظ فيها بمعانيها لمجاورة الملائم بالملائم، والمناسب بالمناسب، لأن

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص264.

² - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص132. والعسكري: الصناعتين، ص142. وابن رشيق: العمدة، ج2، ص31. وابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص752.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص265.

⁴ - البحترى: الديوان، مج3، ص2001.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص267. وابن أبي الإصبع المصري بديع القرآن، ص100 ، 101.

ذكر الحرث يلائم ذكر الزرع، والاعتداد بكونه لم يجعله حطاما ملائم لحصول التفكّه به، وعلى هذه الآية يقاس نظم أختيها»¹.

وفزّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التسهيم والتوشيح في قوله: «والفرق بين التسهيم والتوشيح من ثلاثة أوجه:

أحدهما أن التسهيم يُعرف به أول الكلام آخره، ويُعلم مقطعه من حشوه من غير أن تتقدّم سجة النثر ولا قافية الشعر، والتوشيح لا تُعرف السّجة والقافية منه إلاّ بعد أن تتقدّم معرفتهما. والآخر أن التوشيح لا يدلُّك أوله إلاّ على القافية فحسب، والتسهيم يدلّ تارة على عجز البيت وطورا على ما دون العجز، بشرط الزيادة على القافية. والثالث أن التسهيم يدلّ تارة أوله على آخره، وطورا آخره على أوله بخلاف التوشيح»².

وسماه "الخطيب القزويني" (ت739هـ) الإرصاء وعرفه بقوله: «أن يجعل قبل العجز من الفقرة أو البيت ما يدل على العجز إذا عرف الروي»³.

فالتسهيم أو الإرصاء له فائدة ترجع في الأساس إلى إبراز المعنى ووضوح الدلالة لما يحققه من حسن البيان، كما أن له مزية إبلاغية تقوم على بيان الدلالة، فالمخاطب في هذا الأسلوب يشارك المتكلم في إتمام الخطاب وتكميله لما فيه من التداعي، فيتحقق بذلك التفاهم والتواصل، كما يظهر نكاء وفتنة المستمع للكلام اللاحق قبل أن ينطق به المتكلم، وفي هذا فخر للمستمع⁴، يقول ابن نباتة السعدي في هذا الشأن⁵:

خُذْهَا إِذَا أَنْشَدْتَ فِي الْقَوْمِ مِنْ طَرَبٍ صُدُورِهَا عُرِفَتْ مِنْهَا قَوَافِيهَا
يُنْسَى لَهَا الرَّكِبُ الْعَجْلَانُ حَاجَتَهُ وَيُصْبِحُ الْحَاسِدُ الْعَضْبَانُ يُطْرِيهَا

ينضاف إلى ما تقدم ما للتسهيم من قيمة صوتية_ في نوعه الثاني_ في إبراز الجرس وتقوية النغم.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 267. و ابن أبي الإصبع المصري بديع القرآن، ص 100، 101.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 267.

3 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص 263.

4 - بنظر: محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ص 200.

5 - ابن نباتة السعدي: الديوان، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د ط)، 1977م، ج 1، ص 481.

10_ التهذيب والتأديب:

التهذيب لغة من هذب، جاء في اللسان: «التهذيب: كالتتقية. هذب الشيء يهذبه هذبا، وهذبه: نقاه وأخلصه، وقيل: أصلحه. والمهذب من الرجال، المخلص النقي من العيوب»¹.
التأديب لغة من أدب، يقال: «أدب الرجل يأدب أدبا، فهو أديب. الأدب: أدب النفس والدّرس. والأدب: الظرف وحسن التناول»².

وقد نُقل المعنى اللغوي الذي يعني التتقية والتخلص من العيوب بوجه عام دون تحديد إلى الاصطلاح، فأصبح يُطلق على تنقيح الكلام وتخليصه مما ينقص من قيمته بإعادة النظر فيه، قال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ): «نوع التهذيب والتأديب ما قرروا له شاهدا يخصه، لأنه وصف يعُم كلّ كلام منقح محرر، وهو عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله، والشروع في تهذيبه وتنقيحه، نظما كان أو نثرا، وتغيير ما يجب تغييره، وحذف ما ينبغي حذفه و إصلاح ما يتعين إصلاحه، وكشف ما يشكل من غريبه وإعرابه، وتحرير ما يدق من معانيه، وأطراح ما يتجافى عن مضاجع الرقة من غليظ ألفاظه، لتشرق شمس التهذيب في سماء بلاغته»³.

ذكر "ابن طباطبا" (ت322هـ) في باب صناعة الشعر أنه: «إذا أراد الشاعر بناء قصيدة مخض المعنى الذي يريد بناء الشعر عليه في فكره نثرا، وأعدّ له ما يلبسه إيّاه من الألفاظ التي تطابقه، والقوافي التي توافقه، والوزن الذي يسلس القول عليه»⁴، ثم أتبع ذلك بجملة من النصائح والقواعد التي ينبغي على الشاعر، أو الناظم أن يلتزم بها لتجويد صناعته⁵.
وأطلق عليه "ابن منقذ" (ت584هـ) مصطلح "التهذيب والترتيب"، وعرفه بقوله: «أن يخلص المعنى قبل السبك للفظ، والقوافي قبل الأبيات»⁶، وقدم وصايا خاصة بنظم الشعر وجودة

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (هذب).

2 - المصدر نفسه : مادة (أدب).

3 - الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ص485.

4 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص11.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص 11 ، 12.

6 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص295.

الكلام وترتيبه وسبكه، وجعل نصائحه للشاعر والكاتب مع بعضهما¹.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أسلافه في مفهوم هذا المصطلح وأطلق عليه "التهذيب والتأديب" في كتابه "تحرير التحبير" و"التهذيب" في كتابه "بديع القرآن، وقال في تعريفه: «التهذيب عبارة عن ترداد النظر في الكلام بعد عمله لينقح، ويُنتبه منه لما مرّ على الناثر أو الشاعر حين يكون مستغرق الفكر في العمل، فيغيّر منه ما يجب تغييره، ويحذف ما ينبغي حذفه، ويصلح ما يتعيّن إصلاحه، ويكشف عما يشكل عليه من غريبه وإعرابه، ويحرّر ما لم يتحرر من معانيه وألفاظه، حتى تتكامل صحته، وتروق بهجته»².

وذكر أن "زهير بن أبي سلمى" كان معروفاً بالتفحيم، وأنه كان يعمل القصيدة في شهر وينقحها في أحد عشر شهراً حتى سمي شعره الحولي المحكك، وقد عدّه "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه - شاعر الشعراء وقدمه على سائر الفحول من طبقته³.
يُروى أنه قال "لعبد الله بن العباس" وهم سائرون إلى الشام: أنشدني لشاعر الشعراء، فقال: ومن هو؟ قال: هو ابن أبي سلمى، قال: وكيف استحق عندك ذلك؟ قال: لأنه لا يعاضل بين الكلام، ولا يتبع حوشي الألفاظ، ولا يمدح الرجل إلا بما يكون في الرجال، أو ليس الذي يقول:

إذا ابتدرت قيسُ بن عيلان غايَةً إلى المجدِ منْ يسبقُ إليها يسودِ

سبقت إليها كل طلق مبرّز سبوقِ إلى الغايات غير مجدِ

كفضل جواد الخيل يسبق عفوهُ السّراع وإن يجهدُ ويجهدنُ يبعدِ

أنشدني له، فأنشدته حتى برق النور، ثم قال: حسبك اقرأ علي، قلت: ما أقرأ؟ قال: اقرأ

إذا وقعت الواقعة، فقرأتها⁴.

وكان الحطيئة يقول: «خير الشعر الحولي المحكك اقتداءً بمذهب زهير»⁵.

1 - ينظر: ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص 295 - 299.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 401.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص 401.

4 - ينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج 5، ص 152.

5 - المصدر نفسه: ج 5، ص 152.

ويرى"ابن أبي الإصبع المصري" أن التهذيب على ثلاثة أقسام:

الأول:«قسم يكون بعد الفراغ من نظم الكلام بإعادة النظر فيه لينقحه ويحرره، وهذا القسم لا يقع في الكتاب العزيز، لأنه لا يحتاج إليه إلا من جبل على السهو والغلط، أو الغفلة والذهول، أو ضعف العارضة في العمل... والقرآن العزيز كلام قادر منزه عن صفات النقص»¹.

والقسمان الآخران يقعان حالة الإنشاء:

أحدهما:«حسن الترتيب في النظم؛ إما بالارتقاء من الأدنى إلى الأعلى، أو بتقديم ما يجب تقديمه، وتأخير ما يجب تأخيره»².

ومثل على هذا القسم من القرآن الكريم بقوله تعالى:﴿فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾{سورة المائدة، الآية89}، فانظر كيف جاء هذا النظم على الطريق الذي اقتضته البلاغة، حيث انتقل فيه من الأدنى إلى الأعلى حسب الترتيب³.

وأما القسم الذي جاء فيه النظم موصوفا بحسن الجوار فاستشهد عليه بقوله تعالى:﴿لئن بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطٍ يَدِيَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَنَّكَ﴾{سورة المائدة، الآية28}، فقد عدل في نظم هذه الآية عن الترتيب إلى حُسن الجوار، فإن الترتيب عبارة عن ترتيب الجمل وترتيب مفرداتها في الوضع والتأليف، فإنه لو جاء نظمها على الترتيب بحيث يقال: لئن بسطت يدك إليّ لتقتلني ما أنا بباسط يدي إليك لأقتلك، يحصل فيها العيب المسمى سوء الجوار الموجب للتركيب ثقلاً يعسر النطق به بعض العسر، فعدل عن الترتيب لأجل ذلك إلى حسن الجوار، وإنما كان سوء الجوار يحصل من الترتيب لتوالي ثلاثة أحرف متقاربات

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص158.

² - المصدر نفسه: ص158.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص158.

المخارج وهي: الطاء والتاء والياء في قوله: ﴿لَنْ بَسَطْتُ إِلَى يَدِكَ﴾، ولما جاء النظم على ما جاء عليه أمن من المحذور¹.

والقسم الآخر: «بحيث يعضد المعنى أو يقل التركيب، أو سوء الجوار، إما في حروف مفردات الكلمة، فيتجنب وقت التأليف تلك اللفظة التي وقع فيها ذلك من الموضع الأول، أو سوء الجوار في مجاورة الكلام بعضه لبعض»².

ومثل لهذا القسم بقوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ﴾ {سورة يونس، الآية 35}، ففي هذا الكلام تقتضي البلاغة مجيئه على ما جاء عليه، فإنه متى جعل أوسط الكلام أحد طرفيه الأول والآخر لزم منه توالي لفظة "إلى"، فتقل النظم بتوالي كثرة الحروف، وعدم التعديل من النظم، فعيب بسوء الجوار، فلزم أن يجيء على ما جاء عليه³.

ومما جاء من التهذيب على ما ينبغي من التأديب قوله عز وجل حكاية عن الخليل إبراهيم عليه السلام، قال: ﴿الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ، وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ، وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ {سورة الشعراء، الآيات 78، 79، 80}، فالخليل عليه السلام أسند جميع أفعال الخير لربه تعالى، وأسند فعل الشر إلى نفسه تأديبا مع ربه⁴.

ومن أمثلة ابن أبي الإصبع المصري "الشعرية على هذا المصطلح، قول أبي تمام الذي أشار فيه إلى تنقيحه شعره وترداد النظر فيه، قال (الكامل)⁵:

خُذَهَا ابْنَةُ الْفِكْرِ الْمُهَذَّبِ بِالْدَجَى وَاللَّيْلِ أَسْوَدُ رُقْعَةٍ الْجَلْبَابِ

فأبو تمام خصّ تهذيب الفكر بالدجى لكون الليل تهادأ فيه الأصوات، وتسكن الحركات، فيكون الفكر فيه مجتمعا، وال خاطر خاليا، ولا سيما في وسط الليل عندما تأخذ النفس حظها من الراحة، وتنال قسطها من النوم، واختياره وسط الليل دون السحر لما يكون في السحر

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 160. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 405.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 158.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص 160، 161.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص 161، 162.

5 - أبو تمام: الديوان، ج 1، ص 58.

من انتباه أكثر الحيوان الناطق والبهيم، وارتفاع معظم الأصوات، ولهذا خصّ أبو تمام تهذيب الفكر بالدّجى، ولما لاحظ أن لفظة الدّجى لعمومها وصلاحتها في حالتَي المجاز والحقيقة إلى أن تكون اسما لليل كائنا ما كان احترس من ذلك بما جاء به التذييل، حيث قال:

والليل أسود رقعة الجلباب

ليخلص من الاشتراك الحاصل من لفظة الدجى على انفرادها، ولينبئن أنه أراد الليالي السود التي سمّتها العرب بالدّارى مبالغة في وصف القصيدة بالتنقيح المرضي، في الوقت المختار لذلك¹.

ومن الشواهد التي رآها "ابن أبي الإصبع المصري" مبيّنة لهذا الباب، قول القاضي السعيد ابن سناء الملك (الطويل)²:

تَغَى عَلَيْهَا حَلِيهَا طَرَبًا بِهَا وَفَاحَتْ فُقُلْنَا: هَذِهِ الرُّوضَةُ الغَنَّا

فلو لم يقدّم الشاعر في صدر البيت لفظة مشتقة من الغناء حصل بها في البيت من الرونق ما لا يحسن بدونها، لكان البيت خاليا من التهذيب، فإن بوجودها حصل في البيت تصدير وتجنيس وائتلاف وتهذيب، وانتفى عنه من العيوب عدم الائتلاف وقلق القافية، وبذلك تقدّم التهذيب، فلو قال:

زَهَتْ بِأَزَاهِيرِ الجَمَالِ وَحُسْنِهَا وَفَاحَتْ فُقُلْنَا: هَذِهِ الرُّوضَةُ الغَنَّا

لنبيّن قلق القافية وتمكن تلك الأولى، بسبب التصدير الذي جاء في البيت³. وقد جاء "ابن أبي الإصبع المصري" بوصية "أبي تمام للبحثري" في عمل الشعر وعلّق عليها، لأنه رأى أن "أبا تمام" ارتجلها ارتجالا، فجاءت محتاجة إلى تحرير بعض معانيها، وإيضاح ما أشكل منها، وزيادات تفتقر إليها، فحرر ما يحتاج إلى تحرير، وأضاف إليها ما

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 402 ، 403.

2 - المصدر نفسه: ص 404.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص 405.

تتعين إضافته، وقدّم لها بمقدمة تعتبر وصية قائمة بذاتها كشفت عن مذهبه في صناعة الكلام¹.

يبدأ "ابن أبي الإصبع المصري" الوصية بقوله: وكنت قد جمعت فصولا يحتاج إليها العامل في البلاغتين، والواضع في الصناعتين، من عدّة كتب من كتب البلاغة، وحذفت منها ما لا يحتاج إليه، ونقحتها، وحررتها، وها أنا ذا أسوقها خاتمة لهذا الباب، وهي: ينبغي لك أيّها الراغب في العمل، السائل عن أوضح السبل، أن تحصّل المعنى عند الشروع في النظم والنثر قبل اللفظ، والقوافي دون الأبيات، ولا تكره الخاطر على وزن مخصوص، ورويّ مقصود، وتوخّ الكلام الجزل دون الرذل، والسهل دون الصعب، والعذب دون المستكره، والمستحسن دون المستهجن، ولا تعمل نظما ولا نثرا عند الملل، فإن الكثير معه قليل، والنفيس به خسيس، والخواطر ينابيع إذا رُفِقَ بها جمّت، وإذا عُنْفَ عليها نَزَحَتْ، واكتب كلّ معنى يسنح، وقيد كلّ فائدة تعرض، فإنّ نتائج الأفكار تعرض كلمعة البرق، ولمحة الطرف، إن لم تُفَيِّدْ شَرِدَتْ وَنَدَّتْ، وإن لم تستعطف بال تكرار عليها صدّت، والترنّم بالشعر مما يعين عليه²، قال الشاعر (البيسط)³:

تَعَنَّ بِالشَّعْرِ إِمَّا كُنْتَ قَائِلَهُ إِنَّ الغِنَاءَ لِقَوْلِ الشَّعْرِ مِضْمَارُ

ثم قال: وقد يتحيّل الشاعر حيناً ويستعصي عليه الشعر زمانا، كما روي عن الفرزدق أنه قال: لقد يمرّ عليّ الزمن وإن قلع ضرسي من أضراسي لأهون عليّ من أن أقول بيتا واحدا. فإذا كان الأمر بهذه الصعوبة فاتركه حتى يجيئك عفوا، وينقاد إليك طوعا، وإياك وتعقيد المعاني وتعبير الألفاظ، وتوخّ حسن النسق عند التهذيب، ليكون كلامك بعضه آخذا بأعناق بعض، فهو أكمل لحسنه، وجملّ المبدأ والتخلّص والمقطع، وكرّر التنقيح، وعاود التهذيب، ولا يخرج عمالك إلّا بعد تدقيق النقد وإنعام النظر⁴.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير ص 16 ، 17 من مقدمة المحقق.

2 - ينظر: المصدر نفسه ، ص 412 ، 413.

3 - المصدر نفسه: ص413.

4 - ينظر المصدر نفسه: ص 413 ، 414.

ولم يخرج البلاغيون الآخرون كابن الأثير الحلبي وابن الجوزية والحموي والمدني عما ذكره ابن منقذ وابن أبي الإصبع المصري في هذا الباب¹.

11_ جمع المؤنفة والمختلفة:

لعلّ أول من ذكر هذا المصطلح "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) وسماه "جمع المؤنلف والمختلف"، وعرفه بقوله: «هو أن يجمع في كلام قصير أشياء كثيرة مختلفة أو متفقة»²، ومثل له بعدة أمثلة، كقوله تعالى: ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُّفَصَّلَاتٍ﴾ {سورة الأعراف، الآية133}³.

وكقول امرئ القيس (الطويل)⁴:

سماحةً ذا وبرٍ ذا ووفاءً ذا ونائلٌ ذا إذا صحاً وإذا سكرٍ

وأطلق عليه "التبريزي" (ت502هـ) "جمع المؤنفة والمختلفة" ولم يعرفه، واكتفى بالتمثيل له ببيت امرئ القيس السابق⁵.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد أخذ اسم المصطلح "جمع المؤنفة والمختلفة" من "العسكري" وفسره تفسيراً مختلفاً عنه، واستشهد عليه بما يوافق تفسيره، ولكنه لم يثبت على تعريفه حتى عاد إلى تعريف "العسكري" وشواهدة، فوقع بذلك في اضطراب كبير كما ذكر محقق الكتابين⁶.

وقد علّل ما قام به تجاه هذا المصطلح في قوله: «رأيت من المؤلّفين من فسّر هذه التسمية بما لا يليق بها، وقد استشهد عليها بشواهد من جنس ما فسّر به، فاطّرحت ذلك وفسرتها بما يليق واستشهدتُ عليها بشواهد مطابقة لتفسيري، وكذلك فعلتُ في أكثر الأبواب، ومن وقف على كتابي وكتب الناس في هذا الشأن علم صدق دعواي»⁷.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص375.

2 - العسكري: الصناعتين، ص401.

3 - المصدر نفسه: ص401.

4 - امرؤ القيس: الديوان، ص75.

5 - ينظر: الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص156.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص347 من حاشية المحقق.

7 - المصدر نفسه: ص344. ويبدو أنه يقصد بمن فسّره بما لا يليق "أبا هلال العسكري".

وعرّفه قائلاً بأنه: «عبارة عن أن يريد المتكلم التسوية بين ممدوحين، فيأتي بمعان مؤتلفة في مدحهما، ويروم بعد ذلك ترجيح أحدهما على الآخر بزيادة فضل لا ينقص بها مدح الآخر فيأتي لأجل الترجيح بمعان تخالف معاني التسوية»¹.

وقد استشهد عليه بقول الخنساء في أخيها، وقد أرادت مساواته بأبيها مع مراعاة حق الوالد بزيادة فضل لا ينقص بها حق الولد (الكامل)²:

يتاوران ملاءة الخضر	جارى أباه فأقبلا وهما
صقران قد حطّا إلى وكر	وهما وقد برّزا كأنهما
لُزّت هناك العُذر بالعدر	حتى إذا نزت القلوبُ وقد
قال المجيبُ هناك: لا أدري	وعلا هتافُ الناس أيهما
ومضى على غلوائه يجري	برقت صحيفة وجهه والديه
لولا جلال السنّ والكبر	أولى فأولى أن يساويه

ثم ذكر أن أول من فتح باب هذا المعنى زهير حيث قال (البيضاوي)³:

هو الجوادُ فإن يلحقُ بشأوهما	على تكاليفه فمثله لحقا
أو يسبقاه على ما كان من مهل	فمثل ما قدّما من صالح سبّقا

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن لشعر الخنساء من الفضل في هذا المعنى ما ليس لغيره، وأن الناس تداولوا هذا المعنى بعدها وابتذله الشعراء⁴.

واستشهد عليه من القرآن الكريم بما لا يلحق سبّقا كما ذكر وهو قوله تعالى: ﴿وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ، وَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ {سورة الأنبياء، الآيتان 78، 79}، فقد ساوى سبحانه وتعالى بينهما في أهليتهما للحكم، ثم رجّح سليمان حيث قال: ﴿فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ﴾، ثم عاد إلى

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 344. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 127.

2 - الخنساء: الديوان، ص 65.

3 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 37.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 345.

المساواة مراعاة لحق الوالد في قوله: ﴿وَكَلَّا آتَيْنَا حَكْمًا وَعِلْمًا﴾، فحصلت بذلك المساواة في الحكم والعلم¹.

وذكر أن من جمع المؤنث والمختلف ضرب يأتي الشاعر فيه بأسماء مؤنثة ثم يصفها بصفات مختلفة، كقول الشاعر (البيسط)²:

لله ليلتنا إذ صاحباي بها
بدرٌ وبدرٌ سماويٌّ وأرضيٌّ
إنَّ الهوى والهواء الطَّلَقَ معتدلا
هذا وهذا ربيعيٌّ طبيعيٌّ
بتنا جميعاً وكلُّ في السماع وفي
شُرب المدام حجازيٌّ عراقيٌّ
أسقى وأسقى نديما غاب ثالثنا
فالدَّورُ منا يمينيُّ شماليٌّ

قال المحقق: «وكان الأجدر بابن أبي الإصبع المصري عند تفسيره لهذا النوع تفسيراً مغايراً لمن سبقه أن يدقق النظر في شواهد التي أتى بها وليس فيها جمع للمؤنث والمختلف، بل ليس فيها زيادة بعد مساواة»³.

كما ذكر أن «تعريف "أبي هلال العسكري" لهذا النوع ينطبق عليه تمام الانطباق، كما أن شواهد توافقت تعريفه موافقة تامة»⁴.

ثم ما لبث "ابن أبي الإصبع المصري" أن عاد إلى تعريف "العسكري"، فقد جاء بشاهدين شعريين أحدهما في كتاب "تحرير التحبير" والآخر في كتاب "بديع القرآن ينطبقان على ما جاء به "العسكري". كقول العباس بن الأحنف (الطويل)⁵:

وصالكم صرماً وحبكم قلبي
وعطفكم صدً وسلمكم حرباً

فالوصل والحب والعطف والسلم من المؤنث، والصرم والقلبي والصد والحرب من المختلف. وتبعه "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) في هذا المصطلح، حيث قال: «هذا النوع أعني جمع المؤنث والمختلف، قال المؤلفون فيه أقوالاً كثيرة غير سديدة، ومثله بأمثلة غير

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 347 ، 348. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص128.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 346 ، 347.

3 - المصدر نفسه: ص344 من حاشية المحقق.

4 - المصدر نفسه: ص 344 من حاشية المحقق.

5 - المصدر نفسه: ص347.

مطابقة، ولم يحرره ويطابقه بالأمثلة الصحيحة اللاتقة غير الشيخ زكي الدين بن أبي الإصبع»¹. وذكر تعريفه وأمثله، وفعل مثله السبكي، والسيوطي، والمدني².

12_ حسن النسق:

النسق لغة من (نسق)، جاء في اللسان: «النسق من كل شيء: ما كان على طريقة نظام واحد. والتنسيق: التنظيم. والنسق بالتسكين: مصدر نسقت الكلام إذا عطفت بعضه على بعض»³.

وقد نُقل المعنى اللغوي التنظيم والترتيب وعطف الكلام بعضه على بعض بصفة عامة إلى الاصطلاح فأطلق على ترتيب وتلاحم الكلمات من النثر والأبيات من الشعر حتى تغدو مرتبة الترتيب الذي تقتضيه البلاغة .

حسن النسق ويسمى كذلك التنسيق وتنسيق الصفات، من محاسن الكلام .

تكلم "الوطواط" (ت573هـ) عن "تنسيق الصفات"، وقال: «وتكون هذه الصنعة بأن يذكر

الكاتب أو الشاعر شيئاً بجملة أسماء أو جملة صفات متوالية»⁴.

ومثل له بقوله تعالى: ﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ

الْمُهَيَّمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ {سورة الحشر، الآية 23}⁵.

وكقول الرسول صلى الله عليه وسلم: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِنِّي مَجَالِسًا يَوْمَ

الْقِيَامَةِ، أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، الْمَوْطَأُونَ أَكْنَافًا، الَّذِينَ يَأْلِفُونَ وَيُوَلَّفُونَ؛ أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْغَضِكُمْ

إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِنِّي مَجَالِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، أَسْوَأَكُمْ أَخْلَاقًا الثَّرَثَارُونَ الْمُتَفِيهِقُونَ»⁶.

وتابع "الرازي" (ت606هـ) "الوطواط" في التسمية ومثل له بالآيات القرآنية التي مثل بها

الوطواط⁷.

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص843.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص410.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(نسق).

4 - الوطواط: حدائق السحر في دقائق الشعر، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم أحمد الحوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2،

2009م، ص150.

5 - المصدر نفسه: ص150.

6 - المصدر نفسه: ص150.

7 - ينظر: الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، حققه وعلق عليه نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م،

ص174.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما قاله سابقوه عن هذا المصطلح، ولكن تعريفه يبدو أدق وأشمل، وسماه "حسن النسق" وعرفه بقوله: «وهو أن تأتي الكلمات من النثر والأبيات من الشعر متتاليات، متلاحمات تلاحما سليما مستحسنا، لا معيبا مستهجنا، والمستحسن من ذلك أن يكون كل بيت إذا أفرد قام بنفسه، واستقل معناه بلفظه، وإن ردّفه مجاوره صار بمنزلة البيت الواحد، بحيث يعتقد السامع أنهما إذا انفصلا تجزأ حسنهما، ونقص كمالهما، وتقسّم معناه، وهما ليس كذلك، بل حالهما في كمال الحسن وتمام المعنى مع الانفراد والافتراق كحالهما مع الالتئام والاجتماع»¹.

وقد استشهد عليه بشواهد من الكتاب العزيز ومن الشعر العربي توضح هذا المصطلح. كقوله عز وجل: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة هود، الآية 44}، فانظر إلى إتيان هذه الجمل معطوفا بعضها على بعض بواو النسق على الترتيب الذي تقتضيه البلاغة؛ لأنه سبحانه بدأ بالأهم، إذ كان المراد إطلاق أهل السفينة من سجنها، ولا يحصل ذلك إلا بانحسار الماء عن الأرض، فلذلك بدأ بالأرض، فأمرها بالابتلاع، ثم أمر السماء بالإقلاع لعلمه سبحانه بأن الأرض إذا ابتلعت ما عليها من الماء ولم تقطع مادة الماء تأذى بذلك أهل السفينة، ثم أخبر بغيض الماء عندما ذهب ما على الأرض، وانقطعت مادة السماء، ومقتضى الترتيب أن تأتي هذه الأخبار ثالث الجملتين، ثم قال تعالى: وقضي الأمر، أي هلك من قُدِّرَ هلاكه، ونجا من قُضِيَتْ نجاته، وهذا كنه الآية وحقيقة المعجزة، ولا بدّ أن تكون معلومة لأهل السفينة، ولا يمكن علمهم بها إلا بعد خروجهم منها، وخروجهم منها موقوف على ما تقدّم، فلذلك اقتضت البلاغة أن تكون هذه الجملة رابعة الجمل، وكذلك استواء السفينة على الجودي، أي استقرارها على المكان الذي استقرت فيه استقرارا لا حركة معه، لتبقى آثارها آية لمن يأتي بعد أهلها، وذلك يقتضي أن يكون بعد ما ذكرناه، وقوله سبحانه: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، دُعاء أوجبه الاحتراس ممن يظنّ أنّ الهلاك ربما

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص425. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص164.

شمل من لا يستحق، ووصفهم بالظلم احتراس من هذا الاحتمال، وذلك يقتضي أن تكون بعد كل ما تقدّم¹.

ثم قال معلقاً: «فانظر إلى حسن هذا النسق، وصحة هذا الترتيب في الجمل المعطوف بعضها على بعض لتعلم قدر هذا النظم»².
وكقول زهير (الطويل)³:

وَمَنْ يَعْصِ أَطْرَافَ الزَّجَاجِ فَإِنَّهُ يُطِيعُ الْعَوَالِي رُكِبَتْ كُلُّ لَهْذِمٍ

يلق على البيت قائلاً: «فإنه نسق على هذا البيت اثني عشر بيتاً كل بيت معطوف على ما قبله بالواو عطف تلاحم من غير تضمين»⁴.
ومنه قول أبي نواس (الكامل)⁵:

وَإِذَا جَلَسْتَ إِلَى الْمُدَامِ وَشَرِبَهَا فَاجْعَلْ حَدِيثَكَ كُلَّهُ فِي الْكَاسِ
وَإِذَا نَزَعْتَ عَنِ الْغَوَايَةِ فَلْيَكُنْ لِلَّهِ ذَاكَ النَّزْعَ لَا لِلنَّاسِ

فحسن النسق في البيتين لاعم بين فئتين متضادين: وهما المجون والزهد حتى صارا كأنهما فن واحد⁶.

وذكر أن حسن النسق تارة يأتي في الأبيات بحيث يُعطف بيت على بيت كما في شعر زهير، وتارة في جمل البيت الواحد، كقول ابن شرف القيرواني (البيسيط):

جَاوِزٌ عَلِيًّا وَلَا تَحْفَلُ بِحَادِثَةٍ إِذَا ادَّرَعْتَ فَلَا تَسْأَلُ عَنِ الْأَسْلِ
سَلْ عَنْهُ، وَأَنْطِقْ بِهِ، وَأَنْظِرْ إِلَيْهِ تَجِدْ مَلَأَ الْمَسَامِعَ وَالْأَفْوَاهِ وَالْمُقَلَّ

فأنت ترى حسن هذا النسق، وصحة هذا الترتيب فيه، واستيعاب هذا التقسيم، ووضوح هذا التفسير⁷.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 425 ، 426. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 164، 165.

2 - المصدران نفسيهما: ص 165. وص 426.

3 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 70. الزجاج: جمع زج وهو الحديد المركب في أسفل الرمح. اللهزم: هو السنان الطويل.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 427.

5 - المصدر نفسه: ص 427. لم أعر على البيتين في النسخة التي بحوزتي.

6 - ينظر: المصدر نفسه: ص 427.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ص 427. الأسلي: الرماح.

ونقل عنه الحلبي، وابن قيم الجوزية، والحموي تعريفه وبعض أمثله مع تغيير في الاسم عند الحلبي الذي سماه "التمزيح، وحسن الارتباط، وحسن الترتيب، وحسن النسق" ¹.

13_ الطاعة والعصيان:

الطاعة لغة اللين والانقياد والموافقة، جاء في اللسان: «طاع يَطاع وأطاع: لان وانقاد، وأطاعه إطاعة وانطاع له كذلك. فإذا مضى لأمره فقد أطاعه. فإذا وافقه فقد طاعه. والطاعة اسم من أطاعه طاعة» ².

والعصيان خلاف الطاعة، فيقال: «عصى العبدُ ربَّه: إذا خالف أمره، وعصى فلان أميره يعصيه عصياً وعصيانا ومعصية: إذا لم يُطِعه» ³.

هذا النوع_ الطاعة والعصيان_ استنبطه أبو العلاء المعري عندما نظر في شعر المتنبي وشرحه له من قوله (الطويل) ⁴:

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصى الهوى في طيفها وهو راقدٌ

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنّ "أبا العلاء المعري" قد فسّره بقوله: «وهو أن يريد المتكلم معنى من معاني البديع، فيستعصي عليه لتعدّر دخوله في الوزن الذي هو آخذ فيه، فيأتي موضعه بكلام غيره يتضمّن معنى كلامه، ويقوم به وزنه، ويحصل به معنى من البديع غير المعنى الذي قصده» ⁵.

قال "ابن منقذ" (ت584هـ) في باب الطاعة والعصيان: «اعلم أنّ هذا بابٌ يُمتحن به العالم والناقد، وتُعرفُ به فضيلة الكاتب والشاعر، وهو أن يزيد البيت على ما تقتضيه صناعة الشعر، فلا يوافقه الوزن، فيأتي بما لا يخرج عن الصناعة. ذكر الشيخ أبو العلاء أحمد بن سليمان المعري في كتابه المعروف اللامع العريزي في ديوان شعر المتنبي في قوله:

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص369.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(طوع).

3 - المصدر نفسه: مادة(عصا).

4 - المتنبي: الديوان، ج1، ص243.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص290.

يردّ يداً عن ثوبها وهو قادرٌ ويعصي الهوى في طيفها وهو راقِدٌ

قال: أوجبت عليه الصناعة أن يقول: يردّ يداً عن ثوبها وهو مستيقظ، فلم يطاوعه الوزن، فلم يخرج عن الصنعة، قوة منه وقدرة، فقال: قادر، وهو عكس راقِد في الصورة والمعنى، أما في الصورة فهو من جناس العكس، وأما في المعنى فإن الراقِد عاجز، وهو ضد القادر، فتم له الطباق صورة ومعنى، وهذا من الأفراد الأفضاذ»¹.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فكان له رأيُه في هذا الباب، فكشف عن وجه الإشكال بين الجانب التظييري (المفهوم) لهذا الباب والجانب التطبيقي (المثال)، وهذا في قوله: «هذا كلام المعرّي على هذا البيت، وهذا المعنى من البديع، ولم يأت بشاهد غيره، وتبعه الناس بعد، فأثبتوا هذا الباب وتكلّموا فيه بمثل هذا الكلام، واستشهدوا بهذا البيت، ولم يأت أحد منهم بغيره، وأضربوا جميعهم عن النظر فيه، إما لحسن ظنهم بالمعري وموضعه من الأدب، واعتقادهم فيه العصمة من الخطأ والسهو فيه، وإما أن يكونوا قد مرّ عليهم ما مرّ عليه في هذا البيت»².

يتابع كلامه قائلاً: والذي ذهب عليهم أن البيت ليس فيه شيء أطاع الشاعر ولا شيء عصاه، ودليل ذلك أن قول المعريّ إن المتنبّي أراد مستيقظاً، ليحصل منها ومن لفظة راقِد طباق، فعصته لفظة مستيقظ لامتناعها من الدخول في هذا الوزن، فيحكم على المتنبّي، لأنه لو أراد أن يكون في بيته طباق فحسب، كان له أن يقول: يردّ يداً عن ثوبها وهو ساهر أو ساهد، ويحصل له غرضه من الطباق بالجمع بين ساهر وراقِد، ولا يكون عصاه شيءً وأطاعه غيره وإنما المتنبّي قصد أن يكون في بيته طباق وجناس، فعدل عن لفظة ساهر وساهد إلى لفظة قادر، لأن القادر ساهر وزيادة، إذ ليس كلّ ساهر قادراً، والقادر لا بدّ أن يكون ساهراً، ليحصل بين قادر وراقِد طباق معنوي، وجناس عكس³.

¹ - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص175.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 290، 291.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص291. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص110.

وخلاصة قول "ابن أبي الإصبع المصري": "إن بيت المتبني هذا لا يصلح أن يكون شاهداً على هذا الباب، لأنه لم يعصه فيه شيء ولم يطعه غيره، ولا بد إذ قد أثبت هذا الباب لرشاقة تسمية من الإتيان بشاهد يليق به؛ ومثل لهذا المفهوم بقول عوف بن مُحَلَّم السَّعْدِيِّ (السريع) ¹:

إِنَّ الثَّمَانِينَ وَبُلُغْتَهَا قَدْ أَحوجتْ سَمْعِي إِلَى تَرْجُمَانِ

فقد أراد الشاعر أن يقول: إن الثمانين قد أحوجت سمعي إلى ترجمان، فعصاه الوزن، فأتى بكلمة _وبلغتها_ ليحصل بها ضرب من البديع وهو التتميم، ليستقيم الوزن، والتكميل لأن المعنى تام .

و«لأننا نعلم أن أول ما يقصده المتكلم إخراج معناه في لفظ مساو له، إذ هو خير ضروب البلاغة لكونه وسطها، وخير الأمور أوسطها، ولذلك وصف به كلام رسول الله صلى الله عليه وسلم. قال هند بن أبي هالة في صفته: ويتكلم بجوامع الكلم قولاً فصلاً، لا فضلاً ولا تقصيراً؛ وقالت أم مَعْبِدٍ في صفة كلامه أيضاً: حلّو المنطق فصل لا نَزْر ولا هُذْر، كأن منطقَه خَرَزَاتِ نَظْمٍ يَتَحَدَّرْنَ، ...» ².

وقد استشهد على هذا الباب من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿فَأَحْرَقَتْ﴾ {سورة البقرة، الآية 266}، فإنها وقع فيها التكميل والتتميم من عشرة أوجه، وقد ذكرها واستقصى الكلام عليها في باب التتميم، ثم ذكر أن ما كان فيها من التكميل فهو شاهد باب الطاعة والعصيان، فالمتكلم البليغ يقصد المساواة في كل ما يتكلم به، فإذا عصته المساواة إما لضرورة أو لاعتراض ما هو أهم منها لبلاغة وسلامة النظم من الدخَل_ أتى بذلك في لفظ يعطي المعنى كما لا بعد تمامه كما وقع في هذه الآية الكريمة، فإن قوله تعالى فيها ﴿مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ كله تكميل بعد تمام المعنى المراد. وكذلك قوله: ﴿وَلَهُ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ﴾ وأمثال ذلك ³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص292.

² - المصدر نفسه: ص292.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 110 ، 111.

14_ المناسبة:

المناسبة لغة من (نسب)، جاء في اللسان: «ناسبه: شَرِكَه في نسبه، وفلان يناسب فلانا، فهو نسيبه أي قريبه»¹.

جعل "الرماني" (ت386هـ) المناسبة النوع الثاني من المجانس، وذكر بأنها تدور في فنون المعاني التي ترجع إلى أصل واحد. ومثل لها بقوله تعالى: ﴿ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾ {سورة التوبة، الآية127}، فجونس بالانصراف عن الذكر صرف القلب عن الخير، والأصل فيه واحد وهو الذهاب عن الشيء، أما هم فذهبوا عن الذكر، وأما قلوبهم فذهب عنها الخير².

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أن المناسبة على ضربين: مناسبة في المعاني، ومناسبة في الألفاظ. وعرف المعنوية بقوله هي: «أن يبتدئ المتكلم بمعنى ثم يتم كلامه بما يناسبه معنى دون لفظ»³.

واستشهد على المعنوية بقول الله سبحانه وتعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ {سورة الأنعام، الآية103}، فإنه سبحانه وتعالى لما قدّم نفي إدراك الأبصار له، عطف على ذلك قوله: ﴿وَهُوَ اللَّطِيفُ﴾ خطاباً للسامع بما يفهم، إذ معترف العادة أن كل لطيف لا تدرکه الأبصار، ألا ترى أن حاسة البصر لا تدرک إلا اللون من كل متلون، والكون من كل متكون، فإدراكهما إنما هو للمركبات دون المفردات، ولذلك لما قال: ﴿وَهُوَ يَدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ عطف على ذلك قوله: ﴿الْخَبِيرُ﴾ تخصيصاً لذاته سبحانه بصفات الكمال، لأن كل من أدرك شيئاً كان خبيراً به⁴.

وكقوله تعالى: ﴿أَوْ لَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِينِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ، أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرِّ فَنُخْرِجُ بِهِ

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(نسب).

2 - ينظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص100.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص363. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص145.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص363. وص146.

زَرَعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿سورة السجدة، الآيتان 26، 27﴾، فانظر إلى قوله عز وجل في صدر الآية التي موعظتها سمعية ﴿أو لم يهد لهم﴾ ولم يقل ﴿أو لم يروا﴾ لكونهم لم ينظروا القرون الهالكة ولكنهم سمعوا بها، فقال بعدها ﴿أفلا يسمعون﴾، ثم انظر كيف قال في صدر الآية التي موعظتها مرئية ﴿أو لم يروا﴾ لأن الزرع مرئي، فقال بعد الموعظة: ﴿أفلا يبصرون﴾¹.

كما استشهد عليها من الشعر بقول المتنبى (الطويل)²:

على سابع موج المنايا بنحره غداة كأن النبل في صدره ويلُ

قال "ابن أبي الإصبع المصري": «فإن بين لفظة السباحة، ولفظة الموج، ولفظة الويل تناسبا معنويا صار البيت به متلاحما شديدا ملائمة الألفاظ»³.
وكقول ابن رشيقي (الطويل)⁴:

أصح وأقوى ما رويناه في الندى من الخبر المأثور منذ قديم
أحاديث ترويهما السيول عن الحيا عن البحر عن جود الأمير تميم

يعلق على البيتين بقوله: «وهذا أحسن شعر سمعته في المناسبة المعنوية، لأنه ناسب فيه بين الصحة والقوة، والرواية والخبر المأثور، والقدم مناسبة معنوية إذ هذه الألفاظ يناسب بعضها بعضا، وكذلك ناسب في البيت الثاني بين الأحاديث والرواية والعننة مناسبة معنوية أيضا»⁵.

ويتابع تعليقه كاشفا جمال هذه المناسبة، يقول: «وأحسن من المناسبة الواقعة في البيت الأول ما وقع في البيت الثاني من صحة ترتيب العننة، حيث أتى بها صاغرا عن كابر، وآخرا عن أول، كما يقع سند الأحاديث»⁶.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ص، 265، 364. و ابن أبي الإصبع المصري بديع القرآن ، ص148.

2 - المتنبى: الديوان، ج2، ص173.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 365، 366.

4 - المصدر نفسه: ص366. وابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص355.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص366.

6 - المصدر نفسه: ص366.

وهذا الاستحسان والإعجاب والموازنة بين البيت والبيت من الشعر، وبين الأبيات والأبيات، وبين الشعر والآية القرآنية في كتابيه ينم عن وجهة نظر نقدية وأدبية.

أما المناسبة اللفظية فعرفها بقوله: «هي الإتيان بكلمات متزنات، وهي على ضربين: تامة وغير تامة، فالتامة أن تكون الكلمات مع الاتزان مقفاة، وأخرى ليست بمقفاة، فالتقفية غير لازمة للمناسبة»¹.

وقد استشهد على المناسبة التي ليست بتامة من الكتاب العزيز بقوله سبحانه: ﴿ق، والقرآن المجيد بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم فقال الكافرون هذا شيء عجب﴾ {سورة ق، الآيات 1، 2}².

وعلى التامة فيه بقوله تعالى: ﴿ن والقلم وما يسطرُونَ، مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ، وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ﴾ {سورة القلم، الآيات من 1_3}³.

واستشهد على التامة من السنة النبوية الشريفة، بقول النبي صلى الله عليه وسلم مما كان يرقى به الحسنين عليهما السلام: «أُعِيدُكُمْ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ، مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ، وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّةٍ»⁴، فلم يقل عليه الصلاة والسلام: مَلَمَّةٌ، وهي القياس، لمكان لمكان المناسبة اللفظية التامة.

أما ما جاء من السنة من أمثلة المناسبة الناقصة، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ أَحَبَّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبَكُمْ مِنِّي مَجَالِسَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا الْمُؤْتَوِّطُونَ أَكْنَافًا»⁵، فالمناسبة بين أخلاقاً وأكناًفا مناسبة اتزان لا تقفية.

ومن أمثلة المناسبتين التامة والناقصة، قول أبي تمام (الطويل)⁶:

مَهَا الْوَحْشُ إِلَّا أَنْ هَاتَا أَوَانِسُ فَنَا الْخَطُّ إِلَّا أَنْ تَلِكَ ذَوَابِلُ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص367. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص149.

² - المصدران نفسيهما: ص367. وص150.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص150.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص367. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص150. وابن حجة الحموي: خزانة الأدب

وغاية الأرب، ج1، ص357.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص368. الموطأ الأكناف: الرجل الدمث الأخلاق السهل الكريم.

⁶ - أبو تمام: الديوان، ج2، ص55.

فناسب الشاعر بين "مها" و"قنا" مناسبة تامة، وبين "الوحش" و"الخط"، و"أوانس" و"ذوابل" مناسبة غير تامة.

ثم قال "ابن أبي الإصبع المصري": «هذا البيت من أفضل بيوت المناسبة لما انضم إليها فيه من المحاسن، فإن فيه مع المناسبتين التشبيه بغير أداة، والمساواة، والاستثناء، والطباق اللفظي، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والتمكين»¹.

فبعد أن عدّ الألوان البديعية التي وردت في بيت أبي تمام، راح يقف عند كل لون بالشرح والتوضيح، في قوله²:

فأما المناسبة فقد ذكرناها، وأما التشبيه ففي قوله: مها وقنا، فإن التقدير كمها، وكقنا، فحذف الأداة ليبدل على قرب المشبه من المشبه به.

وأما الاستثناء البديعي، ففي قوله: إلا أن هاتا أوانس، وقوله: إلا أن تلك ذوابل، ليثبت للموصوفات التأنيس، وينفي عنها النفار والتوحش، وكذلك فعل في الاستثناء الثاني، فإنه أثبت لهن اللين، ونفى عنهنّ اليبس والصلابة.

وأما المطابقة، ففي قوله: الوحش وأوانس، وهاتا وتلك، فإن هاتا للقريب، وتلك للبعيد، وأما المساواة فلفظ البيت لا يفضل عن معناه، ولا يقصر عنه.

وأما الائتلاف، فلكون ألفاظه من واد واحد متوسطة بين الغرابة والاستعمال، وكل لفظة منها لائقة بمعناها، لا يكاد يصلح موضعها غيرها، وأما التمكين فاستقرار قافية البيت في موضعها وعدم نفاها عن محلها.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص369.
² - ينظر: المصدر نفسه: ص369.

الفصل الرابع

مصطلحات التقابل والتضاد

1_ إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء:

سبق لنا وأن تطرقنا في المدخل إلى شروط وضع المصطلح وكان من بينها(العلاقة بين المصطلح والمفهوم تكون علاقة رمزية لا وصفية، ولذلك فهو مختصر ومكثف)، وهذا المصطلح يتكون من ثمان كلمات فهو جملة تصف المفهوم وليس مصطلحا بالمعنى الحقيقي للكلمة، فالمصطلح لابد أن يكون مختصرا ومكثفا، من هنا ينتقي مبدأ من المبادئ الأساسية في صياغة المصطلح ووضعه، وهو مبدأ الاختصار.

ذكر"ابن أبي الإصبع المصري"(ت654هـ) أن هذا المصطلح من مخترعاته، وعرفه بقوله:«هو أن يقصد المتكلم أن يُفرد إنسانا بصفة مدح لا يُشركه فيها غيره، فينفي تلك الصفة في أول كلامه عن جميع الناس، ويُثبتها له خاصة»¹.

وهذا هو التعريف نفسه الذي عرف به باب "السلب والإيجاب" الذي جاء به في كتابه "تحرير التحبير"، حيث قال:«وهو أن يقصد المادح أن يُفرد ممدوحه بصفة مدح لا يشركه فيها غيره، فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس، ويُثبتها لممدوحه بعد ذلك»².

والذي لابد من ذكره هنا هو أن المصطلحين مصطلح واحد، وقد استدرك"ابن أبي الإصبع المصري" على نفسه بحاشية في أصل كتابه"تحرير التحبير" قال فيها:«قد عثرت على أن هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا من جهة شواهد، فسميته إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء، وتنزل باب السلب والإيجاب بعد باب الاستثناء في أبواب من تقدمني»³.

ينضاف إلى ذلك أن الشواهد التي ذكرها في باب "السلب والإيجاب" هي نفسها التي ذكرها في باب"إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء"، إلا أنه ذكر في هذا الأخير آية لم يذكرها في الأول، كما ذكر شاهدين من الشعر في باب"السلب والإيجاب" لم يذكرهما

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص303.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص593.

3 - المصدر نفسه: ص592 من الحاشية.

في باب "إثبات الشيء للشيء بنفسه عن غير ذلك الشيء" وبذلك يكون قد سبق إلى هذا النوع.

وفيما يلي عرض لشواهده التي استشهد بها والتي تنوعت بين قرآن كريم، وحديث نبوي شريف، وشعر.

وقد بدأ مصطلحه هذا بشواهد شعرية، كقول الخنساء في أخيها صخر (الطويل) ¹:

وما بلغت كَفُّ امرئٍ متناولاً من المجدِ إلا والذي نلتَ أطولُ

وما بلغ المهدونَ للناسِ مدحةً وإنْ أطبوا إلا الذي فيك أفضلُ

فتأوله أبو نواس فقال في محمد الأمين (الطويل) ²:

إذا نحنُ أثنيًا عليكِ بصالح فأنتَ كما نُثني وفوقَ الذي نُثني

وإنْ جرتِ الألفاظُ يوماً بمدحةٍ لغيركِ إنساناً فأنتَ الذي نعني

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على البيتين: «لم يتعرّض أبو نواس للبيت الأول من بيتي الخنساء البتّة، وإنما تناول معنى البيت الثاني، وعمله برمته في بيته الأول، وعلم لحذقه أن المعنى ناقص من جهة أنه لم يأت منه إلا بتفضيل ما قيل في ممدوحه على ما قيل في غيره من سائر الناس، هو معنى الخنساء، وقد بقي من تمام معنى هذا الممدوح المخصوص بما يقوله هو في مدح غير ممدوحه، فأخبر أنه يعني به ممدوحه وثبوته به، وإن واجهت الألفاظ غيره فجعل لفظ مدحه لغير ممدوحه، ولممدوحه معناه» ³.

ثم قال: «ومن هذا الباب قسم يقع في التشبيه والإخبار، وهو أن يكون للمشبه أو المخبر عنه صفات، فيعمد المتكلم إلى نفي بعضها نفيًا، يلزم منه إثبات ما في تلك الصفات له» ⁴.
ومثل له بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون

1 - الخنساء: الديوان، ص 91.

2 - أبو نواس: الديوان، دار صادر بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 647.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 303 ، 304.

4 - المصدر نفسه: ص 304.

مَنِّي بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبيَّ بعدي»¹، فسلبه النبوة مستثنياً لها من جميع ما كان لها من موسى عليهما السلام.

ثم ذكر أن من القسم الأول من هذا الباب جميع معجزات الرسل_صلوات الله عليهم وسلامه_ هي، ذلك أن صورة المعجزة تنسب للنبي الذي جاءت على يده، وتعدّ من فعله مجازاً، وهو في الحقيقة فعل الله تعالى².

وقد جاء من هذا القسم في الكتاب العزيز « قوله سبحانه: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ {سورة الأنفال، الآية 17}، فأثبت الرمي للنبي_صلى الله عليه وسلم_ إذ جاءت صورته على يده، ونفى معناه عنه، إذ كان لا يتأتى مثل ذلك الرمي إلا من الله سبحانه، فإن كل حصة أصابت عين كل إنسان من القوم، وهذا لا يكون إلا من فعل الله تعالى»³.

2_ السلب والإيجاب:

السلب لغة الأخذ، فيقال: «سلبه الشيءَ يسلبه سلباً وسلباً، والسلب: ما يُسلبُ»⁴. والإيجاب لغة اللزوم والاستحقاق، جاء في اللسان: «وجب الشيء يجبٌ وجوباً، أي لزم. وأوجبهُ الله واستوجبه، أي استحقَّهُ»⁵.

ذكره "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) ضمن الأبواب التي ابتدعها (اخترعها)، ولكنه استدرك على نفسه بحاشية في أصل كتابه "تحرير التحبير" قال فيها: «قد عثرت على أن هذا الباب لمن تقدمني من جهة تسميته لا من جهة شواهد»⁶.

وقد عرفه بقوله: «وهو أن يقصد المادحُ أن يُفرد ممدوحه بصفة مدح لا يُشركه فيها غيره، فينفيها في أول كلامه عن جميع الناس، ويثبتها لممدوحه بعد ذلك»⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص304.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص304.

3 - المصدر نفسه: ص304.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(سلب).

5 - المصدر نفسه: مادة(وجب).

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص592 من الحاشية.

7 - المصدر نفسه: ص593.

وكان "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) قد جعل السلب والإيجاب أحد أنواع التناقض، وهذا في قوله: «ومما جاء في الشعر من التناقض على طريق الإيجاب والسلب، قول عبد الله القس:

أرى هجرها والقتل مثلين فاقصروا ملامكم فالقتل أعمى وأيسر

فأوجب هذا الشاعر الهجر والقتل أنهما مثلان، ثم سلبهما ذلك بقوله: إن القتل أعمى وأيسر، فكأنه قال: إن القتل مثل الهجر، وليس هو مثله»¹.

وذكره "العسكري" (ت395هـ) في الفصل السادس والعشرون من كتابه "الصناعتين"، وعرفه بقوله: «وهو أن تبني الكلام على نفي الشيء من جهة، وإثباته من جهة أخرى، أو الأمر به في جهة، والنهي عنه في جهة وما يجري مجرى ذلك»².

ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٍّ وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا﴾ {سورة الإسراء، الآية 23}³.

وقول السموعل (الطويل)⁴:

وتنكر إن شئنا على الناس قولهم ولا ينكرون القول حين نقول

ولم يضع "الباقلاني" (ت403هـ) له حدا يوضحه به واكتفى بذكر بيت السموعل السابق⁵.

وعرفه "التبريزي" (ت502هـ) بقوله: «أن يوقع الكلام على نفي شيء وإثباته في بيت واحد»⁶، ومثل له ببيتين من الشعر أحدهما بيت السموعل السابق.

أما عن شواهد "ابن أبي الإصبع المصري" لهذا المصطلح، فقد استشهد عليه بقول الخنساء في أخيها صخر (الطويل)⁷:

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص211.

2 - العسكري: الصناعتين، ص405.

3 - المصدر نفسه: ص405.

4 - عروة بن الورد والسموعل: الديوانين، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1982م، ص91.

5 - بنظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص148.

6 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص148.

7 - الخنساء: الديوان، ص91.

وما بلغتُ كَفُّ امرئٍ متناولاً من المجدِ إلا والذي نلتُ أطولُ

وما بلغ المَهْدُونَ للنَّاسِ مِدْحَةً وإنْ أَطْنَبُوا إلاّ الذي فيكَ أَفْضَلُ

فقصد أبو نواس أخذ معنى الثاني من البيتين فلم يتهياً له أخذه إلا في بيتين، وقصر عنه بعد ذلك تقصيرا كثيرا، وناهيك بأبي نواس، وذلك أنه قال (الطويل) ¹:

إِذَا نَحْنُ أَتَيْنَا عَلَيْكَ بِصَالِحٍ فَأَنْتَ كَمَا نُثْنِي وَفَوْقَ الَّذِي نُثْنِي

وإنْ جَرَّتْ الألفاظُ يوماً بِمدحِهِ لغيركَ إنساناً فَأَنْتَ الَّذِي نَعْنِي

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من هذا الباب ما يقع في التشبيه والإخبار وغيرهما بحيث يكون للمشبه أو المخبر عنه صفات فينفي بعضها ليثبت بعضها، وينفي واحدة ليجب أختها أو يسلبها ويوجب غيرها ².

ومثّل له بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي عليه السلام: «أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي» ³، فسلب النبوة ليجب بقية المنازل التي كانت لهارون من موسى عليهما السلام .

و كقول الشاعر (الطويل) ⁴:

فصرتُ كأنّي يوسفٌ بين إخوتي ولكنّ تعدّتي النبوة والحسنُ

فسلب الشاعر نفسه هاتين الصفتين من صفات يوسف عليه السلام ليثبت ما عداهما مما أمثحن به يوسف من إخوته، وهذا البيت وإن كان من شواهد الاستدراك فهو يليق بهذا الباب أيضا .

ومن أمثله أيضا قول ابن الرومي (الطويل) ⁵:

كأنّا مع الجُدرانِ في جنّباته دُمى في انقطاع الرّزق لا في المحاسن

1 - أبو نواس: الديوان، ص 647.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 594.

3 - المصدر نفسه: ص 594 ، 595.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص 595.

5 - المصدر نفسه : ص 595. لم أعثر على بيت ابن الرومي هذا في النسخة التي بحوزتي. شرح أحمد حسن بسج.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذا الشاهد بقوله: «لما كانت الدّمي موصوفة بهاتين الصفتين، وكانت إحداها لاثقة بالمعنى الذي قصده، أثبتتها ونفى ما عداها من الصفة التي لا تليق بغرضه»¹.

هذا ما جاء في كتاب "تحرير التحبير"، أما في كتاب "بديع القرآن" فقد أدرج باب "السلب والإيجاب" ضمن الأنواع الفروع، ولم ينسبه إلى نفسه بعدما استدرك ذلك في كتابه الأول، وعرفه بقوله: «وهو بناء الكلام على نفي الشيء من جهة وإيجابه من جهة أخرى، أو أمر بشيء من جهة ونهي عنه من غير تلك الجهة»². وهذا المفهوم أخذه من "العسكري" مع تغيير بسيط في الصياغة. وذكر الآية نفسها التي جاء بها "العسكري" وهي قوله عز وجل: ﴿وَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفْ وَلَا تَنْهَرَهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا، وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ {سورة الإسراء، الآيتان 23، 24}.

وقد علق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية الكريمة بقوله: «فإنه سبحانه نهى الولد عن أن يقول للوالدين أدنى قول مؤلم، أو ما فيه غضاضة، وأمره بالقول الكريم وخفض الجانب لهما ذلاً وتواضعاً، فأمره سبحانه بأمرين ونهاه عن أمرين»³.

واستشهد عليه كذلك بقوله سبحانه: ﴿الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلَّا اللَّائِي وَلَدْنَهُمْ﴾ {سورة المجادلة، الآية 2}، فقد نفى سبحانه وتعالى صيرورة المرأة أمّاً بالظّهار، وأثبت الأموة للتي ولدت الولد فقط⁴.

وكقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ {سورة التحريم، الآية 6}، فإنه عز وجل سلب عن هؤلاء الموصوفين العصيان، وأوجب لهم الطاعة⁵.

وقد وقف "ابن أبي الإصبع المصري" عند هذه الآية وقفة طويلة موضحة الإشكال القائم جراء التكرار والتداخل فيها، في قوله: «فإن قيل: على ظاهر هذه الآية إشكال من جهة

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص595.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص116.

3 - المصدر نفسه ، ص116.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص116.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص 116 ، 117.

التداخل والتكرار، فإن معنى عجزها داخل في معنى صدرها، فهو مكرّر، وإن اختلف لفظه، وهذا عيب يتحاشى عنه نظم القرآن العزيز، فإن من لا يعصي مطيع.

أجاب الإمام فخر الدين بن الخطيب عن ذلك فقال: ﴿لا يعصون الله﴾ في الحال، ﴿ويفعلون ما يؤمرون﴾ في المستقبل.

وكنت قد أجت عن الإشكال بجواب قبل أن أسمع جواب الإمام فخر الدين، فقلت: الوصف بالطاعة والعصيان على ثلاثة أقسام: تقول زيد لا يعصي ويطيع، ونقيضه لا يطيع ويعصي، والواسطة لا يعصي ولا يطيع، والأول وصف أعلى، والثاني وصف أدنى، والثالث وصف متوسط، والحق سبحانه أراد وهو أعلم_ أن يصف هؤلاء الملائكة بالوصف الأعلى، فلو اقتصر عز وجل على قوله: ﴿لا يعصون﴾ احتمل أن يوصل بقولك: ولا يطيعون، فلا يوفي ذلك بالمعنى المراد، فإن المراد وصفهم بأعلى الأوصاف، فوجب أن يقول: ﴿ويفعلون﴾ فتكمل الوصف؛ والله أعلم»¹.

3_ الطباق:

الطباق لغة مأخوذ من الجدر (طبق)، فيقال: «طابقه مطابقة وطباقا. وتطابق الشيطان: تساويا. والمطابقة: الموافقة. والتطابق: الاتفاق. وطابقتُ بين الشيئين: إذا جعلتهما على حذو واحد. والمطابقة: أن يضع الفرس رجله في موضع يده. والمطابقة: مشي المقيد»². والطباق في الاصطلاح هو: «الجمع بين الضدين أو بين الشيء وضده في كلام أو بيت شعر»³.

والسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: إذا كان المعنى اللغوي للطباق هو الموافقة، والمعنى الاصطلاحى له هو الجمع بين الضدين في كلام أو بيت شعر، فهل توجد مناسبة بين المعنيين؟ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص117.
2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(طبق).
3 - عبد العزيز عتيق: علم البديع، ص77.

يرى بعض البلاغيين أنه لا مناسبة بين المعنيين، ويرى آخرون أن هناك مناسبة تجمع بينهما.

ومهما تباينت الآراء حول المناسبة بين المعنى اللغوي والاصطلاحي للطباق إلا أن الأرجح أن هناك مناسبة وصلة بينهما من عدة جهات :

_ الأول: «أن الذي يجمع بين الضدين في كلام منثور أو في بيت شعر، فهو يوفق بين الضدين في هذا الكلام»¹.

_ الثاني: «إن الطبق بالتحريك في اللغة: المشقة، قال الله سبحانه: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ {سورة الانشقاق، الآية 19}. أي مشقة بعد مشقة، فلما كان الجمع بين الضدين على الحقيقة وفي الواقع شاقا، بل متعذرا ومن عاداتهم أن تعطى الألفاظ حكم الحقائق في أنفسها توسعا سموا كل كلام جمع فيه بين الضدين مطابقا وطباقا»².

_ ونقل "ابن معصوم المدني" (ت 1120هـ) كذلك عن "السعد التفتازاني" قوله: «إنما سمي هذا النوع مطابقة لأن في ذكر المعنيين المتضادين معا توفيقا، وإيقاع توافق بين ما هو في غاية التخالف، كذكر الإحياء مع الإماتة، والإبكاء مع الضحك ونحو ذلك»³.

والطباق ويسمى التطبيق والتضاد والمطابقة والتكافؤ⁴.

ذكره "ثعلب" (ت 291هـ) تحت اسم مجاورة الأضداد، وعرفه بقوله: «وهو ذكر الشيء مع ما يعدم وجوده، كقوله تعالى: ﴿لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى﴾ {سورة الأعلى، الآية 13}»⁵، ومن خلال الأمثلة التي ساقها في هذا الباب يتضح أن المطابقة عنده هي التضاد بين الألفاظ، أو ما أطلق عليه مجاورة الأضداد. أما مصطلح الطباق فقد أطلقه على «تكرير اللفظة بمعنيين مختلفين»، وهذا هو مصطلح الجناس. وإن كانت بعض الأمثلة التي جاء بها تحتل المطابقة.

1 - بسيوني عبد الفتاح فيود : علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ص 113.
2 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج 2، ص 31. نقلا عن أبي الحديد، وذكر أنه أغرب في ذلك.
3 - المصدر نفسه : ج 2 ، ص 31.
4 - ينظر : أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2، ص 252.
5 - ثعلب: قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط 2، 1995م، ص 58.

وجعل "ابن المعتز" (ت296هـ) المطابقة ثالث أبواب البديع التي جاء بها ، وأورد المعنى اللغوي له، في قوله: «قال الخليل رحمه الله: يقال طبقت بين الشيئين إذا جمعتهما على حذو واحد، وكذلك قال أبو سعيد: فالقائل لصاحبه أتيناك لتسلك بنا طريق التوسع فأدخلتنا في ضيق الضمان قد طابق بين السعة والضيق في هذا الخطاب»¹، إلا أنه لم يعرفها، ولكن شواهد عليها تدل دلالة واضحة على فهمه الصحيح لمصطلح المطابقة.

أما "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) فقد عدّ المطابق من باب ائتلاف اللفظ مع المعنى وقرنه بالجناس، في قوله: «ومعناهما أن تكون في الشعر معان متغايرة قد اشتركت في لفظة واحدة وألفاظ متجانسة مشتقة»²، فالمطابق عنده هو ما يشترك في لفظة واحدة بعينها، وهذا هو الجنس التام، وعلى هذا يكون "قدامة" قد خلط بين الطباق والجناس³، وأطلق مصطلح التكافؤ على الطباق ولعله أول من سمى الطباق تكافؤاً، فقال: «ومن نعوت المعاني: التكافؤ: وهو أن يصف الشاعر شيئاً أو يذمه، أو يتكلم فيه بمعنى ما أي معنى كان، فيأتي بمعنيين متكافئين، والذي أريد بقولي متكافئين، في هذا الموضوع: متقاومان، إما من جهة المضادة أو السلب والإيجاب أو غيرها من أقسام التقابل»⁴.

ورأى "العسكري" (ت395هـ) أن المطابقة هي الجمع بين الشيء وضده في الكلام⁵. وأفرد "الباقلائي" (ت403هـ) للتكافؤ باباً، فقال: «ومن البديع باب «التكافؤ». وذلك قريب من «المطابقة» كقول المنصور: لا تخرجوا من عز الطاعة إلى ذل المعصية»⁶. وكان قبل ذلك قد تحدث عن المطابقة. فالباقلاني أحسّ بالفرق بين التكافؤ والطباق ولكنه لم يفصل القول فيه .

1 - ابن المعتز: البديع، ص36.
2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص162.
3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 162
4 - المصدر نفسه: ص143.
5 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص307.
6 - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص 146 ، 147.

والمطابقة عند "ابن رشيق" (ت456هـ) هي: «جمعك بين الضدين في الكلام أو بيت شعر»¹، ويرى أن هذا هو رأي جميع الناس إلا قدامة².

وقد آثر "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) تسمية المطابق، وتصدى "لقدامة" والرد عليه في تسميته المطابق (المتكافئ) فيما نقله عن "الأمدي" (ت370هـ) ووافق عليه، في قوله: «إنّ هذا اللقب وإن صح بموافقته معنى الألقاب، وأنها غير محظورة فإن الناس قد تقدموا أبا الفرج في تلقيب هذه الأنواع مثل أبي العباس عبد الله بن المعتز بالله وغيره، وكفوه المؤونة في اختراع ألقاب تخالفهم»³.

ومفهوم الطباق عند "التبريزي" (ت502هـ) هو: «أن يأتي الشاعر بالمعنى وضده أو ما يقوم مقام الضد»⁴.

وقال "ابن الأثير" (ت637هـ) عن المطابقة: «وهذا النوع يسمى البديع أيضا، وهو في المعاني ضد التجنيس في الألفاظ، لأن التجنيس هو أن يتحد اللفظ مع اختلاف المعنى، وهذا هو أن يكون المعنيان ضدين»⁵، ورأى أن الأليق من حيث المعنى أن يسمى هذا النوع النوع "المقابلة"⁶.

وأدخل "السكاكي" (ت626هـ) والقزويني (ت739هـ) وشرح التلخيص المطابقة في المحسنات المعنوية، وأصبحت من فنون البديع⁷.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) على إجماع أو لنقل شبه إجماع البلاغيين والنقاد في تسمية الطباق ومفهومه، ولكنه توسع بعض الشيء في أنواعه، فقد فسره لغويا محاولا الوصول إلى أدنى مناسبة بين المعنيين اللغوي والاصطلاحي، وهذا في قوله: «الطباق اللغوي الذي أخذ منه الصناعي هو قول العرب: طابق البعير في مشيه إذا

1 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص5.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص5.

3 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص195.

4 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص135.

5 - ابن الأثير: المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، ج2، ص143.

6 - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص144.

7 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص255.

وضع خفَّ رجله موضع خف يده... لأن القوم رأوا أن البعير قد جمع بين الرجل واليد في موطن واحد، والرجل واليد ضدان أو في معنى الضدين، فرأوا أن الكلام الذي جمع فيه بين الضدين يحسن أن يسمى مطابقاً»¹.

ولم يعرف الطباق على حدة، ولكنه عرّفه بعد ذلك أثناء التفريق بينه وبين المقابلة في كتاب "بديع القرآن"، فقال: «فالفرق بين الطباق والمقابلة إذا من وجهين: أحدهما أن الطباق لا يكون إلا بالجمع بين ضدين فذّين فقط»².

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن الطباق على ضربين: «حقيقي ومجازي، وكلا الضربين على قسمين: لفظي ومعنوي. فما كان منه بألفاظ الحقيقة أبقوا عليه اسم الطباق، وما كان كله بألفاظ المجاز أو بعضه سمّوه تكافؤاً، بشرط أن تكون الأضداد لموصوف واحد، فإن كان الضدين أو الأضداد لموصوفين والألفاظ حقيقية فهو الطباق إن كان الكلام جامعا بين ضدين فذّين، وإن كانت الأضداد أربعة فصاعدا كان ذلك مقابلة»³.

ونفهم من كلامه أنه يطلق التكافؤ على المقابلة أيضا إذا كانت الأضداد المتقابلة بألفاظ المجاز أيضا. غير أن التكافؤ لموصوف واحد والطاق لموصوفين.

ويعدّ "ابن أبي الإصبع المصري" أول من فرق بين الطباق والتكافؤ وإن كان الجميع داخلا في باب الطباق، حتى قال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ): «ولقد شفى زكي الدين بن أبي الإصبع القلوب، فيما قرره، فإنه قال: المطابقة ضربان: ضرب يأتي بألفاظ الحقيقة، وضرب يأتي بألفاظ المجاز، فما كان بلفظ الحقيقة سمي طباقا، وما كان بلفظ المجاز سمي تكافؤا»⁴.

ثم يبدأ كعادته في سرد الشواهد على التكافؤ والطاق من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وكلام الصحابة والشعر، فمما استشهد به على التكافؤ من كتاب الله قوله تعالى: ﴿أَوْمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأُحْيَيْنَاهُ﴾ {سورة الأنعام، الآية122}، أي ضالاً فهديناه، فالموت

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص111.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص31.

3 - المصدر نفسه: ص31.

4 - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص148.

والحياة ها هنا مجاز¹. ثم قال: «وعلى هذا فلا بدّ أن يأتي في الكلام المتضمن التكافؤ استعارة، فإن لم تكن فيه استعارة فلا تكافؤ»².

ومثل عليه من الشعر بقول أبي الشغب العبسيّ من إنشادات قدامة (الكامل)³:

حُلُو الشَّمائل وهو مُرُّ باسِلٌ يحيي الذمار صبيحة الإرهاق

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت بقوله: «لما كان قوله "حلو" و "مر" خارجا مخرج الاستعارة إذ ليس الإنسان ولا شمائله مما يذاق بحاسة الذوق، كان هذا تكافؤا»⁴. وكقول ابن رشيّق (الطويل)⁵:

وقد أطفأوا شمسَ النهار وأوقدوا نجومَ العوالي في سماء عجاج

ثم ذكر أن الطباق الذي يأتي بألفاظ الحقيقة قد قسّموه إلى ثلاثة أقسام: طباق الإيجاب، وطباق السلب، وطباق الترديد.

فمثل طباق الإيجاب قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى، وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا، وَأَنَّهُ خَلَقَ الزُّوجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى﴾ {سورة النجم، آيات 43-45}⁶.

يقول معلقا على الآية الكريمة: «فانظر إلى فضل هذا الطباق كيف جمع إلى الطباق البليغ التسجيع الفصيح، لمجيء المناسبة التامة في فواصل الآي»⁷.

وكقول الرسول - صلى الله عليه وسلم - للأنصار - رضي الله عنهم - : «إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفِرْعَ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمْعِ»، ففي هذه العبارة أتت المناسبة التامة ضمن المطابقة⁸.

وكقول علي - كرم الله وجهه - : «مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ مِنْ يَسْخَطَ عَلَيْهِ»⁹.

ومن الشعر قول الفرزدق وهو من إنشادات ابن المعتز (الكامل)¹⁰:

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص32.

2 - المصدر نفسه: ص32.

3 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص143.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص112.

5 - المصدر نفسه: ص112.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص112. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص33.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص33.

8 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص112.

9 - المصدر نفسه: ص122.

10 - الفرزدق: الديوان، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م، ص311، ابن المعتز: البديع،

لَعْنُ الْإِلَهِ بَنِي كُؤَيْبٍ إِنَّهُمْ لَايَغْدِرُونَ وَلَا يَفُونَ لَجَارِ
يَسْتَنْفِظُونَ إِلَى نَهيقِ حِمَارِهِمْ وَتَنَامُ أَعْيُنُهُمْ عَنِ الْأُوتَارِ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" في تعليقه على هذا الشعر: «غير أن هذين البيتين من أفضل شعر سمعته في هذا الباب، لأنهما جمعا بين طباق السلب والإيجاب، ووقع فيهما مع الطباق تكميل لم يقع مثله في باب التكميل، لأن هذا الشاعر لما وصف هؤلاء القوم بالضعف حيث قال: "لا يغدرون" علم أنه لو اقتصر على ذلك احتمل الكلام ضربا من المدح، إذ تجنب الغدر قد يكون عن ضعف وعن عفة، أتى بصريح الهجاء ليدلّ بذلك على أنه أراد بكلامه الأول محض الهجاء، واقتضت الصناعة أن يأتي بذلك في لفظ ينتظم به وبما بعده طباق، فقال: "ولا يفون لجار" فتكمل الهجاء»¹.

والقسم الثاني: طباق السلب، «وهو أن يأتي المتكلم بجملتين أو كلمتين إحداها موجبة والأخرى منفية، وقد تكون الكلمتان منفيّتين»².

واستشهد على هذا القسم من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الغِيِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا﴾ {سورة الأعراف، الآية 146}، وقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ {سورة البقرة، الآية 6}، وقوله سبحانه: ﴿تَعَلَّمْ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمْ مَا فِي نَفْسِكَ﴾ {سورة المائدة، الآية 116} ³.

ومثل على ما جاءت الكلمتان منفيّتان بقول الفرزدق السابق، أما ما كانت إحدى الكلمتين منفية والأخرى موجبة فكقول البحري (الطويل) ⁴:

يُقَيِّضُ لِي مِنْ حَيْثُ لَا أَعْلَمُ الْهَوَى وَيَسْرِي إِلَيَّ الشَّوْقُ مِنْ حَيْثُ أَعْلَمُ

جاء "ابن أبي الإصبع المصري" بنوع من الطباق سماه "طباق التريديد"، ولعله تفرّد به فلم يذكره أحد قبله _ على حد علمي القاصر _ وقال إنه على قسمين أيضا: «سلب

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 113.

2 - المصدر نفسه: ص 114.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 32.

4 - البحري: الديوان، مج 3، ص 1929.

وإيجاب وهو أن يُردَّ آخر الكلام المطابق على أوله، فإن لم يكن الكلام مطابقاً فهو رد الأَعجاز على الصدور»¹.

ومثل على الموجب منه بقوله تعالى: ﴿وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ {سورة البقرة، الآية 216}، وموضع طباق التريديد هنا هو قوله: ﴿والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾ فقد ردَّ آخره ﴿لا تعلمون﴾ على أوله ﴿يعلم﴾ على تقدير: الله يعلم وأنتم تجهلون²؛ فلولا هذه المطابقة لكان هذا الشاهد من باب ردِّ الأَعجاز على الصدور. كما أنه شاهد على طباق السلب .

ومثل على السالب منه بقول الأعشى (البسيط)³:

لا يَرْقَعُ النَّاسُ ما أَوْهَوْا وَإِنْ جَهِدُوا طُولَ الحَيَاةِ وَلَا يُوهُونَ ما رَقَعُوا

ومن الطباق ما هو معنوي، كقوله تعالى: ﴿إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ، قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّا إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ {سورة يس، آيتا 16، 17}، معناه ربنا يعلم إنا لصادقون⁴.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" نوعاً آخر من الطباق، وهو انتلاف الطباق بالتكافؤ في كلام واحد، كقوله تعالى: ﴿وَتَرَى الأرضَ هَامِدَةً فإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْها المَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنْبَتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ﴾ {سورة الحج، الآية 5}⁵.

يحلُّ الآية مبينا الفرق بين الطباق والتكافؤ في قوله: «فهمود الأرض واهتزازها ضدان؛ لأن الهمود سكون خاص، والاهتزاز ها هنا حركة خاصة وهما مجازان، والربو والإنبات ضدان، وهما حقيقيان، وإنما قلنا ذلك لأن الأرض تربو حالة نزول الماء عليها، وهي لا تنبت في تلك الحالة، فإذا انقطعت مادة السماء وجفف الهواء رطوبة الماء خمد الربو وعادت الأرض إلى حالها من الاستواء، وتشققت وأنبتت. فصدر الآية تكافؤ، وما قابله في عجزها طباق، وفيها مع التكافؤ والطباق إرداف، وهو نوع من البديع... وقد جاء نظم هذه الآية مع

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص33. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص115.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص33، 34.

3 - الأعشى: الديوان، ج1، ص294. في الديوان (ما رقعا) بدل (ما رقعوا).

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص115.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص34.

ما تضمن من التكافؤ والطباق والإرداف والائتلاف منعوتاً بالتهذيب لما فيه من حسن الترتيب، حيث تقدّم فيه لفظ الاهتزاز على لفظ الرّبو، ولفظ الرّبو على الإنبات لأنّ الماء إذا نزل على الأرض فرّق أجزاءها، ودخل في خلالها؛ وتفريق أجزاء الجواهر الجمادية هو حركتها حالة تفرق الاتصال، لأن انقسام الجواهر يدلّ على انتقال قسميه أو احدهما عن حيّزه، ولا معنى للحركة إلّا هذا، فالاهتزاز يجب أن يذكر عقيب السقي، كما جاء الربو بعد الاهتزاز، فإن التراب إذا دخله الماء ارتفع بالنسبة إلى حاله قبل ذلك، وهذا هو الربو بعينه... فحصل التهذيب في نظم هذه الآية بحصول حسن الترتيب، واقترن بذلك حسن النسق لتقدم كل ما كان معطوفاً عليه على كل ما يجب أن يكون معطوفاً»¹.

فتأمل تحليله لهذه الشواهد وخاصة إذا ما احتوى الشاهد الواحد على أكثر من فن بديعي، تجد "ابن أبي الإصبع المصري" منكبا عليه تاركا العنان لنفسه في التعبير، وهذا لأنه بصدد الكشف عنه في القرآن الكريم وبيان إعجازه.

وكقول دعبل الخزاعي (الكامل)²:

لَا تَعْجَبِي يَا سَلْمُ مِنْ رَجُلٍ ضَحِكَ الْمَشِيبُ بِرَأْسِهِ فَبَكَى

فقد عدّ "ابن أبي الإصبع المصري" هذا البيت مما اجتمع فيه التكافؤ والطباق، يقول في تعليقه عليه: «وهذا البيت مع سهولة سبكه وخفة ألفاظه وكثرة الماء في جملته قد جمع بين لفظي التكافؤ والطباق معا، لأنّ ضحك المشيب مجاز، وبكاء الشاعر حقيقة»³.

لا شك أن الجانب الدلالي في الطباق هو السمة البارزة فيه، لما لها من أثر في إحداث الإيقاع الذي يحصل نتيجة التنوع الدلالي للكلمات.

4- التدبيح:

التدبيح في اللغة مأخوذ من (الدبح)، جاء في اللسان: «الدبجُ: النقش والتزيين، فارسيٌّ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري بديع القرآن ، ص 34 ، 35.

² - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص79. والعسكري: الصناعتين، ص297. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص113.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص113.

معرب. ودبج الأرض المطرُ يدبجها دبجا: روّضها»¹.

وقيل أيضا أن التدبيج مشتق من الديباج، و: «هو ثوب سداه ولحمته إبريسم وهو معرب (ديبا) ثم كثر حتى اشتقت العرب منه فقالوا: دبج الغيث الأرض دبجا من باب ضرب، ودبجها تدبيجا بالتضعيف إذا سقاها فأنبنت أزهارا مختلفة لأنه عندهم اسم للمنقش»².

وقد عدّه ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) من مخترعاته³، وقال ابن حجة الحموي (ت837هـ): «نوع التدبيج من مستخرجات ابن أبي الإصبع»⁴، وقال أحمد مطلوب "كذلك إن التدبيج من مبتدعات المصري"⁵.

وقد عرفه ابن أبي الإصبع المصري بقوله: «وهو أن يذكر المتكلم ألوانا يقصد الكناية بها، والتورية بذكرها عن أشياء، من وصف، أو مدح، أو هجاء، أو نسيب، أو غير ذلك من الفنون، أو لبيان فائدة الوصف بها»⁶.

تبدو العلاقة واضحة بين المعنى اللغوي للتدبيج الذي هو مشتق من الديباج، وتلك الألوان المكّنى أو المورّى بها عن معان والتي هي ألوان زهور.

ولكن المحقق يرى بأنه مسبوق إلى هذا النوع من قبل علماء البديع، وأنه بعينه التورية أو الكناية أو ما أطلق عليه "ابن سنان" المخالف وألحقه بالطباق، وأنه لم يكن له من النوع إلا التسمية فقط⁷.

أما "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) فقد أطلق عليه المخالف وألحقه بالطباق، وعرفه بقوله: «فأما المخالف وهو الذي يقرب من التضاد، فكقول أبي تمام:

تردّي ثياب الموتِ حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سُندسٍ خُضُرُ

فإن الحمر والخُضُر من المخالف، وبعض الناس يجعل هذا من المطابق»⁸.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (دبج).

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص242 من حاشية المحقق.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص532. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص242.

4 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص887.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص118.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص242. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص532.

7 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص532 من حاشية المحقق.

8 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص204.

وتبقى "لابن أبي الإصبع المصري" فضل تسمية هذا اللون البديعي التدبيج وهي جد لاثقة به.

وقد استشهد عليه من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بَيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَعَرَابِيٌّ سُودٌ﴾ {سورة فاطر، الآية 27}.

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" محلا الآية: «فإن المراد بذلك _ والله أعلم _ الكناية عن المشتبه والواضح من الطرق، لأن الجادة البيضاء هي الطريق الملحوب التي كثر السلوك عليها جدا، وهي أوضح الطرق وأبينها، ولهذا قيل: ركب بهم المحجة البيضاء، ودونها الحمراء، ودون الحمراء السوداء، كأنها في الخفاء والالتباس ضد البياض في الظهور والوضوح، ولما كانت هذه الألوان الثلاثة في الظهور للعين طرفين وواسطة بينهما، فالطرف الأعلى في الظهور البياض، والطرف الأدنى في الخفاء السوداء، والأحمر بينهما على وضع الألوان في التركيب»¹.

يوصل تحليله مبينا علاقة الألوان بطرق الجبال ومعددا ألوان البديع الموجودة في الآية _ كعادته _ ومنوها إلى نعم الله التي من بها على عباده في قوله: «وكانت ألوان الجبال لا تخرج عن هذه الألوان الثلاثة، والهداية بكل علم نصب للهداية منقسمة هذه القسمة، أتت الآية الكريمة على هذا التقسيم فحصل فيها، التدبيج، وصحة التقسيم، وهي مسوقة للاعتداد بالنعمة على ما هدت إليه من السعي في طلب المصالح والمنافع، وتجنب المعاطب والمهالك الدنيوية والأخروية»².

ثم ذكر أن لطف خبء وقع في هذه الآية هو: «إشارته سبحانه فيها بقوله تعالى: ﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ إلى ما في الألوان من الوسائط بين مركباتها، وهي لا تدخل تحت الحصر، فعبر _ سبحانه وتعالى _ عنها بعبارة غير حاصرة لها، واكتفى بذكر الاختلاف عن تعدد الألوان»³.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص532. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص242.
2 - المصدران نفسهما: ص 532 ، 533 و ص 242 ، 243.
3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص243.

وقد استشهد على التدبيح من الشعر بقول بعض العرب العزباء (الطويل) ¹:

زيادُ بنُ عَينِ عَينهُ تحتَ حاجِبِهِ وبيضُ الثَّنايا تحتَ خُضْرَةِ شَارِبِهِ

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن بعض النقاد قد ساق هذا البيت من شواهد العيوب، فقال: وجه العيب فيه كون العين لا تكون إلا تحت الحاجب، والثنايا تحت الشارب، وقال بعضهم في الرد على هذا العائب: إن الشاعر أراد أنه غير مشوّه، قد خلق في أحسن تقويم، فلم تأت صورته مخالفة للصور.

ثم قال: «وعندي أن مثل هذا لا يعدُّ عيباً، ولا يحتاج إلى تكليف مثل هذا العذر، لمجيء أمثاله في الكلام الفصيح، ويكفي ما جاء منه في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ﴾ {سورة النحل، الآية 26}، والسقف غالباً لا يكون إلا من فوق، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا﴾ {سورة الأنبياء، الآية 32}، لا سيما في هذا الموضع الذي رفع سبحانه وتعالى فيه الاحتمال الذي يتوهم من أن السقف يكون تحت بالنسبة، فإن كثيراً من السقوف يكون أرضاً لقوم، وسقفاً لقوم آخرين، فرفع سبحانه وتعالى الاحتمال بجملتين، وهما قوله: ﴿عليهم﴾ وقوله: ﴿خرَّ﴾ لأنها لا تستعمل إلا فيما يهبط أو يسقط من العلو إلى السفلى، كقوله تعالى: ﴿وَحَرَّ مُوسَى صَعِقًا﴾ {سورة الأعراف، الآية 143}، وقوله سبحانه: ﴿وَحَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابًا﴾ {سورة ص، الآية 24}، فلم يبق لقوله: ﴿من فوقهم﴾ محمل إلا التعويل على سامع هذه الموعظة ليحصل الازدجار عن فعل من حلّ به ذلك، وهو من بليغ المواعظ» ².

وذكر شواهد أخرى أكد من خلالها أيضاً أن ما وقع في البيت لا يعدُّ عيباً، ونسي ما هو بصدده من توضيح لون "التدبيح" في الشاهد، فقد خرج عنه للردّ عن أولئك النقاد.

ثم ذكر أن من التدبيح قول أبي تمام في مرثيته لمحمد بن حميد الطوسي (الطويل) ³:

تردّي ثياب الموتِ حمراً فما أتى لها الليل إلا وهي من سُندُسٍ خُضِرُ

¹ - ورد هذا البيت في بديع ابن منقذ غير منسوب وبرواية تختلف عما هنا قليلاً، وساقه شاهداً على الرذالة والجزالة. ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 533. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 243.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 243، 244. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 533، 534.

³ - أبو تمام: الديوان، ج 2، ص 219.

وقول البحتري(الطويل) ¹:

تَحَسَّنَتِ الدُّنْيَا بَعْدَكَ فَاعْتَدْتُ وَأَفَاتَهَا بِيضٌ وَأَكْنَأُهَا خُضْرُ

ونقل تعريف "ابن أبي الإصبع المصري" للتدبيح كل من: ابن مالك والحلي والنويري وابن الأثير الحلي والعلوي والحموي والسيوطي والمدني ².

5_ نفي الشيء بإيجابه:

النفي في اللغة نقيض الإيجاب ³.

تكلم "ابن رشيق"(456هـ) عن مصطلح "نفي الشيء بإيجابه" وقال عنه: «وهذا الباب من المبالغة، وليس بها مختصاً، إلا أنه من محاسن الكلام، فإذا تأملته وجدت باطنه نفيًا، وظاهره إيجابًا» ⁴.

ومثّل له بأمثلة عدّة كقول امرئ القيس(الطويل) ⁵:

على لاجِبٍ لا يُهْتَدَى بِمَنَارِهِ إِذَا سَافَهُ الْعَوْدُ النَّبَاطِيُّ جَرَجَرًا

وعلق عليه بقوله: «لا يهتدى بمناره» ، لم يرد أن له منارا لا يهتدى به، ولكن أراد أنه لا منار له فيهتدى بذلك المنار» ⁶.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري"(ت654هـ) عما جاء به "ابن رشيق" عن هذا المصطلح.

وقال في تعريفه: «وهو أن يثبت المتكلم شيئاً في ظاهر كلامه وينفي ما هو من سببه مجازاً، والمنفَى في باطن الكلام حقيقة هو الذي أثبتته» ⁷. وهذا المفهوم أخذه من "ابن رشيق" مع تغيير في الصياغة.

1 - البحتري: الديوان، مج2، ص992.
2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص119.
3 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة(نفي).
4 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص80.
5 - امرؤ القيس: الديوان، ص64.
6 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص80.
7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص377. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص152.

وقد استشهد عليه "ابن أبي الإصبع المصري" بشواهد من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر.

كقوله عز وجل: ﴿...أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا﴾ {سورة الأعراف، الآية 195}.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية الكريمة بقوله: «فإن ظاهر هذا الكلام يقتضي نفي هذه الجوارح، وباطن الكلام يقتضي نفي الإلهية جملةً عمّن يبصر ويسمع من الآلهة المتخذة من دون الله تعالى، فكيف من لا يسمع، ولا يبصر منها»¹.

وكقوله سبحانه: ﴿لَا يَسْأَلُونَ النَّاسَ إِحْأَفًا﴾ {سورة البقرة، الآية 273}، فإن ظاهر الكلام نفي الإلحاف في المسألة، والباطن نفي المسألة بتةً، وعليه إجماع المفسرين، وهو منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما².

وكقوله تعالى: ﴿وَلَا شَفِيعَ يُطَاعُ﴾ {سورة غافر، الآية 18}، فظاهر الكلام نفي الشفيع المطاع، والمراد نفي الشفيع مطلقاً³.

وشاهده من الحديث الشريف قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «نعم العبدُ صُهِيبٌ لو لم يخف الله لم يعصه»، فإن ظاهر الكلام يقتضي عصيان صهيب رضي الله عنه، ولكن لو كان هذا هو المقصود لكان الكلام متناقضاً لتصدّره بما يقتضي المدح من الإتيان بلفظة "نعم"، وتعقيب ذلك بما يقتضي الذم على ظاهر اللفظ، فلا بد من تأويل يميّط عن الظاهر هذا التناقض، وهو أن يقال: لو قدر أن صهيباً لم يخف الله لم يعصه، فكيف وهو يخافه⁴.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 377. وابن أبي الإصبع المصري بديع القرآن، ص 152.

2 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 377. وص 152.

3 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 377. وص 152.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 153.

أمّا عن شواهد الشعرية فقد استشهد بقول امرئ القيس السابق الذي جاء به "قدامة بن جعفر"، وكذلك قول الزبير بن عبد المطلب يمدح عميلة بن عبد الدار (الطويل) ¹:

صَبَحْتَ بِهِمْ طَلْقًا يَرَاخُ إِلَى النَّدى إذا ما انْتَشَى لم تَحْتَضِرْهُ مَفَاقرُهُ
ضَعِيفٌ يَحْتُ الكَأْسَ قَبْضُ بِنانِهِ كَلِيلًا على وَجهِ النَّدِيمِ أَظافِرُهُ

فظاهر البيتين يقتضي أن للممدوح مفاقر لم تحضره إذا انتشى، كما أن له أظافر تخمش وجه نديمه، وباطن الكلام نفي المفاقر جملة والأظافر بتّة.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" «أن من هذا الباب قسم يوجب فيه المتكلم لنفسه شيئاً وينفيه بعينه من غيره، أو ينفي عن موصوف ما صفة يوجبها لموصوف آخر» ².

ومثل له بقول السموع (الطويل) ³:

وَتُنْكَرُ إِنْ شِئْنَا على النَّاسِ قَوْلَهُمْ ولا يَنْكُرُونَ القَوْلَ حينَ نَقَوْلُ
وكقول الآخر (الطويل) ⁴:

هَضِيمُ الحَشَا لا يَمَلُّ الكَفَّ خَصْرُها وَيَمَلُّ منها كُلُّ حِجْلٍ ودُمْلَجٍ

6_صحة المقابلات:

المقابلة لغة من (قبل) فيقال: «وقابل الشيءَ بالشيءِ مقابلةً وقبالاً: عارضه. والمقابلة: المواجهة، والتقابل مثله» ⁵.

ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر ولكن ما ذكرناه لها من معانٍ هو الأقرب إلى الاصطلاح وذلك لوجود مشابهة بينهما، وهي في الاصطلاح تعني: «أن يؤتى بمعنيين متوافقين أو بمعانٍ متوافقة ثم بما يقابلها على الترتيب، والمراد بالتوافق خلاف التقابل» ⁶.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص378. وعميلة بن عبد الدار: نسبة إلى جده أما أبوه فهو السياق بن عبد الدار. ينظر المقتضب من جمهرة النسب لياقوت المحفوظ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب المصرية تحت رقم2785تاريخ. من حاشية المحقق. والمفاقر هنا: الدواهي والهموم.

² - المصدر نفسه: ص378.

³ - عروة بن الورد والسموع: الديوانان، ص91.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص379.

⁵ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(قبل).

⁶ - بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ص126.

ونلاحظ أن البلاغيين قد اختلفوا في المقابلة، فبعضهم جعلها فنا مستقلا وبعضهم جعلها من الطباق، لأنها عبارة عن طباق متعدد، فالطباق إذا جاوز ضدّين صار مقابلة¹.

ويعدّ "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) من أوائل من تكلموا عن صحة المقابلات، وهي عنده من أنواع المعاني، قال: «ومن أنواع المعاني وأجناسها أيضا صحة المقابلات وهي أن يصنع الشاعر معاني يريد التوفيق بين بعضها وبعض، أو المخالفة، فيأتي في الموافق بما يوافق، وفي المخالف بما يخالف على الصحة، أو يشرط شروطا ويعدد أحوالا في أحد المعنيين فيجب أن يأتي فيما يوافقه بمثل الذي شرطه وعدده، وفيما يخالفه بأضداد ذلك»².

وأفرد لها "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) فصلا وعرفها بقوله: «المقابلة إيراد الكلام ثم مقابله بمثله في المعنى واللفظ على جهة الموافقة أو المخالفة»³.

وعدها "الباقلاني" (ت403هـ) من البديع وعرفها بقوله: «وهي أن يوفق بين معان ونظائرها والمضاد بضده»⁴.

وقال "ابن رشيق" (ت456هـ): «إن المقابلة بين التقسيم والطباق، وهي تتصرف في أنواع كثيرة، وأصلها ترتيب الكلام على ما يجب؛ فيعطى أول الكلام ما يليق به أولا، وآخر ما يليق به آخرا، ويأتي في الموافق بما يوافقه، وفي المخالف بما يخالفه. وأكثر ما تجيء المقابلة في الأضداد، فإذا جاوز الطباق ضدّين كان مقابلة»⁵. والملاحظ على "ابن رشيق" أنه راعى التقديم والتأخير، بمعنى ترتيب الكلام وانتظامه.

وعرفها "السكاكي" (ت626هـ) بقوله: «وهي أن تجمع بين شيئين متوافقين أو أكثر. وبين ضدّيهما، ثم إذا شرطت هنا شرطا شرطت هناك ضده»⁶.

وأدخلها "ابن الأثير" (ت637هـ) في الطباق وقال: «اعلم أن الأليق من حيث المعنى أن

1 - ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، ص126.

2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص133.

3 - العسكري: الصناعتين، ص337.

4 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص132.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص15.

6 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص424.

يسمى هذا النوع المقابلة»¹.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في مفهوم المقابلة إلا أنها تبدو أكثر إيضاحا عنده، فقد عرفها بقوله: «صحة المقابلات عبارة عن توخي المتكلم ترتيب الكلام على ما ينبغي، فإذا أتى بأشياء في صدر كلامه أتى بأضدادها في عجزه على الترتيب، بحيث يقابل الأول بالأول، والثاني بالثاني لا يخرم من ذلك شيئا في المخالف والموافق، ومتى أخلّ بالترتيب كان الكلام فاسد المقابلة، وقد تكون المقابلة بغير الأضداد»². فمفهوم المقابلة عنده مبني على ترتيب الكلام وانتظامه، فيأتي المتكلم بمعنيين أو أكثر في صدر الكلام ثم يأتي بما يقابلها في عجزه مراعيًا في ذلك التقديم والتأخير، وهو بهذا يتابع "ابن رشيق".

ويبدو أنّ "ابن أبي الإصبع المصري" أول من فرق بين المقابلة والمطابقة، ليظلّ لكل مصطلح مفهومه الواضح وخصوصياته التي يميّز بها عن الآخر، وذلك في قوله: «والفرق بين المقابلة والمطابقة من وجهين:

أحدهما أنّ المطابقة لا تكون إلا بالجمع بين ضدّين فدّين، والمقابلة تكون غالبا بالجمع بين أربعة أضداد: ضدّان في صدر الكلام، وضدّان في عجزه، وتبلغ إلى الجمع بين عشرة أضداد: خمسة في الصدر، وخمسة في العجز. والثاني أنّ المطابقة لا تكون إلا بالأضداد، والمقابلة تكون بالأضداد وبغير الأضداد»³.

وقال أيضا: «والمقابلة بالأضداد أفضل مراعاة للاشتقاق، لأنّ التقابل: التضاد والتناقض»⁴.

وتابعه "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) فيما ذهب إليه في هذا الباب_المفهوم وبعض الأمثلة_، وقد ردّ على من أدخل الفنين في باب واحد، في قوله: «المقابلة أدخلها جماعة في المطابقة، وهو غير صحيح، فإنّ المقابلة أعم من المطابقة، وهي التنظير بين شيئين فأكثر،

1 - ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص114.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص179. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص73.

3 - المصدران نفسهما: ص179. وص 31 ، 32.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص182.

وبين ما يخالف وما يوافق. فبقولنا وما يوافق، صارت المقابلة أعم من المطابقة، فإن التنظير بين ما يوافق ليس بمطابقة، وهذا مذهب زكي الدين بن أبي الإصبع»¹.
وبالانتقال إلى الشواهد التي أتى بها "ابن أبي الإصبع المصري" على المقابلة، وجدناها متنوعة كما عودنا.

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن من معجز هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ﴾ {سورة القصص، الآية 73}.

يقول محللاً الآية وموضحاً صحة المقابلة فيها: «فانظروا إلى مجيء الليل والنهار في صدر الكلام، وهما ضدّان، ومجيء السكون والحركة في عجز الكلام، وهما ضدّان، ومقابلة كل طرف منه بالطرف الآخر على الترتيب، وكيف عبّر سبحانه عن الحركة بلفظ الإرداف، فاستلزم الكلام ضرباً من المحاسن زائداً على المقابلة، والذي أوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ ابتغاء الفضل، كون الحركة تكون لمصلحة ولمفسدة، وابتغاء الفضل حركة للمصلحة دون المفسدة، ... والآية سيقت للاعتداد بالنعمة، فوجب العدول عن لفظ الحركة إلى لفظ هو ردفه وتابعه، ليتم حسن البيان»².

ويتابع "ابن أبي الإصبع المصري" تحليله للآية مستخرجاً منها كل الألوان البديعية الموجودة فيها، يقول: «فتضمنت هذه الكلمات التي هي بعض آية عدّة ضروب من المنافع والمصالح، والتي لو عدّدت بألفاظها الموضوعية لها لاحتاجت في العبارة عنها إلى ألفاظ كثيرة، فحصل في الكلام بهذا السبب عدّة ضروب من المحاسن، ألا تراه سبحانه جعل العلة في وجود الليل والنهار حصول منافع الإنسان، حيث قال: ﴿لِتَسْكُنُوا﴾ و﴿لِتَبْتَغُوا﴾ بلام التعليل، فجمعت هذه الكلمات المقابلة، والتعليل، والإشارة، والإرداف، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وحسن النسق، وحسن البيان، فلذلك جاء الكلام متلائماً آخذة أعناق بعضه بأعناق بعض، ثم أخبر بالخبر الصادق أن جميع ما عدّده من النعم بلفظه الخاص، وما تضمنته

¹ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص122.
² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 179 ، 180. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 73 ، 74.

العبارة من النعم التي تلزم من لفظ الإرداف بعض رحمته، حيث قال بحرف التبويض: ﴿ومن رحمته﴾ وكل هذا في بعض آية عدتها إحدى عشرة لفظة، فالحظ هذه البلاغة الظاهرة والفصاحة المتظاهرة؛ وفي ذكر هذه الآية الكريمة أتم غناء في هذا الباب»¹.

وقد استشهد على هذا اللون البديعي من السنة الشريفة بقوله صلى الله عليه وسلم: «ما كان الرفق في شيءٍ إلا زانه، ولا الخرق في شيءٍ إلا شانه»²، فقد قابل عليه الصلاة والسلام الرفق بالخرق، والزين بالشين بأحسن ترتيب وأتم مناسبة بين الرفق والخرق ولفظتي شانه وزانه³.

واستشهد عليه من الشعر بقول الشاعر يحسبه كثيرا في مقابلة الأضداد من أناشيد قدامة⁴:

فَوَاعَجَبَا كَيْفَ اتَّفَقْنَا فَنَاصِحُ وَفِيٍّ وَمَطْوِيٍّ عَلَى الْغِلِّ غَادِرُ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذا البيت بقوله: «فإن هذا الشاعر لما قدم ذكر النصح والوفاء في صدر البيت، قابلهما بذكر الغل والغدر في عجزه على الترتيب، لأن الغل ضدّ النصح، والغدر ضدّ الوفاء»⁵.

ثم ذكر أنه قد وقع في مقابلة الأضداد ما جمع بين ستة أضداد، وهو بيت أنشده أبو دلامة للمنصور، وقد سأله عن أشعر بيت في المقابلة فأنشده (البيسط)⁶:

مَا أَحْسَنَ الدِّينَ وَالدُّنْيَا إِذَا اجْتَمَعَا وَأَقْبَحَ الْكُفْرَ وَالْإِفْلَاسَ بِالرَّجْلِ

وقد بين "ابن أبي الإصبع المصري" المتقابلات في هذا الشاهد، ثم أثنى عليه في قوله: «فإن الشاعر قابل أحسن بأقبح، والدين بالكفر، والدنيا بالإفلاس، فجمع بيته ما لم يجمعه بيت قيل قبله في التقابل، ولا خلاف في أنه لم يقل قبله مثله»⁷.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص180. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص74.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص181.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص181.

4 - المصدر نفسه: ص181.

5 - المصدر نفسه: ص181.

6 - المصدر نفسه: ص181.

7 - المصدر نفسه: ص181.

وتابع كلامه: وأما بعده فقد غير المتبني في وجوه الناس بقوله (البسيط) ¹:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنتني وبياض الصبح يغري بي

فقد ذكر المتقابلات في قوله: « جمع بيته بين عشر متقابلات: قابل أزور بأنتني، وسواد ببياض، والليل بالصبح، ويشفع بيغري، ولفظة لي بلفظة بي على الترتيب، ولا أعلم في باب التقابل أفضل من هذا البيت لجمعه من المقابلات ما لم يجمعه بيت لشاعر قبله ولا بعده إلى يومنا هذا، مع ما فيه من تمكين القافية» ².

وقد رجح "ابن أبي الإصبع المصري" بيت المتبني على بيت أبي دلامة بكثرة المقابلة وتمكين القافية، لأن قافية أبي دلامة مستدعاة؛ لأن ما ذكره غير مختص بالرجال، حيث يقول: «بخلاف البيت الذي أنشده أبو دلامة، فإن قافيته مستدعاة لكون حسن الأشياء التي ذكرها، وقبحها لا يختص بالرجل دون المرأة، والمعنى قد تم بدون ذكر الرجل، ولو كان لما اضطر إلى القافية التي أفاد بها معنى زائدا بحيث يقول: بالبشر لكان البيت نادرا» ³.

كما فضل بيت أبي دلامة على بيت المتبني بجودة المقابلة، في قوله: «غير أن المقابلة التي في البيت الذي أنشده أبو دلامة أفضل من المقابلة التي في بيت أبي الطيب، لأن المقابلة في البيت الأول بالأضداد، والتي في بيت المتبني بالأضداد وبغير الأضداد، والمقابلة بالأضداد أفضل مراعاة للاشتقاق، لأن التقابل: التضاد والتناقض، فبيت المتبني فضل بالكثرة والبيت الأول أفضل بجودة المقابلة» ⁴.

فالتقابل إذا يشكل إيقاعا خفيا في دلالات الألفاظ وصورها المكانية ⁵.

7_ العكس والتبديل:

العكس لغة من (عكس)، فيقال: «عكس الشيء يعكسه عكسا فانعكس: ردّ آخره على

أوله» ⁶.

1 - المتبني: الديوان، ص183.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص 181 ، 182.

3 - المصدر نفسه: ص182.

4 - المصدر نفسه: ص182.

5 - ينظر: محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ص219.

6 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(عكس).

والتبديل من (بدل)، فيقال: «تبدّل الشيء وتبدّل به واستبدله واستبدل به، كلّه: تخذ منه

بدلاً. وتبديل الشيء: تغييره وإن لم تأت ببديل»¹.

وقد نقل المعنى اللغوي وهو ردّ آخر الشيء على أوله على المشابهة إلى الاصطلاح فأطلق على عكس الألفاظ وتبديلها بمعنى ردّ آخرها على أولها، أي تبديل مواقع الألفاظ الأول بالآخر والآخر بالأول .

أطلق عليه "العسكري" (ت395هـ) اسم العكس، وعرفه بقوله: «أن تعكس الكلام فتجعل في الجزء الأخير منه ما جعلته في الجزء الأول»².

وعرفه تعريفاً آخر وهو: «أن يذكر المعنى ثم يعكسه إيراد خلاف. كقول صاحب بن عباد: وتسمى شمس المعالي وهو كسوفها»³.

وقال "ابن رشيق" (ت456هـ) في باب التصدير: «ومن التصدير نوع سماه عبد الكريم المضادة»⁴، ولم يعرفه، ولكن الشاهد يحيل إلى أن يكون إلى جانب التصدير في البيت تضاد⁵،

ومثّل له بقول الفرزدق⁶:

أَصْدِرْ هُمُومَكَ لَا يَغْلِبُكَ وَاوْدُهَا فُكُلٌ وَاوْدَةٌ يَوْمًا لَهَا صَدْرٌ

ثم قال: «ويقاربه من كلام المحدثين قول ابن الرومي:

رِيحَانُهُمْ ذَهَبٌ عَلَى دُرِّ وَشَرَابُهُمْ دُرٌّ عَلَى ذَهَبٍ

والكُتَّابُ يسمون هذا النوع التبديل، حكاه أبو جعفر النحاس»⁷.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (بدل).

2 - العسكري: الصناعتين، ص371.

3 - المصدر نفسه: ص372.

4 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص4.

5 - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص103.

6 - الفرزدق: الديوان، ص165.

7 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص4.

وذكر "ابن رشيق" العكس وعدّه من أنواع السرقات، وقال: «فإن جعل مكان كل لفظه
ضدها فذلك هو العكس»¹، بمعنى أن يأخذ الشاعر شعر غيره ويجعل مكان كل لفظه
ضدها فيعكس معنى البيت².

وسماه "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) التبديل، وقال عنه: «ومما يجري مجرى المطابق
أن يقدم في الكلام جزء ألفاظه منظومة نظاما ويتلى بآخر يجعل فيه ما كان مقدما في الأول
مؤخرا في الثاني وما كان مؤخرا مقدما، وقد سمي قدامة بن جعفر الكاتب هذا الفن_
التبديل»³.

وذكر "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) أن التقديم والتأخير له فوائد كثيرة لأنه يدل على
كثير من المعاني بسبب ما فيه من تكرار وتبديل للفظ، حيث يقول: «هو باب كثير الفوائد،
جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتّر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى
لطيفة، ولا تزال ترى الشعر يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعه، ثم تنظر فتجد سبب أن
راقك ولطف عندك أن قدّم فيه شيء وحول اللفظ من مكان إلى مكان»⁴.

وأطلق عليه "ابن منقذ" (ت584هـ) العكس، وعرفه بقوله: «أن تأتي الجملتان إحداها
عكس الأخرى»⁵.

وجعله "ابن الأثير" (ت637هـ) القسم الرابع من المشبه بالتجنيس وسماه "المعكوس" وهو
عنده نوعان: أحدهما عكس الألفاظ، والثاني عكس الحروف. قال عن عكس الألفاظ: «وهذا
الضرب من التجنيس له حلاوة، وعليه رونق، وقد سماه قدامة بن جعفر الكاتب (التبديل)
وذلك اسم مناسب لسماه، لأن مؤلف الكلام يأتي بما كان مقدّمًا في جزء كلامه الأول
مؤخرا في الثاني، وبما كان مؤخرا في الأول مقدّمًا في الثاني، ومثله قدامة بقول بعضهم:
أشكر لمن أنعم عليك، وأنعم على من شكرك»⁶.

1 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص282.

2 - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص179.

3 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص203، 204.

4 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص106.

5 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص46.

6 - ابن الأثير: المثل السائر، ج1، ص273، 274.

أمّا "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد قرن العكس مع التبديل في باب واحد سماه "العكس والتبديل" وعرفه بتعريفين:

الأول ما جاء في كتاب "تحرير التحبير" وهو مخالف لما جاء عند أسلافه، إذ يقول: «وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى لنفسه، أو لغيره فيعكسه»¹. فالعكس والتبديل هنا في المعنى لا في اللفظ كما هو معروف، والأولى به أن يلحق بالسرقات لأن الضد يقابله الضد². وقد استشهد على ما عكس الشاعر من المعاني لغيره بقول أبي العتاهية يشبه الرايات بالسحاب (الوافر)³:

وريات يَحَلُّ النصرُ فيها تمرُّ كأنها قِطْعُ السَّحَابِ

فَعكسه عليّ بن الجَهْمُ فقال يشبه السحابة بالرايات (الطويل)⁴:

فَمَرَّتْ تَفُوقُ الطَّرْفِ حَتَّى كَانَهَا جنودُ عُبَيْدِ اللَّهِ وَلَّتْ بِنُودِهَا

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت الثاني بقوله: «وما أدري كيف وصف ابن الجهم جنوداً ممدوحه بالتولّي في الحرب، وهو من صفات الذم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿فَلَا تُولُوهُمْ الْأَدْبَارَ﴾ {سورة الأنفال، الآية 15}»⁵.

ومثل على ما عكس الشاعر معنى نفسه بقول أحدهم (الخفيف)⁶:

وَإِذَا الدَّرَّ زَانَ حُسْنِ نِسَاءٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهَكَ زِينًا

ومثله قول الآخر (الطويل)⁷:

مَنْعَمَةُ الْأَطْرَافِ زَانَتْ عَقُودَهَا بِأَحْسَنَ مِمَّا زَيَّنَتْهَا عُقُودُهَا

كما جاء ببعض أبيات من الشعر وآية قرآنية في آخر هذا الباب _ تصلح للعكس والتبديل اللفظي، نذكر من الشعر قول عبد الله بن الزبير الأسدي (الوافر)⁸:

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص318.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص318 من حاشية المحقق.

3 - أبو العتاهية: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1986م، ص65.

4 - العسكري: الصناعتين، ص459. وابن طباطبا: عيار الشعر، ص121. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص318.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص318.

6 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج3، ص356. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص319.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص319.

8 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص6. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص320.

رَمَى الْحَدِثَانُ نِسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِمِقْدَارِ سَمْدَنْ لَهُ سُمُودَا
فَرَدَّ شَعُورَهُنَّ السُّودَ بِيضًا وَرَدَّ وُجُوهَهُنَّ الْبِيضَ سُودَا

يعلق على البيت الأخير بقوله: «وقد استشهد قوم بهذا البيت على المطابقة، وهو بهذا الباب أولى لما فيه من عكس مطابقة عجزه لصدره، وتبديل الطباق في العجز»¹.

وقد استشهد على هذا الباب من الكتاب العزيز، بقوله تعالى: ﴿مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ﴾ {سورة الأنعام، الآية 52}².

أما تعريفه الثاني فقد جاء في كتاب "بديع القرآن"، وقد تابع فيه أسلافه، يقول: «وهو أن يوتى بكلام آخره عكس أوله، كأنه بدل فيه الأول بالآخر، والآخر بالأول»³.

أما عن شواهده فقد كانت كلها من الكتاب العزيز، حيث استشهد بالآية السابقة، وكذلك قوله تعالى: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ﴾ {سورة الممتحنة، الآية 10}، فجاء في نظم هذه الكلمات إضافة إلى العكس والتبديل أحد أنواع التصدير، وحسن الجوار، وذلك لوقوع لفظة (هنّ) في أول الكلام وآخره، ووقوع لفظة (هم) مجاورة لمثلها في وسط الكلام⁴.

ثم ذكر أنه جاء من هذا الباب نوع غير الأول وهو قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ نَقِيرًا، وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُسْلِمٌ﴾ {سورة النساء، الآيتان 124، 125}، فنظم الآية الأخيرة عكس نظم الآية الأولى، وذلك لتقديم العمل في الأولى عن الإيمان، وتأخره في الثانية عن الإسلام، وهذا تبديل اللفظ في الوضع المستلزم تبديل المعنى⁵.

وبهذا فالعكس والتبديل عند "ابن أبي الإصبع المصري" نوعان: الأول في المعنى والثاني في اللفظ.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 320.

2 - المصدر نفسه: ص 320.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 111.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص 111.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص 111 ، 112.

ويتحقق عنصر الإيقاع في العكس والتبديل (اللفظي) من خلال التوازن الذي يأتي عن طريق التنظيم العكسي للألفاظ، فنتج بذلك بنية فنية من تركيب ودلالة وإيقاع.

الباب الثاني

مصطلحات حقل التركيب

تمهيد.

الفصل الأول: مصطلحات أقسام الكلام.

الفصل الثاني: مصطلحات التنوع في الأسلوب.

الفصل الثالث: مصطلحات التماسك النصي.

الفصل الرابع: مصطلحات الحجاج العقلي.

تمهيد:

يرتكز الجانب التركيبي داخل النص الأدبي على الصياغة اللغوية التي تتعدد بدورها، لأنها تتعرض للتغيير والتبديل فتفتح لصياغة الجملة آفاقا واسعة، كانسجام وترتيب مكوناتها من تقديم وتأخير، وقلب وإبدال، أو ذكر وحذف، أو إطناب وإيجاز ومساواة، أو وصل وفصل، أو دخول أداة أو جملة بين جملتين، فينتج عن ذلك تركيب فني للجملة يرتبط من خلاله « المعنى الجزئيات التركيب ومواطن استعمالها، كما يرتبط بما بين الجزئيات من علاقات خلقها هذا المقام، وعلى هذا الأساس يرتفع الكلام في باب الحسن والقبول، أو ينحط في ذلك لوروده على الاعتبارات غير المناسبة»¹.

والذي لا بد منه، هو أن تخضع هذه التراكيب ومصطلحاتها في دراستها إلى «المنهج الذي يعكف على الكلمة والتركيب يتأمل ظاهرها وباطنها، ومنطوقها ومفهومها، وإشارات القربى والبعيدة وما ينبثق منها من إشعاعات متوهجة، أو إيماضات خفية، ثم ما يستكن وراء هذه العلاقات حيث تحتك الكلمة بالكلمة، وما وراء هذا الاحتكاك من فيوضات معنوية»².

¹ - محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص266.

² - محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكيب دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1987، م2، ص25.

الفصل الأول

مصطلحات أقسام الكلام

1_ الاحتراس:

الاحتراس مشتق من مادة (حرس) فيقال: «حرس الشيء يحرسه ويحرسه حرساً: حفظه، واحترس منه: تحرّز. وتحرستُ من فلان واحترست منه بمعنى أي تحفظت منه»¹، ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر، ولكن ما ذكرناه لها من معانٍ هو الأقرب إلى الاصطلاح، وذلك لوجود مشابهة بينهما. وهي في الاصطلاح تعني: «أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه فيه دَخْلٌ فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك»².

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) في باب إصابة المقادير مفهوماً قريباً من مفهوم الاحتراس، فقال: «ويذكرون الكلام الموزون ويمدحون به، ويفضلون إصابة المقادير، ويذمون الخروج من التعديل»³، ومثل له بعدة أمثلة.

وسماه "ابن رشيق" (ت456هـ) "التتميم"، وعرفه بقوله: «أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أوردته وأتى به، إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير»⁴. فهو عنده من تتميم المعنى الذي يتحقق بالمبالغة، أو الاحتراس والاحتياط وإن كان حذفه لا ينقص من المعنى شيئاً.

وأطلق عليه "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) اسم "التحرز"، وعرفه بقوله: «أن يأتي بكلام لو استمر عليه لكان فيه طعن، فيأتي بما يتحرز من ذلك الطعن»⁵. فالمتكلم يتحرز مما يوجبه الطعن عليه.

وقد اتفق معظم البلاغيين على تسمية هذا المصطلح احتراساً_ ماعدا بعضهم، وعرفوه بمثل تعريف "ابن سنان الخفاجي"، وفرّقوا بينه وبين التتميم والتكميل⁶.

قال "ابن منقذ" (ت584هـ) في تعريفه: «هو أن يكون على الشاعر طعن، فيحترس

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (حرس).
2 - ابن حجة الحموي: خزائن الأدب وغاية الأرب، ج2، ص921.
3 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص227.
4 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص50.
5 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص273.
6 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص65.

منه»¹.

ولا يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" عما قاله "ابن سنان الخفاجي" و"ابن منقذ" وسماه "الاحتراس" وعرفه بقوله: «هو أن يأتي المتكلم بمعنى يتوجه عليه دَخْلٌ، فيفطن له، فيأتي بما يخلصه من ذلك»².

وقد استشهد على الاحتراس من الكتاب العزيز، بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة هود، الآية 44}، فالله سبحانه وتعالى لما أخبر بهلاك من هلك بالطوفان، أعقبه بالدعاء على الهالكين، فوصفهم بالظلم، احتراسا من ضعيف يتوهم أن العذاب ربما شمل من لا يستحقه، فلما دعا على الهالكين ووصفهم بالظلم علم استحقاتهم لما نزل بهم، وظهر من ذلك صدق وعده لنبيه نوح _ عليه السلام _، وأعلمنا أنه قد أنجزه وعده الذي قال فيه: ﴿وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ﴾ {سورة هود، الآية 37}³.

وذكر أن أعجب احتراس وقع في الكتاب الكريم، قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ الْأَمْرَ﴾ {سورة القصص، الآية 44}، فإنه _ سبحانه _ لما نفى عن رسوله _ صلى الله عليه وسلم _ كونه بالمكان الذي قضى لكليمه _ عليه السلام _ الأمر، عرّف المكان بالجانب الغربي، ولم يصفه باليمين، كما قال في الإخبار عن موسى _ عليه السلام _: ﴿وَنَادَيْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ﴾ {سورة مريم، الآية 52}، أدبا مع نبيه وحبيبه محمد _ صلى الله عليه وسلم _ أن ينفي عنه كونه بالجانب الأيمن، ولما أخبر عن موسى _ عليه السلام _ ذكر الجانب الأيمن تشريفا له، فالمرح هذا الاحتراس من بلاغة القرآن الكريم⁴.

أما عن شواهد الشعرية على الاحتراس ، فكقول الخنساء في أخيها صخر (الوافر)⁵:

وَلَوْلَا كَثْرَةُ الْبَاكِينَ حَوْلِي عَلَىٰ إِخْوَانِهِمْ لَقَتَلْتُ نَفْسِي

1 - أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص55.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص245، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص93.

3 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص246. وص 93 ، 94.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 246 ، 247. وص94.

5 - الخنساء: الديوان، ص72.

يقول معلقا على البيت: «ثم تخيلت أن قائلا قال لها: لقد ساويت أخاك بالهالكين من إخوان الناس، فكيف أفرطت في الجزع عليه دونهم؟، فاحترست من ذلك»¹، تقول محترسة (الوافر)²:

وَمَا يَبْكَونَ مِثْلَ أَخِي وَلَكِنْ أَعَزِّي النَّفْسَ عَنْهُ بِالتَّاسِي

وعليه، فالاحتراس عند "ابن أبي الإصبع المصري" هو أن يفتن المتكلم وقت العمل لكلامه من أن يأتي مدخولا بعيب من جهة دلالة منطوقه، أو فحواه، فيأتي بكلام آخر يزيل ذلك الوهم ليحافظ على المعنى من كل ما يفسده.

وقد أوضح "ابن أبي الإصبع المصري" الفرق بين الاحتراس والتكميل والنتيم في قوله: «إنَّ المعنى قبل التكميل صحيح تام، ثم يأتي التكميل بزيادة يكمل بها حسنه إما بفن زائد أو بمعنى، والنتيم يأتي ليتَمَّ نقص المعنى ونقص الوزن معا، والاحتراس لاحتمال دَخَل على المعنى، وإن كان تاما كاملا، ووزن الكلام صحيحا، وقد جعل ابن رشيقي الاحتراس نوعا من التتميم، وسوّى بينهما، وقد ظهر الفرق بينهما، فجعلهما في باب واحد غير سائغ»³.

وفَرَّق بين الاحتراس والمواربة، فقال: «والفرق بينه وبين المواربة بالراء المهملة أيضا، أن الاحتراس يؤتى به وقت العمل عندما يتقطن المتكلم لموضع الدَّخَل، والمواربة يؤتى بها وقت العمل، وبعد صيرورة الكلام، والمواربة بالراء المهملة، تكون بالتصحيف والتحريف واهتمام الكلمة، والزيادة والنقص، والاحتراس بزيادة الجمل المفيدة المتضمنة معنى الانفصال عما يحتمله الكلام من الدَّخَل، والمواربة تكون في نفس الكلام وتكون منفصلة عنه. والاحتراس لا يكون إلا في نفس الكلام»⁴.

ثم فرق بينه وبين المناقضة والانفصال، قال: «والفرق بين الاحتراس، والمناقضة والانفصال، أن الاحتراس هو ما فطن له الشاعر أو الناثر وقت العمل فاحترس منه.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص248.

2 - الخنساء: الديوان، ص72.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص245.

4 - المصدر نفسه: ص 245 ، 246.

والانفصال ما لم يفطن له حتى يدخل عليه، فيأتي بجملة من الكلام، أو بببيت من الشعر
ينفصل به عنه ذلك الدخـل»¹.

2_ الاستقصاء:

الاستقصاء في اللغة من (قصا)، جاء في اللسان: «قصا عنه قصوا وقصوا وقصا
وقصاء : بعدً، والقُصوى والقُصيا: الغاية البعيدة. وتقصيت الأمر واستقصيته واستقصى فلان
في المسألة وتقصى بمعنى»².

وقد نقل "ابن أبي الإصبع المصري" هذا المعنى على سبيل المشابهة، فأطلقه على بلوغ
الغاية في المعنى، فقال: «وهو أن يتناول الشاعر معنى فيستقصيه إلى أن لا يترك فيه
شيئاً»³، هذا التعريف في "تحرير التحبير"، أما في "بديع القرآن" فقال: «وهو أن يتناول
المتكلم معنى فيستقصيه فيأتي بجميع عوارضه، ولوازمه، بعد أن يستقصي جميع أوصافه
الذاتية، بحيث لا يترك لمن يتناوله بعده فيه مقالا يقوله»⁴، الملاحظ أن التعريف الذي جاء
به في "بديع القرآن" أدق وأشمل، ذلك أن الاستقصاء يكون في النظم والنثر.

واستشهد على هذا المصطلح من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿أَيُّدٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ
جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ
ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ (سورة البقرة، الآية 266).

يُعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية الكريمة موضِّحاً المعنى بحيث لم يبق فيه
بقية لأحد، بحيث يقول: وذلك أنه سبحانه لو اقتصر على قوله: «جَنَّةٌ» لكان كافياً، لكنه لم
يقف عند ذلك فقال في تفسيرها: «من نخيل وأعنان»، ثم لم يقف عند ذلك حتى تم وصفها
بقوله: «تجري من تحتها الأنهار»، ثم كَمَّلَ وصفها بعد التتميمين بأن قال سبحانه: «له فيها
من كل الثمرات» فقد أتى على كل ما في الجنان ليشدد الأسف على إفسادها، وقال في
وصف صاحبها «وأصابه الكبر»، ثم استقصى المعنى بما يوجب تعظيم المصاب بقوله: «وله

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 246.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (قصا).

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 540.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 247.

ذرية ضعفاء»، ثم ذكر استئصالها بالهلاك في أسرع وقت إذ قال: «فأصابها إحصار فيه نار»، ثم أكد احتراقها للاحتراس من أن تكون النار ضعيفة لا تفي بذلك فقال «فأحترقت»¹. ثم قال "ابن أبي الإصبع المصري": «وهذا أحسن استقصاء وقع في كلام، وأتمه وأكمله»². وقد استشهد عليه من الشعر بقول "البحثري" في وصف الإبل التي براها السير والسرى وأنضاهها مكابدة جذب البرى، فقال فيها ما أجمع الناس على تقديمه في بابه، وهو قوله (الخفيف)³:

كالقسيِّ المعطّفات بل الأسد هم مبرية بل الأوتار

وقد استقصى "ابن أبي الإصبع المصري" المعنى في هذا البيت، حيث لم يترك فيه قولاً لقائل، فإن هذا البيت جمع التشبيه، والتتيم في موضعين، وحسن النسق، والتهديب، والإيغال، لأنه شبه هذه الركائب بالقسيّ، وهو من التشبيه البليغ الذي ما وراءه مطمع، ثم تم معنى الوصف ليقع التشبيه من أكثر الوجوه التي يقرب بها المشبه من المشبه من المشبه به، فقال: «المعطّفات» لما في خلق الإبل من الحذب والانحناء، فكان التشبيه أوقع والمعنى في الوصف أتم، ثم انتقل على مقتضى طريق البلاغة من الأدنى إلى الأعلى، فنسبها بعد التشبيه بالقسيّ إلى الأسهم، لأنها أنحف، ثم تم معنى الوصف فقال: «مبرية»، ثم انتقل من الأسهم مبرية إلى «الأوتار» التي هي أنحف من الأسهم، فوصف بذلك الكلام بالتهديب، ونسق جمل البيت بلفظة «بل» التي للإضراب؛ ليشير إلى أنه غلط أولاً في تشبيهها بالقسي، فشبهها بالأسهم، ثم تبين أنه غلط أيضاً، فانتقل إلى تشبيهها بالأوتار، وجعل الأوتار قافية لشدة مشابهتها بتلك الركائب، وأقرب إليها من كل ما تقدم من الكلام، ولم يخرج عن الألفاظ الملائم بعضها لبعض، ليأتي الكلام موصوفاً بالانتلاف، إذ الأسهم من أنسب الأشياء للقسيّ، والأوتار أنسب وأقرب إليها، وهذا أفضل بيت وقع فيه الاستقصاء لمولد⁴.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 249، 250.

2 - المصدر نفسه: ص 250.

3 - البحتري: الديوان، مج 2، ص 987.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 542.

وقد تحدث "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) عن الاستقصاء في التشبيه فقال عنه: «ويشبه هذا الموضع في زيادة أحد التشبيهين مع أن جنسهما واحد وتركيبهما على حقيقة واحدة بأن في أحدهما فضل استقصاء ليس في الآخر، قول ابن المعتز في الأذريون (من الطويل):

وظاف بها ساقٍ أديبٍ بمبزلٍ كخنجر عيارٍ صناعته الفتكُ
وحمل آذريونة فوق أذنه ككأس عقيق في قرارتها مسكُ

مع قوله:

مداهن من ذهب فيها بقايا غالية

الأول ينقص عن الثاني شيئاً، وذلك أن السواد الذي في باطن الآذريونة الموضوع بإزاء الغالية والمسك فيه أمران:

أحدهما: أنه ليس بشامل لها. والثاني أن هذا السواد ليس صورته صورة الدرهم في قعرها أعني أنه لم يستدر هناك بل ارتفع من قعر الدائرة حتى أخذ شيئاً من سمكها من كل الجهات وله في منقطعه هيئة تشبه آثار الغالية في جوانب المدهن إذا كانت بقية بقيت عن الأصابع. وقوله: «في قرارتها مسك» يبيّن الأمر الأول ويؤمّن دخول النقص عليه كما كان يدخل لو قال: «ككأس عقيق فيها مسك» ولم يشترط أن يكون في القرارة. وأما الثاني من الأمرين فلا يدل عليه كما يدل قوله: «بقايا غالية» وذلك أن من شأن المسك والشيء اليابس إذا حصل في شيء مستدير له قعر أن يستدير في القعر ولا يرتفع في الجوانب الارتفاع الذي تراه في سواد الآذريونة، وأما الغالية فهي رطبة ثم هي تؤخذ بالأصابع، وإن كان كذلك فلا بد في البقية منها من أن تكون قد ارتفعت عن القرارة وحصلت بصفة شبيهة بذلك السواد، ثم هي لنعومتها ترق فتكون كالصبغ الذي لا جرم له يملك المكان وذلك أصدق للتشبه»¹.

¹ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص 176 ، 177.

وبمقارنة ماجاء به "ابن أبي الإصبع المصري" في باب الاستقصاء وما جاء به "عبد القاهر الجرجاني" نجد بعض التقارب خاصة في تناول المعنى واستقصائه، أما من جهة المفاهيم فالأول أدق وأشمل من الثاني الذي اختصه صاحبه بالتشبيه فقط، ولهذا يُعدّ ابن أبي الإصبع المصري" مبتدعا لفن الاستقصاء.

وقد نقل كل من "ابن الأثير الحلبي" و"السيوطي" (ت911هـ) تعريف وأمثلة "ابن أبي الإصبع المصري" للاستقصاء، وقال عنه "السبكي" إنه قريب من مراعاة النظير¹. وفرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الاستقصاء والتتميم والتكميل، في قوله: «والفرق بين الاستقصاء والتتميم، والتكميل كون التتميم يرد على معنى ناقص فيتمم بعضه، والتكميل يرد على التام فيكمل وصفه، والاستقصاء له مرتبة ثالثة، فإنه يرد على الكامل فيستوعب كل ما تقع عليه الخواطر من لوازمه، بحيث لا يترك لأخذه مجالا لاستحقاقه من هذه الجملة»².

3_ الانفصال:

الانفصال لغة من (فصل)، يقال: «فصلتُ الشيءَ فانفصل، أي قطعتَه فانقطع»³، وهذا هو المعنى الأقرب إلى الاصطلاح لما بينهما من المشابهة. وهو من الفنون البلاغية التي ابتدعها "ابن أبي الإصبع المصري"⁴، وقد عرفه بقوله: «هو أن يقول المتكلم كلاما يتوجه عليه فيه دَخَل إذا اقتصر عليه، فيأتي بعده بما ينفصل به عن ذلك إما ظاهرا أو باطنا يظهره التأويل»⁵.

وقد استشهد عليه بشواهد من القرآن الكريم والشعر، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَلُكُمْ﴾ {سورة الأنعام، الآية 38}. يحلّل "ابن أبي الإصبع المصري" الآية موضحا الانفصال، في قوله: إن جملة قوله تعالى: ﴿يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ﴾ لا فائدة من الإتيان بها ظاهرا، إذ كل طائر يطير بجناحيه، وهذا

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها: ج1، ص196.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص543. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص251.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل).

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص336. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص326 من حاشية المحقق.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص609. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص326.

إخبار بمعلوم، والانفصال عن ذلك أن يقال: إنه سبحانه وتعالى أراد وهو أعلم بمراده أن يدمج في هذا الخبر النهي عن قتل الحيوان الذي لا يؤذي عبثاً، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿إلا أمم أمثالكم﴾ ففي مساواته بين ذلك وبين المكلفين في قوله تعالى: ﴿أمم أمثالكم﴾ إشارة إلى أن الإنسان يدان بكل ما يفعله مع كل جسم قابل للحياة، وفي دواب الأرض ما لا حرج على قاتله.

يتابع تحليله بقوله: وكذلك ما يطير فإن فيما يطير ما يطير بغير جناح حقيقي كالذباب والبعوض والنمل والعقارب والجعلان وسائر الهَمَج، فأراد تبيين الصنف من هذا النوع وهو أشرف أصنافه الذي امتن سبحانه على نبيه داود عليه السلام _ بتسخيره له، وعلى ابنه سليمان بتعليم منطقته، وقال فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم _ مصرحاً بأن الإنسان يدان به «من قتل عصفورا عبثاً» فخصص هذا الصنف بصفة مميزة له من بقية الأصناف، فقال: ﴿يطير بجناحيه﴾ لأنه لا يُطلق الجناح حقيقة إلا على العضو الذي له ريش وقصب وأباهر وخوافي وقوادم ليستدل بكون هذا الصنف من بين جميع أصناف الطائر هو المقصود بالنهي عن قتله وتعذيبه، على أن المراد بالدابة المذكورة في صدر الآية هي الصنف الشريف من أصناف الدواب، لتخرج الحشرات من ذلك النوع، كما خرجت الهمج من نوع الطائر بتميز الصنف المشار إليه منه، واكتفى بتبيين الثاني عن تبيين الأول لعلمه أن العارف بترتيب نظم الكلام يقيس الأول منه على الثاني¹.

أما فيما يخص الشواهد الشعرية فقول أبي فراس (مجزوء الرمل)²:

ت من النَّاسِ تُعَدُّ	في حِرَامِ النَّاسِ إِنْ كُنْ
س إِذَا رَأَى يَصُدُّ	وَلَقَدْ نُبِيتُ إِبْلِيْـمَ
ثَقَلْتُ فِيكَ وَبَرْدُ	لَيْسَ مِنْ تَقْوَى وَلَكِنْ

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 326 ، 327.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 610.

يقول معلقا على هذه الأبيات: «فإن أبا فراس لو اقتصر على البيت الثاني لكان الهجاء فيه غير مخلص، وكان يتوجّه دَخَلَ بسبب احتمال البيت للمدح، والإتيان به في معرض الهجو، فانفصل عن هذا الدخَل بالبيت الثالث»¹.

وفزق ابن أبي الإصبع المصري "بين الانفصال والاحتراس في قوله: «والفرق بينه وبين الاحتراس عموم الاحتراس وخصوص هذا الباب، لأن البيت المدخول من هذا الباب يكون الدخَل المتوجّه عليه من جهة كونه صالحا لزيدين من الفنون، وهو في سياق أبيات مقصودة في فن واحد منهما، والاحتراس يكون بيته مدخولا من هذا الوجه وغيره»².

4_ الإيجاز:

للإيجاز في اللغة معان عدة، أهمها: القلة والسرعة والاختصار، قال ابن منظور: «وَجَزَّ الكلامُ وجازةً ووجزا وأوجز: قل في بلاغة، وأوجزه: اختصره، وأوجزت الكلام: قصرته. ورجل وجز: سريع الحركة فيما أخذ فيه، وأوجز القول والعطاء: قلله»³.

وقد نقل هذا المعنى على المشابهة إلى الاصطلاح، فأصبح يعني: «أن يكون اللفظ أقل من المعنى مع الوفاء به»⁴. بمعنى إيراد المعاني الكثيرة بألفاظ قليلة من غير إخلال بالمعنى.

كان العرب لا يميلون إلى الإطالة ويعدون الإيجاز هو البلاغة⁵.

يعتبر الإيجاز من الخصائص الأسلوبية التي تمتاز بها اللغة العربية، يقوم عليه تركيب الجملة ليؤدي معنى بليغا.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) الإيجاز في مواضع عدة في معرض حديثه عن البلاغة، وعرفه عندما تحدث عن إيجاز الرسول صلى الله عليه وسلم قال: «إنه قلة عدد اللفظ مع كثرة المعاني»⁶، وأورد تعريف "صحرار بن عياش العبدي له" عندما سأله "معاوية": «ما

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص610.

2 - المصدر نفسه: ص610.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (وجز).

4 - أحمد مطلوب وحسن البصير: البلاغة والتطبيق، ص179.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص344.

6 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص28.

تعدون البلاغة فيكم؟، قال: الإيجاز، قال له معاوية: وما الإيجاز؟، قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ»¹.

وقال "الجاحظ" أيضا: «وأحسن الكلام ما كان قليله يغنيك عن كثيره»².

وقد جعله "الرماني" (ت386هـ) القسم الأول من أقسام البلاغة، وعرفه بقوله: «الإيجاز تقليل الكلام من غير إخلال بالمعنى، وإذا كان المعنى يمكن أن يعبر عنه بألفاظ كثيرة ويمكن أن يعبر عنه بألفاظ قليلة، فالألفاظ القليلة إيجاز. والإيجاز على وجهين: حذف وقصر، فالحذف إسقاط كلمة للاجتزاء عنها بدلالة غيرها من الحال أو فحوى الكلام. والقصر بنية الكلام على تقليل اللفظ وتكثير المعنى من غير حذف»³.

تحدث "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) عن الإيجاز وفضله على الإطالة، قال في تعريفه: «الإيجاز قصور البلاغة على الحقيقة، وما تجاوز مقدار الحاجة فهو فضل داخل في باب الهدر والخطل، وهما من أعظم أدواء الكلام، وفيهما دلالة على بلادة صاحب الصناعة ... وفي تفضيل الإيجاز يقول جعفر بن يحيى لكتابه: إن قدرتم أن تجعلوا كتبكم توقيعات فافعلوا»⁴. كما ساوى بين الإيجاز والبلاغة وجعلهما في منزلة واحدة، قال: «وقد قيل لبعضهم: ما البلاغة؟ فقال: الإيجاز. قيل: وما الإيجاز؟ قال: حذف الفضول، وتقريب البعيد»⁵.

وأخذ "ابن رشيق" (ت456هـ) مفهوم الإيجاز من "الرماني" مع تغيير بسيط في العبارة، قال في تعريفه: «هو العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف»⁶.

وعَدَّ ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) الإيجاز من شروط الفصاحة والبلاغة، في قوله: «ومن شروط الفصاحة والبلاغة الإيجاز والاختصار وحذف فضول الكلام، حتى يعبر

1 - الجاحظ: البيان والتبيين: ج1، ص96. وينظر: الجاحظ: الحيوان، ج1، ص90، 91.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص83.

3 - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص76.

4 - العسكري: الصناعتين، ص173.

5 - المصدر نفسه: ص173.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص250.

عن المعاني الكثيرة بالألفاظ القليلة، وهذا الباب من أشهر دلائل الفصاحة وبلاغة الكلام عند أكثر الناس»¹.

وسماه "الإشارة" وقال عنه: «هو أن يكون المعنى زائداً على اللفظ، أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة»².

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) فقد عرفه بقوله: «لا معنى للإيجاز إلا أن يدل بالقليل من اللفظ على الكثير من المعنى، وإذا لم تجعله وصفاً للفظ من أجل معناه، أبطلت معناه، أعني أبطلت معنى الإيجاز»³، فهو لا يطلق الإيجاز صفة للفظ دون المعنى.

وأطلق عليه "ابن منقذ" (ت584هـ) اسم التضييق وجمعه مع مصطلحي التوسيع والمساواة في باب واحد، وعرفه بقوله: «هو أن يضيق اللفظ عن المعنى، لكون المعنى أكثر من اللفظ»⁴.

وتكلم عنه مرة أخرى في باب الإسهاب والإطناب والاختصار والاقتصار⁵.

وقد جمع "السكاكي" (ت626هـ) الإيجاز والإطناب في باب واحد وجعلهما من الأمور النسبية التي تختلف من شخص لآخر، واعتبر متعارف الأوساط مقياساً لذلك، قال في تعريفهما: «فالإيجاز: هو أداء المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط. والإطناب هو أدائه بأكثر من عباراتهم، سواء كانت القلة أو الكثرة راجعة إلى الجمل أو إلى غير الجمل»⁶.

وجعله "ابن الأثير" (ت637هـ) من الصناعة المعنوية ووقف عند أقسامه وجزئياته، وحدّه بقوله: «هو دلالة اللفظ على المعنى، من غير أن يزيد عليه»⁷.
وقسمه قسمين⁸:

1 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص205.

2 - المصدر نفسه: ص207.

3 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص463.

4 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص154.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص182.

6 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص277.

7 - ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص259.

8 - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص264.

الأول: الإيجاز بالحذف، وهو ما يحذف منه المفرد والجملة وذلك لدلالة فحوى الكلام على المحذوف، ولا يكون إلا فيما زاد معناه على لفظه.

والثاني: ما لا يحذف منه شيء وهو ضربان:

الأول: ما ساوى لفظه معناه وسماه (التقدير)، والثاني: ما زاد معناه على لفظه وسماه (القصر).

ووصولاً "لابن أبي الإصبع المصري" نجده أكثر توسعا من سابقه في مصطلح الإيجاز، فقد أسهب في الحديث عنه وعن أقسامه وأضرابه، وأكثر من الشواهد من كتاب الله العزيز والشعر متناولاً إياها بالنقد والتحليل والدراسة.

قال في تعريفه: «هو اختصار بعض الألفاظ ليأتي الكلام وجيزاً من غير حذف لبعض الاسم، كحذف المضاف، أو لبعض الجملة، كحذف الفاعل، أو حذف الخبر، أو بالعدول عن لفظ المعنى كالإرداف وشبهه، أو بتغيير لفظ المعنى كالاستعارة وغيرها»¹. وهذا حدّه الصناعي الخاص وهو رسمي².

وذكر أنّ مثاله هو أن يقتصر المتكلم قصة بحيث لا يغادر منها شيئاً، في ألفاظ موجزة جداً، بحيث لو اقتصرها غيره ممن لم يكن في مثل طبقتة من البلاغة، أتى بها في أكثر من تلك الألفاظ، وأكثر قصص القرآن الكريم من هذا القبيل، كقصة موسى عليه السلام في سورة (طه)، فإنّ معانيها أتت بألفاظ الحقيقة تامة غير محذوفة، وهي مستوعبة في تلك الألفاظ³، كما أن أكثر العلماء قدّموا "الأعشى" في اقتصاصه قصة السمّوال في أذراع امرئ القيس الشاعر التي أودعها عنده لَمّا قصد قيصر، ووفاء السمّوال بها، حتى سلّمها لأهل امرئ القيس وبذل دونها دمّ ولده وهو يشاهده⁴، قال (البسيط)⁵:

كُنْ كَالسَّمَّوَالِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 179 ، 180 .. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 459.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 180.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 459. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 180.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 459.

5 - الأعشى: الديوان، ج2، ص 23-25. في الديوان (سار الهمام له) بدل (طاف الهمام به) .

بالأبلى الفرد من تيماء منزله
 إذ سامه خطتي خسف فقال له
 فقال: غدر وتكل أنت بينهما
 فشك غير طويل ثم قال له
 إن له خلفا إن كنت قاتله
 مالا كثيرا وعرضا غير ذي دنس
 جروا على أدب مني بلا نرق
 وسوف يخلفه إن كنت قاتله
 لا سرهن لدينا ضائع هدرا
 فقال يقدمه إذ قام يقتله
 أقتل ابنك صبرا أو تجيء بها
 فشد أوداجه والصدر في مضى
 واختار أذراعه ألا يسب بها
 وقال: لا نشترى عارا بمكرمة
 والصبر منه قديما شيمة خلق

حصن حصين وجار غير غدار
 مهما تقول فاني سامع حار
 فاختر فما فيهما حظ لمختار
 : أقتل أسيرك أني مانع جاري
 وإن قتلت كريما غير عوار
 وإخوة مثله ليسوا بأشرار
 ولا إذا شممت حرب بأعمار
 رب كريم وبيض ذات أظهار
 وكاتمات إذا استودعن أسراري
 أشرف سموأل فانظر للدم الجاري
 طوعا فأنكر هذا أي إنكار
 عليه منطويا كاللذغ بالنار
 ولم يكن عهدة فيها بختار
 واختار مكرمة الدنيا على العار
 فزنده في الوفاء الثاقب الواري

فعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على ذلك قائلا: فانظر إلى الأعشى وكيف أغنى عن تحفظ القصة لمن يريد حفظها بهذه الأبيات التي استوعبها فيها والتي خرجت ألفاظها كلها مخرج الحقيقة من المدح للسموأل بالوفاء، ولابنه بالصبر على البلاء، والتحريض للممدوح على التخلق بمثل هذا الخلق، ليبقى له مثل هذا الذكر¹.

وقسم الإيجاز إلى قسمين: «قسم مجازي وقسم حقيقي، فما كان منه حقيقيا بقي عليه اسم الإيجاز، وما كان مجازيا وضعوا لكل قسم منه اسما يخصه ويناسب اشتقاقه، فإن المجاز إيجاز، فكل مجاز إيجاز ولا ينعكس، وهو حذف بعض الكلام لدلالة الباقي عليه، أو للاستغناء بالقرينة عنه، مثال الأول: ﴿وَاسْتَلِ الْقَرْيَةَ﴾ {سورة يوسف، الآية 82}، ومثال الثاني: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ {سورة ص، الآية 32}»².

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 464 ، 465.
² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 180. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 462.

ورأى أن الإرداف والتمثيل إيجاز يجيء الكلام فيهما بغير ألفاظه الموضوعة له، والإشارة إيجاز لا مجاز لأن ألفاظها ألفاظ حقيقة، أو ما يشير إلى الحقيقة بلمحة دالة، ولا يكون بما يشير به منقولا، ولكن ألفاظها مختصرة، يدل القليل منها على المعاني الكثيرة¹.

ثم افترض "ابن أبي الإصبع المصري" افتراضا مفاده: إذا كان المجاز نوعا من الإيجاز جاز لنا أن نسمي كل صنف من ذلك النوع إيجازا².

يرفع اللبس عن ذلك بأن ما دلّ على المعنى بلفظ المعنى الموضوع له نبقى عليه اسم الإيجاز، وما دل على المعنى بالتأويل نسمي كل نوع منه باسمه المجازي، في قوله: «للتسميات علامات تعرف بها المسميات، ومن سمى النوع باسم الجنس فهو غير معرّف لذلك النوع، فإنك لو قلت في حدّ الإنسان: هو حيوان، من غير ذكر الفصل لكنك غير معرّف لحقيقته، لكونك لم تأت إلاّ بالقدر المميّز، ولما كان من الإيجاز ما يدلّ على المعنى بلفظ المعنى الموضوع له، ومنه ما يدلّ على المعنى بلفظ هو ردف لفظه تارة، وبلفظ هو مثل لفظه، أو به، وبلفظ مستعار من لفظه حيناً، والحقيقة أصل، والمجاز فرع، والإيجاز أصل نفي الاسم الأصليّ على الكلام الذي دلّ لفظه على معناه بظاهره، وسمى ما دلّ على معناه بالتأويل بأسماء مجازية، إذ كانت مسمياتها مجازية»³.

ويصل إلى التفريق بين الإيجاز والمساواة في قوله: «المساواة لا تكون إلا في المعنى المفرد يُخبر عنه بلفظ مساو له لا يزيد عليه ولا ينقص عنه. والإيجاز يكون في ذكر القصص والأخبار التي تأتي في قطع من الكلام مطولة متضمنة معاني شتى. وخالصة ذلك أن المساواة في معاني الجمل التي تركبت منها الأبيات والفصول، والإيجاز في الأبيات والفصول. ثم المساواة تكون مع الإطناب كما تكون مع الإيجاز... فمن الإيجاز ما يوصف بالمساواة، ومنه ما لا يوصف بها، والمساواة يكون منها شيء في الأبيات والفصول، ويكون الفرق بين هذا القسم منها وبين الإيجاز، أن الإيجاز تنقص فيه الألفاظ عن المعاني، والمساواة لا تزيد الألفاظ فيها على المعاني ولا تنقص عنها»⁴.

ثم ذكر أن من الإيجاز نوع تختصر فيه بعض الألفاظ ويأتي كله بلفظ الحقيقة، لكن اختصاره من اختصار ألفاظ المجاز، ويسمى اختصار الإبتاع، ومثل له بقوله

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص181.
2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص463. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص181.
3 - المصدران نفسيهما: ص 463، 464. وص 181.
4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 181، 182.. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص465.

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّعُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ﴾ {سورة الحشر، الآية 9}، فإن تقدير الآية_ والله أعلم_ تبوعوا الدار وأخلصوا الإيمان، كما قال الشاعر (الرجز) :

* عَلَفْتُهَا تَبْنَا وَمَاءً بَارِدًا *

أي وسقيتها ¹.

أما إيجاز الحذف فذكر منه: حذف المفعول، وحذف المبتدأ وعلّة حذفهما، ومثل عليهما بأمتثلة، وعاد إلى مفهوم الإيجاز الذي يعني العبارة عن الغرض بأقل ما يمكن من الحروف من غير إخلال .

ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة النحل، الآية 90}، فإن الله سبحانه أمر في أول الآية بكل معروف، ونهى بعد ذلك عن كل منكر، وختم الآية بأبلغ موعظة، وذكر في فاصلتها ألطف تذكرة اتفق فيها ضروب من المحاسن، مع أنها جاءت بألفاظ الحقيقة وهي: صحة الأقسام لأنها استوعبت جميع أقسام أجناس المعروف والمنكر، والطباق اللفظي، وحسن النسق، والتسليم، وحسن البيان، وانتلاف اللفظ مع المعنى، والمساواة، وصحة المقابلة، وتمكين الفاصلة، والإيجاز ².

ومن إيجاز الكتاب العزيز أيضا قوله عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ {سورة البقرة، الآية 179}، وكان الناس يضررون المثل بقولهم: «الْقَتْلُ أَنْفَىٰ لِلْقَتْلِ» فلما جاءت الآية الكريمة تركوا ذلك. ووجه الترجيح بين الكلامين كما قال الإمام " فخر الدين بن الخطيب" من وجوه سبعة هي ³:

_ الأول: أن قولهم «القتل أنفى للقتل» متناقض، لأنه جعل حقيقة الشيء منافية لنفسه، فإن قيل: المراد أنّ كلّ واحد من أفراد هذا النوع ينفي غيره، فهو أيضا ليس بأنفى للقتل قصاصا، بل هو أدعى له، وإنما يصحّ إذا خُصص فقيل : القتل قصاصا أنفى للقتل ظلما، فيصير

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص182. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص465.

² - ينظر: المصدران نفسيهما: ص465، 466. وص183.

³ - ينظر: فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص215، 216. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص192-

كلاما طويلا مع أن هذه التقييدات جميعها حاصلة في الآية.. مع إيجاز أوجز من التركيب المفيد عندهم.

_ **الثاني:** أنّ القتل قصاصا لا ينفي القتل ظلما من حيث أنه قتل، بل من حيث أنه قصاص، وهذه الجهة غير معتبرة في كلامهم بخلافها في الآية.

_ **الثالث:** أن حصول الحياة هو المقصود الأصلي، ونفي القتل إنما يراد لحصول الحياة. والتنصيص على الغرض الأصليّ أولى من التنصيص على غيره.

_ **الرابع:** إنّ التكرير عيب وهو موجود في كلامهم دون الآية.

_ **الخامس:** إنّ حروف «القصاص حياة» عشرة، وحروف كلامهم أربعة عشر.

_ **السادس:** إته ليس في قولهم: «القتل أنفى للقتل» كلمة يجتمع فيها حرفان متلاصقان متحركان، إلا في موضع واحد، بل ليس فيها إلا أسباب خفيفة متوالية. وهذا مما ينقص من سلاسة الكلمة وجريانها على اللسان، بخلاف قوله: «في القصاص حياة». والذي يجب أن يرجح به نظم القرآن على نظمهم ما جاء في تلك اللفظتين من البديع الذي لم يأت في نظمهم على طوله بالنسبة، فإنهما جاء فيهما المجاز، والإدماج، والإيضاح، وحسن البيان، والإرداف، والطباق، فأما الإرداف فإن الأصل أن يقال: موت القصاص حياة، فتجوزت الحقيقة بحذف المضاف، فجاء الإرداف مدمجا في المجاز لأنه عبّر عن المعنى بغير لفظه الموضوع له، وأما الطباق ففي اللفظتين، فإن الحقيقة فيهما الموت المخصوص حياة مخصوصة، وهذا طباق معنوي، فهذه ستة أضرب من البديع في لفظتين عدّ حروفهما عشرة، والإيضاح فيهما فهو إيضاح ما على نظم العرب.

_ **السابع:** إنّ الدافع لضرر القتل عن الإنسان كراهيته لذلك، وصارفه القوي عنه، حتى إنه ربما يعلم أنه لو قُتل قُتل، ثم لا يرتدع إما طمعا في الثواب أو رغبة في الذكر الجميل، وغدا كان كذلك فليس القتل أنفى للقتل، بل أنفى للأسباب له هو الصارف القوي، وقوله تعالى: ﴿ولكم في القصاص حياة﴾ هو الصارف، ولذلك لم يجعل القصاص مقتضيا للحياة على الإطلاق، بل جعل الحياة منكرة.

والسبب فيه أن شرعية القصاص تكون رادعة للإقدام على القتل غالباً لا دائماً. واعلم أن في هذا التكرير فائدة أخرى لطيفة، وهي أن الإنسان إذا علم أنه إذا قُتل قتل ارتدع بذلك عن القتل، فسلم صاحبه، فصارت حياة هذا الموهوم قتله في المستقبل مستفادة بالقصاص، وصار كأنه حتى في باقي عمره، ولذلك وجب التكرير وامتنع التعريف يقتضي أن تكون الحياة قد كانت بالقصاص من أصلها، وليس الأمر كذلك.

ورأى أن من معجز هذا الباب قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَاذَا خَفَتْ عَلَيْهِ فالقيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ {سورة القصص، الآية 7}، فإنه عز وجل أتى في هذه الآية الكريمة بأمرين ونهيين، وخبرين متضمنين بشارتين في أسهل نظم، وأحسن لفظ، وأوجز عبارة، ولم يخرج الكلام فيه عن الحقيقة¹.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن الإيجاز على ضربين: ضرب طويل، وضرب قصير.

فالطويل طوله بالنسبة للقصير منه لا لغيره من الكلام، كما جاءت قصص الأنبياء عليهم السلام، كقصة يوسف عليه السلام، التي جاءت على الطريقتين في قصة واحدة، وإن كان غيرها من القصص قد جاء كذلك، ولكن في غير باب الإيجاز، فأنت بعبارة بسيطة من قوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ {سورة يوسف، الآية 3}، إلى قوله تعالى: ﴿وَوَخَّرُوا لَهُ سُجْدًا﴾ {سورة يوسف، الآية 100}، وجاءت على الطريق المختصرة في قوله سبحانه: ﴿يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي﴾، فإن الله تعالى اختصر القصة التي سبقت في سورة كاملة في آية واحدة، حيث ذكر الأسباب التي تسببت عنها جملة القصة، فإن قوله: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ﴾ حتى ﴿وَوَخَّرُوا لَهُ سُجْدًا﴾ مقتصر على ذكر الرؤيا التي كانت سبب حسد إخوته له، وفعلهم

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 197، 198.. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 469.

به ما فعلوا، وقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ﴾ مقتصرًا على ذكر السجن الذي كان السبب في ملكه مصر، إذ كان سببا في تعبيره رؤيا المسجونين معه، ورؤيا الملك، وتعبيره رؤيا الملك سببا للملك، وملكه سببا في اجتماعه بأبويه وإخوته، فذكر سبحانه القصة أولا على طريق البسط لمن لم يشارك في طريق علمها، وذكره لها أخيرا مختصرة لمن شارك في طريق علمها، وهذا أحسن إيجاز وقع في كلام¹.

5_ الإيضاح:

الإيضاح لغة من (وضح)، يقال: «وضح الشيءُ يضحُّ وضوحاً: أي بان. وأوضحَ وتوضَّحَ: ظهر»². ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر ولكننا اخترنا منها ما له صلة بالمعنى الاصطلاحي.

والإيضاح من المصطلحات التي ابتدعها ابن أبي الإصبع المصري³، وقد نقل المعنى اللغوي على المشابهة، فقال في تعريفه: «هو أن يذكر المتكلم كلاما في ظاهره ألبس، ثم يوضحه في بقية كلامه»⁴.

ثم ذكر أن الإشكال الذي يحلُّه الإيضاح يكون في معاني بديع القرآن من الألفاظ، وفي الإعراب ومعاني النفس دون الفنون⁵. ويؤكد "حفني شرف" أنه: «لا يصح أن يجعل من التفسير، لأن الإيضاح هو أن تبرز المعنى في صورتين مختلفتين: الإبهام ثم الإيضاح، لتمكين المعنى في النفس تمكينا زائدا تحصل به لذة العلم، لأن الشيء إذا علم من وجه دون وجه تشوقت النفوس إلى العلم بالمجهول، فتحصل لها بسبب العلم لذة لحرمانها من الباقي»⁶.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص199، 198. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 469 ، 470.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(وضح).

3 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص367.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص559. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 259.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص259.

6 - المصدران نفسهما: ص559. وص259 من حاشية المحقق.

وقد فرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الإيضاح والتفسير بقوله: «أن التفسير تفصيل الإجمال، والإيضاح رفع الإشكال»¹ ، كما فرق بين الإيضاح والاحتباس بقوله: «والفرق بينه وبين الاحتباس وقوع الاحتباس في الفنون»².

ووصولاً إلى الشواهد نجده قد أطال الوقوف عندها، وأكثر من النصوص القرآنية والشعرية، حيث كان يوردها ويطلب في شرحها متاولاً إياها بالنقد والدراسة والتحليل. كقوله تعالى: ﴿كَلِمًا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ {سورة البقرة، الآية 25}.

يرفع "ابن أبي الإصبع المصري" اللبس عن هذه الآية بتحليله قائلاً: إن هذه الآية لو اقتصر فيها على قوله: ﴿من قبل﴾ دون بقية الآية لأشكل على المخاطب، لا يدري هل أراد سبحانه بما حكاه أهل الجنة إشارتهم إلى صنف الثمرة أو مقدار ما يؤتون منها، بحيث تكون مقادير الثمار متساوية، فأوضح سبحانه وتعالى الإشكال بقوله: ﴿وَأَتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا﴾ أي: يشبه بعضه بعضاً في الكمية وإن تغايرت أصنافه³.

ويذكر نوعاً آخر للإيضاح يأتي موضحاً للإشكال في جملتين من الكلام متضمنتين معنى واحداً قد اختلفت العبارة فيهما، فيتوجه على الظاهر إشكال أوجبه اختلاف العبارة فيجب إيضاحه، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ {سورة الأنعام، الآية 151}، وقال سبحانه في غير هذا الموضع: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ {سورة الإسراء، الآية 31}، وتقرير الإشكال أن المعنى في الآيتين هو النهي عن قتل الأولاد، لما تقتضيه زيادة الكلف من الفقر، والعدة بأن الرزق من عند الله. قال سبحانه في الأولى: «نحن نرزقكم»، وفي الثانية: «نحن نرزقهم»، وإيضاحه أن يقال: إنه سبحانه لما قال في الأولى (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) دلّ هذا اللفظ على أن الفقر كان حاصلًا بقتلهم الأولاد بسبب وجوده، فلا جرم أنه سبحانه وتعالى قال: «نحن نرزقكم» أي ما يغني فقركم، ولما قال في الثانية (ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق)، دل على أنهم أغنياء وإنما

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 560.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 259.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 560، 561. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 259 ، 260.

هم يخشون الفقر، فلا جرم أنه قال: نحن نرزقهم، أي لا تظنوا أنكم ترزقونهم من رزقكم فتفتقرون، نحن نرزقهم¹.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من معجز هذا الباب قوله عز وجل: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يَتْلُوكُمْ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ﴾ {سورة آل عمران، الآية 111}.

يقول "ابن أبي الإصبع المصري": إن على ظاهر هذه الآية إشكالين أحدهما من جهة الإعراب، فعطف ما ليس بمجزوم على مجزوم، والذي من جهة المعنى أن صدر الآية يغني عن فاصلتها، لأنّ توليهم عند المقاتلة دليل على الخذلان، والخذلان والنصر لا يجتمعان، والجواب أن الله عز وجل أخبر المؤمنين بأن عدوّهم هذا إن قاتلهم انهزم، ثم أراد وهو أعلم تكميل العدة بأنّه مع توليه الآن لا ينصر أبدا في الاستقبال، فهو مخذول أبدا ما قاتلهم، فيثيق المؤمنون بنصر الله لهم وأن العدو متى قاتلهم كان مخذولا، فيقدموا على لقائه متى أرادوا ذلك بثبات قلوب، وقوة نفوس، وطمأنينة وسكينة، ولو وقع الاقتصار على دون الفاصلة لم يوف الكلام بهذا المعنى المراد، لأنه لا يعطي قوله: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلْكُمْ يَتْلُوكُمْ الْأَدْبَارَ﴾ أنهم متى قاتلوهم كان الأمر كذلك، ولما علم سبحانه أن الاقتصار على ما دون الفاصلة لا يفهم منه دوام هذه البشارة إلى آخر الأبد والمقصود دوامها، قال: ﴿ثُمَّ لَا يُنْصِرُونَ﴾ ومُنِع الفعل الجزم، وأن عطف على مجزوم ليبقى على المعنى الذي وُضعت له صيغة المضارع من الدلالة على الحال والاستقبال، ونوى في الفعل الاستئناف لا العطف على ما تقدم فيقدّر أنه قال: «ثم هم لا ينصرون»، وسوّغ العدول عن الظاهر إلى هذا التأويل ما يوجبه التأويل من تمام المعنى الذي هو بدونه ناقص، وتصحيح المراد من استمرار البشرى، وأحسن ما وقع من هذا النظم اختيار لفظة «ثم» دون سائر حروف العطف، لما تدلّ عليه من التراخي والمهلة الملائمة لما قصد من الاستقبال، فانتضح المعنى وارتفع الإشكال .

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، 561.

يوصل تحليله هذه المرة من جهة البديع، يقول بأن هذه اللفظات السبع تضمنت ستة عشر ضرباً من البديع وهي: التعليق، والمطابقة المعنوية، والاحتراس، والتكميل، والتكتيت، والمقارنة، والإيضاح، والإدماج، والترشيح، والإيغال، والإيجاز، والافتتان، وحسن النسق، والتهذيب، وحسن البيان، والمثل السائر؛ وأعجب ما وقع فيها أن حرفاً واحداً منها وقع فيه على انفراده من ذلك ثمانية أضرب، والحرف لفظة «ثم» وقع فيها الاحتراس، والتكتيت، والمقارنة، والإيضاح، والإدماج، والتكميل، وحسن النسق، والترشيح، توجد هذه الضروب بوجودها، وتعدم بعدمها، فلو قدرنا موضعها الواو سقط ذلك كله.

فأما تفصيل ما جاء من المحاسن في جملة الآية، فالإيضاح منها في عطف آخر الكلام على أوله بـ"ثم"، لتحصل الفائدة وهي تبشير المؤمنين بأن عدوهم مخذول أبداً، ولأجل ذلك منع الفعل المضارع من الجزم ليدلّ على الاستقبال فيكتمل المعنى المراد، والإدماج هو إدماج التكميل في الإيضاح، فإن لفظ الإيضاح ظاهر، والتكميل مدمج فيه، لا يظهر إلا بعد التفسير، وكذلك الاحتراس، فإن الكلام الآخر لو عطف على الأول بالواو لظنّ من لا يحبّ أن يتسرع إلى الموت إنما وعدوا بالنصر في تلك الحالة لا غير، ويحتمل أن ينصر العدو بعد هذه، لأن الحرب أكثر ما تقع سجالاتاً، فيكون ذلك موجباً لعوده عن القتال بعدها، فأتى بالجملة الثانية معطوفة بـ"ثم" ليحترس بها من ذلك، والتكتيت وهو النكتة التي رجّحت العطف بـ"ثم" دون بقية حروف العطف لما يقتضي من المهلة الملائمة لما يدل عليه الفعل المضارع من الاستقبال، لتكميل المعنى المراد. وأما التعليق، وهو تعليق الوعيد بالوعد، فإنها تضمنت وعد المؤمنين بالنصر، ووعيد الكافرين بالخذلان. وأما المطابقة المعنوية فلجمع الكلام بين الوعد والوعيد بغير لفظهما، وأما المقارنة فلاقتران الافتتان الذي دلّ عليه الوعد والوعيد والمدح والهجاء بالمطابقة، وأما الإيغال فلأن معنى الكلام تم عند قوله: ﴿يُولَوكُمُ الْأَدْبَارُ﴾، ولما احتاج الكلام إلى فاصلة توافي بقية فواصل الآي أفادتها معنى زائداً يكمل به معنى الكلام التام؛ وأما الترشيح فهو ترشيح لفظة "ثم" لمجيء الفعل الثاني الذي عطف بها على الأول دالاً على الاستقبال. وأما الإيجاز فلدلالة هذه الألفاظ السبع على ما دلّت عليه من

معاني النفس، ومعاني البديع، وأما الافتتان بإشارة الوعد والوعيد إلى من سبق لهم الوعد أهلٌ للمدح، ومن سبق لهم الوعيد أهلٌ للذم، وأما حسن النسق، ففي اختيار العطف بـ"ثم" دون حروف النسق، وأما التهذيب ففي تقديم ما يجب تقديمه من الوعد في حال المقابلة، وتأخير ما يجب تأخيره من الوعد والوعيد بعد ذلك في الاستقبال، وملاءمة العطف بـ"ثم" للمعطوف حيث كان صيغته صيغة المضارع الدالّ على الاستقبال، وأما حسن البيان فلابانتهما عن بشارة المؤمنين بما يثبت قلوبهم، ويُنتج صدورهم، ويُحرّضهم على قتل المشركين أبدا بأرشق عبارة دلّت على المعنى المراد وأوصله إلى الأفهام بأقرب الطرق وأسهلها. وأما المثل السائر فلخروج الكلام فيها مخرج مثل يليق بكل واقعة تشبه واقعتها¹.

ومن أنواع الإيضاح نوع يتقدم الإيضاح فيه على الإشكال، كقوله تعالى: ﴿سَاوُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ﴾ [سورة البقرة، الآية 223]، فإن ظاهر هذه الآية يحتمل إباحة الوطاء في أي محل شاء الزوج من المحليين، وهنا الإشكال الذي لا يخفى على كل ذي عقل ودين، فلما تقدّمت تسمية النساء بالحرث والحرث محل البدر وموضع الزرع، علم أن المقصود من قوله تعالى: ﴿أَنَّى شِئْتُمْ﴾ تخيير الواطئ الهيئات التي يأتي أهلها في المحل، أي كيف شاء من الهيئات، أو يكون بمعنى متى، فيكون المعنى متى شئتم من الزمان².

أما عن شواهد الشعرية على الإيضاح، فكقول الشاعر (الطويل)³:

يُذَكِّرُنِيكَ الْخَيْرُ وَالشَّرُّ كُلَّهُ وَقِيلُ الْخَنَا وَالْعِلْمُ وَالْحِلْمُ وَالْجَهْلُ

فإن هذا الشاعر لو اقتصر على هذا البيت لأشكل مراده على السامع، لجمعه بين ألفاظ المدح والهجاء، فلما قال بعده (الطويل)⁴:

فَأَلْفَاكَ عَنْ مَكْرُوهِهَا مَتَرَّهَا وَأَلْفَاكَ فِي مَحْبُوبِهَا وَلَكَّ الْفَضْلُ

أوضح المعنى المراد، ورفع اللبس، وأوضح الشك.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 261-265.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص 270.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 559.

4 - المصدر نفسه: ص 559.

وذكر كذلك أن من الإيضاح ما يكون في الوصف الذي لا يتعلق به مدح ولا هجاء، وذلك أن يخبر المتكلم بخبر واحد عن شيء واحد يقع التعجب منه، ويشكل الأمر فيه، ثم يوضح ذلك الإشكال بأن يُخبر عنه بما يفهم منه كشف اللبس عن الجزء الأول، ومثّل له بقول ابن حيّوس الدمشقي (الكامل) ¹:

ومقرّط يُغني النديم بوجهه عن كأسه المأى وعن إبريقه
فعل المدام ولونها ومذاقها في مقتلته ووجنتيه وريقه

يلق على البيتين بقوله: إن هذا الشاعر لو اقتصر على البيت الأول لأشكّل الأمر على السامع من جهة الوجه وإن كان حسناً لا يغني به النديم عن الخمر فأوضح اللبس في البيت الثاني ².

وقد نقل ابن مالك والحلي والنويري والعلوي والحموي والسيوطي والمدني هذا الفن عن ابن أبي الإصبع المصري، وذكروا بعض أمثله ³.

6_الإيغال:

الإيغال لغة من وغل، يقال: «وغل: ذهب وأبعد، وتوغل في الأرض: ذهب فأبعد فيها. الإيغال: السير السريع، والوغل: الدخول في الشيء» ⁴.

وفي الاصطلاح: «هو ختم الكلام بما يفيد نكتة يتم المعنى بدونها» ⁵، تبدو العلاقة واضحة بين المعنى اللغوي والاصطلاح، فالموغل في الأرض هو الذي بلغ أقصاها أو قارب، فكذلك المتكلم قد أوغل في الفكر حتى تجاوز حد المعنى بالزيادة عليه.

ولعل "الأصمعي" (ت216هـ) من أوائل من ذكروا هذا المصطلح دون أن يسميه، فقد حكي عنه أنه سئل عن أشعر الناس فقال: «الذي يأتي إلى المعنى الخسيس فيجعله بلفظه كبيراً، وإلى الكبير فيجعله خسيساً، أو ينقضي كلامه قبل القافية، فإن احتاج إليها أفاد بها معنى. قال: قلت: نحو من؟ قال: نحو ذي الرمة، حيث يقول:

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص560. المقرط: لابس القرط، وهو قباء ذو طابق واحد معرب يقال عليه قرطق أبيض.

² - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص560.

³ - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص368.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (وغل).

⁵ - الكفوي: الكليات، ص224.

قَفِ الْعَيْسَ فِي أَطْلَالِ مِيَّةٍ فَاسْأَلْ رُسُومًا كَأَخْلَاقِ الرَّدَاءِ الْمُسْتَسَلِّ

فتم كلامه قبل "المسلسل"، ثم قال: "المسلسل"، فزاد شيئاً. ثم قال:

أَظُنُّ الَّذِي يُجِدِّي عَلَيْكَ سُؤَالَهَا دُمُوعًا كَتَبْدِيدِ الْجَمَانِ الْمَفْصَلِ

فتم كلامه، ثم احتاج إلى القافية، فقال: "المفصل"، فزاد شيئاً¹.

ذكره "ثعلب" (ت291هـ) تحت اسم الأبيات الغر، قال: «والأبيات الغر: واحدها أغر، وهو ما نجم من صدر البيت بتمام معناه، دون عجزه، وكان لو طرح آخره لأغنى أوله بوضوح دلالته»².

وجعله "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) من باب ائتلاف القافية مع سائر البيت، وعرفه بقوله: «هو أن يأتي الشاعر بالمعنى في البيت تاماً من غير أن يكون للقافية فيما ذكره صنع، ثم يأتي بها لحاجة الشعر، في أن يكون شعراً، إليها، فيزيد بمعناها في تجويد ما ذكره في البيت»³، فالإيغال عنده مرتبط بالقافية، لأنه زيادة تلحق البيت في آخره فتزيده جودة، ومثل له بعدة أمثلة منها، قول امرئ القيس⁴:

كَأَنَّ عَيْونَ الْوَحْشِ حَوْلَ حَبَائِنَا وَأَرْحَلُنَا الْجَزْعُ الَّذِي لَمْ يَنْقَبْ

يقول معلقاً على البيت: «فقد أتى امرؤ القيس على التشبيه كاملاً قبل القافية، وذلك أن عيون الوحش شبيهة بالجزع، ثم لما جاء بالقافية أوغل بها في الوصف ووكدّه، وهو قوله: الذي لم ينقب، فإن عيون الوحش غير منقبة، وهي بالجزع الذي لم ينقب أدخل في التشبيه»⁵.

ولا يخرج كلام "العسكري" (ت395هـ) وأمثله عما قاله "قدامة بن جعفر"⁶.

والإيغال عند "ابن رشيق" (ت456هـ) ضرب من المبالغة، إلا أنه في القوافي خاصة لا يعدوها وذكر أن الحاتمي وأصحابه يسمونه التبليغ⁷.

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص171، 170. وينظر: العسكري: الصناعتين، ص380. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص233.

² - ثعلب: قواعد الشعر، ص72.

³ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص169.

⁴ - امرؤ القيس: الديوان، ص37.

⁵ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص169.

⁶ - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص380.

⁷ - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج1، ص279. وينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص57.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فلم يخرج عما ذكره سابقوه، ولكنه توسع فيه بعض الشيء، فقد ذكر سبب تسميته إيغالاً، في قوله: «سُمِّي هذا النوع إيغالاً، لأن المتكلم أو الشاعر أوغل في الفكر حتى استخرج سجعة أو قافية تفيد معنى زائداً على معنى الكلام»¹.

ثم ذكر المعنى اللغوي لهذا الفن والصلة بينه وبين المعنى الاصطلاحي، قال: «وأصله من الإيغال في السير وهو السرعة، فإن الإيغال في السير يُدخل السائر في المكان الذي يقصده بسرعة، يقال: أوغل في الأرض الفلانية أي بلغ منتهاها، أو ما قاربه، فكأن المتكلم قد تجاوز حد المعنى الذي هو آخذ فيه، وبلغ إلى زيادته عن الحد... فكذلك المتكلم إذا تم معناه ثم تعداه عند الإتيان بسجعة أو قافية بزيادة عليه، فقد أوغل في ذلك المعنى، ولا يكون موعلاً حتى ينتهي معناه إلى آخر البيت»².

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" كلامه عن الإيغال فيذكر تعريف "قدامة" السابق، هذا في كتابه "تحرير التحبير"، أما في كتابه "بديع القرآن" فيذكر لفظة المقطع بدلاً من القافية أو السجعة التي جاءت في تعريف "قدامة"، فوسع بذلك دلالة الإيغال إلى الكلام ككل نظماً ونثراً، يقول: «وهو أن يستكمل المتكلم معنى كلامه قبل أن يأتي بمقطعه، فإذا أراد الإتيان بذلك أتى بما يفيد معنى زائداً على معنى ذلك الكلام»³.

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن الإيغال إيغالان⁴:

_ إيغال احتياط: وهو الإيغال العام، إن صح التعبير.

_ إيغال تخيير: فهو تخيير من القوافي التي تفيد الإيغال قافية يكون ما تفيده موفياً

بمقصوده من غير معارضة.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص232.

2 - المصدر نفسه: ص232.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص91.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص92.

وقد مثل على النوع الأول بقوله تعالى: ﴿وَلَا تُسْمِعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ {سورة النمل، الآية 80}، فقد تم المعنى بقوله تعالى: ﴿وَلَا تَسْمَعُ الصَّمَّ الدَّعَاءَ﴾، ثم أراد_ وهو أعلم_ إتمام الكلام بالفاصلة فقال: ﴿إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ﴾ .

وذكر أن أعظم ما وقع في هذا الباب شعرا، قول الخنساء في أخيها صخر (البسيط) ¹:

وَإِنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمَّ الْهُدَاةُ بِهِ كَأَنَّهُ عَلَّمَ فِي رَأْسِهِ نَارَ

فإن معنى جملة البيت تم قبل القافية، فوجودها زيادة لم تكن له قبلها، فالخنساء لم ترض لأخيها أن تأتم به العامة من الناس، حتى جعلته علما يأتّم به أئمة الناس، وهذا تتميم، ولم ترض تشبيهه بالعلم، وهو الجبل المرتفع المعروف بالهداية، حتى جعلت في رأسه نار ².

ومما استشهد به على النوع الثاني من الإيغال وهو إيغال التخيير، قوله تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ {سورة المائدة، الآية 50}، فقد تم المعنى بقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾، ثم احتاج الكلام إلى فاصلة تتاسب القرينة الأولى، فلما أتى بها أفاد معنى زائدا لولاها لم يحصل، وذلك أنه لا يعلم أن حكم الله أحسن من كلِّ حكم إلا من أيقن أنه واحد حكيم عادل ليبقى توحيد الشريك في الحكم الذي انفرد به، ولم يكن له معارض فيه ولا مناقض، ويحصل من حكمته وضع الشيء في موضعه، وينفي العدلُ عنه الجورَ في الحكم، ثم عدل عن قوله ﴿لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ إلى قوله ﴿لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ ليكون علمهم بربهم علم قطع وبيقين، وجاء هذا الإيغال بعد التعطف في قوله: ﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ﴾ وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ فأتى ذكر الحكم في أول الكلام وآخره تعطفًا مقترنا بتجاهل العارف في قوله ﴿أَفَحُكْمَ﴾ مستفهما عن معلوم، ليخرج الكلام بالاستفهام عن المعلوم مخرج التوبيخ والإنكار، والتذييل بالجملة التي هي قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا﴾ وما تعلق بالتذييل من المثل السائر، إذ هذه الجملة يصلح أن يُتمثل بها في كل واقعة تشبه واقعتها، فحصل في هذه الآية وهي عشر لفظات

¹ - الخنساء: الديوان، ص46.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخيير، ص234.

سبعة أضرب من البديع وهي: التعطف، وتجاهل العارف، والتذليل، والمقارنة، والتمثيل، والتعليق، والإيغال¹.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن "ابن المعتز" قد أحسن في قوله "لابن طباطبا العلوي" (المتقارب)²:

فَأَنْتُمْ بَنُو بِنْتِهِ دُونَنا وَنَحْنُ بَنُو عَمَّةِ الْمُسْلِمِ

فإنه أعطى بني عمه حقهم من الشرف، واعترف لهم من فضل الأبوين بما اعترف، ثم فطن إلى أنه إن اقتصر على ذلك فضلهم على بنته، فتحيل على المساواة، إذ لا طريق له إلى التفضيل، فالمعنى تم قبل القافية.

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التتميم والإيغال من ثلاثة أوجه: «أحدها أن التتميم لا يرد إلا على كلام ناقص شيئاً ما، إما حُسن معنى أو أدب، أو ما أشبه ذلك، والإيغال لا يرد إلا على معنى تام من كل وجه.

والثاني اختصاص الإيغال بالمقاطع دون الحشو مراعاة لاشتقاقه، لأن الموهل في الأرض هو الذي قد بلغ أقصاها أو قارب بلوغه، فلما اختص الإيغال بالطرف لم يبق للتتميم إلا الحشو.

والثالث أن الإيغال لا بد وأن يتضمن معنى من معاني البديع، والتتميم قد يتضمن وقد لا يتضمن، وأكثر ما يتضمن الإيغال التشبيه، والمبالغة، حتى لو قيل: إنه لا يتعدى هذين الضربين كان حقاً. والتتميم يتضمن طورا المبالغة، ويتضمن حيناً الاحتياط، ويأتي مرة غير متضمن شيئاً سوى تتميم ذلك المعنى»³.

7_ البسط:

البسط في اللغة مأخوذ من مادة (بسط)، و«البسط: نقيض القبض، بسطه يبسطه بسطاً فانبسط، وبسطه فتبسط، وبسط الشيء: نشره»⁴، وقد نقل "ابن أبي الإصبع المصري" هذا

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 92 ، 93.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 236.

³ - المصدر نفسه: ص 241.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (بسط).

المعنى على سبيل المشابهة فهو في اصطلاحه يعني: «أن يأتي المتكلم إلى المعنى الواحد الذي يمكنه الدلالة عليه باللفظ القليل، فيدل عليه باللفظ الكثير ليُضمّن اللفظ معاني آخر يزيد بها الكلام حسنا، لولا بسط ذلك الكلام بكثرة الألفاظ لم تحصل تلك الزيادة»¹.

والبسط في البلاغة نقيض الإيجاز، وغير الإطناب²، وقد عدّه "ابن أبي الإصبع المصري" من مبتدعاته، ولكن "حفني شرف" ذكر أنه مسبوق إليه وأنه هو بعينه الإطناب³. وقد استشهد عليه من القرآن الكريم، بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَنْتُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَنْدَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيًّ مِنْ فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ، ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ، فَقَضَاهُنَّ سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا﴾ [سورة فصلت، الآيات من 9، 12].

يحلل الآيات موضحا فائدة البسط فيها والتي تظهر في تفصيل الأخبار، وإيضاح المعنى، وتفسير الإجمال، وإخراج الكلام مخرج التفریع لمن جعل الله تعالى أندادا مقارنة بقوله تعالى في هذا المعنى في غير موضع من القرآن: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [سورة السجدة، الآية 4]، فيذكر أن التفریع والإيجاز حصلا في هذه الآية، فما فائدة البسط في الآيات السابقات؟ يجيب عن تساؤله في قوله: إن فائدته جليلة، فإن الاستدلال بما قرب من نظر الخصم أوضح من الاستدلال بما بعد، فتقدير أقوات الحيوان البري والبحري، وتخصيص كل صنف بقوت مألوف، كالحوم للسباع، والحب للبهائم، والأوساخ للهمج، والبقول وسائر الخضروات لغير هذه الأصناف أقرب لفهم المخاطب، لئلا يقع في بعض النفوس أن هذه الأمور من صنع السموات والأرض، لا من صنع صانعهما، ثم ثنى بذكر الجبال التي تثبتت الأرض، وتكون الجواهر المعدنية منها.

يواصل "ابن أبي الإصبع المصري" تحليله للآيات الكريّمات، يقول: ثم ذكر الله تعالى البركة التي لولاها لما نبت النبات، ولا عاش الحيوان، ولا تنوع الجماد، ولا حصلت المنافع،

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص544. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص251.

² - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص401.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص544 من حاشية المحقق.

ممتنًا بذلك على عباده، ثم تلت بذكر تقدير الأوقات، ثم أخبر أن ذلك كله في يومين آخرين، في قوله عز وجل: ﴿فِي يَوْمَيْنِ آخَرِينَ﴾، يعني والله أعلم أنه أرسى الجبال وبارك في الأرض وقدر فيها أوقاتها، مع خلقه لها في أربعة أيام، ثم ختم ذلك بذكر خلق السموات السبع في يومين، فأفاد سبحانه وتعالى بهذا البسط حصول ضروب من البديع في الكلام لولا البسط لم تحصل، وهي: المذهب الكلامي، والإدماج، والإرداف، والتفسير¹.

ومما استشهد به من السنة النبوية، قوله صلى الله عليه وسلم: «إِنَّ الدِّينَ النَّصِيحَةُ» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِنَبِيِّهِ وَلِأُمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَتِهِمْ» فإن حاصل هذا الكلام بعد تخصيص الله تعالى بالذكر وكتابه ونبيه أن يقول: وللمسلمين فإنها لفظة جامعة للأئمة وللعمامة، فبسط هذه اللفظة ليفرد الأئمة بالذكر من جملة المسلمين، ولم يكن الاقتصار على الأئمة فيكون المعنى ناقصا، إذ تمامه لا يكون إلا بذكر عامة المسلمين، فأتى بذلك البسط ليفيد تتميم المعنى بعد تخصيص من يجب تخصيصه بالذكر².

واستشهد على البسط من الشعر بقول امرئ القيس (الكامل)³:

نَظَرْتُ إِلَيْكَ بَعِينَ جَازِنَةً حَوْرَاءَ حَانِيَةٍ عَلَى طِفْلِ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على البيت: «فإنَّ حاصل البيت تشبيه عين هذه الموصوفة بعين الظبية، فبسط الكلام ليزيده البسط معنى لولاه لم يوجد فيه، فإن لنظر الظبية إلى خشفها عاطفة عليه بحنو وإشفاق من الحسن ما ليس لمطلق نظرها أو لنظرها في غير هذه الحالة»⁴.

ومنه أيضا، قول البحري (الكامل)⁵:

أَخْجَلْتِي بِنْدَى يَدَيْكَ فَسَوَّدَتْ
صَلَةً عَدَّتْ فِي النَّاسِ وَهِيَ قَطِيعَةٌ
مَا بَيْنَنَا تِلْكَ الْيَدُ الْبَيْضَاءُ
عَجَبًا وَبُرٌّ وَهُوَ جَفَاءُ

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 544-547. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 252، 256.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 548.

³ - امرؤ القيس: الديوان، ص 130.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 548.

⁵ - البحري: الديوان، مج 1، ص 21، 22. في الديوان (أحشمتي) بدل (أخجلتني).

يلق على البيتين بقوله: «فإن حاصل البيتين أنك قطعتي عنك خجلا من كثرة عطائك، فبسط هذا الكلام لتحصل زيادات من البديع لولا البسط ما حصلت كالطباق في البيت الأول، ذكر السواد والبياض، والمقابلة في البيت الثاني بذكر الصلة والقطيعة، والغدو والرواح، والبرّ والجفاء»¹.

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" بين البسط والاستقصاء بقوله: «والفرق بين البسط والاستقصاء أن الاستقصاء هو حصر كل ما يتفرّع من المعنى ويتولد عنه، ويكون من سببه ولوازمه، بحيث لا يترك فيه موضعا قد أخلقه بجدة الآخذ له، فيستدركه ليستحقه بذكره، والبسط نقل المعنى من الإيجاز إلى الإطناب بسبب بسط العبارة عنه، وإن لم يستقص كلّ ما يكون من لوازمه»².

وذكر "الحموي" (ت837هـ) أن هذا النوع، يعني البسط، من مستخرجات المصري، وعرفه بقوله: «والبسط بخلاف الإيجاز لكونه عبارة عن بسط الكلام، لكن شروطه زيادة الفائدة»³.

8_ التذييل:

التذييل لغة التطويل والزيادة، قال ابن منظور: «الدَّيْلُ: آخر كل شيء. وذيْل فلان ثوبه تذييلا: إذا طوَّله»⁴.

وقد نقل هذا المعنى على المشابهة إلى الاصطلاح فأصبح يعني: «أن يُدَيَّل الناظم أو الناثر كلامه، بعد تمامه وحسن السكوت عليه، بجملة تحقق ما قبلها من الكلام، وتزيده توكيدا، وتجري مجرى المثل لزيادة التحقيق»⁵.

عرفه "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) بقوله: «فأما التذييل فهو إعادة الألفاظ المترادفة على المعنى بعينه، حتى يظهر لمن لم يفهمه، ويتوكد عند من فهمه، وهو ضد الإشارة

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص549.

² - المصدر نفسه: ص549.

³ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص841.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ذيْل).

⁵ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص240.

والتعريض»¹، ويتضح من مفهوم العسكري أنه أراد توكيد المعنى وظهوره، ولم يرد أن يكون المعنى زائداً على اللفظ.

وتابعه "الباقلائي" (403هـ) فقال عنه: «وهو ضرب من التأكيد»².

وعرفه "أسامة بن منقذ" (ت584هـ) بقوله: «أن تأتي في الكلام جملة، تحقق ما قبلها»³، يبدو أن "ابن منقذ" كان أكثر دقة وتحديدًا لمفهوم التذييل من سابقه.

وهو المعنى الذي ورد به المصطلح عند "ابن أبي الإصبع المصري"، قال: «وهو أن يُدَيَّل المتكلم كلامه بجملة يتحقق فيها ما قبلها من الكلام»⁴، فالتذييل عنده عبارة عن الإتيان بجملة تعقب الكلام بعد إتمامه لإفادة التوكيد والتحقيق.

وقد ذكر أن هذا هو الضرب الحسن من التذييل، لأن الضرب المعيب هو أن يزيد اللفظ على المعنى لا لفائدة. وقسم الضرب الحسن إلى قسمين⁵:

قسم لا يزيد على المعنى الأول، وإنما يؤتى به للتوكيد والتحقيق.

وقسم يخرج المتكلم مخرج المثل السائر ليحقق به ما قبله.

وإما أن يكتفى بما يتضمن من زيادة المعنى.

وقد جاء في القرآن الكريم ما تضمن قسمي التذييل معاً، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنْ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعَدًّا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ {سورة التوبة، الآية 111}، يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن في هذه الآية تذييلان: الأول قوله تعالى: «وعدا عليه حقا»، فإن الكلام قد تم قبل ذلك؛ ثم أتى سبحانه بتلك الجملة لتحقيق ما قبلها. والثاني قوله عز وجل: «ومن أوفى بعهد من الله»، فقد خرج هذا الكلام مخرج المثل السائر لتحقيق ما تقدمه، فهو تذييل ثانٍ للتذييل الأول⁶.

1 - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص373.

2 - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص155.

3 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص125.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص387. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص155.

5 - ينظر: المصدران نفسهما: ص387. وص155.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص387.

وكقوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾ {سورة الأنبياء، الآية 34}، فمعنى الآية أن الله سبحانه وتعالى لم يجعل لبشر من قبل النبي صلى الله عليه وسلم الخلد، ثم ذيل كلامه بما أخرجه مخرج تجاهل العارف في قوله تعالى: ﴿أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ﴾، ثم ذيل هذا التذييل بقوله: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ﴾، فخرج هذا الكلام مخرج المثل السائر¹.

وجاء في السنة النبوية من هذا الباب، قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «من همَّ بحسنة ولم يعملها كتبت له حسنة، فإن عملها كتبت له عشرة، ومن همَّ بسيئة ولم يعملها لم تكتب له، فإن عملها كتبت عليه سيئة واحدة، ولا يهلك على الله إلا هالك»، فقوله عليه الصلاة والسلام: «ولا يهلك على الله إلا هالك» هو التذييل، وقد خرج الكلام فيه مخرج المثل.

أما عن شواهد الشعرية، فكقول النابغة الذبياني (الطويل)²:

ولست بمُسْتَبَقٍ أَخَا لَا تَلْمَهُ على شعبي، أي الرجال المهذب؟

يعلق ابن أبي الإصبع المصري "على البيت بقوله: «فقوله: "أي الرجال المهذب" من أحسن تذييل وقع في شعر»³، خرج الكلام فيه مخرج المثل.

وقول بعض العرب (الكامل)⁴:

ودعوا نزالٍ فكنث أول نازلٍ وعلامة أركبُهُ إذا لم أنزل

فعجز هذا البيت كله تذييل حسن، خرج الكلام فيه مخرج المثل.

ومثل له أيضا بقول بعض المحدثين (المتقارب)⁵:

صدقتم الودَّ أبغي الوصالَ وليس المكذب كالصديق
فجازيتموني بطول البعادِ وكم أخجل الحب من واثق

فكل من عجزى البيتين تذييل، خرج الكلام فيهما مخرج المثل.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 157.

2 - النابغة الذبياني: الديوان، ص 74.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 388.

4 - المصدر نفسه: ص 388.

5 - المصدر نفسه: ص 388 ، 389.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن أحسن من هذا قول الحطيئة (الطويل)¹:

نَزورُ فَتَى يُعْطَى عَلَى الْحَمْدِ مَالَهُ وَمَنْ يُعْطِ أَثْمَانَ الْمَحَامِدِ يُحْمَدُ

فعجز البيت كله تذييل خرج مخرج المثل، واستقل صدره بالمعنى المراد على انفراده، وفي اتصاله بالعجز تعطف حسن في قوله: يعطى ويعط، وبالتعطف صار بين العجز والصدر ملاحمة وملاءمة شديدة، ورابطة وثيقة، مع أن العجز إذا انفرد استقلّ مثلاً وتذييلاً، كما أن الصدر إذا انفرد استقلّ بالمعنى المقصود من جملة البيت، والغرض المطلوب والتمثيل أيضاً وقلّ أن يوجد بيت بين صدره وعجزه مثل هذا التلاحم على استقلال كل قسم بنفسه وتام معناه ولفظه .

وقال إن من بديع التذييل قول ابن نباتة السعديّ (البسيط)²:

لَمْ يُبْقِ جُودُكَ لِي شَيْئاً أَوْمَلُهُ تَرَكْتَنِي أَصْحَبُ الدُّنْيَا بِلَا أَمَلٍ

فإنه لما انقضى ما أَراده من المدح في الشطر الأول، ثم احتاج الشاعر إلى تتميم البيت وأراد إتمامه بتكرار المعنى المتقدم فيه استحساناً له وتوكيداً، وكره التكرير لا لمعنى زائد، وعلم أن لا مزيد على معناه في بابه، فأخرجه بذلك مخرج المثل، قائلاً:

تركتني أصحاب الدنيا بلا أمل

ليحصل بذلك ما أَراده من التوكيد وزيادة المعنى، لأن المدح إذا خرج مخرج المثل كان أَسِيرَ في الأرض، وبمقارنة هذا البيت مع بيت المتنبي (البسيط)³:

تُمْسِي الْأَمَانِيَّ صَرَغِي دُونَ مَبْلَغِهِ فَلَا يَقُولُ لَشَيْءٍ لَيْتَ ذَلِكَ لِي

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" ناقدًا البيتين: إن بيت ابن نباتة أفضل من بيت المتنبي، لأنه أحسن الأدب مع ممدوحه، إذ لم يجعله في حيز من يتمنى شيئاً، وجعل قدرته وجوده أصاراً مادحه قد بلغ كل أمنيته فلم يبق له أمل: وإن كان في بيت المتنبي زيادة من جهة المبالغة في قوله: "دون مبلغه" واستعارة في اللفظ لقوله: "تمسي الأمانيّ صرعي" ففي بيت ابن نباتة أن كل ما جعله المتنبي للممدوح، جعله ابن نباتة لشاعر الممدوح من نعمته وزيادة

1 - الحطيئة: الديوان، ص80. في الديوان (امراً يؤتي) بدل(فتى يعطي).

2 - ابن نباتة السعدي: الديوان، ج1، ص208.

3 - المتنبي: الديوان، ج2، ص111.

المبالغة في المدح بكونه أخرج المدح مخرج المثل، فهو أسيّر وأبقى، وإذا أنصف الناظر في البيتين وجد معنى بيت المتنبي بكماله في صدر بيت ابن نباتة، لأن حاصل بيت المتنبي أن الممدوح قدر على كل الأمانى، وهذا ما استقل به صدر بيت ابن نباتة، والعجز ملزوم صدره، لأن من نال كل أمل سحب الدنيا بلا أمل، غير أن ابن نباتة_ لكونه أخرج العجز مخرج المثل_ صار كأنه قد استأنف معنى آخر مستقلا بجميع معنى بيت المتنبي، مع كونه زاد بأن جعل للمادح ما للممدوح، حسن أدب معه، وبالغ بإخراج المدح مخرج المثل، فترجح بذلك بيت ابن نباتة على بيت المتنبي من وجوه شتى¹.

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذليل، فقال: «وقد يختلط على بعض الناس هذه الأبواب الأربعة، وهي باب الإيغال، والتكميل، والتمكين، والتذليل، وأنا أشير إلى الفرق بينها فأقول: الإيغال لا يكون إلا في الكلمة التي فيها الروي وما يتعلق بها، وهو أيضا مما يأتي بعد تمام المعنى كالتكميل والتذليل، وأما التمكن فيفارق هذه الأبواب من كونه عبارة عن استقرار القافية في مكانها، لكنها لا تزيد معنى البيت شيئا، ومتى حذفت القافية نقص المعنى، مع كونها غير نافرة من البيت، والتكميل وإن أتى بعد تمام المعنى فهو يفارق الإيغال من وجهين، أحدهما: كونه يأتي في الحشو والمقاطع؛ والإيغال والتذليل لا يكونان إلا في المقاطع دون الحشو، والإيغال والتذليل لا يخرجان عن معنى الكلام المتقدم، والتكميل لا بد أن يأتي بمعنى يكمل الغرض المتقدم إما تكميلا بديعيا أو تكميلا عروضا، لأنه يكون بمعاني البديع كمطابقة تكمل جناسا، أو مبالغة تكمل تشبيها، أو بالفنون، والفنون عند أهل الصناعة هي ما ينتجها المتكلم من الأغراض والمقاصد كالمدح، والهجاء، والرثاء، والفخر، والوصف، وغير ذلك، والتذليل يفارق الإيغال لكونه يزيد على الكلمة التي تسمى إيغالا، أخذا في البيت من الجزء الذي هو الضرب إلى أول العجز»².

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 390، 391.

² - المصدر نفسه: ص 391، 392.

9_ التفصيل:

التفصيل لغة من (فصل)، يقال: «الفصل بون ما بين الشيئين. والتفصيل: التبيين. ويقال: فصلتُ الوشاح إذا كان نظمه مفصلاً بأن يجعل بين كل لؤلؤتين مرجانة أو شذرة أو جوهرة تفصل بين كل اثنتين من لون واحد»¹.

وقال "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ): «التفصيل بصاد مهملة في اللغة: مصدر فصلت الشيء تفصيلاً إذا جعلته فصولاً متميزة»².

وفي الاصطلاح: «هو بيان وإيضاح بالنسبة إلى الإجمال»³.

عرفه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) بقوله: «وهو ألا ينتظم للشاعر نسق الكلام على ما ينبغي لمكان العروض، فيقدم ويؤخر»⁴.

ومثل له بأمثلة منها قول دريد بن الصمة⁵:

وبلغَ نَميراً، إن عَرَضتْ، ابنَ عامرٍ فأَيُّ أخٍ في النائباتِ وطالبِ

ففرّق الشاعر بين نمير بن عامر بقوله: إن عَرَضتْ.

وعدّ "ابن رشيق" (ت456هـ) التفصيل نوعاً من الحشو، وقال إنه من مسميات قدامة⁶، وكان قد ذكر قبل ذلك أنّ "عبد الكريم النهشلي" يطلق التفصيل على التقطيع وهو بعض أنواع التقسيم⁷.

وقد خالف "ابن أبي الإصبع المصري" أسلافه في مفهوم التفصيل، وعلى الرغم من أنه لم يضع له مفهوماً يحدده، إلا أنّ الشواهد تحيل إلى أن التفصيل عنده يعني الشرح والتفسير.

ويبدو أن ما جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" في باب التفصيل أقرب إلى المعنى الاصطلاحي من غيره من النقاد والبلاغيين، ذلك أنه في الاصطلاح يعني توضيح وتبيين

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فصل).

2 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص166.

3 - الكفوي: الكليات، ص297.

4 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص221.

5 - المصدر نفسه: ص221.

6 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص72.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص26.

ما جاء من الكلام مجملاً، وهذا هو المعنى الذي جاء به عنده فالكلام المجمل لا بد له من شرح وتفسير وتفصيل ليتمكن المعنى في النفس.

وهو من المصطلحات التي وردت في "بديع القرآن" ولم ترد في "تحرير التحرير" وقد قسمه إلى قسمين: متصل ومنفصل¹:

_ **فالم متصل:** كل كلام وقع بعد أمّا وأمّا، وقيل ذلك إجمال وما بعد أمّا تفصيل، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ {سورة آل عمران، آيتا 106، 107} إلى آخر الكلام، ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ إلى آخر الكلام، فهذه الآية روعيّ فيها حسن الجوار².

وكقوله تعالى: ﴿فَمِنْهُمْ شَقِيٌّ وَسَعِيدٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ﴾ {سورة هود، آيتا 105، 106}، ثم قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ﴾، هذه الآية روعيّ فيها الترتيب³.

_ **والمنفصل:** هو ما يأتي مجمله في سورة ومفصله في أخرى، أو في مكانين مفترقين من سورة واحدة. ومثّل لهذا القسم بقوله تعالى في سورة المؤمنين: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأُفْرُوجِهِمْ حَافِظُونَ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾ {سورة المؤمنين، الآيات 1، 5، 7}، فإن قوله تعالى: «وراء ذلك» إجمال المحرّمات جاءت مفسّرة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْكِحُوا مَا نَكَحَ آبَاؤُكُمْ مِنَ النِّسَاءِ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَحَلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ﴾ {سورة النساء، آيتا 22، 24}، فهذه الآية اشتملت على خمسة عشر محرماً من أصناف النساء، ذوات الأرحام ثلاثة عشر صنفاً ومن الأجنبيات صنفان⁴.

10_التكميل:

التكميل من الكمال، قال ابن منظور: «الكمال: التمام. وتكامل الشيء وأكملته أنا، وأكملت الشيء، أي أكملته وتممته، وكمّله، أتمّه وجمّله»⁵.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص154.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص154.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص154.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص155.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(كمل).

وفي الاصطلاح هو: «تعقيب جملة بما يدفع ما توهمه من خلاف المقصود»¹.

أضاف "الباقلاني" (ت403هـ) التتميم إلى التكميل وجعلهما فنا واحدا وقال: «ومن البديع التكميل والتتميم، وهو أن يأتي بالمعنى الذي بدأ به بجميع المعاني المصححة المتممة لصحته، المكملة لجودته، من غير أن يخل ببعضها، ولا أن يغادر شيئا منها»².

وعرف "التبريزي" (ت502هـ) التكميل في قوله: «والتكميل أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته، وتكمل معها شيئا إلا أتى به»³.

وأفرد "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) التكميل بباب مستقل، وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم أو الشاعر بمعنى من معاني المدح أو غيره من فنون الشعر وأغراضه، ثم يرى مدحه بالاختصار على ذلك المعنى فقط غير كامل، فيكمله بمعنى آخر»⁴، كمن أراد مدح إنسان بالشجاعة فرأى الاختصار عليها دون الكرم مثلا غير كامل، فكمّله بذكر الكرم، وما أشبهه. وذكر أن التكميل على ضربين: ضرب في معاني البديع، والآخر في فنون الكلام التي هي أغراض المتكلم وإرادته. والضرب الثاني هو المقصود هنا والذي قدمنا مفهومه، واشتراط فيه أن يكون في بيت واحد، أو فصل واحد، أو آية واحدة⁵.

واستشهد عليه بشواهد كثيرة، كقوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [سورة المائدة، الآية54]، فانظر إلى هذه البلاغة، فإن الله تعالى علم وهو أعلم أنه لو اقتصر على وصفهم بالذلة على المؤمنين، كان المدح تاما وغير كامل، فكمّل مدحهم بأن وصفهم بعد الذلة على المؤمنين، بالعزة على الكافرين، والغلبة لهم⁶.

ومثله قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾ [سورة الفتح، الآية29]⁷.

1 - الكفوي: الكليات، ص306.

2 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص143.

3 - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص146، 147..

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص357. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص143.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص143.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص357. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص143، 144.

7 - المصدران نفسهما: ص357. وص144.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" إنّ من أحسن ما جاء في هذا الباب وأنصعه، قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ (سورة الأنعام، الآية 147)، فإنّ المعنى تم في قوله (ذو رحمة واسعة) فلو اقتصر سبحانه على ذلك لتوهّم متوهّم أن رحمته لسعتّها ربما شملت من كذّب نبيّه، فاحترس عن هذا الاحتمال بتكميله المدح بالانتقام من الأعداء، فقال (ولا يردّ بأسه عن القوم المجرمين) ¹.

واستشهد عليه من الشعر بقول كعب بن سعد الغنوي (الطويل) ²:

حَلِيمٌ إِذَا مَا الْحِلْمُ زَيْنَ أَهْلِهِ مَعَ الْحِلْمِ فِي عَيْنِ الْعَدُوِّ مَهْيَبٌ

فقوله: حليم مدح، وقوله: إذا ما الحلم زين أهله احتراس، لولاه لكان المدح مدخولا، إذ بعض التغاضي قد يكون عن عجز يوهّم أنه حلم، فإنّ التجاوز لا يكون حلما محققا إلا إذا كان عن قدرة، وهذا الذي قصده الشاعر بقوله: إذا ما الحلم زين أهله، فالحلم لا يزين أهله إلا إذا كان عن قدرة، فمدحه بالحلم وحده غير كامل، لأن من لا يُعرف منه إلاّ الحلم طمع فيه عدوّه، فقال: *مع الحلم في عين العدو مهيب* ³.

ويعضد هذا التفسير قول ابن وابصة (البيسط) ⁴:

وَحِلْمٌ ذِي الْعَجْزِ ذُلٌّ أَنْتَ عَارِفُهُ وَالْحِلْمُ عَنْ قُدْرَةٍ ضَرْبٌ مِنَ الْكَرَمِ

وذكر أن من مليح التكميل قول السموأل (الطويل) ⁵:

وَمَا مَاتَ مَنْ سَيِّدٌ فِي فَرَاشِهِ وَلَا طُلٌّ مَنَا حَيْثُ كَانَ قَتِيلٌ

فلو اقتصر الشاعر على صدر البيت كان مدحه غير كامل، لأن موت الجميع قتلى وإن اقتضى وصفهم بالصبر يحتمل أن يكون عن ضعف وقلة جدّ في الحروب، فاحترس عن ذلك بأن قال: *ولا طلّ منا حيث كان قتيل*، فقد أحسن في قوله: حيث كان، فإنه أبلغ وصف في الشجاعة ⁶.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 144.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 358.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 358.

⁴ - المصدر نفسه: ص 358.

⁵ - عروة بن الورد والسموأل: الديوانين، ص 91، في الديوان (حتف أنفه) بدل (في فراشه)، وطلّ: أهدر دمه.

⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 359.

وقد مثل على التكميل الحسن في النسيب، بقول كثير (الكامل) ¹:

لو أن عزة خاصمت شمس الضحى في الحُسن عند موفّقٍ لقضى لها

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" في تعليقه: فقوله: (عند موفّق) تكميل حسن، إلاّ أنّه دون قول السموأل، وإنما عدّ هذا تكميلاً لأنه لو قال (عند محكّم) لثم المعنى، لكن في قوله (عند موفّق) زيادة كمل بها حسن البيت، فليس كل محكّم موفّق، فالموفّق من الحكام من قضى بالحق لأهله، وبذلك استحققت عزة الحسن دون شمس الضحى، فكان بهذه اللفظة مع التكميل مبالغة، وهذا التكميل من تكميل المعاني النفسية لا من تكميل المعاني البديعية ولا الفنون ².

ومن أحسن التكميل، قول شاعر الحماسة (البيسيط) ³:

لو قيل للمجد: حدّ عنهم وخلّهم بما احتكمت من الدنيا لما حاداً

فقوله: بما احتكمت من الدنيا، من التكميل العجيب .

ثم ذكر أنّ المؤلفين خلطوا التكميل بالنتيم، إذ ساقوا في باب التتميم شواهد التكميل، فكل منهم ذكر قول عوف بن محمّد السّدي (السريع) :

إنّ الثمانين وبلغتها قد أحوجت سمعي إلى ترجمان

في باب التتميم، ومعنى البيت تام بدون لفظة (وبلغتها)، وإذا لم يكن المعنى ناقصاً فكيف يسمى هذا تتميمًا، وإنما هو تكميل، وما غلطهم إلاّ لأنهم لم يفرقوا بين تتميم الألفاظ وتتميم المعاني، فلو سموا مثل هذا تتميمًا للوزن لكان أقرب، وإنما ساقوه على أنه من تتميم المعاني البديعية ⁴.

وقد فرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين التتميم والتكميل في قوله: «والفرق بين التتميم والتكميل أن التتميم يرد على المعنى الناقص فيتممه والتكميل يرد على المعنى التام فيكمّله، إذ كان الكمال أمرًا زائدًا على التمام. والتتميم لا يكون إلاّ في المعاني دون الفنون، أعني

1 - كثير: الديوان، ص394.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص359.

3 - المصدر نفسه: ص362.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص360.

بالمعاني معاني النفس، لا معاني البديع، التي هي أنواعه، وأعني بالفنون أغراض المتكلم ومقاصده، والتكميل يكون فيهما معا، هذا إذا لم يرد بالنتيميم تتميم الوزن»¹.

وتابعه فيما ذهب إليه كل من ابن مالك والحلبي والنويري وابن قيم الجوزية والحموي والمدني وعرفوا التكميل بمثل تعريفه².

11_التلّيف:

التلّيف لغة مأخوذ من الجدر لفف، فيقال: «لَفَّ الشيء يَلْفُه لَفًّا: جمعه، وقد التف»³، ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ أخرى، ولكننا اخترنا منها ما له صلة بالمعنى الاصطلاحي الذي جاء به عند "ابن أبي الإصبع المصري" في تعريفه لهذا المصطلح، يقول: «هو أن يقصد المتكلم التعبير عن معنى خطر له أو سُئل عنه، فيلفُّ معه معنى آخر يلزم كلمة المعنى الذي سُئل عنه»⁴، هذا في كتاب "تحرير التحبير".

أما في كتاب بديع القرآن فقد جاء بتعريف آخر، يقول: «هو عبارة عن إخراج الكلام مخرج التعليم بحكم أو أدب لم يرد المتكلم ذكره، وإنما قصد ذكر حكم خاص داخل في عموم الحكم المذكور الذي صرّح بتعليمه»⁵.

يشرح "ابن أبي الإصبع المصري" هذا التعريف فيقول: «وبيان هذا التعريف أن يسأل السائل عن حكم هو نوع من أنواع جنس تدعو الحاجة إلى بيانها كلها أو أكثرها، فيعدل المسئول عن الجواب الخاص عمّا سُئل عنه من تبين ذلك النوع، ويجيب بجواب عام يتضمن الإبانة على الحكم المسئول عنه، وعن غيره بدعاء الحاجة إلى بيانه»⁶.

واستشهد على التلّيف بقوله تعالى: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ {سورة الأحزاب، الآية 40}.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية موضحا هذا المصطلح في قوله: فإن هذا الكلام جاء كجواب عن سؤال مقدّر، وهو: أترى محمدا أبا زيد بن حارثة، فأنتى الجواب(ما

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص362.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص239.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(لفف).

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص343.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 123، 124.

6 - المصدر نفسه: ص124.

كان محمد أبا أحد من رجالكم)، ما كان يكفي في الجواب قوله: ما كان محمد أبا زيد لو أراد الجواب عن نفس هذا السؤال فقط. فإن قيل فقد حصل المراد من هذا الجواب، فما فائدة الكلام الذي جاء بلفظ الاستدراك؟ قلت لو اقتصر على ما قبل الاستدراك لكان الحكم غير معلل، فيكون بذلك المعنى ناقصاً لأنه يرد عليه قول القائل. ولما لا يكون أبا أحد من الرجال، وقد كان للأنبياء صلوات الله عليهم أبناء، فيقال ذلك لأن الله سبحانه اختص محمداً صلى الله عليه وسلم بمرتبة لم يختص بها أحداً من الأنبياء، فهو أول الأنبياء خلقاً وآخرهم بعثاً ليأتي يوم القيامة شاهداً لهم بالتبليغ، لأن الأمم يوم القيامة تجدد أنبياءهم التبليغ، فتشهد هذه الأمة على الأمم بتبليغ أنبياءهم لهم ما أمروا بتبليغهم، لعلمهم بقصصهم من كتابهم، ويشهد الرسول صلى الله عليه وسلم لأمرته بالصدق، ومصدق ذلك قوله تعالى: ﴿وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ {سورة الحج، الآية 78}، فأخبر تعالى بأنه رسول ليرشح ذلك الإخبار إلى قوله: (وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) إذ لا يختم النبيين إلا نبي، وعدل عن لفظة نبي إلى لفظة رسول لتوخي الصدق في الخبر وزيادة المدح، لأنه صلى الله عليه وسلم رسول، وكل رسول نبي ولا ينعكس على أحد القولين، وهذا تليف بعد تليف، فالأول دل على المعنى دلالة تضمن، والثاني لما صرح فيه بعد التعريض جاءت دلالاته دلالة مطابقة، ليفهم المخاطب المعنى بغير كلفة، ويشترك في فهمه العام والخاص؛ وهذا نهاية البلاغة¹.

ومنه أيضاً قوله تعالى: ﴿وَمَا تَلَكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى، قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي وَلِي فِيهَا مَآرِبٌ أُخْرَى﴾ {سورة طه، آيتا 16، 17}، فكأنه أجاب عن سؤال مقدر، وما تفعل بها؟ فقال معدداً منافعها .

ومثّل له من الحديث النبوي الشريف بقوله عليه الصلاة والسلام وقد سئل عن الوضوء من ماء البحر، فقال صلى الله عليه وسلم: «هُوَ الطَّهْرُ مَاؤُهُ الْحِلُّ مِيَّتُهُ»².

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 124 ، 125.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 126. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 343.

وكقول "عائشة" رضي الله عنها وقد سئلت_ أتدخل المرأة الحمام؟ فقالت: «أيما امرأة نزعَت ثيابها في غير بيتها فقد هتكت ما بينها وبين الله من حجاب»¹.
 ومفهوم "ابن أبي الإصبع المصري" لهذا المصطلح يوافق أمثلته تمام الموافقة، والغريب في الأمر أنه لم يشر إلى السابقين ولم يضعه ضمن الفنون التي ابتدعها.
 ونقل "السبكي" (ت773هـ) هذا المصطلح ومفهومه عنه مع تغيير بسيط في الصياغة².
 ويؤكد "أحمد مطلوب" أن ليس في كتب السابقين إشارة إلى هذا الفن، وذكر أن "السبكي" أرجعه إلى الاستطراد³.

12_التمام:

التمام لغة إنهاء الشيء وتكميله، يقال: «تمام الشيء ما تمَّ به، وتمَّ على الشيء: أكمله»⁴.

وقد نقل هذا المعنى على المشابهة، فهو في الاصطلاح يعني: «الإتيان في النظم أو النثر بكلمة إذا طرحتها من الكلام نقص حسن معناه»⁵.
 التمام ويسمى التتميم، أشار إليه "الجاحظ" (ت255هـ) في باب إصابة المقادير، ومثّل له بقول طرفة (الكامل):

فسقى ديارك غير مفسدها صوب الربيع وديمة تهمي

وقال: طلب الغيث على قدر الحاجة، لأن الفاضل ضار⁶.

وأدخله "ابن المعتز" (ت296هـ) في باب الاعتراض، وقال: «والشعر اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه ثم يعود إليه فيتممه في بيت واحد»⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص126.
 2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص343.
 3 - ينظر: المرجع نفسه: ص343.
 4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(تم).
 5 - الكفوي: الكليات، ص296.
 6 - ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص228.
 7 - ابن المعتز: البديع، ص59.

وسماه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) التتميم، وعدّه من نعوت المعاني، وعرفه بقوله: «هو أن يذكر الشاعر المعنى فلا يدع من الأحوال التي تتم بها صحته وتكمل معها جودته شيئاً إلا أتى به»¹.

وجمع "العسكري" (ت395هـ) التتميم والتكميل في فصل واحد، وقال في تعريفهما: «هو أن توفي المعنى حظه من الجودة، وتعطيه نصيبه من الصحة؛ ثم لا تغادر معنى يكون فيه تمامه إلا تورده، أو لفظاً يكون فيه توكيده إلا تذكره»².

وذكر "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) أنه التمام أيضاً، وأن بعضهم يسمي ضرباً منه احتراساً واحتياطاً، وعرفه بقوله: «ومعنى التتميم: أن يحاول الشاعر معنى، فلا يدع شيئاً يتم به حسنه إلا أورده وأتى به: إما مبالغة، وإما احتياطاً واحتراساً من التقصير»³.

ولم يبتعد "ابن منقذ" (ت584هـ) عما ذكره "العسكري"، وقال في تعريفه للتتميم: «اعلم أن التتميم أن يذكر الشاعر معنى، ولا يغادر شيئاً يتم به إلا أتى به، فيتكامل له الحسن والإحسان، ويبقى البيت ناقص الكلام، فيحتاج إلى ما يتممه به من كلمة توافق ما في البيت من تطبيق أو تجنيس»⁴.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" فقد سماه التمام، وقال: «وهو الذي سماه الحاتمي التتميم، وسماه ابن المعتز قبله: اعتراض كلام في كلام لم يتم معناه، ثم يعود المتكلم فيتمّه، وشرح حدّه: أنه الكلمة التي إذا طرحت من الكلام نقص حسن معناه أو مبالغته، مع أن لفظه يوهم بأنه تام»⁵، وذكر أنه على ضربين⁶:

— ضرب في المعاني: وهو تتميم المعنى، ومجيئه على وجهين للمبالغة والاحتياط، ويأتي في المقاطع كما يأتي في الحشو، وهذا الضرب هو الذي قدمنا حدّه.

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص137.

2 - العسكري: الصناعتين، ص389.

3 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص50.

4 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص53.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص127. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص45.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص127.

ثم أورد "ابن أبي الإصبع المصري" الأمثلة على التتميم من القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة والشعر العربي توضحه. كقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَآتَيْنَاهُ أَجْرَهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ﴾ {سورة العنكبوت، الآية 27}.

يقول معلقا على الآية: «فجاءت الفاصلة كلها تنميما، لأن المعنى ناقص بدونها، لكنه متى جاء في المقاطع سُمي إيغالاً، ويكثر مجيئه في الحشو»¹.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿أَيُّودٌ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ﴾ {سورة البقرة، الآية 266}.

يقول "ابن أبي الإصبع المصري": إن التتميم وقع في هذه الآية الكريمة في ثمانية مواضع، وأنت على أقسام التتميم الثلاثة: من تتميم النقص، وتتميم الاحتياط، وتتميم المبالغة، فأولها في قوله تعالى: (من نخيل وأعناب)، ثم تم النقص بقوله تعالى: (تجري من تحتها الأنهار)، ثم قال متمما النقص تتميم مبالغة (له فيها من كل الثمرات)، ثم وصف صاحبها، فقال تعالى محتاطا: (وأصابه الكبر)، ثم قال محتاطا أيضا: (وله ذرية)، ثم احتاط بقوله: (ضعفاء)، ثم تم بوصف ما أصاب الجنة من هلاك فقال: (فأصابها إعصار)، ثم تم ذلك بقوله: (فيه نار)، وختم تتميم المعنى بقوله: (فاحترقت)، فانظر ما تضمنت الآية الكريمة من تقاسيم هذا النوع إلى ما فيها من ائتلاف اللفظ بالمعنى، والتهذيب، وحسن النسق، والتمثيل، وحسن البيان، والمساواة، لتعلم أن هذا الكتاب الكريم بأمثال هذه الآية عجز الفصحاء، وبلد الأذكياء، وأعيا على البلغاء².

ومثال التتميم من السنة النبوية قوله _ عليه الصلاة والسلام _ «ما من عبد مسلم يصلي لله كل يوم اثنتي عشرة ركعة من غير الفريضة إلا بنى الله له بيتا في الجنة»³.

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن التتميم وقع في هذا الحديث في أربعة مواضع منها

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 127.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 46، 48.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 128.

قوله: مسلم، وقوله: لله، وقوله: كل يوم، وقوله: من غير الفريضة¹.

ثم انتقل للاستشهاد على التتميم من الشعر العربي، بقول الغنوي(الطويل)²:

أُنَاسٌ إِذَا لَمْ يُقْبَلِ الْحَقُّ مِنْهُمْ وَيُعْطَوْهُ عَادُوا بِالسُّيُوفِ الْقَوَاصِبِ

يقول معلقا على هذا البيت:«فقوله: ويعطوه تتميم في غاية الحسن، وهذا شاهد ما جاء منه للاحتياط»³.

ومثال ما جاء منه للمبالغة قول زهير(البيسط)⁴:

مَنْ يَلِقَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرَمًا يَلِقَ السَّمَاحَةَ مِنْهُ وَالنَّدَى خُلُقًا

فقوله: على علاته تتميم للمبالغة.

_ ضرب في الألفاظ: وهو الذي يؤتى به لإقامة الوزن، بحيث لو طرحت الكلمة استقل معنى البيت بدونها، وهو على ضربين أيضا: كلمة لا يفيد مجيئها إلا إقامة الوزن فقط، وأخرى تفيد مع إقامة الوزن ضربا من المحاسن، فالأولى من العيوب، والثانية من النعوت، والمقصود هنا الثانية، ومثالها قول المتنبي(الكامل)⁵:

وَحُفُوقُ قَلْبٍ لَوْ رَأَيْتَ لَهَيْبَهُ يَا جَنَّتِي لَرَأَيْتَ فِيهِ جَهَنَّمَ

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذا البيت بقوله:«فإنه جاء بقوله: يا جنتي لإقامة الوزن، وقصدها دون غيرها مما يسُدُّ مسدَّها ليكون بينها وبين قافية البيت مطابقة لو كان موضعها غيرها لم تحصل»⁶.

13_الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا لمدلوله عن غيره:

هذا المصطلح يتكون من اثنتي عشرة كلمة فهو جملة تصف المفهوم وليس مصطلحا بالمعنى الحقيقي، لعدم احترام أحد المبادئ الأساسية في صياغة المصطلح ووضعه وهو مبدأ الاختصار.

1 - ينظر : ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص128.

2 - المصدر نفسه: ص128.

3 - المصدر نفسه: ص128.

4 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص38.

5 - المتنبي: الديوان، ج2، ص328.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص129.

الزيادة لغة من زيد، قال ابن منظور: «الزيادة: النمو، والزيادة: خلاف النقصان. زاد الشيء يزيد زيذا وزيادا وزيادة وزيادا ومزيدا ومزادا أي ازداد»¹.

لقد اعتمد "ابن أبي الإصبع المصري" المعنى اللغوي لهذا المصطلح، ولكنه فصل القول فيه بذكر الأمثلة التي توضحه، وذكر أنه من مستخرجاته، وهو من المصطلحات التي ذكرها في كتاب "بديع القرآن" ولم يذكرها في كتاب "تحرير التحبير"².

ولكن النحاة الأوائل قد تحدثوا عن الزيادة وفضلها في الكلام. فقد ذكر "سيبويه" (ت180هـ) ما قاله "الخليل بن أحمد الفراهيدي" (ت175هـ) من أن الزيادة تفيد الكلام توكيدا، قال "سيبويه": «وإن قلت مررت برجل حسبك به من رجل. وزعم الخليل رحمه الله أن به ههنا بمنزلة هو، ولكن هذه الباء دخلت ههنا توكيدا كما قال: كفى الشيب والإسلام و كفى بالشيب والإسلام»³.

وسار "أبو عبيدة" (ت210هـ) على منوال سابقه، حيث ذكر أن الحروف تزداد للتأكيد وللتنبية⁴.

وتحدث "ابن الأثير" (ت637هـ) عن الزيادة في باب "قوة اللفظ لقوة المعنى" فقال: «فإذا زيد في الألفاظ أوجبت القسمة زيادة المعاني»⁵.

وقد جاء "ابن أبي الإصبع المصري" بأمثلة لهذا المصطلح، فمثال ما أفادت زيادته اللفظ فصاحة والمعنى توكيدا قوله تعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ﴾ {سورة آل عمران، الآية159}، يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن كل من له ذوق سليم، وذهن مستقيم، ونظر صحيح، يستطيع أن يفرق بين اللفظ بهذه الزيادة وبينه عريا عنها، فلو قيل: «فبرحمة من الله لنت لهم» لم تجد لها من الوقع في النفوس ما لقوله: ﴿فبما رحمة من الله﴾، فبهذه الزيادة أصبح الكلام أفصح، زيادة على أنها جاءت مؤكدة للمعنى⁶.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (زيد).

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن ص205.

3 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص26.

4 - ينظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج2، ص226.

5 - ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص241.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص305.

ومثّل على الزيادة التي جاءت لتأكيد المعنى بقوله تعالى: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ {سورة البقرة، الآية 286}، كان يمكن أن تأتي اللفظة الثانية من غير زيادة، فيقال: ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا كَسَبَتْ﴾، وإنما منع من ذلك ما قد يحصل من العيب، وإغماض المعنى، أما العيب فاستتقال تكرار لفظة "كسبت" بغير الزيادة قريبة من الأولى وهذا سمح، وأما الإغماض فلأن المراد الإشارة إلى الفطرة التي فطر الله تعالى الناس عليها فطرة الخير، وأما ما يعمل من السيئات فلمخالفته تلك الفطرة، فوجب زيادة التاء التي للافتعال، فكانت نتيجة الزيادة إمطة السبب عن النظم، ومخالفة إحدى اللفظتين أختها، والإشارة إلى المعنى المراد، ليوافق هذا الكلام معنى الآية ﴿فِطْرَةَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ {سورة الروم، الآية 30}، ومعنى قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «كل مولود يولد على الفطرة حتى يكون أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه»¹.

ومن شواهد على النوع الثاني أيضا قوله تعالى: ﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾ {سورة الواقعة، الآية 65}، بزيادة لام التوكيد لئلا يتوهم ضعيف أن أمر الزرع من صنع متولّى أمره، وجعله حطاما من فعل الشمس، وعدم السقي، فأكد سبحانه أنه من فعله، على خلاف الماء، فإنه سبحانه لم يحتج إلى توكيد، لأنه لا أحد يقدر على إنزاله من المزن غير الله تعالى².

14_ حسن البيان:

البيان لغة الظهور والوضوح، جاء في اللسان: «البيان: ما بيّن به الشيء من الدلالة وغيرها، وبان الشيء بيانا: اتّضح، فهو بيّن، واستبان الشيء: ظهر. وقالوا: بان واستبان وتبيّن وأبان وبيّن بمعنى واحد. والبيان: الفصاحة واللسن، وكلام بيّن: فصيح. والبيان: الإفصاح مع ذكاء. قال: البيان إظهار المقصود بأبلغ لفظ»³.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص306.

² - ينظر: المصدر نفسه: ص306.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(بين).

وقد نقل هذا المعنى على المشابهة فأطلق على المقدره على إيصال المعنى وإظهاره للمتلقى بسهولة، ولذلك قال بعضهم في تعريفه هو: «توضيح المعنى، والكشف عنه كشفا يجعل السامع يفضي إلى حقيقته بسهولة»¹.

والبيان عند "الجاحظ" (ت255هـ) هو: «اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهنالك الحجاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته... لأن مدار الأمر، والغاية التي يجري القائل والسامع إنما هو الفهم والإفهام؛ فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هو البيان في ذلك الموضوع»²، فالجاحظ استعمل البيان بمعناه الواسع الذي يعني الكشف والظهور والفهم والإفهام. وذكر أن أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة: اللفظ، والإشارة، والعقد، والخط، والحال التي تسمى نسبة³.

وقال "الرماني" (ت386هـ): «البيان هو الإحضار لما يظهر به تميز الشيء من غيره في الإدراك. والبيان على أربعة أقسام: كلام، وحال، وإشارة، وعلامة»⁴.

وأخذ "الباقلاني" (ت403هـ) مفهوم البيان من "الرماني"⁵.

ونقل "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) مفهوم البيان من "الرماني" مع تغيير بسيط في العبارة، قال: «هو إحضار المعنى للنفس بسرعة إدراك»⁶، فأضاف عبارة (سرعة إدراك)، يعلل هذه العبارة لكيلا يلتبس بالدلالة؛ لأنها إحضار المعنى للنفس وإن كان بإبطاء⁷.

ونقل عن "الرماني" مفهوم آخر للبيان، وهو: «الكشف عن المعنى حتى تدركه النفس من غير عقل»⁸، ويعلل عبارة (من غير عقل)، لأنه قد يأتي التعقيد في الكلام الذي يدل، ولا يستحق اسم البيان⁹، فالبيان عند "ابن رشيق" هو: «الكشف عن المعنى وإيضاحه، وإحضاره للنفس بسرعة إدراك من غير تعقيد»¹⁰.

1 - محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ص 81.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج 1، ص 76.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ج 1، ص 76.

4 - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص 106.

5 - ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص 415.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج 1، ص 254.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ج 1، ص 254.

8 - المصدر نفسه: ص 254. ولكنني لم أجد هذا التعريف للرماني في النسخة التي بحوزتي.

9 - ينظر: المصدر نفسه: ص 254.

10 - إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص 82.

ولم يذكر "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) مصطلح البيان، وسمى البلاغة فصاحة بمعناها الواسع¹.

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) فقد جعل البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة بمعنى واحد، وهو التعبير عن فضل القائلين على بعض في المقدرة على التوصيل وحسن التعبير عن الأغراض والمقاصد والكشف عن ضمائر القلوب².

ووصولاً إلى "السكاكي" (ت626هـ) نجد نظرتَه إلى البيان قد انحسرت، حيث قسّم البلاغة إلى: المعاني، والبيان، وما يلحق بهما من محسنات معنوية ولفظية، وعرّف البيان بأنه: «محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة، بالزيادة في وضوح الدلالة عليه»³، وقد حصر موضوعات علم البيان في: التشبيه، والمجاز بأنواعه، والكناية.

وكانت نظرة "ابن الأثير" (ت637هـ) إلى البيان نظرة واسعة، فقد جعله لتأليف النظم والنثر بمنزلة أصول الفقه للأحكام وأدلة الأحكام⁴.

والبيان أو حسن البيان عند "ابن أبي الإصبع المصري" واسع المعنى كما كان في بداياته بمعنى الكشف عن المعنى وإيضاحه وإيصاله للمتلقى بألفاظ سهلة وبليغة. قال في تعريفه: «حسن البيان عبارة عن الإبانة عما في النفس بألفاظ سهلة بليغة بعيدة من اللبس»⁵، وحققتة: «إخراج المعنى المراد في أحسن الصور الموضحة له، وإيصاله لفهم المخاطب بأقرب الطرق وأسهلها، لأنه عين البلاغة، وقد تكون العبارة عنه تارة من طريق الإيجاز، وطورا من طريق الإطناب بحسب ما تقتضيه الحال»⁶.

وذكر أن حسن البيان إما أن يكون بالأسماء والصفات المفردة، وإما بهما معا، ودلالة الأول متناهية، ودلالة الثاني غير متناهية، وفي البيان: الأقبح، والأحسن، والوسائط بين الطرفين⁷.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص408.

2 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص34، 35.

3 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص329.

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص408.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص489.

6 - المصدر نفسه: ص490.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ص489.

ومثّل على الأقبح ببيان باقل وقد سئل عن ثمن ظبي في يده، فأراد أن يقول: أحد

عشر، فأدركه العيّ، ففرق أصابعه وأدلع لسانه فأقلت الظبي¹.

يعلّق عليه بقوله: «من هاهنا يُعلم أنه ليس كل إيجاز بلاغة، ولا كل إطالة عيّ، فإنه لا إيجاز في الإفهام أوجز من بيان باقل، لأن المخاطب فهم عنه بمجرد نظرة واحدة، ومع ذلك ضرب به المثل في العيّ بهذا البيان، والأحسن أن يقول: أحد عشر، والوسائط أن يقول مثلاً: ستة وخمسة، أو عشرة وواحد، أو خمسة وخمسة وواحد»².

وأحسن الشواهد في هذا الباب، بيان القرآن الكريم، قوله تعالى وقد أراد أن يحذر من الاغترار بالنعم: ﴿كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ وَنِعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكُهَيْنَ﴾ {سورة الدخان، الآيات 27، 25}، وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن الوعد: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ﴾ {سورة الدخان، الآية 51}، وكقوله عز وجل وقد أراد أن يبين عن الوعيد: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ {سورة الدخان، الآية 40}، وكقوله سبحانه في الاحتجاج القاطع للخصم: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ، قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ {سورة يس، آيتا 78، 79}، وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن تقريع الكفار: ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَنْ كُنْتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ﴾ {سورة الزخرف، الآية 5}، وكقوله تعالى وقد أراد أن يبين عن التحير: ﴿وَلَنْ يَنْفَعَكُمْ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْكُمُ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ {سورة الزخرف، الآية 35}، والشواهد القرآنية في هذا الباب لا تحصى³.

أما شواهد الشعرية على هذا الباب، فقول أبي العتاهية (المنسرح)⁴:

يضطربُ الخوف والرجاء إذا
حرّك موسى القضيب أو فكر

وكقول الآخر (الطويل)⁵:

له لحظات عن خفافي سريره
إذا كرها فيها عقاب ونائل

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 490.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 490. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 204.

³ - ينظر: المصدران نفسهما، ص 490، 491، و ص 205.

⁴ - أبو العتاهية: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، (د ط)، 1986م، ص 211.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 491.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيتين بقوله: «فإن هذين الشاعرين أرادا مدح هذين الممدوحين بالخلافة، ووصفهما بالقدرة المطلقة وعظم المهابة بعد الله سبحانه، فإذا نظر أحدهما نظرة، أو حرّك القضيبي مرة، أو طرق مفكرا لحظة، اضطرب الخوف والرجاء في قلوب الناس، فأبانا عن هذه المعاني أحسن إبانة»¹.

ثم جاء "ابن أبي الإصبع المصري" بشاهد من شعره يتبع فيه "أبا العتاهية والذي بعده، فقال (الطويل)²:

**بَكْفِيهِ نَفْعُ الْعَالَمِينَ وَضُرُّهُمْ
فَنَعْمَى لِدِي حُسْنِي وَبُؤْسَى لِمُجْرِمِ**

فكان بيانه غير حسن ولا قبيح، فبيته يصلح أن يكون من شواهد النوع الآخر وهو الوسائط.

وفرّع حسن البيان إلى متصل ومنفصل³:

_ المتصل: يكون في الكلام الذي يأتي حسن بيانه في نفس نظمه، ويفهم من تأليفه.

_ والمنفصل: هو الكلام الذي لا تحصل الإبانة عن معناه إلا من خارج.

والشواهد السابقة كلها من القسم المتصل، إلا قوله عز وجل: ﴿وَضْرِبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾، ففهم هذه الآية خارج عن تأليفها، فالله عز وجل ذكر المثل، وليس في الكلام ما خرج مخرج المثل، ولا ما يصلح أن يكون مثلاً، وهو أن أمية بن خلف أتى الرسول صلى الله عليه وسلم بعظم نخر وقال: أنت تزعم أن ربك يحيي هذا بعد أن صار إلى هذه الحال، فنزلت الآية⁴.

وفرق بين حسن البيان والإشارة، في قوله: «إن الإشارة لا تكون بلفظ الحقيقة، وحسن البيان يكون بلفظ الحقيقة وبغيره، فما كان منه بلفظ الحقيقة فهو من البيان الأحسن، وما كان بغير لفظ الحقيقة فهو من البيان الحسن، ولا بد أن يكون لفظه أقرب إلى لفظ الحقيقة من لفظ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 491.

2 - المصدر نفسه: ص 491.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 206.

4 - ينظر: المصدر نفسه، ص 206.

الإشارة، كما أن لفظ الإشارة أقرب إلى لفظ المعنى من لفظ الإرداف، ولفظ الإرداف من لفظ التمثيل»¹.

ثم فرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين حسن البيان والإيضاح في قوله: «والفرق بين حسن البيان والإيضاح من وجهين: أحدهما: أن الإيضاح لا يرد إلا على ما فيه إشكال من الكلام فيوضحه ولا كذلك حسن البيان، والثاني أن الإيضاح يكون بالعبارة الفاضلة والنازلة، و حسن البيان لا يكون إلا بالعبارة الفاضلة»².

15_ صحة الأقسام:

الأقسام في اللغة من (قسم)، جاء في اللسان: «قسّمه: جزّاه وهي القسمة، والتقسيم: التفريق»³. وهذا هو المعنى الأقرب إلى الاصطلاح، وفي الاصطلاح يختلف مدلوله بحسب الاستعمال والسياق⁴، والكل يرجع إلى مقصد واحد، وهو: «ذكر متعدد، ثم إضافة ما لكل إليه على التعيين... وهذا يقتضي أن يكون التقسيم أعم من اللف والنشر»⁵.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) التقسيم حين نقل قول "العائشي" عن "عمر بن الخطاب" رضي الله عنه _ قال: « ولقد أنشدوه شعرا لزهير _ وكان لشعره مقدّمًا _ فلما انتهوا إلى قوله:

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمين أو نفاًر أو جلاءُ

قال عمر كالمتعجب من علمه بالحقوق وتفصيله بينها، وإقامته أقسامها:

وإنَّ الحقَّ مقطعه ثلاثٌ يمين أو نفاًر أو جلاءُ

يردد البيت من التعجب»⁶.

وذكر أيضا إعجابه بشعر "عبدة بن الطيب" الذي يقول:

والمرء ساع لشيءٍ ليس يدركهُ والعيش شحٌّ وإشفاقٌ وتأميلُ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص492.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 205 ، 206.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(قسم).

4 - بنظر: الكفوي: الكليات، ص264. وينظر: ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص720.

5 - الخطيب القزويني: التلخيص في علوم البلاغة، ص364.

6 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص240.

يقول بأن "عمر بن الخطاب" - رضي الله عنه - كان يردّد هذا النصف الآخر، ويعجب من جودة ما قَسَمَ¹.

وذكر "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) صحة التقسيم فقال: «وهي أن يبتدئ الشاعر فيضع أقساماً فيستوفيها، ولا يغادر قسماً منها»²، وقد أكد على توفير تمام الأقسام وانتظامها بأن «يؤتى بالأقسام مستوفاة لم يُخلّ بشيء منها، ومخلصة لم يدخل بعضها في بعض»³. وقال "العسكري" (ت395هـ): «أن تقسّم الكلام قسمة مستوية تحتوي على جميع أنواعه، ولا يخرج منها جنس من أجناسه»⁴.

وأشار "ابن رشيق" (ت456هـ) إلى اختلاف الناس في التقسيم، وذكر أن بعضهم يرى أنه «استقصاء الشاعر جميع أقسام ما ابتدأ به»⁵، وهو عنده على أنواع منها: التدرّج، وجمع الأوصاف، والموازنة، والتقطيع⁶.

وعرفه "السكاكي" (ت626هـ) بقوله: «وهو أن يذكر المتكلم شيئاً ذا جزأين أو أكثر، ثم يضيف إلى كل واحد من أجزائه ما هو له عنده»⁷.

ولا يختلف مدلول التقسيم عند "ابن أبي الإصبع المصري" عن مدلوله عند أسلافه، فهو عنده صورة من صور تفسير المعنى باستيفاء أقسامه، واستقصائها، وترتيبها. وقد سماه "صحة الأقسام" وعرفه بأنه: «استيفاء المتكلم أقسام المعنى الذي هو آخذ فيه، بحيث لا يغادر منه شيئاً»⁸.

ومثّل له بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ {سورة الرعد، الآية 12}، إذ ليس في رؤية البرق غير الخوف من الصواعق، والطمع في الأمطار، ولا ثالث لهذين القسمين⁹.

1 - ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج3، ص46.

2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص131.

3 - قدامة بن جعفر: جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط1، 1985م، ص5.

4 - العسكري: الصناعتين، ص340.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص20.

6 - ينظر: إبراهيم محمد محمود حمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص116، 117.

7 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص425.

8 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص173. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص65.

9 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص173.

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" تعليقه على الآية بقوله: «ومن لطيف ما وقع في هذه الجملة من البلاغة تقديم الخوف على الطمع، إذ كانت الصواعق تقع من أول برقة، ولا يحصل المطر إلا بعد تواتر البرقات، فإن تواترها لا يكاد يُكذَّبُ ولهذا كانت العرب تعدّ سبعين برقة وتتنجع، فلا تخطئ الغيث والكلأ، وإلى هذا أشار المتنبي بقوله (الوافر):

وقد أرد المياها بغير هادٍ سوى عدِّي لها برق الغمام

فلما كان الأمر المخوف من البرق يقع في أول برقة، أتى ذكر الخوف في الآية الكريمة أولاً، ولما كان الأمر المطمع إنما يقع من البرق ناسخاً للخوف، لمجيء الفرج بعد الشدة»¹.

وكقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ {سورة آل عمران، الآية 191}، فقد جاءت الآية بجميع الهيئات الممكنات.

ومما جاءت صحة الأقسام فيه مدمجة في المقابلة في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ، وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ {سورة الروم، الآيتان 17، 18}، فاعتزضت المطابقة بين القسمين المتقابلين، واستوفت جميع أقسام الأوقات من طرفي كل يوم ووسطه².

وقد استشهد عليه من السنة النبوية بقول "رسول الله" صلى الله عليه وسلم: «ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفئيت، أو لبست فألبيت، أو تصدقت فأمضيت»³.

ومنه قول "علي" رضي الله عنه: «أنعم علي من شئت تكن أميره، واستغن عن شئت تكن نظيره، واحتج إلي من شئت تكن أسيره»، فإنه استوعب أقسام الدرجات العليا والوسطى والسفلى، وأقسام أحوال الناس وبيّن الفضل والنقص والكفاف⁴.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 173 ، 174.

2 - ينظر: المصدر نفسه ، ص174.

3 - المصدر نفسه: ص176. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص72.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص176. وص72.

وكقول أعرابي وقف على حلقة الحسن البصري فقال: «رحم الله من تصدق من فضل، أو واسى من كفاف، أو أثر من قوت، فقال الحسن: ما ترك الأعرابي منكم أحدا حتى عمه بالمسألة»¹.

واستشهد عليه من الشعر بقول شاعر الحماسة (الطويل):

وَهَبَهَا كَشْيءٍ لَمْ يَكُنْ أَوْ كَنَازِحٍ بِهِ الدَّارُ أَوْ مِنْ غَيْبَتِهِ المَقَابِرُ

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا البيت من جيد هذا الباب، لأن الشاعر لم يبق في تقسيم المعلوم شيئا حق ذكره، لأن الشيء إما مقدرًا لم يوجد، أو قد وجد وعدم إما بالنزوح أو بالفناء².

وكقول أبي تمام في الأفيشين وقد أحرق (الكامل)³:

صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقودَهَا مَيِّتًا، وَيَدْخُلُهَا مَعَ الفَجَّارِ

وقد جاء في هذا الباب قول زهير بن أبي سلمى (الطويل)⁴:

وَأَعْلَمُ مَا فِي اليَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ وَلَكِنِّي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدِ عَمِي

ونقل أبو نواس هذا المعنى من الجد إلى الهزل فقال (المنسرح)⁵:

أَمْرٌ غَدِ أَنْتَ مِنْهُ فِي لَبْسٍ وَأَمْسٍ قَدْ مَرَّ فَاسَلُ عَنْ أَمْسٍ

وَإِنَّمَا الشَّأْنُ شَأْنُ يَوْمِكَ ذَا فَبَاكِرِ الشَّمْسِ بَابِنَةِ الشَّمْسِ

ويرى أن من لطيف الشواهد في هذا الباب، قول بعض المغاربة (الخفيف)⁶:

شُغِلَ الدَّهْرُ عَنْ لِقَاءِ حَبِيبٍ لَيْتَ شَعْرِي مَتَى؟ وَكَيْفَ؟ وَأَيْنَا؟

فاستوف الشاعر أقسام الظروف الزمانية والمكانية، وكيف التي يُسأل بها عن الأحوال.

16_ التفريق والجمع:

التفريق لغة من (فرق)، قال ابن منظور: «فرق: الفرقُ خلاف الجمع، فَرَقَهُ يَفْرِقُهُ فَرَقًا.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص176.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص177.

3 - أبو تمام: الديوان، ص338.

4 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص70.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص178. لم أعثر على البيتين في النسخة التي بحوزتي.

6 - ينظر: المصدر نفسه، ص178.

وقيل: فرَّقَ للصّلاح فرقا. وفرَّقَ للإفساد تفريقا وانفَرَقَ الشيء وتفَرَّقَ وافترق. الفرق: تفريق ما بين الشيئين. والفرق: الفصل بين الشيئين»¹.

والجمع لغة من (جمع)، جاء في اللسان: «جَمَعَ الشيءَ عن تفرقة يجمعه جمعاً وجمّعه وأجمعه فاجتمع. وجمعت الشيءَ إذا جئت به من ههنا وههنا، وتجمّع القوم: اجتمعوا. والجمع: أن تجمع شيئا إلى شيء. والإجماع: أن تُجمَعَ الشيءَ المتفرّق»².

هذا المصطلح من مستخرجات ابن أبي الإصبع المصري³، وقد نَقَلَ المعنى اللغوي التفريق بين شيئين ثم جمعهما فأطلقه على التفريق بين كلامين مرتبطين إلى درجة التلاحم بكلام ليبدوا غير مرتبطين ثم العودة إلى جمع ما تفرّق منهما لينتظم الكلام. فقال في تعريفه: «هو أن يفرق المتكلم بين كلامين مرتبطين متلاحمين بكلام يتلو به الأول من كلامه، يوهم السامع أنه غير مرتبط، ليفيد بذلك معنى لا يفيد الكلام لو جاء على مقتضى وضع النظم وترتيبه، ثم يعود فيجمع ما تفرق من الكلام بما كان يجب أن يقدّم لتأهيله لنفع الأول وملاءمته له وارتباطه به وكونه في الظاهر لا يصلح أن يجاوره غيره»⁴.

وقد استشهد عليه بشاهد قرآني وهو قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ

فَأَخَذْنَا مِنْهُمُ الْبِأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَتَضَرَّعُونَ، فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ بِأَسْنَا تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ

قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ، فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ﴾ (سورة الأنعام،

الآيات 42، 44)، ومقتضى حسن النظم أن يقول: أخذناهم بغتة فلم يقل ذلك وقال: (فَتَحْنَا

عليهم أبواب كل شيء)، (فَلَمَّا فَرِحُوا بِمَا أُوتُوا أَخَذْنَا مِنْهُمُ بَغْتَةً) فلاوهم ظاهر النظم أن

قوله: (فتحنا عليهم أبواب كل شيء) بعد قوله: (فلما نسوا ما ذكروا به) غير ملائم، وأن

الأليق أن يقال: (أخذناهم بغتة)، ولو جاء النظم على توهم السامع لحصل الإخلال بما أفاده

الفصل من المعاني، لأن الإخبار بفتح أبواب كل شيء عقيب معاملتهم بما يبطل أعدارهم

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فرق).

2 - المصدر نفسه، مادة (جمع).

3 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص313.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص313.

وينبئهم بأمر معاصيهم، ويسلكهم في خير الكتب المنزلة من الله، المتضمنة الوعيد بأخذهم من وسط ما استدرجهم به من النعم، لتكون المحبة أشدّ، وألم الأخذ أعظم، والعذاب أشقّ، ثم قال بعد الإخبار بفتح أبواب النعيم العميمة (أخذناهم)، فاجتمع ما تفرّق من الكلام، وانتظم ما انفصم من ذلك النظام، وهذا سر من أسرار البلاغة ولا يهتدي إليه إلا أهله¹.
والتفريق والجمع من المصطلحات التي ذكرها في "بديع القرآن" ولم يذكرها في "تحرير التحبير"، كما أنه استشهد عليه بشاهد قرآني، وهذا لا يعني أنه مستحيل الوقوع في كلام البشر، ولكنه وُجد في كلامهم .

17_صحة التفسير:

التفسير لغة الإبانة والكشف، فيقال: «فسر الشيءَ يفسره ويفسره فسراً وفسره: أبانه، والتفسير كشف المراد عن اللفظ المشكّل»².

والتفسير من المصطلحات التي انتقلت من العلوم الدينية _ تفسير القرآن _ إلى النقد والبلاغة، فأصبح يعني: «أن يأتي المتكلم أو الشاعر في بيت بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون تفسيره، إما في البيت الآخر، أو في بقية البيت، إن كان الكلام يحتاج إلى التفسير في أوله»³. والتفسير من مستخرجات "قدامة"، وسماه قوم التبيين⁴.

ذكره "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) ضمن نعوت المعاني الدال عليها الشعر وسماه "صحة التفسير"، وعرفه بقوله: «أن يضع الشاعر معاني يريد أن يذكر أحوالها في شعره الذي يصنعه، فإذا ذكرها أتى بها من غير أن يخالف معنى ما أتى به منها، ولا يزيد أو ينقص»⁵، فالشاعر يذكر معاني تحتاج إلى التفسير، ثم يأتي مقابل كل معنى ما يفسره. وكل من جاء بعده أخذ عنه مع اختلاف بسيط في الصياغة.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 313 ، 314.

² - ابن منظور: لسان العرب، مادة(فسر).

³ - ابن حجة الحموي: خزائن الأدب وغاية الأرب، ج2، ص814.

⁴ ينظر: المصدر نفسه: ص 814.

⁵ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص135.

وأعاد "العسكري" (ت395هـ) كلام "قدامة" وأمثلته قائلاً: «وهو أن يورد معاني فيحتاج إلى شرح أحوالها، فإذا شرحت تأتي في الشرح بتلك المعاني من غير عدول عنها أو زيادة تزد فيها»¹، من مثل قول الفرزدق (الطويل)²:

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَأْتُ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثَقَلَّ مَغْرَمٌ

فلما كان هذا البيت محتاجاً إلى تفسير، قال:

لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُطْعَمًا وَمُطَاعِنًا وَرَاءَكَ شِزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ

« ففسر قوله: حاملاً ثقل مغرم بأنه يلقي فيهم من يعطيه، وفسر قوله: طريد دم بقوله: إنه يلقي فيهم من يطاعن دونه ويحميه»³.

ولم يخرج "الباقلاني" (ت403هـ) عما قاله "قدامة" و"العسكري" في التفسير⁴. وعرفه "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) بقوله: «هو: أن يستوفي الشاعر شرح ما ابتداء به مجملاً»⁵، ثم ذكر أنه قل ما يجيء التفسير إلا في أكثر من بيت واحد⁶. بمعنى أن يأتي الشاعر بكلام مجمل في البداية ثم يشرحه ويستوفيه دون زيادة أو نقصان.

وسار "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) على منوال السابقين في تحديد مفهوم التفسير، فقد سماه في كتاب "تحرير التحرير" صحة التفسير والتبيين، وفي كتاب "بديع القرآن" صحة التفسير. وعرفه بقوله: «هو أن يأتي المتكلم في أول الكلام، والشاعر في بيت من الشعر بمعنى لا يستقل الفهم بمعرفة فحواه دون أن يفسر في البيت الآخر أو في بقية البيت إن كان الكلام الذي يحتاج إلى التفسير في أوله»⁷. وذكر أن التفسير في الكلام يقع على أنحاء هي: بعد الشرط، وما هو في معناه، وبعد الجار والمجرور، وبعد المبتدأ الذي التفسير خبره.

1 - العسكري: الصناعتين، ص345.

2 - الفرزدق: الديوان، ص519.

3 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص135. وينظر: العسكري: الصناعتين، ص346.

4 - الباقلاني: إعجاز القرآن، ص143.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص53.

6 - ينظر: المصدر نفسه، ص53.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص185. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص74.

و قد جاءت أمثله له متنوعة شملت جميع أنواعه، فمثال ما وقع من التفسير بعد الحروف المتضمنة معنى الشرط، قول الفرزدق (الطويل) ¹:

لَقَدْ خُنْتُ قَوْمًا لَوْ لَجَّاتَ إِلَيْهِمْ طَرِيدَ دَمٍ أَوْ حَامِلًا ثِقْلَ مَغْرَمٍ
لَأَلْفَيْتَ فِيهِمْ مُطْعَمًا وَمُطَاعِنًا وِرَاءَكَ شَزْرًا بِالْوَشِيحِ الْمُقْوَمِ

ومثال ما وقع بعد الجار والمجرور من التفسير، قول الحسين بن مطير الأُسدي (الكامل) ²:

وَلَهُ بِلَا حُزْنٍ وَلَا بِمَسْرَةٍ ضَحِكٌ يُوَاصِلُ بَيْنَهُ وَبِكَاءٍ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري": إن كلا الشاعرين لم يراعى الترتيب، وإن كان عدم الترتيب مع حسن الجوار وقرب الملائم لا ينقص به حسن الكلام البليغ، بل هو عندي نوع من صحة التفسير ³، يدعم رأيه هذا بشاهد من القرآن الكريم، يقول تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَوُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ {سورة آل عمران، الآيتان 106، 107}، ثم قال سبحانه وتعالى بعد ذلك: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ﴾ .

ومما جاء من التفسير بعد خبر المبتدأ بشرط أن يكون المفسر مجملا والمفسر له منفصلا، قول ابن الرومي (الكامل) ⁴:

أَرَاؤُكُمْ وَوُجُوهُكُمْ وَسَيُوفُكُمْ فِي الْحَادِثَاتِ إِذَا دَجَّوْنَ نُجُومَ
مِنْهَا مَعَالِمٌ لِلْهُدَى وَمَصَابِيحُ تَجَلُّو الدُّجَى وَالْأَخْرِيَاتُ رُجُومَ

فقد علق عليه بقوله: «وهذا أفضل ما سمعته في باب التفسير من الشعر، فإنه راعى فيه الترتيب أحسن مراعاة، فلو كمله بأن يستوعب فيه أقسام منافع النجوم بأن يضيف إلى ما ذكره سقياها الأرض، حصل في بيته صحة التقسيم مع صحة التفسير، وإن كان هذا غير لازم للشاعر، لكنه لو اتفق له ذلك كان أحسن» ⁵.

¹ - الفرزدق: الديوان، ص519.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص185.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص186.

⁴ - ابن الرومي: الديوان، ج3، ص319.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص189.

ثم ذكر أنه خطر له أن يعمل في معنى هذه الأبيات على ما وقع له من صحة التقسيم مع صحة التفسير، فقال في شرف الدين حسن بن سناء الملك (الطويل) ¹:

لآبَائِكَ الْمَاضِينَ يَا حَسَنَ النَّدَى صفاتٌ بها لا غيرُ تَعْلُو المراتب
وجوه وآراءٌ وشُهَبٌ عَزَائِمٍ وأيدٍ بديجورِ الخطوبِ كواكب
يماط الدجى منها ويُهدى بها الورى ويُرْحَمُ من يجنى وتسقى السحاب

ومن مליح التفسير الذي وقع في بيت واحد، قول بعض المغاربة (البسيط) ²:

صَالُوا وَجَالُوا وَضَاوُوا وَاحْتَبَوْا فَهَمُّ أَسَدٌ وَمُزْنٌ وَأَقْمَارٌ وَأَجْبَالُ

يقول معلقا على البيت: فإنه أحسن الترتيب في عجز البيت كله، وجعل المفسر في الصدر، بحيث أتى كل قسم مستقلا بنفسه، وجمع إلى ذلك المساواة، لأن لفظه طبق معناه .

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" نوعا من التفسير لا تُعرف صحته، لأنه يأتي مفسرا لشيء مقدر في النفس، لم يجر له ذكر في الكلام المتقدم، لكنه يكون ملزوم الكلام المتقدم من ظاهر اللفظ، وكذا لأن المفسر لا تتحصر تفاصيله، كقول المتنبي (الكامل) ³:

وَجَلَا الْوَدَاعُ مِنَ الْحَبِيبِ مَحَاسِنًا حَسَنُ الْعَزَاءِ وَقَدْ جُلِينِ قَبِيحُ
فَيْدٌ مَسْلَمَةٌ وَظَرْفٌ شَاخِصٌ وَحَشًا يَذُوبٌ وَمَدْمَعٌ مَسْفُوحُ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على بيتي المتنبي بقوله: وذلك أن البيت الثاني لا يصلح أن يكون تفسيراً للبيت الأول، لأن البيت الأول أشار فيه الشاعر إلى صفات الحبيب، أما البيت الثاني فيشير فيه إلى أحوال المحب، فلما قال في الأول إن الوداع جلا من الحبيب محاسنا قبح عند رؤيتها، كان كأنه قدر في نفسه أنه عندما تحقق تلك المحاسن بقيت حاله على ما شرحه وفسره في البيت الثاني ⁴.

ثم ذكر قسما آخر من التفسير غير الأقسام المتقدمة يقع بعد الإخبار، مثل له بقول أبي حية النميري (الطويل) ⁵:

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 189.
² - ينظر: المصدر نفسه، ص 192.
³ - المتنبي: الديوان، ج 1، ص 231.
⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 190.
⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص 191.

فَأَلْقَتْ قِنَاعًا دُونَهُ الشَّمْسُ وَاتَّقَتْ بِأَحْسَنِ مَوْصُولَيْنِ كَفَّ وَمِعْصَمٍ

ويضيف "ابن أبي الإصبع المصري" أن من معجز التفسير، ما جاء في الكتاب العزيز، وهو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ﴾ {سورة النور، الآية 45}، فقد ذكر سبحانه الجنس الأعلى أولاً حيث قال: «كل دابة» فاستغرق أجناس كل ما دبَّ ودرَج. ثم فسَّر هذا الجنس بعد ذلك بالأجناس المتوسطة والأنواع، حيث قال: فمنهم، ومنهم، ومنهم مراعيًا للترتيب وذلك أنه سبحانه قدَّم ما يمشي بغير آلة لكون الآية سيقَّت لبيان القدرة وتعجب السامع، وما يمشي بغير آلة أعجب مما يمشي بالآلة، فلذلك اقتضت البلاغة تقديمه، ثم ثنى بالأفضل فالأفضل، فأتى بما يمشي على رجلين، وهو الآدمي والطائر، وثلث بما يمشي على الأربع لأنه أحسن الحيوان البهيم، وبذلك استوعب الأقسام، وأحسن الترتيب، فتضمنت هذه الكلمات التي هي بضع آية عدة من المحاسن، وهي: صحة التفسير، وصحة التقسيم، مع مراعاة الترتيب، والإشارة، والاتلاف، وحسن النسق¹.

18_ المساواة:

المساواة لغة المماثلة والمعادلة، يقال: «استوى الشيطان وتساويا: تماثلا. ساوى الشيء الشيء إذا عادله. وهذا لا يساوي هذا، أي لا يعادله»².

وقد نقل هذا المعنى على سبيل المشابهة إلى الاصطلاح فعرَّفها البلاغيون بأنها: «تساوي اللفظ والمعنى بحيث لا يزيد أحدهما على الآخر»³.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) المساواة دون أن يسميها قال: «ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طَبَقًا، وتلك الحال له وَفَقًا، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا... ومدارُ الأمر على إفهام كل قوم بمقدار طاقتهم، والحمل عليهم على أقدار منازلهم»⁴، نفهم من كلامه التأكيد على ضرورة مطابقة الكلام لمقتضى الحال.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: ص192، 193. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص76-75.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (سوا).

3 - أحمد مطلوب وحسن البصير: البلاغة والتطبيق، ص217.

4 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص93.

وجعلها "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) من أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، فقال في تعريفها: «أن يكون اللفظ مساويا للمعنى، حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذه هي البلاغة التي وصف بها بعض الكتّاب رجلا فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، أي هي مساوية لها لا يفضل أحدهما على الآخر»¹.

وعبر عنها "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) بقوله: «وهو أن تكون المعاني بقدر الألفاظ، والألفاظ بقدر المعاني لا يزيد بعضها على بعض»²، كما يرى أن المساواة هي المذهب المتوسط بين الإيجاز والإطناب³.

ومفهوم المساواة عند "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) هو: «ما طابق لفظه لمعناه: لا يزيد عليه، ولا ينقص عنه»⁴، وهي عنده ضرب من الإيجاز⁵. كما ذكر أنه أخذ مفهومه من "الرماني"، ولكنني لم أجد عند "الرماني" هذا التعريف، أو ذكر للمساواة⁶.

ولم يعطها "السكاكي" (ت626هـ) أي قيمة فنية وجعلها غير محمودة ولا مذمومة، وقد فسرها بالمتعارف من كلام أوساط الناس، قائلا: «أما الإيجاز والإطناب فلكونهما نسبيين، لا يتيسر الكلام فيهما إلا بترك التحقيق والبناء على شيء عرفي، مثل جعل كلام الأوساط على مجرى متعارفهم في التأدية للمعاني فيما بينهم، ولا بد من الاعتراف بذلك مقيسا عليه، ولنسمه: متعارف الأوساط، وإنه في باب البلاغة لا يحمد منهم ولا يذم»⁷. والأكيد في الأمر: «أن الاتفاق على متعارف الأوساط هو أمر من الصعب تحديده ليقاس عليه، وذلك لاختلاف الناس في هذا المتعارف ولتعدد الأغراض والأهداف التي ترسم الأسلوب الذي يقاس عليه الإيجاز والإطناب»⁸.

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص150.

2 - العسكري: الصناعتين، ص179.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص179.

4 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص250.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص250.

6 - ينظر: المصدر نفسه: ج1، ص250، وينظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص76.

7 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص276.

8 - أحمد مطلوب وحسن البصير: البلاغة والتطبيق، ص217.

أما "أسامة بن منقذ" (ت584هـ) فقد أورد مصطلح المساواة بمعنيين: الأول ما جاء في باب "التضييق والتوسيع والمساواة" تابع في مفهومه النقاد والبلاغيين الذين سبقوه، فقال: «ينبغي أن يكون اللفظ على قدر المعنى، ولا يكون أطول منه، ولا أقصر، ولذلك قالوا: خير الكلام ما كانت ألفاظه قوالب لمعانيه»¹. والثاني ما جاء في باب "المساواة" خالف في مفهومه من سبقوه، فقال: «هو مساواة الآخذ منه للآخذ عنه، والأول أحق به، لأنه ابتدع والثاني اتبع، فالأول سابق والثاني لاحق»².

والمساواة عند ابن أبي الإصبع المصري لا تختلف عما هي عند سابقيه على العموم. فقد نقل تعريف "قدامة بن جعفر" لها، فقال: «هو أن يكون اللفظ مساويا للمعنى حتى لا يزيد عليه ولا ينقص عنه، وهذا من البلاغة التي وصف بها بعض الوصاف بعض البلغاء فقال: كانت ألفاظه قوالب لمعانيه، ومعظم آيات الكتاب العزيز كذلك»³، ومثّل له بعدة أمثلة من القرآن الكريم والشعر وأقوال بعض البلغاء.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنه يمكن أن تجتمع المساواة والإشارة في قوله: «ولا معنى للإشارة إلا دلالة اللفظ القليل على المعاني الكثيرة، فكيف تجتمع المساواة والإشارة؟ قلت: المساواة تطلق ويراد بها معنيان: أحدهما أن تكون ألفاظها ألفاظ المعنى الموضوع له، فتلك هي التي لا تزيد على المعنى ولا تقصر عنه، وهي التي لا تجتمع مع الإشارة ولا الإرداف ولا غيرهما من الكلام الذي لفظه أقل من معناه، والثاني أن يكون لفظ الكلام غير لفظ معناه الموضوع له، كالإشارة والإرداف وما جرى هذا المجرى، فإن كانت كذلك ولم يأت المتكلم في أثناء الكلام وخلالها بلفظة زائدة على لفظ المقصد الذي قصده لإقامة وزن أو لاستدعاء قافية أو تتميم معنى، أو لإيغال أو سجة، فتلك أيضا مساواة لأن لكل باب لفظا يخصه، فمتى زاد على ذلك اللفظ الدال على ذلك المعنى المقصود كان الكلام غير موصوف بالمساواة»⁴.

1 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص154.

2 - المصدر نفسه: ص194.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص197، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص79.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص198.

ومن أمثلة المساواة في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُم لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ {سورة النحل، الآية 90}.

يقول معلقا على الآية: «فإن المعنى المراد من هذه الآية والله أعلم أن الله سبحانه أراد أن يأمر بجميع المحاسن المنجيات الممدوحات، وينهى عن جميع القبائح الموبقات المذمومات، فأخرج المعنى في لفظ هو طبقه، وقالب هو قدره، وصورة مساوية لمعناه، لا تزيد أو تنقص عن فحواه»¹.

ومثل له أيضا بقوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ {سورة هود، الآية 44}.

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أنه إن قيل لفظة "القوم" زائدة لم توصف الآية بالمساواة، فإنه لو قال: ﴿وَقِيلَ بُعْدًا لِلظَّالِمِينَ﴾ أجزاء، قلت: لما سبق قوله تعالى: ﴿وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ﴾ {سورة هود، الآية 38}، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُخَاطَبِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أوجبت البلاغة أن يقول في آخر الكلام: ﴿بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾، فلو اقتصر سبحانه على لفظة الظالمين دون لفظة القوم لتوهم متوهم أن آلة التعريف في الظالمين للجنس وهو خلاف المراد، فإن المراد بالظالمين في الآية قوم نوح الذين وصفهم بالظلم، ونهاه عن المخاطبة فيهم، فالمدعو عليهم هم قوم نوح، لذلك صار الإتيان بلفظة القوم يفيد معنى لم يفده الكلام بدونها².

ومثل له من الشعر بقول امرئ القيس (المتقارب)³:

فَإِنْ تَكْتُمُوا الدَّاءَ لَا نَخْفَهُ وَإِنْ تَبْعَثُوا الْحَرْبَ لَا نَقْعِدِ
وَإِنْ تَقْتُلُونَا نَقْتَلُكُمْ وَإِنْ تَقْصِدُوا لِدِمِّ نَقْصِدِ

وكقول زهير (الطويل)⁴:

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 80.

² - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 198.

³ - امرؤ القيس: الديوان، ص 54. وفي الديوان (تدفنوا) بدل (تكتموا).

⁴ - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 70.

ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة
وكقول طَرْفَة(الطويل) ¹:

سَتْبِدِي لَكَ الْأَيَّامُ مَا كُنْتَ جَاهِلًا
وكقول ذي الرمة(الطويل) ²:

لَهَا بَشَرٌ مِثْلُ الْحَرِيرِ وَمَنْطِقُ
رَخِيمِ الْحَوَاشِي لَا هَرَاءٌ وَلَا نَزْرُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «وقول ذي الرمة هذا من قول هند بن أبي هالة في وصف كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم-: (قولا فصلا لا فضل فيه ولا تقصير). وقالت أم معبد في وصف كلامه - صلى الله عليه وسلم-: (لا نزر ولا هذر كأنه خرزات نظم يتحدرن)» ³.

ثم قال: «واعلم أن البلاغة قسمان كما قيل: البلاغة إيجاز من غير إخلال، وإطناب من غير إملال؛ والمساواة معتبرة في القسمين معا» ⁴. وهذا الأمر فيه نظر فحسب "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) فإن المساواة إما أن تكون واسطة بين الإيجاز والإطناب، وإما أن تكون داخلة في قسم الإيجاز لا أكثر، قال: «إن البلاغيين قد اختلفوا في أمرين:

أحدهما هل هي واسطة بين الإيجاز والإطناب، أم داخلة في قسم الإيجاز؟

فالسكاكي والتيفاشي والخطيب القزويني على الأول، وابن الأثير والطبي وجماعة على الثاني، وسماها الطيبي إيجاز قصر» ⁵.

واستشهد "ابن أبي الإصبع المصري" على ما جاء منه من قسم الإيجاز، بقوله تعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾ {سورة البقرة، الآية179}، فإن معنى هذه الجملة جاء في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ

¹ - طرفة بن العبد : الديوان، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، دار الثقافة والفنون دولة البحرين، ط2000م، ص58.

² - ذو الرمة: الديوان، ص208.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص79.

⁴ - المصدر نفسه: ص81.

⁵ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص314.

منصُوراً﴿سورة الإسراء، الآية33﴾، يقول "ابن أبي الإصبع المصري" إن الآية الأولى إيجاز والثانية إطناب وكلاهما موصوف بالمساواة ، ومن ذلك قوله تعالى:﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾، مثل قوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾﴿سورة النحل، الآية90﴾، فالأولى إيجاز والثانية إطناب¹. وكان "ابن أبي الإصبع المصري" قد استشهد بهذه الآية على الإيجاز. وتابعه فيما ذهب إليه" ابن حجة الحموي"(837هـ) من أن البلاغة قسمان: إيجاز وإطناب، والمساواة معتبرة في القسمين²، وذكر أمثله لهذا الفن. ولكن"ابن معصوم المدني" قد استنكر ما جاء به"الحموي"، والعجيب في الأمر أنه لم يشر إلى"ابن أبي الإصبع المصري" قبله قائلاً:«وأغرب ابن حجة في قوله: إن المساواة معتبرة في قسمي الإيجاز والإطناب. ولا قائل به، بل لا يصح القول به، وتمثيله_ لاعتبارها في قسم الإطناب_ بقوله تعالى:﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى﴾﴿سورة النحل، الآية90﴾_ الآية_ أغرب، فإن هذه الآية من أعظم شواهد إيجاز القصر كما تقدم في نوع الإيجاز»³.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص81.

2 - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص926.

3 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص314.

الفصل الثاني

مصطلحات التنوع في الأسلوب

1_ الاستثناء:

الاستثناء لغة من «استثنيت الشيء من الشيء: حاشيته»¹.

والاستثناء من المصطلحات التي انتقلت دراستها من النحو إلى النقد والبلاغة، وبقيت الصلة بينهما بأداة الاستثناء. فالاستثناء البلاغي يستخدم أدوات الاستثناء كما هي في الاستثناء النحوي، ولكن المضمون بلاغي.

فالاستثناء اللغوي: هو إخراج القليل من الكثير، ولا صلة لنا بهذا الضرب والذي يعنينا هو الاستثناء الصناعي: وهو الذي يفيد معنى زائداً على المعنى اللغوي، ويكسو الكلام حسناً وجمالاً، لينظم بذلك إلى أبواب البديع.

سماه "ابن المعتز" (ت296هـ) تأكيد المدح بما يشبه الذم².

والاستثناء عند "العسكري" (ت395هـ) على ضربين³:

الأول: هو أن تأتي معنى تريد توكيده والزيادة فيه فتستثني بغيره؛ فتكون الزيادة التي قصدتها، والتوكيد الذي توحيته في استثنائك، والثاني: استقصاء المعنى والتحرز من دخول النقصان فيه.

فالأول: هو تأكيد المدح بما يشبه الذم الذي ذكره "ابن المعتز". والثاني هو ضرب من الاحتراس والاحتياط.

وجعله "الباقلائي" (ت403هـ) ضرباً من البديع، قال: «ومن البديع ضرب من

الاستثناء»⁴.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ثني).

2 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص62.

3 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص408.

4 - الباقلائي: إعجاز القرآن، ص160.

أما ابن رشيقي (ت456هـ) فلم يضع للاستثناء مفهوما محددًا، ويظهر من خلال الأمثلة التي ساقها في هذا الباب أنه تابع "العسكري" في مفهومه للضرب الأول وهو تأكيد المدح بما يشبه الذم، وأخرج الضرب الثاني الذي عدّه ضربًا من الاحتراس والاحتياط¹.

ومفهوم الاستثناء عند ابن أبي الإصبع المصري" يختلف عما هو عليه عند سابقيه، فليس هو تأكيد المدح بما يشبه الذم، وليس ضربًا من الاحتراس والاحتياط، بل هو الاستثناء النحوي الذي يشتمل على معنى يزيد على معنى الاستثناء اللغوي. فقال: «الاستثناء استثناءان: لغويٌّ وصناعيٌّ، فاللغويُّ ؛ إخراج القليل من الكثير، وقد فرغ النحاة من ذلك مفصلاً في كتبهم. والصناعيُّ هو الذي يفيد بعد إخراج القليل من الكثير معنى زائداً، يعد من محاسن الكلام، يستحق به الإتيان في أبواب البديع»²، ومتى لم يكن في الاستدراك والاستثناء معنى من المحاسن زائداً على ما يدل عليه اللغويُّ ، لا يعدّان من البديع³.

واستشهد على الاستدراك الصناعي بقوله تعالى: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا﴾ {سورة الحجرات، الآية14}، فإنه سبحانه لو اقتصر على قوله: (ولم تؤمنوا) لكان فيه تنفير لهم، لأنهم ظنوا الإقرار بالشهادتين من غير اعتقادهما إيماناً، فأوجبت البلاغة هذا الاستدراك من الكلام ليعلم أن حقيقة الإيمان موافقة القلب للسان بالتصديق، ولأن انفراد اللسان بذلك يسمى إسلاماً لا إيماناً، وزاده إيضاحاً بقوله تعالى: ﴿وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فلما تضمن الاستدراك إيضاح ما على ظاهر الكلام من الإشكال عدّ من المحاسن⁴.

واستشهد على الاستثناء الصناعي بقوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ {سورة الحجر، آيتا30،31}، فإن في هذا الكلام معنى زائداً على مقدار الاستثناء وهو الاحتراس في قوله: (كلهم أجمعون)، فإنه لو اقتصر على قوله: (فسجد الملائكة إلا إبليس) لاحتمل أن يكون من الملائكة من لم يسجد، فيتأسى به إبليس ولا يكون منفرداً بهذه

1 - ينظر: ابن رشيقي: العمدة، ج2، ص48.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص333. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص121.

3 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص333. وص121.

4 - ينظر: : المصدران نفسيهما : ص334. و ص121.

الكبيرة، لاحتمال أن تكون آلة التعريف للعهد لا للجنس، فلما كان هذا الإشكال يتوجه على الكلام إذا اقتصر فيه على ما دون التوكيد وجب الإتيان بالتوكيد، ليعلم أن أداة التعريف للجنس فيرتفع هذا الإشكال بهذا الاحتراس، لتعظم بذلك كبيرة إبليس من كونه فارق جميع الملائكة، وخرق إجماع الملائكة، فيستحق أن يفرد بما جرى عليه من اللعن إلى الأبد¹. ومثله قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ {سورة العنكبوت، الآية 14}، فإن في الإخبار عن هذه المدة بهذه الصيغة تهويلا على السامع، لتمهيد عذر نوح عليه السلام في الدعاء على قومه، ففي حكمة الإخبار عن المدة بهذه الصيغة تعظيما لها، لكون أول ما يباشر السمع ذكر الألف، واختصارا للفظ، فإن لفظ القرآن أخصر من قولنا: تسعمائة سنة وخمسون عاما، فلفظ القرآن يفيد حصر العدد المذكور، ولا يحتمل الزيادة عليه، ولا أن ينقص منه².

وذكر أن من الاستثناء نوعا لا يدخل في أبواب البديع إلا بعد أن يوصف المستثنى بوصف يتضمن نوعا من المحاسن، أو يذيل بمعنى مرتبط بمعناه يتضمن معنى من معاني البديع، كقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ، خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ، وَأَمَّا الَّذِينَ سَعَدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ {سورة هود، الآيات 106، 108}، فإنه سبحانه _ لما علم أن وصف الشقاء يعم المؤمن العاصي والكافر المسيء، استثنى خلوده في النار بلفظ مُطمع، حيث أثبت الاستثناء المطلق وأكده بقوله: ﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾، أي أنه لا اعتراض عليه في إخراج أهل الشقاء من النار، ولما علم أن أهل السعادة لا خروج لهم من الجنة، أكد خلودهم بعد الاستثناء بما يرفع احتمال الاستثناء، حيث قال: ﴿عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوذٍ﴾ أي غير منقطع، وهذه المعاني زائدة على الاستثناء اللغوي³.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير ص334. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ص 121 ، 122.

² - ينظر: المصدران نفسيهما: ص335. وص122.

³ - ينظر: المصدران نفسيهما : ، ص 335 ، 336. و ص 122 ، 123.

واستشهد على الاستثناء من الشعر بقول النَّميري (الطويل) ¹:

فَلَوْ كُنْتَ بِالْعَنْقَاءِ أَوْ بِأُطُومِهَا لَخَلَّتْكَ إِلَّا أَنْ تَصُدَّ تَرَانِي

فإن هذا الاستثناء تضمن زيادة مدح للممدوح، وذلك أن هذا الشاعر يقول: إنني لو كنت في حال العدم البحت_ لأن العرب تضرب المثل بالعنقاء لكل شيء متعذر الوجود_ لخلتكَ متمكنا من رؤيتي، ليس لك مانع يمنعك عني، فأنت في القدرة عليّ غير مغالب، وهذه غاية المبالغة في المدح.

وكقول أبي نواس (الطويل) ²:

لَمَنْ طَلَّلَ عَارِي الْمَحَلِّ دَفِينٌ عَفَا آيَهُ إِلَّا خَوَالِدُ جُونُ

فهذا الاستثناء تضمن تعظيم الشاعر لما فيه من تعظيم أحبائه، ودلّ على شرف نفسه وعلوّ همته، فهو لا يسمو إلا لحب الكرماء من الناس، فاستثنى من آيات الطلل الخوالد الجون وهو يريد الأثافي، فوصفها يدل على عظمها وعظمتها دليل على عِظَم القُدور، وفي هذا الوصف دلالة على عظم الكرم، فتمّ للشاعر من الفخر لأهل هذا الطلل ما أراد ³.
وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" نوعا آخر من الاستثناء وقع له سماه "استثناء الحصر"، وهو غير الاستثناء الذي يخرج القليل من الكثير، ومثل له بقوله (الطويل) ⁴:

إِلَيْكَ وَإِلَّا مَا تُحْتُّ الرِّكَائِبُ وَعَنْكَ وَإِلَّا فَالْمَحْدَثُ كَاذِبُ

فإن خلاصة هذا البيت قول الشاعر للممدوح: لا تحتُّ الرِّكَائِبُ إِلَّا إِلَيْكَ، ولا يصدق المحدث إِلَّا عَنْكَ، ولا يحصل هذا الحصر من الاستثناء الأول، يشرح ذلك في قوله: «فإن قوله تعالى: ﴿فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ (سورة العنكبوت، الآية 14) لا يمنع أن يقال: إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا وَعَامًا، لولا توخي الصّدق في الخبر، وقوله سبحانه: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ، إِلَّا إِبْلِيسَ﴾ (سورة الحجر، آيتا 31، 30) لا يمنع أن يقال: ورهطه، لولا مراعاة الصّدق، ولأنّ الصيغ التي قدرها المعترض لا يقع مثلها في الكلام الفصيح، فإنها عبارة أهل

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص336. وابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص260. وابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج3، ص111.

² - أبو نواس: الديوان، ص598.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص337.

⁴ - المصدر نفسه: ص337، شعره.

العِيّ والفهه، فإن قلت: كل الاستثناء موضوع للحصر، فلا اختيار لهذا الاستثناء على الأول، وما قدرته في الاستثناء الأول يلزم مثله في هذا الاستثناء إذا أزلت منه التقديم والتأخير، وأتيت بالكلام على استقامته، قلت: الذي ميّز هذا الاستثناء على الأول: هو ما فيه من التقديم والتأخير، فإنه على الصورة التي جاء عليها يفيد حصراً أشدّ من حصر جنس الاستثناء كلّهُ»¹.

وتبعه في هذا النوع الحموي والسيوطي ونسباه إليه².

أما "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) فقد علّق على نوع استثناء الحصر الذي جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" في قوله: «وأنا أقول فأما لفظ البيت فليس فيه استثناء، و(إلا) المذكورة في صدره وعجزه ليست هي الاستثنائية، وإنما هي بمعنى (إن لم) فهي كلمتان (إن) الشرطية و(لا) النافية. مثلها في قوله تعالى: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ﴾ {سورة التوبة، الآية 40}. لأن تقدير البيت هكذا: إليك تحت الركائب وإلا، أي وإن لم تحت إليك لا تحت. وعنك يحدث المحدث وإلا، أي وإن لم يحدث عنك فالمحدث كاذب. وأما معناه الذي ذكره، فالاستثناء فيه ظاهر. فعلى هذا فالأليق أن يسمى هذا استثناء معنويًا لئلا يتوهم من لا له درية في العربية أنّ (إلا) فيه هي الاستثنائية فيخبط خبط عشواء»³.

وعليه، فقد آثر "ابن معصوم المدني" أن يسمي "استثناء الحصر" الذي جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" الاستثناء المعنوي، للأسباب التي تقدم ذكرها .

2_ الاستدراك والرجوع:

الاستدراك لغة من (درك)، جاء في اللسان: «استدرك الشيءَ بالشيءِ: حاول إدراكه به. وتدارك القومُ: تلاحقوا، أي لحق آخرهم أوّلهم»⁴.
والرجوع لغة هو الانصراف والعودة⁵.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص337، 338.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص110.

3 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج3، ص 113 ، 114.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(درك).

5 - ينظر: المصدر نفسه ، مادة(رجع).

وفي الاصطلاح: «رفع توهم يتولد من الكلام السابق رفعا شبيها بالاستثناء، وهو معنى لكن»¹. مع زيادة نكتة طريفة على معنى الاستدراك لتحسنه وتدخله في البديع، وإلا فلا يعدّ منه².

تكلم عنه "ابن المعتز" (ت296هـ) تحت اسم الرجوع وعرفه بقوله: «وهو أن يقول شيئا ويرجع عنه»³.

ونقل "العسكري" (ت395هـ) مفهوم "ابن المعتز" ومثّل له بعدة أمثلة⁴.

وسماه "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) الاستدراك والرجوع، وقال: «إنه على قسمين: قسم يتقدم الاستدراك فيه تقريرٌ لما أخبر به المتكلم وتوكيد، وقسم لا يتقدمه ذلك»⁵. ولكنه تكلم على الاستدراك ولم يذكر الرجوع، وشواهدة التي أتى بها تنطبق على الاستدراك فقط، ولقد تقدّم توضيح هذا الفن في فن الاستثناء الذي جاء قبله.

وقد استشهد على النوع الأول من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَاكِبِ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَأَاهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ﴾ {سورة الأنفال، الآية 43}⁶. الآية 43{⁶.

ومثّل على القسم الأول من الشعر بقول ابن الرومي (الوافر)⁷:

وَإِخْوَانٌ تَخَذْتُهُمْ دُرُوعًا فَكَانُوا هَا وَلَكِن لِّلْأَعَادِي
وَخَلَّتُهُمْ سِهَامًا صَائِبَاتٍ فَكَانُوا هَا وَلَكِن فِي فَوَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مِنَّا قُلُوبٌ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِن مِن وَدَادِي

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" إنه لم يسمع في هذا الباب أحسن من أبيات ابن الدؤيدة المغربي فيمن أودع عنده ودیعة فادّعی ضیاعها فقال فيه (الكامل)⁸:

إِنْ قَالَ قَدْ ضَاعَتْ فَيَصْدُقُ أَنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْني لَوْ تَعِي

1 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج1، ص385.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص385.

3 - ابن المعتز: البديع، ص60.

4 - ينظر: العسكري: الصنائع، ص395.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص331. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص117.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص117، 118.

7 - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص525.

8 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص331.

أو قال قد وقعت فيصدق أنها وقعت ولكن منه أحسن موقع

ومثال القسم الثاني الذي لا يتقدمه تقرير ولا توكيد قوله تعالى: ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى﴾ {سورة الأنفال، الآية 17}، فقد جاء الاستدراك في الآية في موضعين كل منها مرشح للتعطف، فإن لفظة تقتلوهم وقتلهم، ورميت ورمى تعطف، وهذا أقرب استدراك وقع في الكلام لتوسط حرفه بين لفظي التعطف في الموضعين، وجاء الانتقال في نظم هذه الكلمات على طريق البلاغة من القتل والرمي، ذلك أنّ الرمي أعجب آية من القتل، فإن القتل مما يظن بظاهره أنه من فعل القاتل، والرمي في هذا المكان ليس كذلك، فإنّ المراد به رمية الرسول صلى الله عليه وسلم الكف من الحصباء فأصابته كل حصاة عين إنسان، وهذا مما لا يظن أنه مقدور للبشر، فحصل في هذه الكلمات من البديع: الاستدراك، الترشيح، التعطف، التهذيب، وحسن النسق، وحسن البيان¹.

وقد استشهد على هذا القسم بشاهد شعري، هو قول زهير بن أبي سلمى (الطويل)²:

أخو ثقة لا تهلك الخمر ماله ولكنّه قد يهلك المال نائله

3_ الإسجال بعد المغالطة:

الإسجال لغة من (سجل)، جاء في اللسان: «أسجلت الكلام أي أرسلته، وأسجل لهم الأمر: أطلقه لهم، ومنه قول محمد بن الحنفية في قوله تعالى: ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ {سورة الرحمن، الآية 60}، قال: هي مسجلة للبرّ والفاجر: يعني مرسلة مطلقة في الإحسان إلى كل أحد، لم يشترط فيها برّ دون فاجر. وفي حديث ابن مسعود: افتتح سورة النساء فسجلها، أي قرأها قراءة متصلة. يقال: سجلت الماء سجلاً إذا صببته صبّاً متصلاً³.

متصلاً³.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 118.

² - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص 54. في الديوان (أخي) بدل (أخو)، و(تتلف) بدل (تهلك).

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (سجل).

هذا المصطلح من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري" ولم يسبقه أحد إليه¹، وقد عرفه بقوله: «هو أن يقصد المتكلم غرضاً من ممدوح، فيأتي بألفاظ تقرّر بلوغه ذلك الغرض، إسجالاتاً منه على الممدوح به، وبيان ذلك أن يشترط شرطاً يلزم من وقوعه وقوع ذلك الغرض، ثم يخبر بوقوعه مغالطة، وإن لم يكن قد وقع بعد ليقع المشروط. وقد يقع الإسجال لغير مغالطة»².

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنه قد يقع الإسجال لغير مغالطة، وهذا القسم خاص بالقرآن الكريم، أما القسم الأول فيأتي في الشعر وغيره من كلام البشر.

واستشهد على الإسجال الذي يقع لغير مغالطة بقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ﴾ {سورة آل عمران، الآية 194}.

وكقوله تعالى: ﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّاتٍ عَدْنٍ الَّتِي وَعَدْتَهُمْ﴾ {سورة غافر، الآية 8}.

واستشهد على القسم الأول وهو ما تقع فيه المغالطة بقول الشاعر ابن نباتة السعدي (البسيط)³:

جَاءَ الشِّتَاءُ وَمَا عِنْدِي لِقَرَّتِهِ إِلَّا ارْتِعَادِي وَتَصْنِيفِي بِأَسْنَانِي
فَإِنْ هَلَكْتُ فَمَوْلَانَا يَكْفُنِّي هَبْنِي هَلَكْتُ فَهَبْنِي بَعْضُ أَكْفَانِي

وقال بأنه ألطف ما روي في هذا الباب.

كما تأتي المغالطة بلا إسجال إذا أراد المتكلم إخفاء مراده فسأل عن شيء وهو يريد غيره بشرط أن يكون المسؤول عنه يتعلق بمراده تعلقاً قريباً لطيفاً، مثل قول أبي نواس (الخفيف)⁴:

أَسْأَلُ الْقَادِمِينَ مِنْ حَكَمَانَ كَيْفَ خَلَّفْتُمْ أَبَا عُثْمَانَ
فَيَقُولُونَ لِي جِنَانٌ كَمَا سَرَّ كَ مِنْ حَالِهَا فَسَلَّ عَنْ جِنَانِ
مَا لَهُمْ لَا يَبَارِكُ اللَّهُ فِيهِمْ كَيْفَ لَمْ يَغْنُ عِنْدَهُمْ كَتْمَانِي

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 1، ص 198.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 286. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 574.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 574 و.

4 - أبو نواس: الديوان، ص 621.

فقد سأل عن أخي جنان عثمان مخفياً مراده، وهو إنما يسأل عن جنان معشوقته.
ونقل عنه هذا الفن المتأخرون كالحلبي والنويري، ولم يخرجوا على الأمثلة التي جاء بها
من القرآن والشعر¹.

4_ الاستطراد:

الاستطراد لغة من «اطرد الشيء»: تبع بعضه بعضاً وجرى، واطرد الكلام إذا تتابع.
والفارس يستطرده ليحمل عليه قرنه ثم يكر عليه وذلك أنه يتحيز في استطراده إلى فئة. وقد
استطرده له، وذلك ضرب من المكيدة»².

أمّا في الاصطلاح فهو: «الانتقال من معنى إلى معنى آخر متصل به لمناسبة ثم
الرجوع إلى المعنى الأول»³.

وأسلوب الاستطراد سمة بارزة في كتابات "الجاحظ" (ت255هـ)، وهذا ما أشار إليه أحمد
مطلوب" بقوله: «والاستطراد عند الجاحظ هو الانتقال من موضوع إلى آخر لكي لا يمل
القارئ أو السامع، وهذا واضح في معظم مؤلفاته»⁴.

سمّاه "ثعلب" (ت291هـ)⁵، و"ابن المعتز" (ت296هـ) حسن الخروج⁶، أي الخروج من
معنى إلى معنى.

وسمّاه "العسكري" (ت395هـ) الاستطراد، وقال في تعريفه: «هو أن يأخذ المتكلم في
معنى، فبينما يمرُّ فيه يأخذ في معنى آخر؛ وقد جعل الأول سبباً إليه»⁷. وقال إنه على
ضربين: ضرب يقرب من باب حسن الخروج، وضرب آخر، وهو أن يجيء بكلام يظن أنه
يبدأ فيه بزهد وهو يريد غير ذلك⁸.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص199.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(طرد).

3 - ببيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع، ص220.

4 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص130.

5 - ثعلب: قواعد الشعر، ص56.

6 - ابن المعتز: البديع، ص60.

7 - العسكري: الصنائع، ص398.

8 - ينظر: المصدر نفسه: ص400.

وجاء مصطلح الاستطراد عند "ابن رشيق" (ت456هـ) بمفهومين مختلفين الأول: «أن بيني الشاعر كلاما كثيرا على لفظة من غير ذلك النوع، يقطع عليها الكلام وهي مراده دون جميع ما تقدم، ويعود إلى كلامه الأول وكأنما عثر بتلك اللفظة عن غير قصد ولا نية»¹.

وهذا المفهوم جديد لم نجده عند أحد قبله، كما أنه لم يوضحه بشواهد، أما المفهوم الثاني للاستطراد هو: «أن يرى الشاعر أنه في وصف شيء وهو إنما يريد غيره، فإن قطع أو رجع إلى ما كان فيه فذلك استطراد»²، وهذا المفهوم قريب من مفهوم "العسكري" وهو كذلك ما تعارف عليه النقاد قبله وبعده.

وفرق "ابن رشيق" بين الاستطراد والخروج فإذا تهادى الشاعر في الاستطراد فذلك هو الخروج³.

وقال "ابن منقذ" (ت584هـ) إن الاستطراد قد نبّه عليه أبو تمام والبحتري، وعرفه بقوله: «هو أن تمدح شيئا أو تدمه، ثم تأتي في آخر الكلام بشيء هو غرضك في أوله، وهو في أشعار المتأخرين بالقصد وفي أشعار المتقدمين بالطبع»⁴.

أمّا "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فذكر أن: «الحاتمي نقل هذه التسمية عن البحتري الشاعر، وسماه ابن المعتز الخروج من معنى إلى معنى، وفسّره بأن قال: هو أن يكون المتكلم في معنى فيخرج منه بطريق التشبيه أو الشرط أو الإخبار أو غير ذلك إلى معنى آخر يتضمن مدحا أو قدحا أو وصفا أو غير ذلك»⁵، ويضيف "ابن أبي الإصبع المصري" إلى ما قاله "ابن المعتز" أن غالب وقوع الاستطراد في الهجاء، وإن وقع في غيره، كما يشترط ذكر المستطرّد به باسمه، شرط ألا يكون له ذكر في الكلام قبل ذلك⁶.

ويضيف "ابن أبي الإصبع المصري" أن الاستطراد قليل الوقوع في القرآن الكريم، ذلك أن أكثر ما يجيء في الشعر دون النثر، وغالب وقوعه في فن الهجاء منه، ويندر وقوعه في

1 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص236.

2 - المصدر نفسه: ج2، ص39.

3 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص39.

4 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص75.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص130. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص49.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص130.

غيره من الفنون الأخرى، وأنه لم يظفر منه بشيء في القرآن الكريم إلا في موضع واحد¹، وهو قوله تعالى: ﴿أَلَا بُعْدًا لِمَدْيَنَ كَمَا بَعَدَتْ ثُمُودٌ﴾ {سورة هود، الآية 95}، «فقوله تعالى: (كما بعدت ثمود) استطراد بعد ذكره مدين، لأنه عارض عند ذكره حال مدين وما كان عليه من التكذيب للرسول»².

ومثّل له من الشعر بقول حسان بن ثابت (الكامل)³:

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّتِي حَدَّثْتَنِي فَجَعَلْتِ مَنْجَا الْحَارِثِ بْنِ هِشَامٍ
تَرَكَ الْأَحْبَةَ أَنْ يُقَاتِلَ دُونَهُمْ وَنَجَا بِرَأْسِ طِمْرَةٍ وَلِجَامٍ

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا ما وقع من الاستطراد في الهجاء⁴.

ومن الشواهد التي أعجبت به ما قاله "بكر بن النطاح" (الطويل)⁵:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى لَتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِنِّي بِكُوكِبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنُتُ كُلُّهُ كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عِنْقَاءِ مُغْرِبِ
سَلِي كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَقِيمُ طِلَابُهُ وَلَا تَذْهَبِي يَا بَدْرُ بِي كُلِّ مَذْهَبِ
فَأَقْسِمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عَزِّ مَالِكِ وَقُدْرَتِهِ أَعْيَا بِمَا رُمْتُ مَطْلَبِي
فَتَى شَقِيَّتْ أَمْوَالُهُ بِنَوَالِهِ كَمَا شَقِيَّتْ بِكَرٍّ بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

قال: «وهذا أبدع استطراد سمعته في عمري، فإنه قد جمع أحسن قسم وأبدع تخلص، وأرشق استطراد، وتضمن مدح الممدوح بالكرم، وقبيلته بالشجاعة والظفر، وهجاء أعدائهم بالضعف والخور، وهذا لم يتفق لمن قبله ولا لمن بعده إلى وقتنا هذا»⁶.

ثم ذكر أن السموأل أول من استطراد بالهجاء، وهذا ما ذكره "ابن رشيق" قبله، قال: «وهو أول من نطق به»⁷، قال السموأل (الطويل)⁸:

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص49.
² - عمار عبد القادر أبو عمرو: المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن أبي الإصبع المصري، رسالة ماجستير، إشراف: د. إبراهيم البيهول، جامعة مؤتة، 2009م، ص238.
³ - حسان بن ثابت: الديوان، شرحه وكتبه همامه وقدم له عيداً مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2002، ص3، ص214.
⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص131.
⁵ - ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج2، ص40، 41.
⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص131.
⁷ - ابن رشيق القيرواني: العمدة، ج2، ص39.
⁸ - عروة والسموأل: الديوانين، ص91.

وَإِنَّا أَنَا نَسْ لَا نَرَى الْقَتْلَ سُبَّةً إِذَا مَا رَأَتْهُ عَامِرٌ وَسَلُولٌ

فقد استنطرد الشاعر من مدح قومه والفخر بأمجادهم ومآثرهم، إلى هجاء أعدائه (عامر وسلول)، فزاده فخره قوة، ثم عاد بعد ذلك إلى عرضه المنشود في بقية أبياته. فالاستنطاد عنده هو الخروج من معنى إلى معنى آخر متصل به، ثم الرجوع إلى المعنى الأول.

5_ الالتفات:

الالتفات لغة من (لفت)، يقال: «لفت وجهه عن القوم: صرفه، وتلفت إلى الشيء والتفت إليه: صرف وجهه إليه. واللفتُ: لِيُ الشَّيْءِ عَن جِهَتِهِ. ولفْتُ فلاناً عَن رَأْيِهِ أَي صَرَفْتَهُ عَنهُ

ومنه الالتفات. وأصل اللفت: لِيُ الشَّيْءِ عَن الطَّرِيقَةِ الْمُسْتَقِيمَةِ»¹.

وقد نقل المعنى اللغوي _ التحول أو الخروج عن المؤلف _ على المشابهة فأطلق على كل تحول أسلوبى أو خروج غير متوقع على نمط من أنماط اللغة. فقد عرفه "العلوي" (ت749هـ) بأنه: «العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول»².

فالالتفات عند العلوي يضم كل صور العدول، وهو المفهوم الذي يحيل على الظاهرة الكبرى التي اصطلح عليها "الالتفات".

والتصور السابق لمصطلح الالتفات يوافق رأي بعض الدارسين المعاصرين في أنه يعتمد في بنائه على العدول، لأنه ظاهرة أسلوبية تعتمد على انتهاك النسق اللغوي المثالي في الأداء، وذلك بانتقال الكلام من صيغة إلى صيغة، ومن خطاب إلى غيبة ومن غيبة إلى خطاب³.

فعلى الرغم من أن مصطلح "الالتفات" تردد كثيرا في موروثنا النقدي والبلاغي فإن البلاغيين والنقاد لم يتفقوا على تسمية واحدة لهذا المصطلح، فقد تعددت تسمياته، منها:

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (لفت).

² - العلوي: الطراز، ج2، ص71.

³ - ينظر: محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، ص277.

الصرف، والانصراف، والاعتراض، والاستدراك، وشجاعة العربية... وغيرها، كما أنه لقي قدرا غير قليل من الخلط والاضطراب في المفهوم لم يتعرض لمثله _ على حد علمنا _ مصطلح آخر¹. وذلك لافتقاده الدقة والوضوح وهما سمتا اللغة الاصطلاحية (المصطلحية).

ولعل من أوائل من أطلق اسم "الالتفات" على هذا المصطلح البلاغي "الأصمعي"، الذي ذكره في سياق حديثه عن شعر "جرير" التي يرويها "أبو إسحاق الموصلي، قال: « قال لي الأصمعي: أتعرف الالتفات جرير؟ قلت وما هو؟ فأشدني

أَتَسَى إِذْ تَوَدَّعْنَا سَلِيمِي بَعُودِ بِشَامَةً، سَقِيَّ الْبَشَامُ

ثم قال: أما تراه مقبلا على شعره، إذ التفت إلى البشام فدعا له»².

فعلى الرغم من وضع "الأصمعي" للتسمية والشاهد إلا أن تعليقه أو إجابته لم تتضمن مفهوما للمصطلح.

وذكره "ابن قتيبة" (ت276هـ) في باب (مخالفة ظاهر اللفظ معناه) ولم يسمه، ومنه³:

_ أن تخاطب الشاهد بشيء ثم تجعل الخطاب له على لفظ الغائب، كقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفَلَكَ وَجْرَيْنَ بَهُمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا﴾ (سورة يونس، الآية22).

_ أن تجعل خطاب الغائب للشاهد، كقول الهذلي:

يَا وَيْحَ نَفْسِي كَانَ جِدَّةُ خَالِدٍ وَبِيَاضُ وَجْهِكَ لِلتَّرَابِ الْأَعْفَرِ

وجعله "ابن المعتز" (ت296هـ) أول محاسن الكلام، وعرفه بقوله: «وهو انصراف المتكلم عن المخاطبة إلى الإخبار وعن الإخبار إلى المخاطبة وما يشبه ذلك ومن الالتفات الانصراف عن معنى يكون فيه إلى معنى آخر»⁴، فالالتفات عند "ابن المعتز" يحمل معنيين هما: التنويع بين الضمائر، والانصراف من معنى إلى معنى.

وتحدث عنه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) ضمن نعوت المعاني، وعرفه بقوله: «هو أن يكون الشاعر آخذا في معنى فكأنه يعترضه إما شك أو ظن بأن رادا يرد عليه قوله، أو

1 - ينظر: حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة مصر، (د ط)، 1998م، ص12، 11.

2 - العسكري: الصناعتين، ص392. وابن رشيق: العمدة، ج2، ص46.

3 - ينظر: ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 289 ، 290.

4 - ابن المعتز: البديع، ص58.

سائلا يسأله عن سببه فيعود راجعا على ما قدمه، فإما أن يؤكد، أو يذكر سببه، أو يحل الشك فيه»¹، وهذا هو الاعتراض أو الرجوع.

وجعله "أبو هلال العسكري" (ت395هـ) على ضربين²:

الأول أن يفرغ المتكلم من المعنى، فإذا ظننت أنه يريد أن يجاوزه يلتفت إليه فيذكره بغير ما تقدم ذكره به، وتابع في مفهومه الثاني مفهوم "قدامة بن جعفر".

وجعل "الباقلائي" (ت403هـ) الالتفات بمعنى الاعتراض، فالشاعر إذا لم يعترض لم يكن ذلك التفاتا. كما رأى أنه متى خرج عن الكلام الأول ثم رجع إليه على وجه يلفظ، كان ذلك التفاتا³. وبهذا يكون التلطيف هو الباعث الذي اعتمده "الباقلائي".

وعرفه "ابن رشيق" (ت456هـ) بقوله: «أن يكون الشاعر آخذا في معنى، ثم يعرض له غيره فيعدل عن الأول إلى الثاني فيأتي به، ثم يعود إلى الأول من غير أن يخل في شيء مما يشد الأول»⁴. وهذا المفهوم هو إعادة صياغة لمفهوم "قدامة بن جعفر" السابق.

كما استحسن مفهوما آخر "لابن المعتز" في العبارة عن الالتفات، الذي يقول: «هو انصراف المتكلم من الإخبار إلى المخاطبة ومن المخاطبة إلى الإخبار»⁵، وذكر أن البعض يسميه اعتراضا، والبعض الآخر يسميه استدراكا، وعده آخرون تنميما⁶.

وقد ذكره السكاكي (ت626هـ) في علم المعاني، قال: «واعلم أن هذا النوع، أعني نقل الكلام عن الحكاية إلى الغيبة لا يختص المسند إليه، ولا هذا القدر بل الحكاية والخطاب والغيبة ثلاثتها ينقل كل واحد منها إلى الآخر، ويسمى هذا النقل التفاتا عند علماء علم المعاني، والعرب يستكثرون منه، ويرون الكلام، إذا انتقل من أسلوب إلى أسلوب، أدخل في القبول عند السامع، وأحسن نظرية لنشاطه، وأملأ باستدرار إصغائه»⁷، وذكره في علم

1 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 146 ، 147.

2 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص392.

3 - ينظر: الباقلائي: إعجاز القرآن، ص150.

4 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص45.

5 - المصدر نفسه: ج2، ص46.

6 - ينظر: المصدر نفسه: ج2، ص45.

7 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص199.

البديع¹. فالالتفات عنده كان من علم المعاني مرة، ومن علم البديع مرة أخرى. ومثل له بعدة أمثلة منها²:

بانث سعاد فأمسى القلب معمودا وأخلفتك ابنه الحرّ المواعيدا

فالتفت كما ترى حيث لم يقل وأخلفتني .

وكان كلام "ابن الأثير" (ت637هـ) عن الالتفات مسهباً، وعده من الصناعة المعنوية، قال: «وحيثه مأخوذة من التفات الإنسان عن يمينه وشماله، فهو يقبل بوجهه تارة كذا، وتارة كذا. وكذلك يكون هذا النوع من الكلام خاصة، لأنه يُنقل فيه من صيغة إلى صيغة، كانتقال من خطاب حاضر إلى غائب، أو من خطاب غائب إلى حاضر، أو من فعل ماض إلى مستقبل، أو من مستقبل إلى ماض»³، وسماه "شجاعة العربية" وعلل التسمية بقوله: «وإنما سُمي بذلك لأن الشجاعة هي الإقدام، وذاك أن الرجل الشجاع يركب مالا يستطيعه غيره، ويتورد مالا يتورده سواه. وكذلك هذا الالتفات في الكلام، فإن اللغة العربية تختص به دون غيرها من اللغات»⁴. وقسمه ثلاثة أقسام⁵:

الأول: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة.

والثاني: الرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر.

والقسم الثالث: في الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وعن المستقبل بالماضي.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد وسّع في دلالة مصطلح الالتفات فشملت

عدة ألوان بلاغية، فقد أورد تعريف "قدامة بن جعفر" السابق ومثل له بقوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ

تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ﴾ {سورة البقرة، الآية 24}، فقد أراد الله تعالى أن يضمن آية

التحدي ضرباً آخر من الإعجاز، بإخباره عن وقوع ما لم يقع بعد من عجز من العرب عم

معارضة سورة منه، ليكون بذلك جريان هذا الخبر الصادق على لسان نبيه حتى إذا وقع

1 - السكاكي : مفتاح العلوم ، ص429.

2 - ينظر : المصدر نفسه: ص199.

3 - ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص 167 ، 168.

4 - المصدر نفسه : ج2، ص168.

5 - ينظر: المصدر نفسه : ج2، ص168-181.

كان علما على صدقه، فردّ المكذّبين، وثبّت المؤمنين فقال: ﴿وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾، قبل أن يتم الكلام الأول بقوله: ﴿فَاتَّقُوا النَّارَ﴾، لكن لهذا التقديم والتأخير تأثير في النظم يجعل في القلوب من الجلالة والتفخيم والرونق، ما لا يعبر عنه ¹.

ثم أورد تعريف "ابن المعتز" للالتفات، فقال: «الالتفات انصراف المتكلم عن الإخبار إلى المخاطبة» ²، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ {فاتحة الكتاب، الآية 5}. ومثاله من الشعر قول جرير (وافر) ³:

مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحٍ سُقِيتِ الْغَيْثَ أَيَّتْهَا الْخِيَامُ

أو انصراف المتكلم عن الخطاب إلى الإخبار ⁴، ومثل له بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَبِيبَةٍ﴾ {سورة يونس، الآية 22}. ومثاله من الشعر قول عنتره (الكامل) ⁵:

وَلَقَدْ نَزَلَتْ فَلَا تَنْظِي غَيْرِهِ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ الْمُحِبِّ الْمُكْرَمِ

أو انصراف المتكلم من الإخبار إلى التكلم، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ﴾ {سورة فاطر، الآية 9}، أو انصراف المتكلم من التكلم إلى الإخبار ⁶، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ، وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ {سورة فاطر، آيتا 16، 17}.

ثم قال "ابن أبي الإصبع المصري" إنه وجد في الكتاب العزيز قسما غريبا جدا لم يظفر في الشعر له بمثال، وهو: أن يقدم المتكلم في كلامه مذكورين مرتين، ثم يخبر عن الأول منهما، وينصرف عن الإخبار عنه إلى الإخبار عن الثاني، ثم يعود فينصرف عن الإخبار عن الثاني إلى الإخبار عن الأول، ومثل له بقوله عز وجل: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَلِكِ لَشَهِيدٌ﴾ {سورة العاديات، آيتا 6، 7}، انصرف عن الإخبار عن الإنسان إلى

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 42 ، 43.
² - ابن أبي الإصبع المصري: تحري التحبير، ص123. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص44.
³ - جرير: الديوان، ص512.
⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص124. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص44.
⁵ - عنتره: الديوان، ص153.
⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص124. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 44 ، 45.

الإخبار عن ربه تبارك وتعالى، ثم قال منصرفاً عن الربّ عز وجل إلى الإخبار عن الإنسان: «وإنه لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ» {سورة العاديات، الآية 8}، وهذا يحسن أن يسمى الالتفات الضمائر¹.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن في الالتفات نوع غير النوعين المتقدمين قائلاً: «وهو أن يكون المتكلم آخذاً في معنى فيمر فيه إلى أن يفرغ من التعبير عنه على وجه ما، فيعرض له أنه متى اقتصر على هذا المقدار كان معناه مدخولاً من وجه غير الوجه الذي بنى معناه عليه فيلتفت إلى الكلام، فيزيد فيه ما يخلص معناه من ذلك الدخّل»²، فهذا النوع هو ما أطلق عليه كثير من البلاغيين اسم "الاستدراك"³. وقد استشهد عليه بقول شاعر الحماسة (الطويل)⁴:

فإنك لم تبعد على متعهدٍ بلى كلُّ من تحت التراب بعيدُ

لقد بنى هذا الشاعر معناه على أن المقبور قريب من الحيّ الذي يريد تعاوده بالزيارة، إذ القبور بأفنية البيوت غالباً، فلما فرغ من العبارة عن معناه الذي قدره على هذا التقدير، عرض له كأنّ قائلاً يقول له: وأي قرب بين الميت المدفون تحت التراب والحي، فالتفت متلافياً هذا الغلط بقوله:

بلى كل من تحت التراب بعيدُ

كأن هذا الشاعر بنى معناه على أن المقبور إلى بعد⁵.

وقد فرق "ابن أبي الإصبع" بين الاحتراس والالتفات بأن الاعتراض والانفصال يكونان في بيت واحد، وفي بيتين، وفي آية، وفي آيتين، والالتفات لا يكونان فيه إلا في بيت واحد وآية واحدة⁶.

6_ تأكيد المدح بما يشبه الذم:

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 45.
2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 125.
3 - ينظر: حسن طبل، أسلوب الالتفات في البلاغة العربية، ص 21.
4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 125.
5 - ينظر: المصدر نفسه، ص 125.
6 - ينظر: المصدر نفسه، ص 126.

إنّ عراقة هذا المصطلح تضرب بجورها في التراث العربي، فقد تحدّث "سيبويه" (ت180هـ) عن تأكيد المدح بما يشبه الذم في باب "ما لا يكون إلا على معنى ولكن"، وذلك في تعليقه على بعض الأبيات الشعرية قال: «ومثل ذلك قول النابغة الذبياني:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سَيُوفَهُمْ بِهِنَّ فُلُولٌ مِنْ قِرَاعِ الْكُتَابِ

أي ولكن سيوفهنّ بهنّ فلول. وقول النابغة الجعدي:

فَتَى كَمَلَتْ أَخْلَاقَهُ غَيْرَ أَنَّهُ جَوَادٌ فَمَا يُبْقِي مِنَ الْمَالِ بَاقِيَا

كأنه قال: ولكنه مع ذلك جواد»¹.

وذكر "ابن المعتز" (ت296هـ) مصطلح تأكيد المدح بما يشبه الذم، وجعله من محاسن الكلام، ومثل له ببيت النابغتين السابقين².

ذكره "العسكري" (ت395هـ) في باب الاستثناء، وقد تقدّم³.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" فقد اعترض على البلاغيين وسمح بالاستثناء بتأكيد المدح بما يشبه الذم، فقال: «وقد خلط المتأخرون باب الاستثناء بهذا الباب وكنت أرى أنهما باب واحد إلى أن نبهني عليه عند قراءته من ألفت له هذا الكتاب فرأيت إفراده منه»⁴.

واستشهد عليه بشواهد شعرية على رأسها بيتي النابغتين، ومنها أيضا قول ابن المغربي (الطويل)⁵:

وَيَعْدُلُ فِي شَرْقِ الْبِلَادِ وَغَرْبِهَا عَلَى أَنَّهُ لِلسَّيْفِ وَالْمَالِ ظَالِمٌ

وكقول بعضهم مما استحسنته (الطويل)⁶:

وَلَا عَيْبَ فِيْنَا غَيْرَ أَنَّ سَمَاحَنَا أَضَرَ بِنَا وَالبَاسَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ

فَأَفْنَى الرَّدَى أَعْمَارَنَا غَيْرَ ظَالِمٍ وَأَفْنَى النَّدَى أَمْوَالَنَا غَيْرَ عَائِبٍ

أَبَا وَابْنَا أَبٌ لَوْ كَانَ لِلنَّاسِ كُلِّهِمْ وَابْنَا وَابْنَا وَابْنَا وَابْنَا وَابْنَا

1 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص226، 227.

2 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص62.

3 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص408.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص134.

5 - المصدر نفسه: ص133.

6 - المصدر نفسه: ص133، 134.

وقال في "بديع القرآن" إن هذا الباب عزيز الوقوع في القرآن الكريم، فلم يجد منه سوى آية تحايل على تأويل تدخل به في هذا الباب، وهو قوله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَنقُمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ﴾ (سورة المائدة، الآية 59).
يعلق على الآية بقوله: «فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يوهم بأن يأتي بعد الاستثناء ما يجب أن ينقم على فاعله، مما يذم به، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله، كان الكلام متضمنا تأكيد المدح بما يشبه الذم»¹.

وعلى غير عادته لم يفرّق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الاستثناء وتأكيد المدح بما يشبه الذم .

7_ التغاير:

التغاير في اللغة من (غير)، جاء في اللسان: «تغيّر الشيء عن حاله: تحوّل، وغيره: حوّله وبدّله، كأنه جعله غير ما كان. وتغايرت الأشياء: اختلفت»².
وقد نقل المعنى اللغوي_ المخالفة أو المغايرة_ بصفة عامة إلى الاصطلاح ، فأطلق على مخالفة أو مغايرة المتكلم ما تعارف وأجمع عليه العامة. وبهذا المعنى تدول المصطلح عند النقاد والبلاغيين.

وأطلق عليه "العسكري" (ت395هـ) التلطف، وقال في تعريفه: «هو أن تتلطف للمعنى الحسن حتى تهجنه، والمعنى الهجين حتى تحسنه»³.

وعرّف "ابن رشيق" (ت456هـ) التغاير بقوله: «هو أن يتضاد المذهبان في المعنى حتى يتقاوما، ثم يصحاحا جميعاً، وذلك من افتتان الشعراء وتصرفهم وغوص أفكارهم»⁴.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" أسلافه في مفهومه، فقال عنه: «هو تضاد المذهبين إما في المعنى الواحد بحيث يمدح إنسان شيئاً ويذمّه، أو يذمّ ما مدحه غيره، أو يفضل شيئاً

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص50.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(غير).

3 - العسكري: الصنائع، ص427.

4 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص100.

على شيء، ثم يعود فيجعل المفضل فاضلا، أو يفعل ذلك مع غيره، فيجعل المفضل عند غيره فاضلا، وبالعكس»¹.

ووصولاً إلى الشواهد نجده قد أكثر منها، ونوع فيها من قرآن وخطب وشعر، وأطال في التعليق عليها متناولا إياها بالنقد والتحليل والدراسة.

فما جاء من التباين في القرآن الكريم قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُوا لِمَنْ آمَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَالِحًا مُرْسَلٌ مِنْ رَبِّهِ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَ بِهِ مُؤْمِنُونَ، قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ﴾ {سورة الأعراف، آيتا 75، 76}.

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية بقوله: «فغاير بعضهم بعضا في باب الطاعة والعصيان بعد التباين في مقالهم واعتقادهم في نياتهم، وهذا هو ما يباين به الإنسان فيه غيره»².

وأما ما غاير فيه الإنسان نفسه فقول قريش عن القرآن، في قوله تعالى: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِنَا الْأُولِينَ﴾ {سورة المؤمنين، الآية 34}، إنكارا منهم لغرابة أسلوبه، وما بهرهم من فصاحته، فغايروا أنفسهم في وقت آخر فقالوا: ﴿قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا﴾ {سورة الأنفال، الآية 31}، ولو كان القولان في وقت واحد لكان ذلك تناقضا، وهو عيب، ولا يعد من المحاسن، لكن وقوعه في زمنين مختلفين أدخله في المحاسن، ولذلك سمي تباينا لا تناقضا³.

أما عن شواهد النثرية على التباين، وهو ما مدح الإنسان ما ذمه غيره، يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن ليس فيه كقول الإمام علي رضي الله عنه في خطبة له مدح فيها الدنيا مغايرا لأمثاله ولنفسه في ذمها، حيث قال: «أيها الذام للدنيا، المغتر بغرورها، بم تدمها؟ أنت المتجرم عليها، أم هي المتجرمة عليك؟ متى استهوتك، أم متى غرتك؟ بمصارع آبائك من البلى، أم بمضاجع أمهاتك تحت الثرى؟ كم عللت بكفيك، وكم مرّضت بيديك، تبغي لهم الشفاء، وتستوصف لهم الأطباء، لم ينفع أحدهم إشفائك، ولم تسعف فيه بطلبتك، ولم تدفع

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص 277. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 105.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 105.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص 105، 106.

عنه بقوتك، قد مثّلت لك الدنيا نفسك وبمصرعه مصرعك، إنّ الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزوّد منها، ودار موعظة لمن اتعظ بها، مسجدُ أحبّاء الله، ومصلى ملائكته ومهبط وحي الله، ومتجر أولياء الله، اكتسبوا فيها الرحمة، وريحوا فيها الجنة، فمن ذا يذمّها، وقد آذنت بينها ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها، فمثّلت لهم ببلائها البلاء، وشوّقتهم بسرورها إلى السرور، راحت بعاقبة، وابتكرت بفجيعة، ترغيبا وترهيبا، وتخويفا وتحذيرا، فذمّها رجالٌ غداة النّدامة، وحمدها آخرون يوم القيامة، ذكّرتهم فذكّروا، وحدثتهم فصدّقوا، ووعظتهم فانتعظوا»¹.

ونظم "ابن أبي الإصبع معاني هذه الخطبة فقال (الخفيف)²:

مَنْ يَذُمُّ الدُّنْيَا بِظُلْمٍ فَإِنِّي	بِطَرِيقِ الْإِنصَافِ أَثْبِي عَلَيْهَا
وَعَظَّمْنَا بِكُلِّ شَيْءٍ لَوْ أَنَا	حِينَ جَدَّتْ فِي الْوَعْظِ مِنْ مُصْطَفِيهَا
وَأَرْتَنَا الْوَجْهَيْنِ مِنْهَا فَهَمْنَا	لِلْهُوَى بِالْبَيَانِ مِنْ وَجْهَيْهَا
نَصَحْنَا فَلَمْ نَرَ النَّصِيحَ نُصْحًا	حِينَ أَبَدَتْ لِأَهْلِهَا مَا لَدَيْهَا
أَعْلَمْنَا أَنَّ الْمَالَ يَقِينًا	لِلْبَلَى حِينَ جَدَّتْ عَصْرِيهَا
كَمْ أَرْتَنَا مِصَارِعَ الْأَهْلِ وَالْأَحْـ	بَابٍ لَوْ نَسْتَفِيقُ بَيْنَ يَدَيْهَا
وَلَكَمْ مُهْجَةٌ بِزَهْرَتِهَا اعْتَزَ	رَتْ فَأَدَمَّتْ نِدَامَةً كَفَيْهَا
أَتْرَاهَا أَبَقَتْ عَلَى سَبَابٍ مِنْ	قَبْلِنَا حِينَ بَدَلَتْ جَنَّتِيهَا
يَوْمٌ بُؤْسٍ لَهَا وَيَوْمٌ رِخَاءٍ	فَتَزَوَّدَ مَا شِئْتَ مِنْ يَوْمِيهَا
وَتَيَقِّنُ زَوَالَ ذَاكَ وَهَذَا	تَسَلُّ عَمَّا تَرَاهُ مِنْ حَادِثِيهَا
دَارٌ زَادَ لِمَنْ تَزَوَّدَ مِنْهَا	وَعُرُورٌ لِمَنْ يَمِيلُ إِلَيْهَا
مَهْبِطُ الْوَحْيِ وَالْمِصْلَى الَّتِي كَمْ	عَفَّرَتْ صُورَةَ بِهَا خَدْيِيهَا
مَتَجَّرَ الْأَوْلِيَاءِ قَدْ رِيحُوا الْجَنَّةَ	نَةَ فِيهَا وَأُورِدُوا عَيْنِيهَا
رَغَبَتْ ثُمَّ رَهَبَتْ لِيَرَى كُلَّـ	لُ لَبِيبٍ عُقْبَاهُ مِنْ حَالَتِيهَا

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 277، 278.

² - المصدر نفسه: ص 278، 279.

فَإِذَا أَنْصَفْتَ تَعَيَّنَ أَنْ يُثْبِتَ نِيَّ عَلَيْهَا ذُو الْبِرِّ مِنْ وَلَدَيْهَا

وأما ما قاله علي رضي الله عنه _مغايرا لنفسه: «يا دنيا أبي تعرضت، أم إلي تشوفت؟ هيهات هيهات، غرى غيري، قد بنتك ثلاثا لا رجعة فيك، فعمرك قصير، وعيشك حقير، وخطرك كبير، آه من قلة الزاد، وبعد السفر، ووحشة الطريق»¹.

وفي تفضيل القلم على السيف والمألوف عكس ذلك، قول البحترى في صاحب خراسان المعروف بابن هرمة (البسيط)²:

تَعَوُّ لَهُ وَزَرَاءُ الْمَلِكِ رَاغِبَةٌ وَعَادَةُ السَّيْفِ أَنْ يَسْتَعْدِمَ الْقَلَمَ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" إنه ما سمع في هذا المعنى مثل قول ابن الرومي (البسيط)³:

إِنْ يَخْدِمُ الْقَلَمَ السَّيْفُ الَّذِي خَضَعَتْ لَهُ الرِّقَابُ وَدَانَتْ خَوْفُهُ الْأُمَمَ

فَالْمَوْتُ وَالْمَوْتُ لَا شَيْءَ يِعَادِلُهُ مَازَالَ يَتَّبِعُ مَا يَجْرِي بِهِ الْقَلَمُ

كَذَا قَضَى اللَّهُ لِلْأَقْلَامِ مِذْ بُرِيَتْ أَنْ السَّيُوفَ لَهَا مِذْ أُرْهَفَتْ خَدَمُ

وغيره المتنبى فقال على الطريق المألوف _ تفضيل السيف على القلم _ (البسيط)⁴:

حَتَّى رَجَعْتُ وَأَقْلَامِي قَوَائِلُ لِي الْمَجْدُ لِلسَّيْفِ لَيْسَ الْمَجْدُ لِلْقَلَمِ

أَكْتُبُ بِهَا أَبَدًا قَبْلَ الْكِتَابِ بِنَا فَإِنَّمَا نَحْنُ لِلْأَسْيَافِ كَالْخَدَمِ

ونقد "ابن أبي الإصبع المصري" المتنبى في قوله: «فانظر إلى تقصير المتنبى في المعاني وسبكها، وإلى كونه قليل الابتكار لا يتوكأ إلا على المعاني المطروقة، ولا يرى فيها إلا تابعا مقصرا، فإنه أخذ هذا المعنى من قول أبي تمام»⁵.

وقول أبي تمام (البسيط)⁶:

السَّيْفُ أَصْدَقُ أَنْبَاءٍ مِنَ الْكُتُبِ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص279.

2 - البحترى: الديوان، مج3، ص2048.

3 - ابن الرومي: الديوان، ج3، ص284.

4 - المتنبى: الديوان، ج2، ص421.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص285.

6 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص32.

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" نقده للمتنبّي فيذكر أنّ حاصل بيت المتنبّي مأخوذ من هذا الصدر فقط، زيادة على ما أخذه من ابن الرومي وقصر فيه، وهو قوله في العجز:

فإنّما نحنُ لأسيافِ كالخدم

لأنّ ابن الرومي جعل السيوف خدما للأقلام، والمتنبّي جعلها كالخدم¹. وهذا مما غاير فيه الشعراء بعضهم، وأما ما غاير فيه الشاعر نفسه، فكقول الفرزدق (الطويل)²:

ألمَ تسمعا يابني حكيمَ حنينها إلى السيفِ تستبكي إذا لم تُعقر

فذكر أنّ إبله تحنّ إلى السيفِ لإلفها به إذا لم يعقرها للضيفان.

وغاير نفسه في بيت آخر يصف فيه هذه الإبل بالجرع من الموت، فقال (الطويل)³:

تري النيبُ من ضيفي إذا ما رأيته ضُمورا على جرّاتها ما يُجيرها

وهذا المعنى الثاني مأخوذ من قول بعض الشعراء في مدح الرسول_صلى الله عليه وسلم_ (الكامل)⁴:

وأبيك حقا أن إبلَ محمدَ عَزَلْ نوائحُ أن تهبَّ شمالُ

وإذا رأينَ لدى الفناءِ غريبةً فدموعهنَّ على الخدودِ سجالُ

يشرح "ابن أبي الإصبع المصري" هذين البيتين، فيقول: «إذا هبّت الشمال، وهي من ريح الشتاء، وهبوبها من علامات المَحَلّ، أيقنت هذه الإبل أنّ رسول الله_صلى الله عليه وسلم_ ينحرها للضيفان والجيران، فهي نوائحُ لذلك، واستعار لها لفظة عَزَلْ: من الرجال الذين لا سلاح معهم يدفعون به عنهم، أي لا تمنع؛ ثم قال في البيت الثاني: وإذا رأينَ ناقة غريبة عرفن أنّها ضيف فتُذرى كل واحدة دمعها لا تدري أهّي المنحورة أم غيرها؟»⁵.

ثم ذكر أنّ التفضيل بين الشيين المتغايرين من كلّ وجه لم يقل به إلاّ ضياء الدين بن الأثير"، في قوله: «وأما تغاير المعنيين المتضادّين فإنّ الترجيح بينهما راجع إلى النظر في

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 285.

2 - الفرزدق: الديوان، ص 330. في الديوان (تعلما يا ابن المجشّر أنها) بدل (تسمعا يا ابني حكيم حنينها).

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 287. لم أعر على البيت في النسخة التي بحوزتي.

4 - المصدر نفسه: ص 287.

5 - المصدر نفسه: ص 287، 288.

مفردات الألفاظ وتركيبها لتعلم كم في كل كلام منهما من ضروب العيوب، وأنواع المحاسن، ويقابل كلّ ضرب بضرب مثله، فما كانت محاسنه أكثر وعيوبه أقل كان أفضل من الآخر»¹.

ف"ابن الأثير" غير النقاد فيما جاء به، إذ عادتهم ألا يرجحوا بين الكلامين إلا إذا اشتركا في معنى واحد².

ومما جاءت فيه المفاضلة بين الكلامين المختلفي المعنى قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ﴾ {سورة هود، الآية 44}، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ﴾ {سورة النحل، الآية 90}، فالآية الأولى في الطبقة العليا من البلاغة والفصاحة، والثانية في الطبقة الوسطى إذا ما قيست بالأولى، لأن الثانية وإن كانت بليغة فالأولى أبلغ، وإن كانت كثيرة المعاني، فالأولى أكثر، فالأولى أفضل مع كون مقصد الاثنين مغايرا مختلفا³.

8_ التفرّيع:

التفرّيع لغة من (فرع)، فيقال: «فرع كل شيء: أعلاه، وفرعة الطريق وفارعة: حواشيه. وتفرّعت أغصان الشجرة، أي كثرت»⁴. والتفرّيع مصدر قولك: «فرّعت من هذا الأصل فروعا إذا استخرجتها»⁵.

ولعل "ابن رشيق" (ت456هـ) أول من ذكر مصطلح التفرّيع، وهو عنده نوع من الاستطراد، قال في تعريفه: «وذلك أن يقصد الشاعر وصفا ما ثم يفرع منه وصفا آخر يزيد الموصوف توكيدا»⁶. ومثل له بقول الكميت:

أحلامكم لسقام الجهل شافيةٌ كما دماؤكم يشفى بها الكلبُ

فوصف الشاعر شيئا ثم فرّع شيئا آخر لتشبيهه شفاء هذا بشفاء هذا⁷.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير: ص 288 ، 289.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص 289.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 289.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فرع).

5 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج 6، ص 111.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج 2، ص 42.

7 - ينظر: المصدر نفسه: ج 2 ، ص 42.

والتفريع من المصطلحات التي ذكرها "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في كتاب "تحرير التحبير" ولم يذكرها في كتاب "بديع القرآن" لأنه خاص بالكلام المنظوم، وهو عنده نوعان:

أحدهما: «أن يبدأ الشاعر بلفظة هي إما اسم، وإما صفة، ثم يكررها في البيت مضافة إلى أسماء وصفات يتفرّع من جملتها أنواع من المعاني في المدح وغيره»¹.
ومثّل على هذا النوع بقول أبي الطيب المتنبي (المقارب)²:

أنا ابنُ اللقَاءِ أنا ابنُ السَّخَاءِ	أنا ابنُ الضَّرَابِ أنا ابنُ الطَّعَانِ
أنا ابنُ الفَيَافِي أنا ابنُ القَوَافِي	أنا ابنُ السُّرُوجِ أنا ابنُ الرِّعَانِ
طويل النَّجَادِ طويلُ العِمَادِ	طويلُ القَنَاةِ طويلُ السَّنَانِ
حديدُ اللِّحَافِ حديدُ الحِفاظِ	حديدُ الحُسَامِ حديدُ الجَنَانِ

ثم ذكر أن هذا النوع لم يُسبق إلى استخراجه، ولكنه لم يثبت فيما ابتكره من الأنواع لكونه نوعاً من التفريع، ورأى أن يسمى "تفريع الجمع"، وعُلّل سبب تسميته بقوله: «لأن كل بيت ينطوي على فروع من المعاني شتى من المدح تفرّعت من أصل واحد»³.

والنوع الآخر من التفريع وهو الذي تقدّمني الناس باستخراجه وتسميته «إنما يتفرّع منه معنى واحد من أصل واحد، إما في بيت أو أبيات، وإما في جملة من الكلام أو جمل، وهو أن يصدر الشاعر أو المتكلم باسم منفيّ بـ"ما خاصة" ثم يصف الاسم المنفيّ بمعظم أوصافه اللائقة به إما في الحسن أو القبح، ثم يجعله أصلاً يفرّع منه معنى في جملة من جار ومجرور متعلّقة به تعلق مدح أو هجاء أو فخر أو نسيب أو غير ذلك، يفهم من ذلك مساواة المذكور بالاسم المنفي الموصوف»⁴.

واستشهد عليه بقول الأعشى (البسيط)⁵:

ما روضةً من رياضِ الحَزْنِ مُعْشِبَةٌ غَنَاءُ جَادِ عَلَيْهَا مُسْبِلُ هَطْلُ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص372.

² - المتنبي: الديوان، ج2، ص441.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص372.

⁴ - المصدر نفسه: ص373.

⁵ - الأعشى: الديوان، ص207، 208.

يضاحك الشمسَ منها كوكب شَرِقُ مؤزَّر بعميمِ النبتِ مُكْتَهَلُ
يوما بأطيبَ منها طيبَ رائحة ولا بأحسنَ منها إذا دنا الأُصْلُ

وذكر أن بعض المتأخرين سمى هذا القسم من التفریع "النفي والجحود"، وذلك لتقدم حرف النفي على جملته. وأكثر ما يقع الأصل في بيت والتفریع في بيت آخر إما قريباً منه، وإما بعيداً عنه، وقد يقع منه ما يكون الأصل والفرع معا في بيت واحد¹.

ومثل له بقول أبي تمام (البسيط)²:

ما رُبَّ مِيَّةٍ معموراً يُطيفُ به غَيْلانُ أبهى رُبًّا من رَبْعها الخَرِبِ
ولا الخدودُ وإن أدمينَ من خَجَلِ أشهى إلى ناظري من خدِّها التَّربِ

ثم ذكر نوعاً آخر من التفریع غير النوعين الأولين، وهو تفریع معنى من معنى من غير تقدم نفي ولا جحود³.

ومثل له بقول ابن المعتز (السريع)⁴:

كلامه أخدعُ من لفظه ووعده أكذبُ من طيفه

وقال إن هذا النوع مختص بمعاني النفس دون معاني البديع .

9_ التندير:

التندير لغة من (ندر)، قال "ابن منظور: «ندر الشيء يندر ندورا: سقط، وقيل: سقط وشدَّ. ونوادير الكلام تتدر، وهي ما شدَّ وخرج من الجمهور»⁵.

والتندير من المصطلحات التي رأى "ابن أبي الإصبع المصري" أنها من ابتداعه، وهذا ما قاله "أحمد مطلوب"⁶. ولكن "حفني شرف" يرى أنه من الأنواع التي لم تسلم له، فهو مسبق

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص373.

2 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص40،41. في الديوان (وقد) بدل (وإن).

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص374.

4 - المصدر نفسه: ص374. لم أجد هذا البيت في كتاب العمدة كما ذكر ابن أبي الإصبع المصري.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ندر).

6 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص365.

مسيوق إليه، وهو بعينه المبالغة¹. وقد عرفه "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «هو أن يأتي المتكلم بنادرة حلوة، أو نكتة مستطرفة، وهو يقع في الجدّ والهزل»².

ومن لطيف ما جاء من التندير في الجدّ وبديعه، قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ {سورة الأحزاب، الآية 19}.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية بقوله: «فانظر مبالغته سبحانه وتعالى في وصف المنافقين بالجبين والخوف، حيث أخبر عنهم بالخبر الصادق أنهم عند الخوف تدور أعينهم عند النظر كحالة من يغشى عليه من الموت، ولو اقتصر سبحانه وتعالى على قوله: (كالذي يغشى عليه) كان كافياً في المقصود، لكن أراد الزيادة على المقدار الذي قصد من المبالغة، فأوغل بقوله سبحانه (من الموت) إذ حالة المغشي عليه من الموت أشدّ من حالة غيره، ولا شكّ في أنّ المنافقين من الجبن والخوف من الموت بهذه المثابة، وذلك الذي دعاهم إلى النفاق، فإنّ من كان قويّ النفس، شجاع القلب، لا يرتضي النفاق، إذ هو لا يخشى الموت ولا يخافه، وفي هذا الكلام من طريف التندير لمن يتدبره ما يُبهرج كل نادرة»³.

ومتلّ على التندير الذي جاء في الهزل بقول أبي تمام فيمن سرق له شعرا، وهو محمد بن يزيد الرقيّ (الخفيف)⁴:

مَنْ بَنُو بَحْدَلٍ مِنْ ابْنِ الْحُبَابِ	مَنْ بَنُو تَغْلِبٍ غَدَاةَ الْكَلَابِ
مِنْ طُفَيْلٍ مِنْ عَامِرٍ أَوْ مِنْ الْحَا	رِثَ أُمِّ مِنْ عُنَيْبَةَ بِنْتُ شِهَابِ
إِنَّمَا الضَّيْغَمُ الْهَاصُورُ أَبُو الْأَشْب	بِالْهَتَاكِ كُلِّ خَيْسٍ وَغَابِ
مِنْ عَدْتِ خَيْلِهِ عَلَى سَرَحٍ شَعْرِي	وَهُوَ لِلْحَيْنِ رَائِعٌ فِي كِتَابِ
يَا عَدَارِي الْكَلَامِ صَرْتُنَّ مِنْ بَعْدِ	دِي سَبَايَا تُبْعَنُ فِي الْأَعْرَابِ
لَوْ تَرَى مِنْطِقِي أُسِيرًا لِأَصْبَحُ	تَ أُسِيرًا ذَا عَبْرَةٍ وَاكْتَابِ

ثم ختمها بقوله:

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 571 من حاشية المحقق. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 285 من حاشية المحقق.

² - المصدران نفسيهما: ص 571. و ص 285.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 571. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 285.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 572. لا توجد هذه الأبيات في النسخة التي بحوزتي.

طال رَغْبِي إليك مما أقاسي — ه ورهبي يا ربّ فاحفظ ثيابي

وفرقّ "ابن أبي الإصبع المصري" بين التندير والتهكم والهزل الذي يراد به الجد، في قوله: «إنّ التندير ظاهره وباطنه هزل بخلاف البابين»¹.

ونقل "الحلي" و"النويري" تعريف "ابن أبي الإصبع المصري" للتندير، وذكرنا أبيات أبي تمام أيضا².

10_ التهكم:

التهكّم لغة من (هكّم)، جاء في اللسان: «وقد تهكّم على الأمر وتهكّم بنا: زرى علينا وعبث بنا، والتهكّم: الاستهزاء»³. ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر ولكننا اخترنا منها المعنى الأقرب إلى المعنى الاصطلاحي وهو الاستهزاء.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" المعاني اللغوية الأخرى للتهكّم والصلة بينها وبين المعنى الاصطلاحي في قوله: «يقال: تهكّمت البئر إذا تهدّمت، وتهكّم عليه: اشتدّ غضبه. والمتهكّم المتكبرّ. وقال أبو زيد: تهكّمت: تعنتبت، وهكّمت، عبّرتته تهكيما عبّته، وعلى هذا يكون التهكّم إما لشدة الغضب قد أوعد بلفظ البشارة، أو لشدة الكبر وتهاونه بالمخاطب قد فعل ذلك، أو ذكّر بفعله عند العقوبة على سبب المعيرة له، فهذا أصله»⁴.

وقال "المدني": «التهكّم: التهدم في البئر ونحوها، والاستهزاء، والطعن المتدارك، والغضب الشديد، والتقدم على الأمر الفائق، والمطر الكثير الذي لا يطاق، والتغني. والمقصود هنا: المعنى الثاني وهو الاستهزاء، وفي كونه منقولاً من التهدم كما قال بعضهم، أو من الغضب كما قال آخرون. نظر، لأنه قد ورد التهكّم بمعنى الاستهزاء في اللغة، فأبيّ داغ إلى كونه منقولاً من معنى آخر؟ نعم هو في الاصطلاح أخص منه في اللغة، لأنه في اللغة بمعنى الاستهزاء مطلقاً، وفي الاصطلاح هو الخطاب بلفظ الإجلال في موضع التحقير

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص573.

2 - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص366.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(هكّم).

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص568.

والبشارة في موضع التحذير، والوعد في مكان الوعيد، والعدر في موضع اللوم، والمدح في معرض السخرية، ونحو ذلك»¹.

ذكر "الزمخشري" (ت538هـ) التهكم في تفسيره لقوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ {سورة الرعد، الآية11}، فقال: «يحفظونه من توهمه وتقديره من أمر الله، أي: من قضاياها ونوازلها أو على التهكم به»².

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" إن التهكم من مبتدعاته، وكما قال "أحمد مطلوب": «وكلامه حق إذا أريد به أنه أول من عقد للتهكم بابا، لأن البلاغيين السابقين لم يذكروه»³، وقد عرفه بقوله: «وهو في الاستعمال عبارة عن الإتيان بلفظ البشارة في موضع الإنذار، والوعد في مكان الوعيد، والمدح في معرض الاستهزاء»⁴.

واستشهد على البشارة في موضع الإنذار بقوله تعالى: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ {سورة النساء، الآية138}⁵.

واستشهد على الاستهزاء بلفظ المدح بقوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ {سورة الدخان، الآية49}⁶.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿لَهُ مُعَقَّبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ {سورة الرعد، الآية11}. يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «فقد ذهب بعض المفسرين إلى أنهم حول السلطان يحفظونه من على زعمه من أمر الله على سبيل التهكم به، فإنهم لا يحفظونه من أمر الله في الحقيقة إذا جاء»⁷.

ومنه أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ بِئْسَمَا يَأْمُرُكُمْ بِهِ إِيمَانُكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ {سورة البقرة، الآية93}، فقوله تعالى (إيمانكم) تهكم⁸.

¹ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص185.

² - الزمخشري: الكشاف، ج3، ص338.

³ - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص385، 386.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص568، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص283.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص568. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص283.

⁶ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص568. وص283.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص283، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص568، 569.

⁸ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص283. وص569.

وقد جاء في السنة النبوية من التهكم قول الرسول_صلى الله عليه وسلم: «بشّر مالَ
البَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ»¹.

وشاهد المدح في موضع الاستهزاء من الشعر، فقول ابن الذروري في ابن أبي
حُصَيْنَةَ(الخفيف)²:

لَاتَظَنَّ حُدْبَةَ الظَّهِرِ عَيْبًا فهي في الحُسْنِ من صفاتِ الهلالِ
وكذالكِ القِسِيِّ محدُودِبَاتٍ وهي أنكى من الظُّبَا والعوالي
وإِذَا ما علا السَّنَامُ ففيه لَقُرومِ الجِمالِ أيُّ جِمالِ
وذُنَابِي القَطَاةِ وهي كما تَغُـ لم كانت موصوفةً بالجِلالِ
وأرى الإِنْحاءَ في مَنْسَرِ البَا زِيٍّ لَمْ يَعْذُ مِخْلَبَ الرُّنْبَالِ
كَوْنِ اللهُ حُدْبَةً فِيكَ إِنْ شِئْتُ ت من الفضلِ أو من الإِفْضالِ
فَأنتِ رِيوَةٌ على طوْدِ حِلْمٍ طال أو مَوْجَةٌ ببحرِ نوالِ
ما رأتها النساءُ إِلَّا تَمَنَّتْ لو عَدتْ حِلْيَةً لِكُلِّ الرَّجَالِ

ثم ختمها بقوله:

وإذا لم يكن من الهَجْرِ بَدْ فعسى أن تزورني في الخيالِ
ويرى"ابن أبي الإصبع المصري" أنّ أول من نطق بالتهكم في شعره امرؤ القيس، في
قوله(المتقارب)³:

فَأَنْشَبَ أَظْفَارَهُ فِي النِّسَاءِ فَعُلْتُ: هَبِلْتُ أَلَّا تُبْصِرَ؟
يقول معلقا على البيت: «فإنّ قوله للنور ألا تبصر من التهكم اللطيف»⁴.
وقال إنّ أطرف ما سمع في التهكم قول حمّاد عجرد(مجزوء الكامل)⁵:

فيا ابن نُوحِ يا أبا الـ حِلسِ ويا بَنَ القَتَبِ
ومَنْ نَشَأَ والدِه بين الرُّبَا والكُتُبِ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص569.

2 - المصدر نفسه: ص569.

3 - امرؤ القيس: الديوان، ص70، في الديوان(تنتصر) بدل(تبصر).

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص570.

5 - المصدر نفسه: ص570.

يا عَرَبِيَّ يا عَرَبِيَّ يا عَرَبِيَّ

وفَرَّقَ بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد في قوله: «والفرق بين التهكم والهزل الذي يراد به الجد أنّ التهكم ظاهره جدّ وباطنه هزل، وهو ضدّ الأول، لأنّ الهزل الذي يراد به الجدّ يكون ظاهره هزلاً وباطنه جدّاً»¹.

ولم يخرج كل من ابن مالك والحلي والنوير والعلوي والسبكي والحموي والسيوطي والمدني عما قاله ابن أبي الإصبع المصري في تعريف التهكم وأمثله².

11_ الشماتة:

الشماتة لغة من (شمت)، جاء في اللسان: «الشماتة: فرح العدو؛ وقيل: الفرح ببليّة العدو؛ وقيل: الفرح ببليّة تنزل بمن تعاديه، والفعل منها شَمِتَ به يشمِتُ شَمَاتَةً وشَمَاتًا، وأشَمَتَهُ اللهُ به»³.

والشماتة من المصطلحات التي ابتدعها "ابن أبي الإصبع المصري"⁴. وقد نقل "ابن أبي الإصبع المصري" المعنى اللغوي للشماتة إلى الاصطلاح، فقال هي: «إظهار المسرة بمن نالته مِحنة، أو أصابته نكبة»⁵. وهكذا تتطابق الدالتان اللغوية والمصطلحية للشماتة.

وقد استشهد على هذا المصطلح من القرآن الكريم بقوله تعالى لفرعون وقد قال فرعون: ﴿آمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتَ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، الْآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [سورة يونس، آيتا 90، 91]، إلى قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا، فَمَا لَهُمْ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ﴾ [سورة السجدة، الآية 20]، فعجز الآية أراد⁶.

وكقوله تعالى: ﴿هَذَا مَا كُنَزْتُمْ لَأَنْفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنُزُونَ﴾ [سورة التوبة، الآية 25].

وكقوله تعالى أيضا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ [سورة الدخان، الآية 49].

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 570. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 284.

² - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2، ص 277.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (شمت).

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 567 من حاشية المحقق. وينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 3، ص 57.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 567.

⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 282.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية بقوله: « فلفظة "ثُق" شماتة، وبقية الكلام تهكم»¹.
ومثل عليها عليها من الشعر بقول ابن الرومي (الكامل)²:

وَبَكَتْ بِشَجْوِ عَيْنِ ذِي حَسَدِكَ	لَا زَالَ يَوْمَكَ عَبْرَةً لِعَدَاكَ
بِكَ هَمَةٌ لَجَأَتْ إِلَى سَدِّكَ	فَلَنْ بَكَيْتَ لَطَالَمَا نُكِبْتَ
إِلَّا لِيَوْمٍ فَتَّ فِي عَضْدِكَ	لَوْ تَسَجَدَ الْأَيَّامَ مَا سَجَدْتُ
مَا كَانَ أَقْبَحَ حُسْنَهَا بِيَدِكَ	يَا نِعْمَةً وَلَّتْ غَضَارُهَا
لَمَّا غَدَّتْ نَارًا عَلَى كَبِدِكَ	فَلَقَدْ غَدَّتْ بَرْدًا عَلَى كَبِدِي
لَمَّا اسْتَبَانَ النِّقْصُ فِي عَدِّكَ	وَرَأَيْتُ نِعْمَى اللَّهِ زَائِدَةً
إِلَّا بَقَايَا الرُّوحِ فِي جَسَدِكَ	لَمْ يَبْقَ لِي مِمَّا بَرَى جَسَدِي

12_ عتاب المرء نفسه:

العتاب لغة من (عتب)، فيقال: «عَتَبَ عَلَيْهِ يَعْتَبُ وَيَعْتَبُ عَتْبًا وَعِتَابًا: وَجَدَ عَلَيْهِ. عَاتَبَهُ مَعَاتِبَةً وَعِتَابًا: كُلَّ ذَلِكَ لِأَمْرِهِ»³.

قال "ابن أبي الإصبع المصري" إنَّ هذا الفن من أفراد "ابن المعتز"، والحقيقة أنَّ "ابن المعتز" لم يذكر هذا المصطلح وإنما ذكر في محاسن الكلام مصطلحا آخر هو "إعانات الشاعر نفسه في القوافي وتكلفه من ذلك ما ليس له" الذي يُعرف بـ "لزوم ما لا يلزم"، فالتصنيف قريب بين إعانات وعتاب⁴.

والغريب في الأمر أن الحلبي والنويري وصفي الدين الحلبي والحموي والمدني تابعوا ابن أبي الإصبع المصري فيما ذهب إليه⁵.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص567.

2 - ابن الرومي: الديوان، ج3، ص58.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (عتب).

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص166 من حاشية المحقق. وينظر: ابن المعتز: البديع، ص74.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص80.

ومثّل له "ابن المعتز" بأمثلة شعرية منها قول الشاعر (الطويل) ¹:

يَقُولُونَ فِي الْبِسْتَانِ لِلْعَيْنِ لَذَّةً وَفِي الْخَمْرِ وَالْمَاءِ الَّذِي غَيْرُ آسِنِ
فَإِنْ شِنْتِ أَنْ تَلْقَى الْمَحَاسِنَ كُلَّهَا فَفِي وَجْهِ مَنْ تَهْوَى جَمِيعُ الْمَحَاسِنِ

وكقول شاعر آخر ذكر ابن المعتز أنّ الأمدى أشدهما له عن الجاحظ (الطويل) ²:

عَصَانِي قَوْمِي فِي الرِّشَادِ الَّذِي بِهِ أَمَرْتُ وَمَنْ يَعِصُ الْمَجْرَبَ يَنْدِمُ
فَصَبِرَا بَنِي بَكْرِ عَلَى الْمَوْتِ إِنِّي أَرَى عَارِضًا يَنْهَلُ بِالْمَوْتِ وَالْدَّمِ

يلقب "ابن أبي الإصبع المصري" على هذين البيتين بقوله: «وما أرى في هذين البيتين من عتاب المرء نفسه إلا ما يتحيل به لمعناهما، فيُقدَّر أنّ هذا الشاعر لما أمر بالرشد وبذل النصح ولم يُطعْ ندم على بذل النصيحة لغير أهلها، وملزوم ذلك عتابه لنفسه فيكون دلالة البيتين على عتابه لنفسه دلالة التزام لا دلالة مطابقة ولا تضمين» ³.

لقد تحيّل "ابن أبي الإصبع المصري" على هذا الشاهد حتى أدخله في هذا الباب، وفاته أنّ الباب بأكمله مدخول على "ابن المعتز" .

ثم جاء بشاهد مثل هذين البيتين، قول دريد بن الصَّمّة (الطويل) ⁴:

نَصَحْتُ لِعَرَّاضٍ وَأَصْحَابِ عَارِضِ وَرَهْطِ بَنِي السَّوْدَاءِ وَالْقَوْمِ شَهْدِي
وَقَلْتُ لَهُمْ: ظَنُّوا بِالْأَفِيِّ مُدَجِّجِ سَرَائِهِمْ فِي الْفَارِسِيِّ الْمَسْرِدِ
فَلَمَّا عَصَوْنِي كُنْتُ مِنْهُمْ وَقَدْ أَرَى غَوَايَتَهُمْ وَأَنْتِي غَيْرُ مُهْتَدِ
وَمَا أَنَا إِلَّا مِنْ غُرَيَّةٍ إِنْ غَوَتْ غَوِيَتْ وَإِنْ تَرَشَّدُ غَزِيَّةً أُرْشِدِ
أَمْرَتُهُمْ أَمْرِي بِمَنْعَرَجِ اللَّوِيِّ فَمَنْ يَسْتَبِينُوا النَّصْحَ إِلَّا ضَحَى الْغَدِ

ثم قال إنه لا يصلح شاهدا لهذا الباب إلا قول شاعر الحماسة (الطويل) ⁵:

أَقُولُ لِنَفْسِي فِي الْخَلَاءِ أَلْوَمُهَا لَكَ الْوَيْلُ مَا هَذَا التَّجَلُّدُ وَالصَّبْرُ

ومنه قول ابن سليمان من شعراء الحماسة (الطويل) ⁶:

لِعَمْرِكَ إِنِّي يَوْمَ سَلَعُ لَلْأَثَمِ لِنَفْسِي وَلَكِنْ مَا يَزِدُّ التَّلَوُّمِ

¹ - ابن المعتز: البديع، ص75.

² - المصدر نفسه: ص75، وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص166.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص166.

⁴ - المصدر نفسه: ص166، 167.

⁵ - المصدر نفسه: ص167.

⁶ - المصدر نفسه: ص167.

أَمَكَنْتُ مِنْ نَفْسِي عَدُوِّي ضَلَّةً أَلْهَفِي عَلَى مَا فَاتَ لَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ

واستشهد عليه من كتاب الله بقوله تعالى: ﴿يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتِ فِي جَنبِ اللَّهِ﴾ {سورة الزمر، الآية 56} ¹.

وقوله سبحانه: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا، يَا وَيْلَتَى لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا، لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا﴾ {سورة الفرقان، الآيات 27، 28، 29} ².

والملاحظ هنا أنّ الشواهد التي استشهد بها "ابن أبي الإصبع المصري" تطابق مفهوم المصطلح الذي جاء به تمام المطابقة، وعليه يمكننا القول إن مصطلح "عتاب المرء نفسه هو من جديده .

13_ المواربة:

المواربة لغة: المداهاة والمخاتلة، وهي مأخوذة من الإرب وهو الدهاء فحولت الهمزة واوا. ويقال: وَرَبَّ العِرْقُ يوربُ، أي فسد ³.

ذكر "التبريزي" (ت502هـ) أنها مشتقة من الأرب وهو المكر والخديعة، في قوله: «المواربة هي أن يقول الشاعر في مديح أو هجاء أو وصف، فإن أنكر عليه المديح بعض أعداء الممدوح ممن يخافه أو عثر عليه المهجو غير المعنى بلفظه مما يتخلص به أو زاد أو نقص، وأصله من "الأرب" وهو المكر والخديعة يقال أربته بكذا وكذا» ⁴.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أنها مشتقة من: « وَرَبَّ العِرْقُ بفتح الواو والراء: إذا فسَدَ، فهو ورِبٌ بكسر الراء، فكأن المتكلم أفسد مفهوم ظاهر الكلام بما أبداه من تأويل باطنه» ⁵.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص167، وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 63 ، 64.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص64.

³ - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة(ورب).

⁴ - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص164.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص249.

وقال "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ): «وظاهر أنه لا يتعين نقلها إلى الاصطلاح من الورب وهو الفساد، بل يجوز أن يكون من المداهاات والمخاتلة كما في القاموس، بل هو أنسب بالمعنى الاصطلاحي كما لا يخفى»¹.

والملاحظ أن ثلاثتهم مختلفون في معناها اللغوي، فهي عند "التبريزي" مشتقة من الإرب وهو المكر والخديعة، وعند "ابن أبي الإصبع المصري" مشتقة من الورب بمعنى الفساد، وعند "المدني" تعني المداهاات والمخاتلة، ولكنهم متفقون على المعنى الاصطلاحي.

قال "ابن أبي الإصبع المصري" في تعريفها: «وحقيقة المواربة أن يقول المتكلم قولاً يتضمن ما يُنكر عليه بسببه، لبعْد ما يتخلص به منه، هذا إن فطن له وقت العمل وإلا ارتجل _ حين يُجبه به _ ما يخلصه منه من جواب حاضر، أو حجة بالغة، أو تصحيف كلمة أو تحريفها، أو زيادة في الكلام أو نقص، أو نادرة مُعجبة، أو ظُرْفَة مُضحكة»².

كقوله تعالى حكاية عن أكبر ولد يعقوب _ عليه السلام _: ﴿ارْجِعُوا إِلَىٰ آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ﴾ {سورة يوسف، الآية 81}، فإنّ بعض العلماء قرأ هذا الحرف (إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ) ولم يسرق، «بفعل ما لم يسم فاعله، توخياً للصدق، فإنّ يوسف _ عليه السلام _ سَرَقَ ولم يَسْرِقْ» فجاء الكلام على الصحة بإبدال الضمة من فتحة، وتشديد الراء وكسرها³.

واستشهد على ما وقع من المواربة بالتحريف، بقول عتبان الحروري (الطويل)⁴:

فَإِنَّ يَكُ مِنْكُمْ كَانَ مَرَوَانُ وَابْنُهُ وَعَمَرُو وَمِنْكُمْ هَاشِمٌ وَحَبِيبُ
فَمَنَا حُصَيْنٌ وَالْبُطَيْنُ وَقُعْبُ وَمَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ

فلما بلغ الشعر هشاماً وظفر به، قال له: أنت القائل:

* وَمَنَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ *

فقال: لم أقل كذا وإنما قلتُ:

* وَمَنَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَبِيبُ *

¹ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص299.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص249. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص94.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص95.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص249، 250. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص95.

فتخلّص بفتح الراء بعد ضمّها، وهذه ألطف مواربة وقعت في هذا الفن حسب ابن أبي الإصبع المصري.

وشاهد المواربة الذي لا يحتمل أن يكون فطن له حتى قيل، فقول الأخطل (الطويل)¹:

لَقَدْ أَوْقَعَ الْجَحَافُ بِالْبِشْرِ وَقَعَةً إِلَى اللَّهِ مِنْهَا الْمُشْتَكَى وَالْمَعْوَلُ
فَالَا تُغَيِّرُهَا فُرَيْشٌ بِمَلِكِهَا يَكُنْ عَنْ فُرَيْشٍ مُسْتَمَازٌ وَمَزْحَلُ

فقال له عبد الملك بن مروان: إلى أين يا بن اللخناء؟ فقال له: إلى النار، فضحك منه، وسكت عنه، فتخلص بهذه النادرة².

وذكر نوعا آخر للمواربة غير هذين النمطين، ومثل له بقول عليّ رضي الله عنه

للعباس بن مردّاس حين أنشد رسول الله صلى الله عليه وسلم (المتقارب)³:

أَتَجْعَلُ نَهْبِي وَنَهْبَ الْعَبْدِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَالْأَفْرَعِ
وَمَا كَانَ حِصْنٌ وَلَا حَابِسٌ يَفُوقَانِ مِرْدَاسَ فِي مَجْمَعِ
وَمَا أَنَا دُونَ أَمْرِي مِنْهُمَا وَمَنْ تَضَعَ الْيَوْمَ لَا يُرْفَعِ

فقال الرسول صلى الله عليه وسلم: يا عليّ اقطع لسانه عنيّ، فقبض عليّ رضي الله عنه على يده وخرج به، فقال: أقاطع أنت لساني يا أبا الحسن؟ فقال: إني لممض فيك ما أمر.. فهذه أحسن مواربة سمعتها في كلام العرب، ثم مضى به إلى إبل الصدقة فقال: خذ ما أحببت.

وذكر أنّ من المواربة متصل ومنفصل، وقد جاء بأمثلة القسمين، فالمتصل منها ما كان تخلّصه في نفس الكلام، والمنفصل ما كان التخلّص فيه من كلام آخر، كما تقدّم لعلّي رضي الله عنه والأخطل⁴.

وقد نقل ابن الأثير الحلبي والسبكي والحموي والسيوطي ما قاله ابن أبي الإصبع المصري عن هذا المصطلح⁵.

1 - الأخطل: الديوان، ص 231 ، 232.. في الديوان (مرحل) بدل(مزحل).
2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص250.
3 - المصدر نفسه: ص251.
4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص251.
5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص319.

14_ النزاهة:

النزاهة لغة من(نزه)، قال ابن منظور: « وقد نَزَّهُ نَزَاهَةً وتَنَزَّهَ تَنَزُّهًا إذا بَعَدَ، التَنَزُّهُ التَّبَاعُدُ عن الأرياف والمياه وذلك شِقُّ البادية، ومنه قيل: فلان يَتَنَزَّهُ عن الأقدار وبنزّه نفسه عنها أي يباعده عن نفسه عنها. ورجل نَزَّهُ النفس: عفيف متكرم، ونَزَّهُ الرجلَ: باعده عن القبيح، والنزاهة: البعد عن السوء»¹.

وهذا النوع كما قال "أحمد مطلوب" من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري" وإن كان القدماء يدعون إليه²، إلا أن محقق الكتابين ينكر عليه ذلك مؤكداً أنه قد سبق إلى نوع من الهجاء وهو السباب الذي أحدثه جرير وطبقته، وذكر أن هذا ما قاله "ابن بسام في الذخيرة"، كما ذكر قول "أبي عمرو بن العلاء" (ت154هـ)³.

ومع ذلك فقد جاء "ابن أبي الإصبع المصري" باسم (دال) مطابق تماماً لمسمى (مدلول) سابق، وخصّه بفن البلاغة، فقال: «وهو يختص غالباً بفنّ الهجاء، وإن وقع نادراً في غيره، فإنه عبارة عن نزاهة ألفاظ الهجاء وغيره من الفحش حتى يكون الهجاء كما قال فيه أبو عمرو بن العلاء وقد سُئِلَ عن أحسن الهجاء فقال: الذي إذا أنشدته العذراءُ في خدرها لا يُقْبِحُ عليها»⁴.

كقول جرير (الكامل)⁵:

لَوْ أَنَّ تَغْلِبَ جَمَعَتْ أَحْسَابَهَا يَوْمَ التَّفَاخُرِ لَمْ تَزِنْ مِثْقَالًا

وكقوله أيضاً (الوافر)⁶:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ فَلَا كَغَبًا بَلَّغْتَ وَلَا كِلَابًا

وكقول عمرو بن معد يكرب الزبيدي (الطويل)⁷:

ظَلَلْتُ كَأَنِّي لِلرَّمَا حِ دَرِيئَةٌ أُطَاعِنُ عَنْ أَبْنَاءِ حَرْبٍ وَفَرَّتِ

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(نزه).

² - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص328.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص584 من حاشية المحقق. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص292 من حاشية المحقق.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص584. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص292.

⁵ - جرير: الديوان، ص453.

⁶ - المصدر نفسه: ص57.

⁷ - عمرو بن معد يكرب: الديوان، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1985م، ص73.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن ابن الأعرابي قال: إن أهدى بيت وأمضه قول أوس بن حجر (الطويل) ¹:

وَقَدْ عَلِمْتُ عَرِسَاكَ أَنْكَ آيِبٌ تَخْبِرُهُمْ عَنْ جَيْشِهِمْ كُلَّ مَرْتَعٍ

وكقول أبي تمام (البيسط) ²:

مَوَدَّةٌ ذَهَبٌ أَثْمَارُهَا شَبِيهَةٌ وَهَمَّةٌ جَوْهَرٌ مَعْرُوفُهَا عَرَضٌ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على هذه الأبيات: «فانظر إلى هذه المعاني ونزاهة ألفاظها، وقس على ذلك» ³.

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ، وَإِنْ يَكُنْ لَهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ، أَمْ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَنْ يَحِيفَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [سورة النور، الآيات 48، 50]، فإن ألفاظ الذم المخبر عنها في الآية أنت منزهة عما يقع في غير هذا القسم من الهجاء، والمرض المذكور فيها عبارة عن إبطان الكفر ⁴.

15_ الهجاء في معرض المدح:

الهجاء في معرض المدح من الأنواع التي سلمت "لابن أبي الإصبع المصري" ⁵. وقد ذكره في كتاب "تحرير التحبير" ولم يذكره في كتاب "بديع القرآن" لأنه لا يتفق وموضوع "بديع القرآن". وعرفه بقوله: «هو أن يقصد المتكلم إلى هجاء إنسان فيأتي بألفاظ موجهة ظاهرها المدح وباطنها القدح، فيوهم أنه يمدحه وهو يهجو» ⁶.

وقد استشهد عليه بشواهد شعرية ولفظية، منها قول محمد بن حمزة السلمي في الحسن بن علي عليهم السلام (الوافر) ⁷:

لَهُ حَقٌّ وَلَيْسَ عَلَيْهِ حَقٌّ وَمَهْمَا قَالَ فَالْحَسَنُ الْجَمِيلُ

¹ - أوس بن حجر: الديوان، ص62. في الديوان (كل مربع) بدل (كل مرتع).

² - أبو تمام: الديوان، ج2، ص391.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص585.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص585، 586. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص293، 294.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص550 من حاشية المحقق. وينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية

وتطورها، ج3، ص347.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص550.

⁷ - ينظر: المصدر نفسه: ص550.

وَقَدْ كَانَ الرَّسُولُ يَرَى حُفُوقًا عَلَيْهِ لغيره وهو الرَّسُولُ

فالببيت الأول إذا انفرد كان مدحا خالصا، والببيت الثاني إذا انفرد لم يفهم منه مدح ولا هجاء، ولكنه حين اقترن بالأول صار هجاءً، فحصل من اجتماعهما ما لم يحصل لكل منهما على انفراده.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من ملح هذا الباب قول السعيد بن سناء الملك في قوَاد (السريع)¹:

لِي صَاحِبٍ أَفْدِيهِ مِنْ صَاحِبِ حُلُوِّ التَّائِي حَسَنِ الإِخْتِيَالِ
لَوْ شَاءَ مِنْ رِقَّةِ أَلْفَظِهِ أَلْفَ مَا بَيْنَ الهُدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رَبِّمَا قَادَ إِلَى المَهْجُورِ طَيْفَ الخِيَالِ

وهذا النمط غير النمط الأول، وهذا من لطيف التوجيه. وقال "ابن أبي الإصبع المصري": لقد تشبثت بأذيال القاضي السعيد بن سناء الملك في هذا النوع، بقولي فيمن ادعى الفقه والكرم، وهو مَمَّنْ يَتَّهَمُ (السريع)²:

ابْنُ فُلَانٍ أَكْرَمُ النَّاسِ لَا يَمْنَعُ ذَا الحَاجَةِ مِنْ فِلسِهِ
وَهُوَ فُقِيهٌ ذُو اجْتِهَادٍ وَقَدْ نَصَّ عَلَى التَّقْلِيدِ فِي دَرْسِهِ
يَسْتَحْسِنُ البَحْثَ عَلَى وَجْهِهِ وَيُوجِبُ الدَّخْلَ عَلَى نَفْسِهِ

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن كلَّ توطئة وقعت في هذا النمط الثاني صالحة للمدح، فإذا اقترنت بأبيات المعاني انقلب المدح تهكما، وصارت بنفسها هجاءً³.

وفزق بين الهجاء في معرض المدح وبين التهكم في قوله: «إن التهكم لا تخلو ألفاظه من اللفظ الدال على نوع من أنواع الذم، أو لفظة يفهم من فحواها الهجو، وألفاظ المدح في هذا الباب لا يقع فيها شيء من ذلك، ولا تزال مفرقة ومجمعة تدل على مجرد المدح حتى يفتن بها ما يصرفها عن ذلك»⁴.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 551. وينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 1، ص 257.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 551 من شعره.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص 551.

4 - المصدر نفسه: ص 552.

وقد نقل السبكي والحموي والسيوطي والمدني تعريف ابن أبي الإصبع المصري لهذا المصطلح، وسماه كل من الحموي والمدني "الهجو في معرض المدح"¹.

16_ الهزل الذي يراد به الجد:

ذكره "ابن المعتز" (ت296هـ) في محاسن الكلام، وسماه "الهزل يراد به الجد" ولم يعرفه، ولكنه استشهد عليه بعدة شواهد شعرية².

وعرّفه "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «هو أن يقصد المتكلم مدح إنسان أو ذمّه، فيخرج ذلك المقصود مخرج الهزل المعجب، والمجون المطرب، كما فعل أصحاب النوادر»³. وهذا المصطلح كالذي قبله لم يذكره في كتاب "بديع القرآن" لأنه لا يتفق وموضوع "بديع القرآن".

وذكر من أصحاب النوادر: أشعب⁴، وأبي دلّامة⁵، وأبي العيّن⁶، ومزید⁷. ومثّل له بحكاية عن أشعب، فقال: «حُكي عن أشعب أنه حضر إعداراً⁸ صنعه بعض ولاة المدينة، وكان مبخّلاً، فدعا الناس ثلاثة أيام وهو يجمعهم على مائدة عليها جديّ مشويّ، فيحوم الناس حوله، ولا يمسه منهم أحد لعلمهم ببخله، وأشعب في كل يوم يحضر ويرى الجدي، فقال في اليوم الثالث: زوجته طالق إن لم يكن عمر هذا الجدي بعد أن ذبح وشوى أطول منه قبل ذلك»⁹.

ثم جاء بشاهدين شعريين كان "ابن المعتز" قد ذكرهما في هذا الباب، أولهما قول أبي نواس (الطويل)¹⁰:

إِذَا مَا تَمِيمِيَّ أَتَاكَ مَفَاخِرًا
فَقُلْ عَدَّ عَنْ دَا كَيْفَ أَكُلُكَ لِلضَّبِّ؟

¹ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص348.

² - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص63.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص138.

⁴ - هو أشعب بن جببر وكنيته أبو العلاء، أمه كانت مولاة لأسماء بنت أبي بكر، ولد سنة تسع للهجرة وكان أبوه مملوكاً لعثمان بن عفان، وعمّر أشعب حتى مات أيام المهدي وكانت وفاته بعد سنة أربع وخمسين ومائة. نقل عن: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص138.

⁵ - أبو دلّامة: هو يزيد بن الحارث كان مولى لبني أسد وكان أبوه عبداً لرجل منهم يقال له قصاقص، وكان رديء المذهب مرتكباً للمحارم مضيعاً للفرائض مجاهراً بذلك، وأدرك آخر زمن بني أمية ولم تكن له نباهة في أيامهم، ونبغ في أيام بني العباس فانقطع إلى أبي العباس السفاح حتى مات. نقل عن: المصدر نفسه: ص138.

⁶ - هو محمد بن القاسم بن خالد بن ياسر من بني حنيفة من أهل اليمامة، وكان ضرير البصر وهو ممن اشتهر بالمجون وله نوادر وحكايات مستطرفة ومراسلات عجيبة. نقل عن: المصدر نفسه: ص138.

⁷ - مزب المدني كحدث صاحب النوادر المشهورة كذا في شرح القاموس. نقل عن: المصدر نفسه: ص138.

⁸ - الإعدار: طعام الختان.

⁹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص138.

¹⁰ - أبو نواس: الديوان، ص90، وابن المعتز: البديع، ص63.

وثانیهما قول أبي العتاهية(البسيط)¹:

أَرْقِيكَ أَرْقِيكَ بِاسْمِ اللَّهِ أَرْقِيكَ
مَا سَلِمَ نَفْسِكَ إِلَّا مَنْ يُتَارِكُهَا
مَنْ بَخَلَ نَفْسِكَ عَلَّ اللَّهُ يَشْفِيكَ
وَلَا عَدُوَّكَ إِلَّا مَنْ يُرْجِيكَ

ثم قال إن الفاتح لهذا الباب أمرؤ القيس حيث يقول(الطويل)²:

وَقَدْ عَلِمْتَ سَلْمَى وَإِنْ كَانَ بَعْلُهَا
بِأَنَّ الْفَتَى يَهْذِي وَلَيْسَ بِفَعَالٍ

يقول معلقا على البيت: «وما رأيت أحسن من قوله ملتفتا " وإن كان بعلاها"»³.

ونقل الحلبي والحموي تعريف ابن أبي الإصبع المصري⁴.

ووسّع "ابن معصوم المدني"(ت1120هـ) دلالة هذا المصطلح عند تعريفه فقال: «وأرى

أنه لا يختص بالمدح والذم بل كل مقصد أخرجه المنكلم هذا المخرج عدّ من هذا النوع،

سواء كان مدحا أو نما، أو غزلا أو شكوى، أو اعتذارا أو سؤالا أو غير ذلك»⁵.

¹ - ابن المعتز: البديع، ص63، لم أعثر على البيتين في نسخة ديوان أبي العتاهية التي بحوزتي.

² - امرؤ القيس: الديوان، ص 126.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص139.

⁴ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص350.

⁵ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج2، ص166.

الفصل الثالث

مصطلحات التماسك النصي

1_ حسن الابتداءات:

الابتداء لغة من (بدأ)، فيقال: «البدء: فعل الشيء أوّل. والبديئة والبداءة والبداهة: أول ما يفجؤك. وبديت بالشيء: قدّمته. وبدأتُ الشيء: فعلته ابتداءً»¹.

وفي الاصطلاح: «أن يكون مطلع الكلام شعرا أو نثرا أنيقا بديعا، لأنه أول ما يقرع السمع فيقبل السامع على الكلام ويعيه»².

يدل المعنى اللغوي دلالة واضحة على المعنى الاصطلاحي الذي انتقل إليه، فصار يفهم من الابتداء أول الكلام ومفتتحه.

وقد تعددت تسمياته كالابتداء، أو براعة المطلع، أو براعة الاستهلال، أو حسن الافتتاح، وجميعها لها نفس المعنى الاصطلاحي.

أشار "ابن المعتز" (ت296هـ) إلى حسن الابتداءات ولم يعرفه وعدّه من محاسن الكلام، ومثل عليه بشواهد لكن دون مناقشتها أو تحليلها³.

وعلق "الحموي" على تسمية "ابن المعتز" قائلا: «وفي هذه التسمية تنبيه على تحسين المطالع، وإن أحلّ الناظم بهذه الشروط لم يأت بشيء من حسن الابتداء»⁴.

وقال "ابن طباطبا" (ت322هـ): «ينبغي للشاعر أن يحترز في أشعاره ومفتتح أقواله مما يتطير به أو يستجفى من الكلام والمخاطبات»⁵.

وتحدث "ابن رشيق" (ت456هـ) عن الابتداء بأنه أول القصيدة ومفتتحها وأول ما يقرع السمع، قال: «فإن الشعر قفل أوله مفتاحه، وينبغي للشاعر أن يجوّد ابتداء شعره؛ فإنه أول ما يقرع السمع، وبه يستدل على ما عنده من أول وهلة»⁶.

وسماه "ابن منقذ" (ت584هـ) المباديء والمطالع، وذكر قول بعض الكتاب عنه:

«أحسنوا الابتداءات، فإنها دلائل البيان، وقالوا: ينبغي للشاعر أن يتحرز في ابتداءاته مما

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(بدأ).

2 - أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، ج1، ص62.

3 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص 75 - 77.

4 - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج1، ص3.

5 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص126.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص218.

يُنْطَيَّرُ مِنْهُ، وَيُسْتَحْقَرُ مِنَ الْكَلَامِ، وَلَا سِيْمَا فِي الْمَدَائِحِ وَالتَّهْنِائِي «¹.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" عن حسن الابتداءات بأنها تسمية ابن المعتز، وأراد بها ابتداءات القصائد، وقد فرّع المتأخرون من هذه التسمية براعة الاستهلال، وعرف الأخيرة بقوله هي: «ابتداء المتكلم بمعنى ما يريد تكميله وإن وقع في أثناء القصيدة»².
ثم فرّق بين أمثلة حسن الابتداءات وبراعة الاستهلال .

واستشهد على حسن الابتداءات من الكتاب العزيز بابتداءات السور، وقال في ذلك: «وإذا تدبرتها جملتها، وتفصيلها، ومفرداتها، ومركباتها، ومعجماتها، ومعرباتها، ونظرت في أعداد حروفها، وما يوافق أعدادها من العدد الحسابي، وما نسب إليه من المعاني، رأيت من البلاغة والتفنّن في أنواع الإشارة ما تقصر عنه العبارة، ومن أراد شفاء الغليل في ذلك فليقف على كتابي الذي أفردته لها، ووسمته (الخواطر السوانح في كشف سرائر الفواتح)»³.
وكقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ت235هـ)، وقد عدّه أحسن ابتداء ابتداء به مؤلّد قصيدة، حيث يقول (الخفيف)⁴:

هل إلى أن تنام عيني سبيلُ إنَّ عهدي بالنوم عهدٌ طويلُ

ثم ذكر أنّ من إنشادات ابن المعتز في هذا الباب قول النابغة الذبياني (الطويل)⁵:

كليني لهمَّ يا أميمةً ناصبٍ ولئيلٍ أقاسيه بطيء الكواكبِ

قال "ابن أبي الإصبع المصري": لعمري لقد أحسن ابن المعتز الاختيار، فإنّي أظنّه نظر بين هذا الابتداء وبين ابتداء امرئ القيس، حيث قال (الطويل)⁶:

قفًا نَبِكِ مِنْ ذِكْرِي حَبِيبٍ وَمَنْزِلِ بِسِقْطِ اللَّوَى بَيْنَ الدُّخُولِ فَحَوْمَلِ

فراى ابتداء امرئ القيس على تقدمه وكثرة معاني ابتداءاته _ متفاوت القسمين جدًّا؛ لأنّ صدر البيت جمع بين عذوبة اللفظ وسهولة السبك وكثرة المعاني، وليس في العجز شيء من

1 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص285.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص164.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص64.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص168.

5 - النابغة الذبياني: الديوان، ص13.

6 - امرؤ القيس: الديوان، ص110.

ذلك بخلاف بيت النابغة، ولهذا فبيت النابغة أفضل من جهة ملاءمة ألفاظه، ومساواة قسميه، وإن كان بيت امرئ القيس أكثر معان¹.

يواصل "ابن أبي الإصبع المصري" تحليله، وإنما عظم ابتداء امرئ القيس في النفوس الاقتصار على سماع صدر البيت، فإنه يشغل الفكر بحسنه عن النظر في ملاءمة عجزه أو عدم ملاءمته، لأنه وقف واستوقف، وبكى واستبكى، وذكر الحبيب والمنزل في شطر بيت، وإذا تأمل الناقد البيت بكماله ظهر له تفاوت القسمين².

وقال "ابن أبي الإصبع المصري": وإذا وصلت إلى قول البحترى وصلت إلى الغاية التي لا تدرك، وهو قوله (الطويل)³:

بُودِّي لَوْ يَهْوَى الْعُدُولُ وَيَعشَقُ لِيَعْلَمَ أَسْبَابَ الْهَوَى كَيْفَ تَعَلَّقُ
ولقد أحسن المتنبي ما شاء في قوله (الخفيف)⁴:

تَرَاهَا لَكثْرَةَ الْعشَاقِ تَحْسَبُ الدَّمْعَ خُلُقَةً فِي الْمَاقِي
وكقول أبي العلاء المعري (البسيط)⁵:

يَا سَاهِرَ الْبَرْقِ أَيْقِظْ رَاقِدَ السَّمْرِ لَعَلَّ بِالْجِرْعِ أَعْوَانَا عَلَى السَّهْرِ

ثم قال: فهذه أمثلة ابتداءات القصائد، وأما أمثلة براعة الاستهلال فذكر منها قول محمد

بن الخياط (الطويل)⁶:

لَمَسْتُ بِكْفِي كَفَّهُ أَبْتَغِي الْغِنَى وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْجُودَ مِنْ كَفِّهِ يُعْدي
فَلَا أَنَا مِنْهُ مَا أَفَادَ دُؤُو الْغِنَى أَفْدْتُ وَأَعْدَانِي فَأَنْفَدْتُ مَا عِنْدِي

وقد تبعه البحترى في هذا المعنى فأحسن اتباعه، قال (الكامل)⁷:

أَعْدْتُ يَدَاهُ يَدِي وَشَرَّدَ جُودَهُ بُخْلِي فَأَفْقَرَنِي كَمَا أَغْنَانِي
وَوَثِّقْتُ بِالْخُلُقِ الْجَمِيلِ مَعْجَلًا مِنْهُ فَأَعْطَيْتِ الَّذِي أَعْطَانِي

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 169.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 169، 170.

3 - البحترى: الديوان، مج 3، ص 1534.

4 - المتنبي: الديوان، ج 2، ص 44. في الديوان (أتراها) بدل (تراها).

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 171.

6 - المصدر نفسه: ص 172.

7 - البحترى: الديوان، مج 4، ص 2227. في الديوان (ملأت) بدل (أعدت)، و(بالخلف) بدل (بالخلق).

وتابع الحلبي والنويري ما قاله ابن أبي الإصبع المصري" عن حسن الابتداءات، وعن
براعة الاستهلال¹.

2_ براعة التخلص:

التخلص لغة من: «خلص الشيء يخلص خلوصا وخلصا إذا كان قد نَشِبَ ثم نجا
وسلِمَ. والتخليص: التنجية من كل منشب، تقول: خلّصته من كذا تخليصا أي نجيته
فتخلص». .

انتقل المعنى اللغوي وهو الانتقال إلى الشيء إلى المعنى الاصطلاحي الذي يقصد
به: «الانتقال من غرض إلى آخر في القصيدة»².

وقد ورد هذا المصطلح عند النقاد القدامى بمسميات مختلفة هي: حسن الخروج،
التخلص، حسن التخلص، براعة التخلص ومع اختلاف المسميات إلا أن المعنى يبقى
مقاربا ومتشابهها.

ذكر "الجاحظ"(ت255هـ) مصطلح التخلص دون أن يعرفه، وعدّه من الأمور المحببة
عند العرب، قال: «وهم وإن كانوا يحبون البيان والطلاقة، والتحبير والبلاغة، والتخلص
والرشاقة، فإنهم كانوا يكرهون السّلاطة والهدّر، والتكلف، والإسهاب، والإكثار؛ لما في ذلك
من التزيد والمباهاة، واتباع الهوى، والمنافسة في الغلو»³.

وقد جاء هذا المصطلح في مواضع عدة عند "ابن طباطبا"(ت322هـ)، فهو يعني عنده
الانتقال من غرض لآخر في القصيدة، فذكر أن الشاعر: «يسلك منهاج أصحاب الرسائل في
بلاغاتهم، وتصرفهم في مكاتباتهم، حيث أن للشعر فصولا كفصول الرسائل، فيحتاج الشاعر
إلى أن يصل كلامه مع تصرفه في فنونه صلة لطيفة، فيتخلص من الغزل إلى المديح، ومن
المديح إلى الشكوى...بألطف تخلص، وأحسن حكاية، بلا انفصال للمعنى الثاني عما قبله
بل يكون متصلا به، وممتزجا معه»⁴، وأخذ المفهوم كل من جاء بعده.

1 - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص391.

2 - أحمد مطلوب: معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1989، ج1، ص274.

3 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص191.

4 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص12.

وعدَّ "القاضي الجرجاني" (ت392هـ) حسن التخلص من سمات الشاعر الحاذق دون أن يعرفه¹.

وقد أشار "الباقلاني" (ت403هـ) إلى أنه ليس كل شاعر يجيد فن الخروج وإن كان من كبار الشعراء، فكثيرا منهم وُصف بالنقص، وحتى البحري مع جودة نظمه، وحسن وصفه، لا يحسنه ولا يأتي فيه بشيء، وإنما اتفق له في مواضع خروج يُرتضى، وتقل يستحسن².
والتخلص عند "ابن رشيق" (ت456هـ) هو: «ما تخلص فيه الشاعر من معنى إلى معنى، ثم عاد إلى الأول، وأخذ في غيره، ثم رجع إلى ما كان فيه»³، فالتخلص عنده نوع من الصنعة، التي تعتمد على المعنى لا على اللفظ، وهو نتاج الخروج والاستطراد⁴.

وسماه "ابن منقذ" (ت584هـ) التخليص والخروج، وعرفه بقوله: «ويستحب أن يكون الخروج والتشبيب في بيت واحد، وهو شيء ابتدعه المحدثون دون المتقدمين»⁵.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" أسلافه في مفهوم التخلص وسماه "براعة التخلص"، وعرفه بقوله: «هو امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسيب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك بأول بيت من المدح. وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين، وقد يقع في بيت واحد، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم فإن المتأخرين قد لهجوا بها وأكثروا منها، وهي لعمرى من المحاسن»⁶.

ثم قال بأنها: «في الكتاب العزيز معرفة الوصل من الفصل... وقد ذهب بعض المتكلمين إلى أنها أحد وجوه الإعجاز، وهو دقيق يكاد يخفى في غير الشعر إلا على الحاذق من ذوي النقد، وهو ماثوث في الكتاب العزيز»⁷.

ومثّل له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ،

¹ - القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد الجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط2006م، ص51.

² - ينظر: الباقلاني: إعجاز القرآن، ص56.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص237.

⁴ - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص91.

⁵ - أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص288.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص433.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص168. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص433.

وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ هُدًى لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكَيْلًا، ذُرِيَّةَ مَنْ
حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿سورة الإسراء، الآية 1-3﴾.

يحلّل "ابن أبي الإصبع المصري" الآيات موضحا هذا الفن في قوله: فإنك إذا نظرت إلى
قوله تعالى: ﴿وَأَتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ﴾ وإلى ما قبله وجدت بين الفصلين "مباينة شديدة في
الظاهر حتى تفكر فتجد الوصل بين الفصلين" في قوله سبحانه: ﴿سَبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ
لَيْلًا﴾ إلى قوله: ﴿لَنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾، فإنه تعالى أخبر بأنه أسرى بسيدنا محمد صلى الله
عليه وسلم إلى الأرض المقدسة ليُريه من آياته، ويرسله إلى عبادته، كما أسرى بسيدنا
موسى عليه السلام من مصر إلى مدين خائفاً يترقب وأسرى به وبابنة شعيب إلى الأرض
المقدسة ليُريه من آياته، ويرسله إلى فرعون وملئه، وآتاه الكتاب، فهذا هو الوصل بين
الفصلين المذكورين ¹.

يوصل تحليله ذاكرا الوصل بين قوله تعالى: ﴿ذُرِيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ وبين ما قبله،
فرأى بأنه تذكار بني إسرائيل بنعمه عز وجل عليهم، بنجاة آبائهم مع سيدن نوح في السفينة
من الغرق إذ لو لم تتج آبؤهم لما كان لهم وجود، فهذه أول نعم الله عليهم، وآخر نعمه
عليهم نجاتهم من الغرق حين شقّ لهم البحر فنجوا، وغرق عدوهم فرعون وملئه، وذكرهم
بأنهم أبناء نوح أن نوحا كان عبدا شكورا، فيجب أن يكونوا شاكرين كأبيهم ².

ومثّل له أيضا بقوله تعالى: ﴿نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ﴾ ﴿سورة يوسف، الآية 2﴾،
فإنه سبحانه وطأ بهذا الفصل إلى ما يأتي بعده من سرد قصة يوسف عليه السلام،
فتخلص به إلى ذكر القصة تخلصا بارعا، وجعل سبب براعة هذا التخلص ما جاء به في
التوطئة من التنكيث، وقد كانت أحسن القصص لكون كلّ قضية فيها خُتمت بخير، وكلّ
ضيق إلى سعة، وكلّ شدة إلى رخاء، فإن يوسف عليه السلام رُمي في الجُبّ فنجأ، وبيع
ليكون عبدا فاتخذ ولدا، وراودته التي هو في بيتها عن نفسه فعصمه الله، ودخل السجن
فخرج منه ملكا، وظفر به إخوته، فأظفره الله بهم، وأظهره عليهم، وسره الله بقاء شقيقه فتأنس

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص168. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص434.

² - ينظر: المصدران نفسيهما، ص169. و ص434.

به، وفارقه أبوه ثم اجتمع به، وجزع لفراقه، ثم سرّ بلاقائه، وعمي من بكائه عليه، فردّه الله بصيرا، وجاء به من البدو، وأجلسه بمصر على سرير الملك، وغضب أباه ويوسف على بقية الأولاد، ثم رضيا عنهم، واستغفرا لهم، وأسجد له أبويه وإخوته تحفيقا لرؤياه من قبل، فكانت القصة لذلك جديرة بأن توصف بغاية الحسن دون غيرها من القصص¹.

وقد استشهد على هذا المصطلح بشواهد شعرية كثيرة، كقول "زهير بن أبي سلمى" (البيسط)²:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَدِ كَنَّ الْكَرِيمَ عَلَى عَلَاتِهِ هَرْمُ

فقد رأى "ابن أبي الإصبع المصري" أن "زهيرا" أتم الناس براعة في التخلص وأول من أحسن في ذلك من القدماء، حيث اتفق له في هذا البيت اتفاق صالح، فقد جاء مدمجا من جهة عروضه، فامتزج المعنيان والقسيمان امتزاجا كليا لفظيا ومعنويا مع ما وقع في البيت من المطابقة اللفظية³.

وذكر أن المتأخرين تأنقوا في ذلك، فمنهم المجيد المبرز، ومنهم الضعيف المقصّر، فمن المجيدين في ذلك الذي أتى بما لا يلحق سبعا "مسلم بن الوليد"، في قوله (الطويل)⁴:

أَجِدُّكَ مَا تَدْرِينِ أَنْ رَبَّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ دُجَاهَا مِنْ قَرُونِكَ يُنْشَرُ
سَرَّيْتُ بِهَا حَتَّى تَجَلَّتْ بَعْرَةً كَغَرَّةِ يَحْيَى حِينَ يُذْكَرُ جَعْفَرُ

فقد وقع التخلص في بيت واحد، وهو أحسن قسميه، إضافة إلى ما جاء في البيت من التعليق والإشارة، فإنه علّق الغزل بالمدح، حيث أشار إلى فرط حبّ يحيى لولده جعفر، وهو الممدوح، وفي ذلك مدحه بالبرّ لأبيه، الذي أوجب له ذلك عليه⁵.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص438. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 169 ، 170.

2 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص60.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص434.

4 - مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريع الغواني، ص316.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص435.

3_ حسن الخاتمة:

الخاتمة لغة من (ختم)، فيقال: «ختم الشيء يَخْتِمُهُ خَتْمًا بلغ آخره، وخاتم كل شيء وخاتمته: عاقبتهُ وآخره. واختتمت الشيء: نقيض افنتحتته، وخاتمة السورة: آخرها، وختام كل مشروب: آخره»¹.

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنّ حسن الخاتمة من مستخرجاته، وقال: «يجب على الشاعر والناثر أن يختما كلامهما بأحسن خاتمة، فإنها آخر ما يبقى في الأسماع، ولأنها ربما حُفِظت من دون سائر الكلام في غالب الأحوال، فيجب أن يجتهد في رشاقتها ونُضجها وحلاوتها وجزالتها»².

وليس الأمر كما ذكره وإنما هو مسبوق إلى هذا المصطلح الذي سمي "جودة القطع"، أو "براعة المقطع"، أو "الانتهاء"³.

وللحطية قول جاء فيه: «نقحوا القوافي فإنها حوافر الشعر»، والحوافر يقصد بها نهايات الشعر.

وقال "ابن حجة الحموي": «هذا النوع ذكره ابن أبي الإصبع المصري أنه من مستخرجاته، وهو موجود في كتب غيره بغير هذا الاسم، فإن التيفاشي سماه "حسن المقطع"، وسماه ابن أبي الإصبع المصري "حسن الخاتمة"⁴.

وقد نقل "الجاحظ" (ت255هـ) كلام "شبيب بن شيبه" الذي سماه "جودة القطع" في قوله: «الناس موكلون بتفضيل جودة الابتداء، ويمدح صاحبه، وأنا موكل بتفضيل جودة القَطْع ويمدح صاحبه»⁵.

وسماه "القاضي الجرجاني" (ت392هـ) الخاتمة، وقال: «والشاعر الحاذق يجتهد في تحسين الاستهلال والتخلص وبعدهما الخاتمة؛ فإنها المواقف التي تستعطف أسماع الحضور

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ختم).

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص616.

3 - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص328.

4 - الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص928.

5 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص112.

وتستميلهم إلى الإصغاء»¹.

وسمّاه "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) الانتهاء، وعرفه بقوله هو: «قاعدة القصيدة، وآخر ما يبقى منها في الأسماع، وسبيله أن يكون محكما: لا تكمن الزيادة عليه، ولا يأتي أحسن منه»²، فكما أن أول الشعر مفتاحا له وجب أن يكون منتهاه قفلا عليه³.
أما "ابن أبي الإصبع المصري" فبعد أن ذكر ما يجب على الشاعر والناثر في تحسين خاتمة كلامهما، نجده قد أكثر من الشواهد على هذا المصطلح.

ففي القرآن الكريم ذكر أنّ «جميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن ونهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا وفرائض، وتحميد وتهليل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعدها تطّلع ولا تشوّف إلى ما يقال، كالدعاء الذي ختمت به سورة البقرة، والوصايا التي ختمت بها آل عمران، والفرائض التي ختمت بها النساء، والتبجيل والتعظيم الذي ختمت بهما المائة، والوعد والوعيد الذي ختمت بهما الأنعام، والتحريض على العبادة بوصف حال الملائكة التي ختمت به الأعراف، والحضّ على الجهاد وصلّة الأرحام الذين ختمت بهما الأنفال، ووصف الرسول صلى الله عليه وسلّم ومدحه والاعتداد على الأمم به، ووسيلته ووصيته، والتهليل الذي ختمت به براءة...»⁴.

كما مثّل له بخاتمة ختم بها الإمام علي رضي الله عنه كتابا أجاب به معاوية قبيل وقوع الحرب في صفين بينهما، يقول فيها: «ثم ذكرت أن ليس لي ولأصحابي عندك إلاّ السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار، متى ألفيت بني عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، وبالسيف مخوفين، لبث قليلا يلحق الهيجا حمل فسيطلك من تطلب، ويقرب منك ما تستبعد، وإني مُرقل نحوك بجحفل من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتامهم متسريلين سراويل الموت، أحبّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذرية بذرية،

1 - القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص51.

2 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص239.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص239.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص621. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص346، 353..

وسيوف هاشمية، عَرَفْتُ مواقعَ نِضالِها في أحيكِ وخالكِ وجدِّكِ، ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ
بِبَعِيدٍ﴾ {سورة هود، الآية 83}»¹.

وكقول القاضي الفاضل عبد الرحيم رحمة الله_ الذي كان يتحرز ويتوخي في خواتم
كتاباتهِ، فيأتي بكل نكتة تَرَفُّصُ لها القلوب، وتُغني عن النسيب في المحبوب، في خاتمة
كتاب أجاب به القاضي السعيد بن سناء الملك: «وهذا القاضي مسؤول في أن يتخولنا ببدائعه
ويؤمِّننا دُنُورَ الفكر بروائعه، ولا يرضنَّ علينا بما هو سهل عليه من منافعه، وإلا دخل فيمن
منع الماعون، وخرج من الذين هم لأمانات الفضيلة وعهدا راعون»².

ووصولاً إلى الشواهد الشعرية فإن "ابن أبي الإصبع المصري" يرى أن حسن الخاتمة في
الشعر قليلة في أشعار المتقدمين، وأكثر ما عُنِيَ بذلك المحدثون ، فمن المجيدين فيها أبو
نواس، حيث قال في خاتمة قصيدة مدح بها الأمين (الكامل)³:

فبقيت للعلم الذي تهدي به وتقاعست عن يومك الأيام

وكقوله في خاتمة قصيدة مدح بها الخصيب عامل مصر (الطويل)⁴:

واني جدير إذ بلغتك بالغنى وأنت بما أملت منك جدير

فإن تولني منك الجميل فأهله وإلا فإني عاذر وشكور

وكقول أبي تمام في خاتمة القصيدة التي ذكر فيها فتح عمورية (البسيط)⁵:

إن كان بين ليالي الدهر من رجم موصولةٍ وذمام غير منقضب

فبين أيامك اللاتي نصرت بها وبين أيام بدرٍ أقرب النسب

أبقت بني الأصفر المراض كاسمهم صفر الوجوه وجلت أوجه العرب

وقول أبي الطيب المتنبى في خاتمة قصيدة من السيفيات (الوافر)⁶:

فلا حطت لك الهيجاء سرجا ولا ذاقك لك الدنيا فراقا

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 617. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ، ص 344. لَبِثْتُ:توقف، مرقل: مسرع، الجحفل: الجيش العظيم، القتام: غبار الحرب.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 616.

³ - أبو نواس: الديوان، ص 576، وصدر البيت فيه * فسلمت للأمر الذي ترجى له*.

⁴ - المصدر نفسه: ص 330، في الديوان (بالمنى) بدل (بالغنى).

⁵ - أبو تمام: الديوان، ج 1، ص 49.

⁶ - المتنبى: الديوان، ج 2، ص 10.

وقوله في خاتمة قصيدة ودَّع بها ابن العميد (الطويل) ¹:

فَجُدُّ لِي بِقَلْبٍ إِنْ رَحَّتْ فَإِنِّي أُخَلِّفُ قَلْبِي عِنْدَ مَنْ فَضَّلَهُ عِنْدِي
فَلَوْ فَارَقْتُ جِسْمِي إِلَيْكَ حَيَاتُهُ لَقَلْتُ أَصَابَتُ غَيْرَ مَذْمُومَةِ الْعَهْدِ

ونقل "ابن مالك" كلام "ابن أبي الإصبع المصري" وبعض أمثله ².

¹ - المتنبي: الديوان، ج 1، ص 354.
² - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 1، ص 328.

الفصل الرابع

مصطلحات الحجاج العقلي

1_ الإلجاء:

الإلجاء في اللغة من (لجأ)، فيقال: «لجأ إلى الشيء والمكان يلجأ لجنباً ولجوءاً وملجأً، وألجأتُ أمري إلى الله: أسندتُ. وألجأه إلى الشيء: اضطره إليه»¹.

ذكر "ابن منقذ" (ت584هـ) فنا بديعياً سماه "الالتجاء والمعاضلة" وعرفه بقوله: «هو أن تستعمل اللفظة في غير موضعها من المعنى»²، وهذا ما تكلم عنه "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) تحت اسم "الاستعارة غير المفيدة"³.

ويختلف مفهوم الإلجاء الذي جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" عن سابقه تمام الاختلاف، وقد عرفه بقوله: «وهو أن تكون صحة الكلام المدخول ظاهره موقوفة على الإتيان فيه بما يبادر الخصم إلى ردّه بشيء يلجئه إلى الاعتراف بصحته، وملخص التعريف أن يقال: لكل كلام يرد فيه على المعترض عليه جواب مدخول إذا دخله الخصم به التجأ إلى تصحيح الجواب»⁴. فالإلجاء الذي ذكره "ابن أبي الإصبع المصري" هو ذكر اعتراض وجواب، وليس استعمال اللفظة في غير موضعها من المعنى. وبذلك يكون الإلجاء من مستخرجاته.

وهو من المصطلحات التي وردت في "بديع القرآن" ولم ترد في "تحرير التحبير"، وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ﴾ (سورة النحل، الآية103)، قال الله تعالى في جواب هذا القول: ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ (سورة النحل، الآية103).

يقول معلقاً على هذا الشاهد: «فإن للخصم أن يقول: إنما نحن أردنا القصص والأخبار ونحن نعلم أن الأعجمي إذا ألقى الكلام إلى العربي لا يخرج منه عن كونه تعلم معانيه من الأعجمي، فلا يصلح أن يكون ردّاً على المشركين، فيقال لهم: هب أن الأعجمي علمه المعاني، فهذه العبارة الهائلة التي قطعت أطماعكم عن الإتيان بمثلها من علمها له؟ فإن

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(لجأ).

2 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص158.

3 - ينظر: عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص34.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص226.

كان هو الذي أتى بها من قبل نفسه كما زعمتم، فقد أقرتكم أن رجلا واحدا منكم أتى بهذا المقدار من الكلام الذي هو مائة سورة وأربع عشرة سورة، وقد عجزتم بأجمعكم، وكل من تدعونهم من دون الله عن الإتيان بأقصر سورة. فإن قلت: إن الأعجمي علمه المعاني والألفاظ، فهذا أشدّ عليكم لأنه إقرار بأن رجلا أعجميا قدر على ما بين من الآيات المتضمنة للأخبار والقصص، وقد عجزتم عن ثلاث آيات منهن، يلجئهم ذلك إلى الإقرار بأنه من عند الله تعالى»¹.

وعرض لهذا المصطلح "السبكي" (ت773هـ) فعرّفه بقوله: «هو ذكر اعتراض وجواب»، ولكنه لم يقدّم عنه أمثلة².

2_ التعليل:

التعليل لغة من (علل)، جاء في لسان العرب: «علّله بطعام وحديث ونحوهما: شغله بهما، وتعلّل به أي تلهى به»³.

التعليل أو حسن التعليل أو طرفة التعليل عند البلاغيين عبارة عن «أن تقصد إلى حكم من الأحكام، فتراه مستبعدا من أجل ما اختصّ به من الغرابة واللفظ والإعجاب أو غير ذلك، فتأتي على جهة الاستطراف بصفة مناسبة للتعليل فتدعي كونها علّة للحكم لتوّهم تحقيقه وتقريره نهاية التقرير من أجل أن إثبات الشيء معلّلا أكد في النفس من إثباته مجردا عن التعليل»⁴.

ويفرق "منير سلطان" بين "التعليل" و"طرفة التعليل" في قوله: «التعليل: كل صياغة فنيّة تُبرّر وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها. و طرفة التعليل: كل صياغة فنيّة تبرر وقوع الحدث من وجهة نظر صاحبها تبريرا يهدف إلى الاستطراف والملاحة»⁵.

ذكر "سيبويه" (ت180هـ) عند حديثه عن المفعول لأجله في باب "ما ينتصب من المصادر لأنه عذر لوقوع الأمر" مفهوما قريبا من مفهوم مصطلح التعليل، قال: «وذلك

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ، ص 226 ، 227.
² - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص305.
³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(علل).
⁴ - العلوي: الطراز، ج3، ص76.
⁵ - منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ص174.

قولك: فعلت ذاك حذار الشر، وفعلت ذاك مخافة فلان، وادخار فلان، كقول الحارث بن هشام:

فَصَفَحْتُ عَنْهُمْ وَالْأَحِبَّةَ فِيهِمْ طَمَعًا لَهُمْ بِعِقَابِ يَوْمِ مُفْسِدِ

... وفعلتُ ذاكَ أجلَ كذا وكذا، كله ينتصب لأنه مفعول له، كأنه قيل له: لم فعلت كذا وكذا، فقال: لكذا وكذا...»¹.

وبهذا يكون "المفعول لأجله" أو "التعليل" من الموضوعات النحوية البلاغية، ولعل هذا ما دفع بالبلاغيين أن يتركوا "فن التعليل" ميراثًا خالصًا للنحاة، وكأنهم خلطوا بين "فن التعليل" و"العلل النحوية" التي أشبعها "ابن جني" درسًا².

ذكر "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) الاستدلال بالتعليل ولم يعرفه، ولكنه مثل له بعدة أمثلة³.

وتحدث "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) عن التخيل، وقد قصد به حسن التعليل، وذلك في قوله: «وجملة الحديث أن الذي أريده بالتخيل ههنا، ما يثبت فيه الشاعر أمرًا هو غير ثابت أصلاً، ويدّعي دعوى لا طريق إلى تحصيلها، ويقول قولاً يخدع فيه نفسه ويريها ما لا ترى»⁴.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما قاله أسلافه عن هذا المصطلح «فقد عالج "التعليل" و"طرافة التعليل"، فالأول في كتابه "بديع القرآن" وهما معا في كتابه "تحرير التحبير"»⁵.

وعرّف التعليل بقوله: «هو أن يريد المتكلم ذكر حكم واقع أو متوقع فيقدّم قبل ذكره علّة وقوعه، لكون رتبة العلة التقدّم على المعلول»⁶. فالتعليل في تعريفه مبنيّ على إيراد التعليقات الجدية والمنطقية المؤثرة عند ورودها في الكلام، وهذا لا يعني أنه أغفل التعليقات التي تهدف إلى الاستظراف والملاحة، فشواهد الشعرية تبين عن ذلك.

1 - سيبويه: الكتاب، ج1، ص367-369.

2 - ينظر: منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ص185.

3 - ينظر: ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص277.

4 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص275.

5 - منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، ص188.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص109. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص309.

وقد قسّم التعليل إلى قسمين: قسم تتقدم فيه علة حكمه على الحكم، والقسم الآخر هو ما تقدم الحكم على العلة نفسها.

واستشهد على القسم الأول بشواهد من القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، والشعر العربي. كقوله تعالى: ﴿لَوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ {سورة الأنفال، الآية 68}، فعلة النجاة من العذاب هي سبق كتاب الله¹.

وكقوله تعالى أيضا: ﴿لَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ {سورة هود، الآية 91}، فعلة سلامته من قومه هي وجود رهطه².

وقد جاء من التعليل في السنة النبوية الشريفة، قوله صلى الله عليه وسلم: «لَوْلَا أَخَافُ أَنْ أَشَقَّ عَلَى أُمَّتِي لِأَمْرَتِهِمْ بِالسُّوَاكِ عِنْدَ كُلِّ صَلَاةٍ»، فخوف الرسول صلى الله عليه وسلم من المشقة على أمته هو العلة في التخفيف عنهم من الأمر بالسواك عند كل صلاة³.

ومثل له من الشعر بقول البحري (المتقارب)⁴:

وَلَوْ لَمْ تَكُنْ سَاخِطًا لَمْ أَكُنْ أَدُمُّ الزَّمَانَ وَأَشْكُو الْخُطُوبَا

فوجود سخط الممدوح، هو علة شكوى الشاعر .

ومنه قول أبي القاسم بن هانئ الأندلسي (الطويل)⁵:

وَلَوْ لَمْ تُصَافِحْ رَجُلَهَا صَفْحَةَ الثَّرَى لَمَا كُنْتُ أُدْرِى عِلَّةً لِلتَّيْمِمْ

فقد جعل علة التيمم مصافحة رجل صاحبه صفحة الثرى الذي يكون به التيمم، وهذا من غلو ابن هانئ، فكيف أنه لم يدر علة للتيمم إلا بما ذكره، وقد وردت علة التيمم من نص الكتاب والسنة.

ولقد ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن "ابن رشيق" أحسن في تعليل قوله صلى الله

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص109. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص309.

2 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص109. و ص309.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص309.

4 - البحري: الديوان، مج1، ص152.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص310. لم أعر على البيت في النسخة التي بحوزتي.

عليه وسلّم: «وَجُعِلَتْ لِي الْأَرْضُ مَسْجِدًا وَطَهْرًا»، حيث قال (الوافر) ¹:

سَأَلْتُ الْأَرْضَ لِمَ جُعِلَتْ مُصَلِّيًّا وَلِمَ كَانَتْ لَنَا طَهْرًا وَطَيِّبًا
فَقَالَتْ غَيْرَ نَاطِقَةٍ لِأَنِّي حَوَيْتُ لِكُلِّ إِنْسَانٍ حَبِيبًا

يعلق على البيتين بقوله: «فتخلص مما وقع فيه ابن هانئ لكونه ذكر أنه سأل الأرض عن العلة التي بسببها جعلها الله تعالى لرسوله عليه السلام مسجداً وطهوراً، وتلطّف في استخراج علة مناسبة لا حرج عليه في ذكرها بنفسه» ².

أمّا ما تقدم المعلول فيه على العلة، إغراباً وطرافة، فكقول مسلم بن الوليد (البسيط) ³:

يَا وَاشِيًّا حَسَنْتَ فِينَا إِسَاءَتَهُ نَجَّى حِذْرَكَ إِنْسَانِي مِنَ الْغَرَقِ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" إنّه لم يُسمع في هذا الباب مثله، ذلك أن مسلماً أغرب في معناه بتلطّفه في تحسين إساءة الواشي، لإنجائه إنسان عينه من الغرق بالدمع، لامتناعه من البكاء لحذره منه، فغاير في ذلك الناس، بمعنى أنه استحسّن الإساءة، وكأنه سئل عن استحسانه إساءة الواشي، ففسّر ذلك بنجاة إنسانه من الغرق، وقد اشتمل هذا البيت حسب "ابن أبي الإصبع المصري" على ثلاثة عشر نوعاً من البديع هي: الإغراب والطرفة، والتعليق، والإدماج، والاحتراس، والمبالغة، والتعليل، والمطابقة، والمساواة، والتغاير، والتفسير، وائتلاف اللفظ مع المعنى، وائتلاف اللفظ مع الوزن، والتمكين ⁴.

ونقل الحموي ما قاله "ابن أبي الإصبع المصري" عن التعليل ⁵.

3_ التسليم:

التسليم في اللغة من (سلم)، جاء في لسان العرب: «التسليم: مشتق من السلام، اسم الله تعالى، لسلامته من العيب والنقص. سلم فلان من الآفات سلامة، وسلم من الأمر سلامة: نجا» ⁶.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص310.

² - المصدر نفسه: ص310.

³ - مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريع الغواني، ص328.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص311، 312.

⁵ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص832، 833.

⁶ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(سلم).

التسليم من المصطلحات البلاغية التي سلمت لابن أبي الإصبع المصري، وهو بعلم البحث والمناظرة أجدر¹، وقد عرفه بقوله: «وهو أن يفرض المتكلم فرضا محالا، إما منفيا أو مشروطا بحرف الامتناع؛ ليكون ما ذكره ممتنع الوقوع؛ لامتناع وقوع شرطه، ثم يسلم وقوع ذلك تسليما جدليا، ويدل على عدم فائدة ذلك على تقدير وقوعه»².

وقد استشهد عليه بقوله تعالى: ﴿مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا لُذِّبَ كُلُّ وَاحِدٍ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَّ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ﴾ {سورة المؤمنين، الآية 91}، ومعنى الآية أن ليس مع الله سبحانه من إله، وكأن قائلًا قال: لو سلمنا أن مع الله إلهًا آخر للزم من ذلك التسليم ذهاب كل إله بما خلق، وعلو بعضهم على بعض، فلا يتم في العالم أمر ولا ينفذ حكم، والواقع خلاف ذلك، ففرض إلهين فما فوق محال³.

وقد مثل عليه من الشعر بقول الطرمّاح (البيسط)⁴:

لَوْ كَانَ يَخْفَى عَلَى الرَّحْمَنِ خَافِيَةٌ
مِنْ خَلْقِهِ خَفِيَتْ عَنْهُ بَنُو أَسَدٍ

وهذا على تقدير التسليم أن الله سبحانه وتعالى لا يجوز أن تخفى عليه خافية، فقال الشاعر: لو كان مما يجوز لأن يخفى عليه شيء من خلقه خفيت عليه هذه القبيلة. وتابعه في هذا المصطلح السيوطي والمدني⁵.

4_ التنظير:

التنظير لغة من (نظر)، جاء في اللسان: «النظر: تأمل الشيء بالعين، وتقول نظرت إلى كذا وكذا من نظر العين ونظر القلب. والنظر: الفكر في الشيء تقدّره وتقيسه منك»⁶.

التنظير من المصطلحات التي ابتدعها ابن أبي الإصبع المصري⁷، لكن محقق الكتابين الكتابيين يرى أن هذا المصطلح لم يسلم للمؤلف، فقد تكلم عنه "ابن الأثير" في كتابه الاستدراك تحت اسم المفاضلة بين الشعراء، وهو أيضا نوع الموازنة الذي ذكره في الفروع،

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص154.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص295، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص587.

3 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص295. و ص587.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص587. وينظر: ابن طباطبا: عيار الشعر، ص51.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص154.

6 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(نظر).

7 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص370.

وهو إلى النقد أقرب منه إلى البديع¹. والذي لابد من توضيحه هنا هو أن التنظير يختلف عن الموازنة في المفهوم، فالموازنة كما عرفها هي: «أن تأتي الجملة من الكلام، أو البيت من الشعر متَّزَنَ الكلمات، متعادلَ اللفظات في التسجيع والتجزئة معا في الغالب»². أما التنظير كما عرفه هو: «أن ينظر المتكلم بين كلامين إما متقفي المعاني، أو مختلَفِي المعاني، ليظهر الأفضل منهما»³. فلم يشترط في التنظير تعادل اللفظات في التسجيع والتجزئة معا كما في الموازنة.

ومثل "ابن أبي الإصبع المصري" على الأول: النصين المتقفي المعاني، بقول يزيد بن الحكم الثقفي من شعراء الحماسة (الكامل المجزوء)⁴:

يا بَدْرُ والأَمْثَالُ يَضُدُّ	رَبُّهَا لَذِي اللَّبِّ الْحَكِيمِ
دُمٌ لِلخَلِيلِ بُوْدُهُ	مَا خَيْرٌ وَدٌّ لَا يَدُومُ
وَأَعْرِفْ لَجَارِكَ حَقَّهُ	وَالْحَقُّ يَعْرِفُهُ الْكَرِيمُ
وَأَعْلَمْ بِأَنَّ الضيفَ يُو	مَا سَوْفَ يَحْمَدُ أَوْ يُلُومُ

فإذا نظرت بين هذه الوصايا وبين قوله تعالى: ﴿وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾ {سورة النساء، الآية 36}، وجدت بأن الآية قد جمعت من الوصايا وما حصل في نظمها من صحة التقسيم لاستيفائها جميع أقسام من تجب الوصية به والإحسان إليه، والإيجاز، والمساواة، لكون لفظها طبق معناه، والتهذيب لما وقع فيها من حسن الترتيب، إذ بدأ سبحانه بذي القربى وعطف عليهم اليتامى، لما يجب من تقديمهم على المساكين، وعطف الجار ذي القربى مقدماً ذكره على المساكين، وأفرده بالذكر بعد دخوله في عموم المساكين لينبّه على العناية به، وعطف عليه الجار الجنب، أي صاحب وقدمه على صاحب المجاور في السفر أو الحضر، وعطف على ذلك ابن السبيل، وختم بحسن المَلَكَةِ⁵.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص238 من حاشية المحقق.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص386.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص238.

⁴ - المصدر نفسه: ص238.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص 238 ، 239.

ومثل هذه الوصايا أيضا قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ {سورة الأنعام، الآية 151} ¹.

ومثل على الثاني: النصين مختلفي المعاني، بما اقتضه الأعرشى من قصة السموعل في وفائه بأذراع امرئ القيس التي أودعه إياها عند دخوله الروم، وقصد الحارث الأعرج الغساني صاحب الشام السموعل، ومحاصرته له في حصنه المعروف بالأبلق الفرد، وقتله لولد السموعل وهو مشرف ينظر، ولم يسلم الأذراع، ولم تنزل عنده حتى سلمها لورثة امرئ القيس في قصيدته الرائية، ومطلعها ²:

كُنْ كَالسَّمُوعِلِ إِذْ طَافَ الْهَمَامُ بِهِ فِي جَحْفَلٍ كَسَوَادِ اللَّيْلِ جَرَّارٍ

قال "ابن أبي الإصبع المصري" في هذه القصيدة: «أجمع العلماء البصراء بنقد الكلام على تقديمها في هذا الباب على جميع الأشعار التي اقتضت فيها القصص وتضمنت الأخبار» ³.

فبالنظر بينها وبين قوله تعالى في سورة يوسف: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجْدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُمْ مِنَ الْبَدْوِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِمَا يَشَاءُ﴾ {سورة يوسف، الآية 100}، وجدت التفاوت ما بين الكلامين، وأدركت الفرق ما بين البلاغتين ⁴.

5_ حصر الجزئي وإحاقه بالكلي:

هذا النوع من مستخرجات "ابن أبي الإصبع المصري" ولم يسبقه أحد إليه ⁵. وقد عرّفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم إلى نوع ما فيجعله بالتعظيم له جنسا بعد حصر أقسام الأنواع منه والأجناس» ⁶.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 239.

² - الأعرشى: الديوان، ج 2، ص 23.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 241.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص 241.

⁵ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج 2، ص 744. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 600 من حاشية المحقق. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 315 من حاشية المحقق. وينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج 2، ص 451.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 600. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 315، 316.

وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبُرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ﴾ {سورة الأنعام، الآية 59}، فإنه سبحانه وتعالى تمدّح بأنه يعلم ما في البرِّ والبحر من أصناف الحيوان والجماد حاصرا لجزئيات المولدات، فرأى الاقتصار على ذلك لا يكملُّ به التمدُّح، لاحتمال أن يظنَّ ضعيف أنه جلَّ وعلا يعلم الكلِّيات دون الجزئيات، فإنَّ المولّدات وإن كانت جزئيات بالنسبة إلى جملة العالم، فكلّ واحد منها كلّي بالنسبة إلى ما تحته من الأجناس والأنواع والأصناف، فقال لكمال التمدّح (وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا) وعلم سبحانه أنّ علم ذلك يشاركه فيه كلّ ذي إدراك، فتمدّح بما لا يشاركه فيه أحد، فقال عز وجل: (وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ)، ثمَّ ألحق هذه الجزئيات بالكلِّيات، فقال: (وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ)، ثمَّ قال: (إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ)، إشارة إلى أنّ علمه بذلك علمٌ من معلومة مقيد في كتاب مبين، فهو يأمن الضلال والنسيان، كما قال سبحانه: ﴿عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبٌّ وَلَا يَنْسَى﴾ {سورة طه، الآية 52} ¹.

وقول السلامي (الطويل) ²:

إِيكَ طَوَى عَرَضَ الْبَسِيطَةِ جَاهِلٌ	قُصَارَى الْمَطَايَا أَنْ يَلُوْحَ لَهَا الْقَصْرُ
وَكُنْتُ وَعَزَمِي فِي الظَّلَامِ وَصَارَمِي	ثَلَاثَةَ أَشْبَاهٍ كَمَا اجْتَمَعَ النَّسْرُ
فبَشَّرْتُ آمَالِي بِمَلِكٍ هُوَ الْوَرَى	وَدَارِ هِيَ الدُّنْيَا وَيَوْمٍ هُوَ الدَّهْرُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" إنَّ شاهده على هذا المصطلح هو البيت الأخير، ففيه قصد الشاعر تعظيم الممدوح وتفخيم أمر داره التي قصده فيها، ومدح يومه الذي لقيه فيه، فجعل الممدوح جميع الورى والدار التي لقيه فيها الدنيا، واليوم الذي رآه فيه الدهر، فجعل بذلك الجزئيّ كلياً بعد حصر أقسام الجزئيّ، وأما جعله الجزئيّ كلياً فلأنَّ الممدوح جزء من الورى، والدار جزء من الدنيا، واليوم جزء من الدهر، وأما حصر أقسام الجزئيّ فلأنَّ العالم

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص 601، 600. وينظر: وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 316، 317.
² - المصدران نفسهما: ص 601. وص 317.

عبارة عن أجسام وظروف زمان وظروف مكان، فقد حصر ذلك كله في ذكر الممدوح، وذكر داره، وذكر يوم لقائه¹.

وأما إلحاق الجزئي بالكلي فلكونه ألحق الممدوح بجميع الوري في كونه جعله وزن جميع الوري، وهذا من قول أبي نواس (السريع)²:

وَلَيْسَ لِلَّهِ بِمُسْتَنْكَرٍ أَنْ يَجْمَعَ الْعَالَمَ فِي وَاحِدٍ

فألحق داره بالدنيا التي هي كل بالنسبة إلى داره، وألحق يوم القيامة بالدهر الذي هو كل بالنسبة إلى ذلك اليوم، وهذا أحسن ما سمع في هذا الباب .

ونقل ابن حجة الحموي تعريف ابن أبي الإصبع المصري وأمثله³.

6_ القسم:

القسم في اللغة من (قسم)، جاء في اللسان: «القَسَمُ، بالتحريك: اليمينُ، وكذلك المُقَسَّمُ، وهو المصدر، والجمع أقسامٌ، وقد أقسم بالله واستقسمه به وقاسمه: حَلَفَ لَهُ. وتقاسم القوم: تحالفوا. وأصله من القسامة والقسامة: الذين يحلفون على حقهم ويأخذون»⁴.

القَسَمَ ويسمى كذلك الاقتسام⁵. وقد نقل المعنى اللغوي وهو الحلف أو اليمين بوجه عام إلى الاصطلاح فأصبح يعني أن يقسم أو يحلف المتكلم بقسم على الغرض الذي يقصده، قال "العلوي": «أَنْ يُحَلَفَ عَلَى شَيْءٍ بِمَا فِيهِ فخر، أو مدح، أو تعظيم، أو تغزل، أو زهو، أو غير ذلك مما يكون فيه رشاقة في الكلام وتحسين له»⁶.

وبهذا المعنى جاء مصطلح القسم عند "ابن أبي الإصبع المصري" وغيره من النقاد والبلاغيين، يقول في تعريفه: «هو أن يريد المتكلم الحَلَفَ على شيء فيحلف بما يكون فيه فخر له، أو تعظيم لشأنه، أو تنويه لقدره، أو ما يكون نماً لغيره، أو جارياً مجرى الغزل والترقق، أو خارجاً مخرج الموعظة والزهد»⁷.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير ص 601 ، 602. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ، ص317.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص218. وهذا البيت غير موجود في النسخة التي بحوزتي.

3 - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص744.

4- ابن منظور: لسان العرب، مادة(قسم).

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص136.

6 - العلوي: الطراز، ج3، ص86.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص112. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص327.

وقد استشهد على هذا المصطلح بشواهد من الكتاب العزيز والشعر، كقوله تعالى: ﴿قَرَّبَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ﴾ {سورة الذاريات، الآية 23}، فالقسم في الآية يوجب الفخر لتضمّنه التمدّح بأعظم قدرة، وأكمل عظمة للحاصل من ربوبية السماء والأرض، وتحقق الوعد بالرزق، فقد أخبر سبحانه وتعالى أن الرزق في السماء، وأنه رب السماء، فيلزم من ذلك قدرته على الرزق الموعود به دون غيره، فلا رازق سواه، وأنه لا يحرم أحدا من رزقه، وقد حصل إيغال في فاصلة هذه الآية بعد تمام المعنى في قوله تعالى: (مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنْطِقُونَ)، ومثل هذا الوعد بما هو واقع ضرورة لا يرتاب منها أحد¹.

وكقوله تعالى: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ {سورة الحجر، الآية 72}، فإنه سبحانه أقسم بحياة نبيه صلى الله عليه وسلم لتعرف الأمم عظمته عنده، ومكانته لديه سبحانه، وأخبره بعد القسم بحياته أن المعرضين عنه في سكرتهم تسلية له².

وكقوله تعالى في غير موضع: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 33}.

يقول ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على الآية: «وهذه نهاية المحبة وغاية الملاطفة، إذ فداه بآياته، وقد كانوا كذلك، فإنه روي أن أبا جهل قال للنبي صلى الله عليه وسلم: إنّنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به»³.

ومثل له من الشعر بأمثلة تضمنت الفخر والوعيد، كقول الأشتر النخعي (الكامل)⁴:

بَقِيْتُ وَفَرِي وَانْحَرَفْتُ إِلَى الْعَلَا وَلَقَيْتُ أَضْيَافِي بِوَجْهِ عَبُوسِ
إِنْ لَمْ أَشَنَّ عَلَى ابْنِ هِنْدٍ غَارَةً لَمْ تَخُلْ يَوْمًا مِنْ نَهَابِ نَفُوسِ

فأبيات الأشتر تضمنت الفخر له، والوعيد لغيره، فحصل فيها الافتتان مقترنا بالقسم.

ومثله قول أبي علي البصير يعرض بعلي بن الجهم (الكامل)⁵:

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 329. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 112.

2 - ينظر: المصدران نفسهما: ص 329. وص 113.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 330. وينظر: وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 113، 114.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 327.

5 - المصدر نفسه: ص 327، 328.

أَكْذَبْتُ أَحْسَنَ مَا يَظُنُّ مُؤَمَّلِي
وَعَدَمْتُ عَادَاتِي الَّتِي عَوَّدْتَهَا
وَصَحَبْتُ أَصْحَابِي بَعْرَضٍ مَعْرَضٍ
وَعَضَّضْتُ مِنْ نَارِي لِيَخْفَى ضَوْوُهَا
إِنْ لَمْ أَشُنَّ عَلَى عَلِيٍّ خَلَّةً
وَهَدَمْتُ مَا شَادَتْهُ لِي أَسْلَافِي
قَدَمَا مِنَ الْإِتْلَافِ وَالْإِخْلَافِ
مَتَحَكِّمٌ فِيهِ وَمَالٍ وَافٍ
وَقَرَيْتُ عُذْرًا كَاذِبًا أَضْيَافِي
تُضْحِي قَدَى فِي أَعْيُنِ الْأَشْرَافِ

واستشهد على القسم في النسب بقول الشاعر (الطويل) ¹:

جَنَى وَتَجَنَّى وَالْفَوَادُ مَطِيعُهُ
فَإِنْ لَمْ يَكُنْ عِنْدِي كَعَيْنِي وَمِسْمَعِي
فَلَا ذَاقَ مَنْ يَجْنِي عَلَيْهِ كَمَا يَجْنِي
فَلَا نَظَرْتُ عَيْنِي وَلَا سَمِعْتُ أُذُنِي

أما ما جاء منه في الغزل فقول ابن المعتز (البيسيط) ²:

لَا وَالَّذِي سَلَّ مِنْ جَفْنَيْهِ سَيْفَ رَدَى
مَا صَارَمْتُ مُقَلَّتِي دَمْعًا وَلَا وَصَلْتُ
قُدَّتْ لَهُ مِنْ عِذَارِيهِ حَمَائِلُهُ
عَمَّضًا وَلَا سَأَلَمْتُ قَلْبِي بِلَابِلُهُ

يقول معلقا على البيتين: «وهذا أحسن ما وقع في الغزل من القسم، إذ القسم والمقسم عليه كُله داخل في باب الغزل» ³.

ثم ذكر أن أحسن ما سمع في القسم على المدح قول ابن خردذابة (الطويل) ⁴:

حَلَفْتُ بِمَنْ سَوَى السَّمَاءِ وَشَادَهَا
وَمَنْ قَامَ فِي الْمَعْقُولِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَا
كَمَا خُلِقْتَ كَفَاكَ إِلَّا لِأَرْبَعِ
لِتَقْبِيلِ أَفْوَاهِ وَإِعْطَاءِ نَائِلِ
وَمَنْ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ
بِأَثْبَتِ مَنْ إِدْرَاكَ كُلِّ عِيَانِ
عَقَائِلَ لَمْ تُعْقَلْ لَهُنَّ ثَوَانِ
وَتَقْلِيْبِ هُنْدِيٍّ وَحَبْسِ عِنَانِ

واستشهد على ما جاء في معنى التقريب إلى المحبوب وخب قلبه بالتلطف من القسم بقول الشاعر (الطويل):

يُودُّ بَأَنْ يَمْسِي عَلِيًّا لَعْلَهَا
إِذَا سَمِعَتْ شَكْوَاهُ يَوْمًا تَرَا سِلَّهُ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 328.

² - المصدر نفسه: ص 328.

³ - المصدر نفسه: ص 328.

⁴ - المصدر نفسه: ص 328 ، 329.

ويَهْتَرُ للمَعْرُوفِ في طَلَبِ العُلَا لَتُحْمَدَ يَوْمًا عِنْدَ لَيْلَى شَمَائِلَهُ

يعلل"ابن أبي الإصبع المصري" سبب استشهاده بهذين البيتين بقوله:«وما ذكرت هذين البيتين في هذا الكتاب مع ما التزمت أني لا أذكر من الشعر إلا ما تمس الحاجة إلى ذكره ضرورة إلا لشغفي بهما، ومن شغفي بهما عملت في معاهما»¹.

فقال_واني لأعلم تقصيري فيما عملت_(الطويل)²:

أَجُودُ لِعِلْمِي أَنَّ جُودِي يَسْرُهَا	لَتَحْمَدَنِي وَهِيَ الْحَقِيقَةُ بِالْحَمْدِ
تَبَيَّنَتْ مِنْهَا أَنَّهَا تَعشَقُ النَّوَى	فَأَبْدَيْتُ مِنْ عَشْقِ النَّوَى فَوْقَ مَا عِنْدِي
وَأَهْوَى النَّوَى لَا عَنْ مَلَالٍ لِعَلَّهَا	تَقُولُ تَرَاهُ كَيْفَ حَالَتُهُ بَعْدِي
أَبْصَرْتُ قَبْلِي مُدْنَفًا مَتَحِيلًا	عَلَى بُرْنِهِ يَرْجُو الشِّفَاءَ مِنَ البُعْدِ

7_ الحيدة والانتقال:

الحيدة لغة من(حيد)، جاء في اللسان:«الحيد: حرف شاخص يخرج من الجبل، والحيد ما شخص من الجبل واعوجّ. وحاد عن الشيء يحيد: مال عنه وعدل. والحيدة: العقدة في قرن الوعل»³.

والانتقال في اللغة التحوّل، قال ابن منظور:«النقل: تحويل الشيء من موضع إلى موضع، نقله ينقله نقلًا فانتقل. والتتقل: التحوّل»⁴.

هذا المصطلح من مبتدعات ابن أبي الإصبع المصري⁵، حيث عرفه بقوله:«هو أن يجيب المسؤول بجواب لا يصلح أن يكون جوابا عما سئل عنه، أو ينتقل المستدلّ إلى استدلال غير الذي كان آخذاً فيه، وإنما يكون هذا بلاغة إذا أتى به المستدلّ بعد معارضة ما يدل على أن المعارض لم يفهم وجه استدلاله، فينتقل عنه إلى استدلال يقرب من فهم

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص109.

2 - المصدر نفسه: ص 109 ، 110.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(حيد).

4 - المصدر نفسه: مادة(نقل).

5 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص463.

الخصم يكون فيه قطعه عن المعارضة، فيكون استدلاله الأول محتملا للمعارضة، واستدلاله الثاني لا يحتمل ما يبطله بوجه صحيح ولا بوجه سقيم»¹.

وقد استشهد عليه بمناظرة الخليل_ صلوات الله عليه وسلامه_ مع الجبار²، فقال له الخليل: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾ {سورة البقرة، الآية 258}، فقال الجبار: (أنا أُحْيِي وَأُمِيتُ) ثم دعا بإنسان فقتله، ودعا بمن وجب عليه القتل فأعتقه، فعلم الخليل أن الجبار لم يفهم معنى الإمامة والإحياء اللذين أرادهما فانقل إلى استدلال آخر فقال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ فانقطع الجبار، فكان منه ما أخبر الله سبحانه وتعالى به عنه فقال: ﴿فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ﴾³.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" نوعا آخر لهذا المصطلح يحيد فيه المسؤول عن خصوص الجواب إلى عمومه، لتفيد تلك الحيدة زيادة بيان لا تحصل بخصوص الجواب⁴. ومثل له بقول عائشة_ رضي الله عنها_ وقد سألتها امرأة أتدخل المرأة الحمام؟ فقالت: «كُلُّ امْرَأَةٍ وَضَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا فَقَدْ عَصَتْ» أو كما قالت، وصواب الحديث: «ما من امرأة خَلَعَتْ ثِيَابَهَا فِي غَيْرِ بَيْتِهَا، إِلَّا هَتَكَتْ ما بينها وبين الله من حجاب»⁵.

يقول معلقا على قولها: «فانظر إلى حيدتها عن الخصوص إلى العموم، لتفيد زيادة في البيان، وتستوعب جميع أحكام الباب، فهذا مثال ما يأتي من الحيدة بسبب سوء فهم الخصم أو لقصد الزيادة المفيدة»⁶.

ومنه ما يأتي بسبب صحة المعارضة على طريق المغالطة، فقول الشاعر (المنسرح)⁷:

رَأَيْتُهُ فِي الظَّلَامِ مُنْبَطِحًا يضرب في باب سُرْمِهِ بُوقُ
فَقُلْتُ مَاذَا؟ فَقَالَ يَبْهَتُنِي أَنْتَ تَقُولُ القرآنُ مخلوقُ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 280 ، 281. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص565.
2 - الجبار: هو النمروذ بن فالج بن عابر بن شالح بن أرفخشيد بن سام. نقل عن: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص565 من حاشية المحقق.
3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص565. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 280 ، 281.
4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص565.
5 - المصدر نفسه: ص566.
6 - المصدر نفسه: ص566.
7 - المصدر نفسه: ص566.

8_ القول بالموجب:

هذا المصطلح من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري" ولم يُسبق إليه¹، وقد عرّفه بقوله: «وهو أن يخاطب المتكلم مخاطباً بكلام فيعمد المخاطب إلى كل كلمة مفردة من كلام المتكلم فيبني عليها من لفظه ما يوجب عكس معنى المتكلم، وذلك عين القول بالموجب، لأنّ حقيقته ردّ الخصم كلام خصمه من فحوى لفظه»²، وهو يختلف عن أسلوب الحكيم الذي ذكره "الجاحظ" (ت255هـ) باعتبار الغاية والنتيجة، فإن غاية القول بالموجب ردّ كلام المتكلم وعكس معناه، وغاية الأسلوب الحكيم هو تلقي المخاطب بغير ما يترقب بجعل كلام المتكلم على خلاف مراده تنبيهاً على أنه الأولى³.

وقد استشهد على هذا المصطلح من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ﴾، وموجب هذا القول إخراج الرسول صلى الله عليه وسلم المنافقين منها، لأنه الأعزّ وهم الأذّلون، وقد كان ذلك، فقال الله سبحانه وتعالى على إثر ذلك: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (سورة المنافقون، الآية 8)⁴.

واستشهد عليه من الشعر بقول ابن حجاج (الخفيف)⁵:

قُلْتُ: ثَقَلْتُ إِذَا أَتَيْتُ مِرَارًا قَالَ ثَقَلْتَ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي

قُلْتُ: طَوَّلْتُ قَالَ لِي بَلْ تَطَوَّلَ تَ وَأَبْرَمْتَ قَالَ حَبْلٌ وَدَادِي

ومن ذلك أيضاً قول ابن الدؤبدة المغربي في رجل أودع بعض القضاة مالا فادّعى

ضياعه (الكامل)⁶:

إِنْ قَالَ: قَدْ ضَاعَتْ فَصَدَّقْ أَنَّهَا ضَاعَتْ وَلَكِنْ مِنْكَ يَعْني لَوْ تَعِي

أَوْ قَالَ: قَدْ وَقَعَتْ فَصَدَّقْ أَنَّهَا وَقَعَتْ وَلَكِنْ مِنْهُ أَحْسَنَ مَوْعٍ

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص145.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص599. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص314.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص314 من حاشية المحقق.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص315.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص599. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص315.

6 - المصدران نفسيهما: ص599. وص315.

والفرق بين القول بالموجب وبين التعطف في الصناعة أن التعطف في الألفاظ والقول بالموجب في المعاني، هذا من جهة، ومن جهة أخرى أن اللفظة التي تزيد في التعطف لا تكون مع أختها في قسم واحد، وإنما تكون كل لفظة في شطر. ومن جهة ثالثة أن الثانية من كلمتي التعطف لا تكون عكس معنى الكلام، وهذه تعكس معناه¹.

وعده "الخطيب القزويني" (ت739هـ) من المحسنات المعنوية، وقسمه إلى ضربين: «أحدهما: أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم، فثبت في كلامك تلك الصفة لغير ذلك الشيء، من غير تعرض لثبوت ذلك الحكم له أو في انتقائه عنه... والثاني: حمل لفظ وقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه»².

9_ المذهب الكلامي:

المذهب لغة من (ذهب)، جاء في اللسان: «المعتقد الذي يُذهبُ إليه»³.

والكلام لغة من (كلم)، قال ابن منظور: «القول، والكلام ما كان مكتفياً بنفسه وهو الجملة»⁴. ولهاتين المادتين وما اشتق منهما معانٍ أخرى، ولكننا اخترنا منهما ما له صلة بالمعنى الاصطلاحي وذلك لوجود مشابهة بينهما، فالمذهب الكلامي في الاصطلاح عبارة عن: «احتجاج المتكلم على خصمه بحجة تقطع عناده، وتوجب له الاعتراف بما ادعاه المتكلم وإبطال ما أورده الخصم»⁵.

ويسمى "الاحتجاج النظري" و"إلجام الخصم بالحجة"، والبلاغيون... يطلقون عليه اسم "المذهب الكلامي"⁶.

ذكره "ابن المعتز" (ت296هـ) في بديعه وجعله الفن الخامس، وذهب إلى أن التسمية للجاحظ قال: «وهو مذهب سماه عمرو الجاحظ المذهب الكلامي، وهذا باب ما أعلم أنني

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص599. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص315.

2 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص286 ، 287.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ذهب).

4 - المصدر نفسه: مادة(كلم).

5 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص57.

6 - ينظر: المرجع نفسه: ص51.

وجدت في القرآن منه شيئاً، وهو ينسب إلى التكلف، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً»¹. ولم يحدد مفهومه.

وذكره "العسكري" (ت395هـ) ولم يحدد مفهومه أيضاً، وأشار إلى أن "ابن المعتز" نسيه إلى التكلف تعالى².

وأخذ "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) هذا المصطلح عن "ابن المعتز" كما هو دون أن يضع له مفهوماً محدداً، وقد ذكره في باب التكرار، فقال: «وقد نقلت هذا الباب نقلاً من كتاب عبد الله بن المعتز»³.

وبدأ المذهب الكلامي يأخذ صورته الواضحة في كتب البلاغة عند المتأخرين، وهي إيراد حجة للمطلوب على طريقة المتكلمين⁴، بمعنى أن يدعي المتكلم دعوى ثم يحاول التماس دليل عقلي مقنع لها، كما يفعل المتكلمون بإيراد الحجج العقلية لدعواهم، وهذا هو المعنى الذي جاء به عند "ابن أبي الإصبع المصري" في قوله: «المذهب الكلامي عبارة عن احتجاج المتكلم على المعنى المقصود بحجة عقلية تقطع المعاند له فيه، لأنه مأخوذ من علم الكلام الذي هو عبارة عن إثبات أصول الدين بالبراهين العقلية. وهو الذي نسبت تسميته إلى الجاحظ، وزعم ابن المعتز أنه لا يوجد في الكتاب العزيز، وهو محشوّ منه»⁵.

وقد استشهد عليه بشواهد قرآنية، كقوله تعالى حكاية عن الخليل عليه السلام: ﴿وَحَاجَّةُ قَوْمِهِ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ﴾ {سورة الأنعام، آيتا 80 و83}.

وكقوله تعالى: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ﴾ {سورة يس، الآية 81}.

وقوله عز وجل: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ {سورة الأنبياء، الآية 22}.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ {سورة يس، الآية 79}.

¹ - ابن المعتز: البديع، ص53.

² - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص410.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص80.

⁴ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص58.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص119. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص37، 38.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من المذهب الكلامي نوع منطقي تستنتج فيه النتائج من المقدمات، وأن أهل هذا العلم قد ذكروا أن من أول سورة الحج إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ {سورة الحج، الآية 7} خمس نتائج تستنتج من عشر مقدمات¹.

فالمقدمات من أول السورة إلى قوله تعالى: ﴿وَأُنَبِّتُ مِنْ كُلِّ رَوْحٍ بِهِيجٍ﴾، والنتائج من قوله جلّ وعلا: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ﴾ إلى قوله: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾، وتفصيلها على الترتيب أن يقال: «الله أخبر أن زلزلة الساعة شيء عظيم، وخبره هو الحق، وأخبر عن المغيب بالحق، فهو حق. فالله هو الحق، والله يأتي بالسعة على تلك الصفات، ولا يعلم صدق الخبر إلا بإحياء الموتى، ليدركوا ذلك، ومن يأتي بالساعة يحي الموتى، فهو يحي الموتى، وأخبر أن يجعل الناس من هول الساعة سُكاري لشدة العذاب، ولا يقدر على عموم الناس بشدة العذاب إلا من هو على كل شيء قدير، فالله على كل شيء قدير، وأخبر أن الساعة يجازى فيها من يجادل في الله بغير علم، ولا بدّ من مجازاته، ولا يجازى حتى تكون الساعة آتية. ولا تأتي الساعة حتى يبعث من في القبور فهو يبعث من في القبور، وأن الله ينزل الماء على الأرض الهامدة فتنبت من كل زوج بهيج، والقادر على إحياء الأرض بعد موتها يبعث من في القبور، وأن الله يبعث من في القبور»².

ثم ذكر أن "الرماني" قد ساق في الضرب الخامس من باب المبالغة من الإعجاز _ إخراج الكلام مخرج الشك للمبالغة في العدل والمظاهرة في الحجاج، في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ {سورة الزخرف، الآية 81}، وقوله سبحانه: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ {سورة الروم، الآية 27}³.

كما ذكر أن من هذا الباب ما كان جوابا لسؤال مقدّر، كقوله عز وجل: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ﴾ {سورة التوبة، الآية 114}، لأن التقدير أن قائلا قال بعد قوله

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 120، 119. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 38.

² - المصدران نفسيهما: ص 120، و ص 38، 39.

³ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 120، 121. وص 39. وينظر: الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص 105.

تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ {سورة التوبة، الآية 113}، فقد استغفر إبراهيم لأبيه، فأخبر بقوله: ﴿وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ﴾¹.

أما عن شواهد الشعرية على المذهب الكلامي، فقول النابغة الذبياني يعتذر إلى النعمان (الطويل)²:

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرِكْ لِنَفْسِي رِيبَةً	وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرِّ مَذْهَبُ
لَئِنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً	لَمُبْلِغِكَ الْوَاشِي أَعْشُ وَأَكْذَبُ
وَلِكِنِّي كُنْتُ امْرَأً لِي جَانِبُ	مِنَ الْأَرْضِ فِيهِ مُسْتَرَادٌ وَمَذْهَبُ
مُلُوكٌ وَإِخْوَانٌ إِذَا مَا مَدَحْتَهُمْ	أُحْكَمُ فِي أَمْوَالِهِمْ وَأَقْرَبُ
كَفَعْلِكَ فِي قَوْمٍ أَرَاكَ اصْطَنَعْتَهُمْ	فَلَمْ تَرَهُمْ فِي مَدْحِهِمْ لَكَ أَذْنُبُوا

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على الشاعر: «فانظر إلى حذق الشاعر في الاحتجاج بقوله لهذا الملك: أنت أحسنت إلى قوم فمدحوك، وأنا أحسن إليّ قوم فمدحتهم، فكما أن مدح أولئك لا يُعدُّ ذنباً فكذلك مدحي لمن أحسن إليّ لا يُعدُّ ذنباً»³.

10_ المناقضة:

المناقضة لغة من (نقض) جاء في اللسان: «النقض: إفساد ما أبرمت من عقد أو بناء. النقض نقض البناء والحبل والعهد. وناقضه في الشيء مناقضة ونقاضاً: خالفه. والمناقضة في القول: أن يتكلم بما يتناقض معناه. والمناقضة في الشعر ينقض الشاعر الآخر ما قاله الأول»⁴.

وفي الاصطلاح: «تعليق الشرط على نقيضين: ممكن ومستحيل، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن، ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط، فكان المتكلم ناقض نفسه في الظاهر»⁵.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 122.

² - النابغة الذبياني: الديوان، ص 19. في الديوان (لنفسك) بدل (لنفسه)، وكذلك (في شكر ذلك) بدل (في مدحهم لك).

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 121.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (نقض).

⁵ - الكفوي: الكليات، ص 850.

وقد عدّ "ابن أبي الإصبع المصري" المناقضة من مبتدعاته، ولكن محقق كتابيه يرى أنه مسبوق إلى هذا المصطلح من قبل "قدامة بن جعفر" و"أسامة بن منقذ"¹. والذي يبدو جليا أن اسم المصطلح هو هو ولكن المفهوم يختلف إلى حدّ ما.

ومفهوم المناقضة عند "ابن أبي الإصبع المصري" هي: «تعليق الشرط على نقيضين: ممكن ومستحيل، ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن، ليؤثر التعليق عدم وقوع المشروط، فكأنّ المتكلم ناقض نفسه في الظاهر، إذ شرط وقوع أمر بوقوع نقيضين»².

ومثّل له بقول النابغة الذبياني (الوافر)³:

وَإِنَّكَ سَوْفَ تَحْلُمُ أَوْ تَنَاهَى
إِذَا مَا شَبَّتَ أَوْ شَابَ الْغُرَابُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «فإنّ تعليقه وقوع حلم المخاطب على شبيهه ممكن، وعلى شيب الغراب مستحيل، ومراده الثاني لا الأول، لأنّ مقصوده أن يقول: إنك لا تحلم أبدا»⁴.

ثم ذكر أنّ الفرق بين المناقضة ونفي الشيء بإيجابه أن المناقضة ليس فيها نفي ولا إيجاب، ونفي الشيء بإيجابه ليس فيه شرط ولا معناه⁵.

وذكر نوعا آخر للمناقضة يرجع أصله إلى الأول، وهو أن يأتي في لفظ الوعد ما يدل على الوعيد، فيسرّ المخاطب ويسوءه في وقت واحد، فيتوجه على ذلك اللفظ إشكال يوضّحه بعده⁶.

ومثّل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾ (سورة الدخان، الآية 15)، فقوله عز وجل: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابَ﴾ وعد، ووصف كشف العذاب بالقلّة وعيد، فالأمر يسرّ ويسوء في حال واحدة، وإنما وصفه بالقلّة المنافية للكرم من أجل أنّه علّق كشف العذاب بشرط عدم العود إلى موجب العذاب، فاقتضت البلاغة أن يقول (قليلًا) ليُدْمَجَ في دلائل النبوة الإخبار بالغيّب، وهو وقوع العود، فيرشّح بذكر لفظة (قليلًا) للإيضاح والإخبار بوقوعه الذي

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 607 من حاشية المحقق.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 607. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 323.

³ - النابغة الذبياني: الديوان، ص 21.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 607. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 323، 324.

⁵ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 607. وص 324.

⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 608. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 324.

اقتضى أن يكون كشف العذاب قليلا من أجله. والشرط المأخوذ من قوة الكلام هو الذي يردّ هذا النوع إلى النوع الأول¹.

ثم ذكر نوعا آخر للمناقضة، وهو مناقضة المتكلم غيره في معنى ما، كمناقضة أبي القاسم بن واسانة نصيبا، أو عبد بني الحسحاس في قوله (الطويل)²:

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا إِلَى الْحَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدَ بِأَلْيَا
فقال الواساني (المنسرح)³:

فَصَاكَ بِي طَيِّبُهُ وَصَاكَ بِهِ مَنِّي صُنَانٌ فِي حِدَّةِ الْبَصَلِ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيتين بقوله: «فأخذ بيت المعزى في صدر بيته، وناقضه ولكنه قصر عنه»⁴.

وقد جاء من هذا النوع في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿فَمَنْ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ﴾ {سورة البقرة، الآية 194}، فقد شرط سبحانه المثلية في الجزاء أمرا بالعدل، فناقض بذلك الجاهلية في مدحهم الظلم⁵، كقول عمرو بن كلثوم (الوافر)⁶:

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلٌ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَ

وكان "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) قد تكلم على مصطلح المناقضة، فقال: «إن مناقضة الشاعر نفسه في قصيدتين أو كلمتين، بأن يصف شيئا وصفا حسنا، ثم يذمه بعد ذلك ذما حسنا أيضا، غير منكر عليه ولا معيب من فعله، إذا أحسن المدح والذم، بل ذلك عندي دليل على قوة الشاعر في صناعته واقتداره عليها»⁷. فالمناقضة عند "قدامة بن جعفر" نوعان: مناقضة مقبولة، ومناقضة معيبة.

وقد مثل على المعيبة بقول امرئ القيس⁸:

فَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلًا مِنَ الْمَالِ

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص608. و ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ، ص324.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص324.

³ - المصدر نفسه: ص324،325.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص325.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص326.

⁶ - عمرو بن كلثوم: الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1996، م2، ص78.

⁷ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 19 ، 20.

⁸ - امرؤ القيس: الديوان، 129.

ولكنمّا أَسْعَ لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يُدْرِكُ المَجْدَ المُوْتَلُ أَمْثَالِي

وقوله في موضع آخر¹:

فَتَمَلُّ بَيْتَنَا أَقْطًا وَسَمْنَا وَحَسْبُكَ مِنْ غِنَى شَبَعٍ وَرِيٍّ

أمّا "أسامة بن منقذ" (ت584هـ) فقد جمع بين مصطلحي المعارضة والمناقضة في باب واحد، فقال في تعريفه: «هو أن يناقض الشاعر كلامه، أو يعارض بعضه بعضاً»².

ومثّل له بقول خفاف :

إِذَا انْتَكَّتْ الخَيْلُ أَلْفَيْتَهُ صَبُورَ الجَنَانِ رزِينًا خَفِيْفًا

فالتناقض في البيت هو قوله: رزينا خفيفا، وقيل: إنّه أراد رزينا من جهة العقل وخفيفا، وقيل: إنه أراد رزينا في نفسه³.

والملاحظ على ما جاء به كل من "قدامة" و"ابن منقذ" غير ما أراده "ابن أبي الإصبع المصري"، فقد أراد تعليق الشرط على نقيضين ممكن ومستحيل ومراد المتكلم المستحيل دون الممكن.

وقد نقل الحموي والسيوطي والمدني كلام ابن أبي الإصبع المصري وأمثله، فظل رأيه عمدة المتأخرين في هذا المصطلح⁴.

1 - امرؤ القيس: الديوان ، ص171. في الديوان (فتوسع أهلها) بدل (فتملأ بيتنا).

2 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص152.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص152.

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص314.

الباب الثالث

مصطلحات حقل الخيال والاختراع

تمهيد

الفصل الأول: مصطلحات الإبداع والاختراع.

الفصل الثاني: مصطلحات التداخل في عملية الإبداع.

الفصل الثالث: مصطلحات التجاوز والتوسع.

الفصل الرابع: مصطلحات الإيماء والإيحاء.

الفصل الخامس: مصطلحات الصورة.

تمهيد:

إنّ الخيال ملكة من ملكات العقل، بها تُمثّل أشياء غائبة كأنها ماثلة حقا لشعورنا ومشاعرنا¹.

وُبعِدَ الخيال عنصرا أساسيا في الإبداع الشعري باعتباره الطاقة العجيبة التي يركبها الشاعر فتحمله إلى فضاء واسع وتحلق به في عالم من المعاني والصور². وللخيال مقدرة فنية تغطّي في كثير من الأحيان ما في اللغة من قصور، وبهذا فهو يعطي مفرداتها التوسع والزيادة في المعنى بالجمع بين المتباعدات والمتنافرات بخلق علاقات فريدة تزيينها، وتخلق الانسجام والوحدة فتجعلها من عالم واحد³.

ويقوم الخيال_عموما_ على الصورة البلاغية ف«غالبا لا يقصد بالخيال أكثر من استخدام لغة المجاز، فيقال عن الناس الذين يستخدمون بطبعهم الاستعارة والتشبيه، ولا سيما إذا كانت الاستعارة والتشبيه من نوع غير مألوف، يقال عنهم إنهم تتوفر لديهم ملكة الخيال»⁴. ويعتمد كذلك على الإيماء والإيحاء ليشغل به عقل المتلقي وتفكيره بغية الوصول إلى المعنى الذي يريده الشاعر، على الرغم من أن هذا الأخير لم يصرّح به بل ألمح وأوماً إليه فقط.

كما يقوم على التوسع والمبالغة في المعاني قصد التأثير في المتلقي، والوصول بهذه المعاني إلى صور تقارب المستحيل أو اللامعقول، فالمتلقي لا يرضى بالمعاني العادية والصور الواقعية. ما يدفع المتكلم إلى المبالغة والتوسع في تخيله.

كما يستعين المتكلم في تخيله بالإبداع والاختراع متخذا منها أداة للربط بين الأشياء التي لا توجد بينها علاقة في الواقع، فيضفي عليها من خياله ويخرجها في صور تبدو مثالية.

¹ - جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م، ص106.

² - ينظر: محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين، ص217.

³ - ينظر: جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992م، ص13.

⁴ ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ص295.

وعندما يبدع شاعر ما فهو يأخذ من غيره ويضيف ويحذف ويشبه ويقارب ويستعين،
فيأتي بصور تبدو جديدة مخترعة مبتدعة لا يدركها غيره من الشعراء أو الناس العاديين¹.

¹ - ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج3، ص311.

الفصل الأول

مصطلحات الإبداع والاختراع

1_ الإبداع:

الإبداع لغة من (بدع)، جاء في اللسان: «بَدَعَ الشيءَ يبدِّعُه بَدْعًا وابتدعه: أنشأه وبدأه. والبديع: المحدثُ العجيبُ. وأبدعت الشيءَ: اخترعته لا على مثال. وأبدع الشاعرُ: جاء بالبديع»¹.

وفي الاصطلاح: «تأليف الشيء الجديد من عناصر موجودة سابقا، كالإبداع الفني، والعلمي»².

قسّم "العسكري" (ت395هـ) المعاني إلى قسمين: قسم يبتدعه صاحب الصناعة من غير اقتداء، والآخر ما يحتذي فيه بغيره، يقول على القسم الأول: «ولا يتكل فيما ابتكره على فضيلة ابتكاره إياه، ولا يغرّه ابتداعه له؛ فيساهل نفسه في تهجين صورته؛ فيذهب حسنه ويطمس نوره، ويكون فيه أقرب إلى الذم منه إلى الحمد»³، فالإبداع عنده لا يسمح لصاحب الصناعة التهجين والإغراب في المعاني.

ومفهوم الإبداع عند "ابن رشيق" (ت456هـ) هو: «إتيان الشاعر بالمعنى المستظرف، والذي لم تجر العادة بمثله، ثم لزمته هذه التسمية حتى قيل له بديع وإن كثر وتكرر، فصار الاختراع للمعنى، والإبداع للفظ؛ فإذا تم للشاعر أن يأتي بمعنى مخترع في لفظ بديع فقد استولى على الأمد وحاز قصب السبق»⁴. وعليه فقد خص "ابن رشيق" الإبداع باللفظ والاختراع بالمعنى.

وتبع "ابن الأثير" (ت637هـ) "العسكري" فيما قاله عن هذا المصطلح⁵.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد خالف أسلافه في مفهوم الإبداع، وقال إنه من مبتدعاته، ولكن "حفني شرف" محقق الكتابين يرى بأنه مسبوق إليه⁶.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (بدع).

² - جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ج1، ص31.

³ - العسكري: الصناعتين، ص 69، 70.

⁴ - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص265.

⁵ - ينظر: ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص7.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص611 من حاشية المحقق.

ثم عرفه بقوله: « وهو أن تكون كل لفظة من لفظ الكلام على انفرادها متضمنة بديعا أو بديعين بحسب قوة الكلام، وما يعطيه معناه بحيث يأتي في البيت الواحد، والجملة الواحدة عدة ضروب من البديع، ولا تخلو لفظة منه من بديع»¹، فالإبداع عنده إذا أخذ مفهوما جديدا خاصا، يتعلّق بمهارة الشاعر أو الكاتب في توظيف ما يعرف بالمحسنات البديعية، مخضعا ذلك للكلمة في الاستعمال، حيث يشترط توفر الكلمة أو الجملة على نوعين من البديع فصاعدا وإلا خرج ذلك عن معنى الإبداع.

وقد استشهد عليه بآية من القرآن الكريم، ذكر أنه لم ير في جميع ما استقرى في النثر والشعر مثلها، حيث استخرج منها أحدا وعشرين ضربا من البديع وعددها سبع عشرة لفظة وهي قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [سورة هود، الآية 44].

وهذه الأنواع البديعية هي: المناسبة التامة بين ابلي واقلعي، والطباق بين الأرض والسماء، والمجاز في قوله: ﴿ويا سماء﴾ ومراده مطر السماء، والاستعارة في قوله: ابلي وأقلعي للأرض والسماء، والإشارة في قوله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾، فإنه عبّر بهاتين اللفظتين عن معان كثيرة، والتمثيل في قوله: ﴿وقضي الأمر﴾، فإنه عبّر عن هلاك الهالكين ونجاة الناجين بغير اللفظ الموضوع له، والإرداف في قوله: ﴿واستوتت على الجودي﴾، فإنه عبّر عن استقرارها بهذا المكان، بلفظ قريب من لفظ المعنى، والتعليل، لأن غيوض الماء علة الاستواء، وصحة التقسيم إذ استوعب سبحانه وتعالى أقسام أحوال الماء حالة نقصه، والاحتراس في قوله عز وجل: ﴿وقيل بعدا للقوم الظالمين﴾، إذ الدعاء عليهم يشعر بأنهم مستحقوا الهلاك، احتراسا من ضعيف يتوهم أن الهلاك شمل من يستحق ومن لا يستحق، فأكد بالدعاء على المستحقين، والمساواة، لأن لفظ الآية لا يزيد على معناها، وحسن النسق، لأنه سبحانه وتعالى عطف القضايا بعضها على بعض بحسن الترتيب، وائتلاف اللفظ مع المعنى، لأن كل لفظة لا يصلح مكانها غيرها، والإيجاز، لأنه سبحانه وتعالى قصّ القصة

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص340. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص611.

بلفظها مستوعبة في أقصر عبارة، والتسهيم، لأن من أول الآية إلى قوله: ﴿أقلعي﴾ يقتضي آخرها، والتهذيب، لأن مفردات الألفاظ موصوفة بصفات الحسن، كل لفظة سهلة مخارج الحروف، عليها رونق الفصاحة لسلامتها من التنافر والتعقيد والتقديم والتأخير، وحسن البيان، لأن السامع لا يتوقف في فهم معنى الكلام، ولا يشكل عليه شيء منه، والتمكين، لأن الفاصلة مستقرة في قرارها مطمئنة في مكانها، والانسجام، وهو تحدر الكلام بسهولة كما ينسجم الماء وينساب، وما في مجموع الآية الكريمة من الإبداع الذي هو شاهد هذا الباب من أن كل لفظة لا تخلو من أن يستخرج منها ضرب أو ضربان من البديع، مع تكرار الأنواع البديعية كالاستعارة التي جاءت في موضعين والمجاز في مكانين. فانظر إلى عظمة هذا الكلام، لتعلم ما انطوى عليه نظمه وتضمنه لفظه¹.

وقد مثل له من الشعر بيت له من قصيدة قالها في الملك الأشرف موسى الأيوبي، وقع له فيها ستة عشر ضربا من البديع بعدما تكرر فيه من ضروبه، (الطويل)²:

فضحت الحيا والبحر جودا فقد بكى الذ حيا من حياء منك والتطم البحر

وهذه الأضرب هي: الاستعارة، والمبالغة، والتفسير، والإغراق، والترشيح، والتجنيس، والتورية، والترشيح للتورية، وصحة التقسيم، والتصدير، والتعليل، والتسهيم، وحسن النسق، والإرداف، والتمثيل، والمساواة، وائتلاف اللفظ مع المعنى، والإبداع هذا بابه، لكون كل لفظة من مفرداته تتضمن نوعا أو نوعين من البديع، فحصل فيه ستة عشر ضربا من البديع، وتكررت الاستعارة في ثلاثة مواضع، والترشيح في موضعين، والتفسير في موضعين، والبيت يتكون من اثنتا عشرة لفظة³.

وقال "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ): «هذا النوع عبارة عن أن يخترع الشاعر معنى لم يسبق إليه، وسماه بعضهم الإبداع وهو اسم مطابق للمسمى، غير أن أصحاب البديعيات

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص340-343. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص611-613.
² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص614 من شعره.
³ - ينظر: المصدر نفسه: ص 614 ، 615.

وكثيرا من علماء البديع اصطالحوا على جعل الإبداع اسما للإتيان في البيت الواحد والفقرة الواحدة بعدة أنواع من البديع، وسموا هذا النوع بسلامة الاختراع ولكل ما اصطالح¹. يرى "ابن معصوم المدني" أن الإبداع اسم مطابق للمسمى، غير أنه خصّ بضروب البديع، وخصّ سلامة الاختراع بالمعنى الجديد.

وعليه، فالإبداع عند ابن أبي الإصبع المصري ومن تبعه من أصحاب البديعيات هو أن يكون البيت من الشعر أو الفصل من النثر يشتمل على عدة أنواع من البديع، والإبداع عند بعضهم هو "سلامة الاختراع" فكان بذلك للإبداع وسلامة الاختراع تعريفا مختلفان.

2_ الاتفاق:

الاتفاق لغة: التوافق والتظاهر، جاء في اللسان: «وفق الشيء: مالأعمه، وقد وافقه موافقةً ووافقا، واتفق معه، وتوافقا، والوافق: الموافقة. والتوافق: الاتفاق والتظاهر»².

وفي الاصطلاح: «أن يتفق للشاعر شيء لا يتفق عاجلا كثيرا»³.

أطلق عليه "ابن منقذ" (ت584هـ) "الاتفاق والاطراد"، وعرفه التعريف السابق⁴ ومثّل له بقول أبي تمام⁵:

لِسَلْمَى سَلَامَانَ وَعَمْرَةَ عَامِرٍ وَهِنْدِ بَنِي هِنْدٍ وَسُعْدَى بَنِي سَعْدِ

وأطلق عليه المصري والحموي والسيوطي والمدني "الاتفاق" وعرفوه بمثّل تعريف ابن منقذ مع تغيير بسيط في الصياغة⁶.

فقال "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في تعريفه: «وهو أن تتفق للشاعر واقعة تعلمه العمل في نفسها، فإن للسبق إلى معاني الوقائع التي يشترك الناس في مشاهدتها أو سماعها فضلا لا يُجحد»⁷. وهذا الفن عزيز الوقوع، لأنه قلما تتفق الوقائع والأسماء المطابقة لها.

1 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص204.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(وفق).

3 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص87.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص87.

5 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص291.

6 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص46.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص503.

واستشهد على هذا المصطلح بما اتفق لبعض شعراء مصر، ويقال إنه الرضيّ بن أبي
حُصَيْنَة، وقد أغزى الملك الناصر صلاح الدين حاجبه حسام الدين لؤلؤ الإفرنج الذين
قصدوا الحجاز من بحر القلزم، فظفر الحاجب بهم، فقال ابن حصينة في تهنتته مخاطبا
للإفرنج(البيسط) ¹:

عَدَّوْكُمْ لَوْلُوُّ وَالْبَحْرُ مَسْكَنُهُ وَالدَّرَّ فِي الْبَحْرِ لَا يَخْشَى مِنَ الْغَيْرِ

ثم قال بعد أبيات مخاطبا للملك الناصر رحمه الله(البيسط) ²:

فَأَمْرٌ حُسَامَكَ أَنْ يَحْطَى بَنَحْرِهِمْ فَالدَّرَّ مَذْكَانٌ مَنْسُوبٌ إِلَى الْبَحْرِ

وقال ابن الساعاتي وقد قصد الملك الناصر رحمه الله بيت يعقوب من حصون الشام، فقال
مخاطبا الإفرنج(الطويل) ³:

دَعَا بَيْتَ يَعْقُوبٍ فَقَدْ جَاءَ يُوسُفُ

وقد اتفق لابن أبي الإصبع المصري وقد لقي الملك الأشرف موسى بن أبي بكر بن
أيوب بن عمه الملك الظافر الخضر بن يوسف بن أيوب رحمهم الله تعالى بملتي الخابور
والفرات، فاتفق له أن قال(الطويل) ⁴:

غَدَا مَجْمَعُ الْبَحْرَيْنِ شَاطِئِءَ فِرَاتِنَا أَلَمْ تَرِ مُوسَى فِيهِ قَدْ لَقِيَ الْخَضْرَا

وكذلك فقد اتفق له عندما اجتمع الملك الأشرف هذا بأخيه الملك الكامل رحمهما الله
تعالى بمصر من قصيدة يهنئ فيها مصرَ بذلك مخبرا عنها(الطويل) ⁵:

تَقُولُ وَمُوسَى قَدْ أَتَى لِمَحْمَدٍ أَهْلُ لَيْلَةِ الْإِسْرَاءِ عَادَ بِهَا الدَّهْرُ

وكقوله من قطعة هنأ بها فخر الدين عثمان بن قزل رحمه الله تعالى بمولودين جاءه في
ليلة واحدة(المجتث) ⁶:

لِيَهْنَ عَلِيَّكَ بَدْرًا نَ زَيْنَا الْخَافِقِينَ
الآن صرت يقينا عُثْمَانَ ذَا النُّورِينَ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص503.

² - المصدر نفسه: ص503.

³ - المصدر نفسه: ص503.

⁴ - المصدر نفسه: ص504 من شعره.

⁵ - المصدر نفسه: ص504 من شعره.

⁶ - المصدر نفسه: ص504 من شعره.

ولأبي نواس من الاتفاق ما لم يتفق مثله في مرثية رثى بها خلفا الأحمر (المنسرح) ¹:

وكان ممّن مضى لنا خلفا وليس إذ بانّ منه من خلف

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت بقوله: «فإنه اتفق له من اسم المرثي تورية حسّنت موقع هذا البيت إلى أن أتى في الطبقة العليا والغاية القصوى» ².

وذكر أنّ من الاتفاق نوع آخر وهو: «أن يتفق للشاعر أسماء لممدوحه ولآبائه يمكنه أن يستخرج منها مدحا لذلك الممدوح، ولو لم تتفق تلك الأسماء على ما هي عليه لما اتفق استخراج ذلك المدح» ³.

كقول أبي نواس (الكامل) ⁴:

عبّاسُ عبّاسٌ إذا احتدّم الوغى والفضلُ فضلٌ والربيعُ ربيعٌ

فقد وقع في هذا البيت مع لطيف الاتفاق مليح الازدواج، وذلك في قوله: عباس عباس، والفضل فضل، والربيع ربيع ⁵.

وقال "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) عن الاتفاق: «هذا النوع وإن سُمي بالاتفاق فإنه قليل الاتفاق لعزّة وقوعه، وهو عبارة أن يتفق للمتكم واقعة وأسماء يطابقها إما مشاهدة أو سماعا» ⁶.

3_ الاقتدار:

الاقتدار في اللغة مأخوذ من مادة (قدر)، فيقال: «القدرُ والقُدرةُ والمقدار: القوة. واقتدر وهو قادر وقدير أقدره الله عليه، والاقْتدار على الشيء: القُدرةُ عليه، والقُدرةُ مصدر قولك قدر على الشيء قدرة، أي ملكه، فهو قادر وقدير. واقتدر الشيء: جعله قدرا. وقوله تعالى: ﴿عِنْدَ مَلِكٍ مُّقْتَدِرٍ﴾ أي قادر. والقُدْرُ: الغنى واليسار، وهو من ذلك لأنه كله قوة» ⁷.

1 - أبو نواس: الديوان، ص432.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص505.

3 - المصدر نفسه: ص504.

4 - أبو نواس: الديوان، ص415.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص404.

6 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص164.

7 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(قدر).

ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ أخرى، ولكن ما ذكرناه لها هو الأقرب إلى الاصطلاح لوجود مشابهة بينهما. فقد أطلق " ابن أبي الإصبع المصري" مصطلح "الاقتدار" على قدرة المتكلم على إبراز المعنى الواحد في عدة صور، فقال في تعريفه: «هو أن يُبرز المتكلم المعنى الواحد في عدة صور اقتداراً منه على نظم الكلام وتركيبه، وعلى صياغة قوالب المعاني والأغراض، فتارة يأتي به في لفظ الاستعارة، وطوراً يبرزه في صورة الإرداف، وآونة يخرج مخرج الإيجاز، وحيناً يأتي به في ألفاظ الحقيقة»¹.

«والاقتدار من الفنون التي ابتدعتها المصري»²، وقد ورد هذا المصطلح في "بديع القرآن" وهو موسوم "التصرف" في "تحرير التحبير"، ولعلَّ هذا التغيير في التسمية راجع إلى أن مصطلح "الاقتدار" أُلِيَق بالقرآن الكريم من مصطلح "التصرف" عنده.

ومثَّل له بقول "امرئ القيس" يصف الليل مما أخرجه بلفظ الاستعارة³:

وليل كموج البحر أرخى سدوله
عليَّ بأنواع الهموم ليبتلي
فقلت له لَمَّا تمطى بصلبه
وأردف أعجازاً وناءً بكلل

ثم أتى بهذا المعنى بعينه في لفظ البسط فقال⁴:

فيا لك من ليل كأنَّ نجومه
بكلِّ مغارٍ الفتلِ شُدَّتْ بيذبل

ومعنى البيت كما قال "ابن أبي الإصبع المصري": «فيا لك من ليل طويل، فبسط الصفة ليحصل من البسط ما حصل من التشبيه الدال على عدم سير النجوم، ليدل بذلك على طول الليل»⁵.

ثم أخرج هذا المعنى بلفظ الإرداف فقال⁶:

كَانَ الثَّرِيًّا عُلِّقَتْ فِي مَصَامِهَا
بَأَمْرَاسٍ كِتَانٍ إِلَى صُمِّ جَنْدَلٍ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «فإنه أراد أن يقول مستشهداً على صحة ما ادعاه في البيت الذي قبله من شد النجوم بحبال إلى صُمِّ حجارة، ألم تر إلى الثريا _ التي لا

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص289.

2 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ص273.

3 - امرؤ القيس: الديوان، ص117.

4 - المصدر نفسه: ص 117 . المغار: المحكم.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص289.

6 - امرؤ القيس: الديوان، ص117.

تكاد تخفى على أحد لكبرها واجتماع نجومها وشهرتها _ واقفة، فعدل عن ذلك إلى قوله:
كأن الثريا، لما أفاد الإرداف من التشبيه»¹ .

ثم أبرز هذا المعنى في لفظ الحقيقة بطريق الإيجاز، فقال² :

ألا أيها الليل الطويلُ ألا أنجلِ بصُبح وما الإصباحُ منكُ بأمثلِ

يوضِّح "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا الاقتدار على الإتيان بهذه المعاني والألفاظ إنما هو من قوة الشاعر، وقدرته على التلاعب بالكلام، ثم يذكر أن جميع قصص القرآن الكريم جاءت على هذه الشاكلة، فإنك ترى القصة الواحدة التي لا تختلف معانيها كيف تأتي في صور مختلفة، وقوالب من الألفاظ متعددة، حتى لا تكاد تشبه في موضعين منه، ولا بد من أن تجد الفرق بين صورها ظاهراً³ .

وقد لخص "السيوطي" (ت911هـ) كلام "ابن أبي الإصبع المصري" وسار على مذهبه في بحث هذا المصطلح وأبقى على تسميته "الاقتدار"⁴ .

4_ التصرف:

التصرف لغة من (صرف)، جاء في اللسان: «الصَّرْفُ: أن تصرف إنساناً عن وجهه يريده إلى مصرف غير ذلك، وصَرَّفَ الشيء: أعمله في غير وجه كأنه يصرفه عن وجهه إلى وجهه، وتصرَّفَ هو. وتصريف الآيات تبينها»⁵ .

وقد نقل "ابن أبي الإصبع المصري" هذا المعنى على المشابهة فقال في تعريفه: «وهو أن يأتي الشاعر إلى معنى فيبرزه في عدة صور، تارة بلفظ الاستعارة، وطورا بلفظ الإيجاز، وآونة بلفظ الإرداف، وحيناً بلفظ الحقيقة»⁶ ، وهذا التعريف هو الذي عرّف به "الاقتدار" مع تغيير كلمة "الشاعر" المذكورة هنا إلى كلمة "المتكلم" المذكورة في تعريف "الاقتدار". ومصطلح التصرف من مبتدعات ابن أبي الإصبع المصري⁷ .

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص290.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص 117.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص290.

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص274.

5- ابن منظور: لسان العرب، مادة(صرف).

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص582.

7 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص238.

واستشهد عليه بنفس الأبيات الشعرية التي قالها امرؤ القيس في وصف الليل في "باب الاقتدار"، وقد تم توضيحها.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن قصص القرآن الكريم قد أتت في صور شتى من البلاغة، ما بين إيجاز وإطناب واختلاف في معاني الألفاظ، وشهرة ذلك تغني عن شرحه¹. ونقل الحلبي والنويري هذا المصطلح (التصرف) وأمثته من ابن أبي الإصبع المصري².

5_ التنكيت:

التنكيت لغة من (نكت)، جاء في اللسان: «النكتُ: أن تنكت بقضيب في الأرض، فتؤثر بطرفه فيها، وفي حديث عمر رضي الله عنه: دخلت المسجد فإذا الناس ينكتون بالحصى، أي يضربون به الأرض. ونكت في العلم بموافقة فلان، أو مخالفة فلان: أشار»³. أشار»³.

والتنكيت من مبتدعات "ابن منقذ" (ت584هـ)⁴، وعرفه بقوله: «هو أن تقصد شيئاً دون أشياء، لمعنى من المعاني، ولولا ذلك، لكان خطأً في الكلام، وفسادا في نقد الشعر»⁵. ومثل له بعدة أمثلة.

يبدو الربط بين الدلالة اللغوية والاصطلاحية للتنكيت صعبا للغاية، ولكن "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) التمس وجها للمشابهة أو المناسبة بينهما في قوله: «التنكيت في اللغة: مصدر نكّت، إذا أتى بنكته، وأصله من النكت، وهو أن تضرب في الأرض بقضيب ونحوه فتؤثر فيها، لأنّ المتكلم إذا أتى في كلامه بدقيقة احتاج السامع في استخراجها إلى فضل تأمل وتفكر ينكت معه الأرض، كما هو شأن المتأمل»⁶.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "ابن منقذ" في مفهوم هذا المصطلح ونقل أمثله. وقال في تعريفه: «وهو أن يقصد المتكلم إلى شيء بالذكر دون أشياء كلها يسدّ

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص583.

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص239.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(نكت).

4 - ينظر: أحمد يحيى علي الدليمي: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ، ص175.

5 - أسامة بن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص56.

6 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص353.

مسدّه، لولا نكتة في ذلك الشيء المقصود ترجّح اختصاصه بالذكر دون ما يسدّ مسدّه، ولولا تلك النكتة التي انفرد بها لكان القصد إليه دون غيره خطأ ظاهراً عند أهل النقد»¹.

وقد استشهد على التنكيت من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ {سورة النجم، الآية 49}².

يوضح "ابن أبي الإصبع المصري" مصطلح التنكيت في الآية الكريمة، حيث يقول: «فإنه سبحانه وتعالى خصّ الشعري بالذكر دون غيرها من النجوم، وهو ربّ كل شيء، لأن العرب كان ظهر فيهم رجلٌ يعرف بابن أبي كبشة عبدَ الشعري، ودعا خلقاً إلى عبادتها، فأنزل الله سبحانه: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ التي ادّعت فيها الربوبية دون سائر النجوم»³.

وكقوله عز وجل: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ {سورة الإسراء، الآية 44}، فإنه سبحانه وتعالى خصّ تفقهون دون تعلمون لما في الفقه من الزيادة على العلم، والمراد الذي يقتضيه معنى الكلام، والتفقه في معرفة كنه التسبيح من الحيوان البهيم والنبات والجماد الذي تسبيحه بمجرد وجوده الدالّ على قدرة مُوجده ومخترعه⁴. واستشهد على التنكيت من الشعر بقول الخنساء (الوافر)⁵:

يذكرني طلوع الشمس صخرًا وأذكره لكلّ غروبِ شمسٍ

فخصّت هذين الوقتين بالذكر وإن كانت تذكره كل وقت، لما في هذين الوقتين من النكتة المتضمنة تأبين الميّت، والمبالغة في وصفه بالشجاعة والكرم، لأن طلوع الشمس وقت الغارات على العدا، وغروبها وقت وقود النيران للقرى⁶.

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن من بديع هذا الباب قول عنتره، وهو مما يسأل عنه (الكامل)⁷:

ما راعني إلا حمولة أهلها وسطّ الديار تسفّ حبّ الخمخيم

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 499. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 212.

² - المصدران نفسيهما، ص 499. و ص 212.

³ - المصدران نفسيهما: ص 499. و ص 212.

⁴ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 499. و ص 212.

⁵ - الخنساء: الديوان، ص 72.

⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 500.

⁷ - عنتره: الديوان، ص 154.

فيها اثنتان وأربعون حُلُوبَةً سُودًا كَخَافِيَةِ الْغُرَابِ الْأَسْحَمِ

يعلق على البيتين موضحة التنكيت فيهما في قوله: «فإن لفظة الحمولة تدلّ على الرحيل، وكذلك كونها وسط الديار وعلوفتها هذا الحَبّ المخصوص يدلّ على بعد الرحلة، فإنه حَبّ يقوّي أعصاب الإبل، وهذا العدد من الحلويات السود الصقيلة الحسان يدلّ على كثرة المال وانتخابه، وكذلك لا يكون إلاّ للملوك، فهو يدلّ على أن المعشوقة من بنات الملوك، وفي ذلك فخر لمن يميل إليها»¹.

وقال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) عن التنكيت: «هذا النوع، أعني التنكيت، يستحق لغرابته أن يُنظّم في أسلاك البديع، ويُغار عليه أن يُعدّ مع المماثلة والموازنة ومع التطريز والترصيع»².

6_ سلامة الاختراع من الاتباع:

السلامة في اللغة البراءة والأمان، يقول "ابن منظور: «السلام والسلامة: البراءة، وتسلّم منه: تبرّأ، والسلامة: العافية»³.

والاختراع لغة من (خرع)، جاء في اللسان: «اخترع الشيء: ارتجله، وقيل: اخترعه: اشتقّه، ويقال: أنشأه وابتدعه»⁴.

والاتباع من تبع الشيء تبعا وتبّاعا في الأفعال، وتبعت الشيء تبوعا: سرت في إثره، وأتبعه وتتبعه ففاه وتطلبه متبعا له⁵.

وهذا المصطلح هو مصطلح الاختراع الذي يعني: «خلق المعاني التي لم يُسبق إليها صاحبها، والإتيان بما لم يكن منها قط، والاختراع للمعنى»⁶.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص502.

2 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص756.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(سلم).

4 - المصدر نفسه: مادة(خرع).

5 - ينظر: المصدر نفسه: مادة(تبع).

6 - مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2(منقحة ومزيدة)، 1984م، ص10.

انفرد ابن قيم الجوزية بمصطلح "الاختراع"¹، وسماه ابن أبي الإصبع المصري "سلامة الاختراع من الاتباع"، وتبعه في التسمية الحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني².

وقال في تعريفه: «وهو أن يخترع الأول معنى لم يسبق إليه ولم يتبع فيه»³.

وهو بهذا قد تبع "ابن رشيق" (ت456هـ) في التفريق بين الإبداع والاختراع، وجعل الاختراع للمعنى⁴. كما تبع أيضا "ابن قيم الجوزية" الذي عرف الاختراع بقوله: «الاختراع هو أن يذكر المؤلف معنى لم يسبق إليه، واشتقاقه من التليين والتسهيل، يقال: نبت خرع إذا كان ليئا فكأن المتكلم سهّل طريقه حتى أخرجه من العدم إلى الوجود»⁵.

وقد مثل له "ابن أبي الإصبع المصري" من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ﴾ {سورة الحج، الآية 73}⁶.

يقول في تحليله للآية الكريمة: «فانظر إلى غرابة هذا التمثيل الذي يتضمن هذا الإفراط في المبالغة مع كونه جاريا على الحق خارجا مخرج الصدق، إذا اقتصر فيه على ذكر أضعف المخلوقات وأقلها سلبا لما تسلبه، وتعجيز كل من دون الله سبحانه كائنا من كان عن خلق مثله، ثم نزل بهم في التمثيل عن رتبة الخلق إذ هي مما يعجز عن مثلها كل قادر غير الله عز وجل إلى استنقاذ النزر التّفه الذي تسلبه الذباب على ضعفها، لأن الظفر بنفسها أيسر من الظفر بما تسلبه، ولم يسمع مثل هذا التمثيل في بابيه لأحد قبل نزول القرآن العزيز، ولم يتناوله متناول كما فعل في أكثر المعاني إلى الآن»⁷.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص68.

2 - ينظر: المرجع نفسه: ج3، ص43.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص471. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص200.

4 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص265.

5 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص68.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص474. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص200.

7 - المصدران نفسيهما: ص474. وص 200 ، 201.

وقد جاء في السنة النبوية الشريفة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في أشياء كثيرة مما اخترعه ولم يتبع فيه إلى الآن، ومن ذلك: «حمي الوطيس»، و«مات حتف أنفه»، و«ولا يلدغ المؤمن من جحر مرتين»، و«والسعيد من وعظ بغيره»¹.

أما عن شواهد الشعرية فكقول عنتره في وصف الذباب (الكامل)²:

هزجا يحكُّ ذراعَه بذراعَه قَدَحَ المكبِّ على الزناد الأجدم

وقال المحقق في شرح البيت: «شبه الذبابة إذا حكّت ذراعها بذراع الأخرى بأجدم مكب على الزناد ليقدح هذا إذا كان الأجدم صفة للمكب وهذا هو الصحيح وقيل: الأجدم من صفة الزناد فأراد أنه قصير لا يورى، ملخصاً من حماسة ابن الشجري 219»³.

وكقول ابن الرقاع في تشبيه قرن الخشف (الكامل)⁴:

تُرْجَى أَعْنُ كَأَنَّ إبْرَةَ رَوْقِهِ قَلَّمَ أَصَابَ الدَّوَاةِ مَدَادَهَا

وكقول ذي الرمة في تشبيه الليل (الطويل)⁵:

وليل كجلباب العروس ادرعته بأربعة والشخص في العين واحد

وكقول النابغة الذبياني في وصف النسور (الطويل)⁶:

تراهنّ خلف القوم زورا عيونها جلوس الشيوخ في مسوك الأرانب

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذه هي اختراعات المتقدمين التي سبقوا إليها، ولم يُلحَقوا فيها.

ومن اختراعات المحدثين قول ابن الرومي في تشبيه الرقاقة حين يبسطها الخباز في القطعة المشهورة التي أولها (البسيط)⁷:

لا أنس ما أنس خبازا مررت به يدحو الرقاقة مثل اللّح بالبصر

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص474.

² - عنتره: الديوان، ص159. في الديوان: غردا يسُّ ذراعَه بذراعَه .

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص471 من حاشية المحقق.

⁴ - المصدر نفسه: ص471. الخشف: ولد الطيبي.

⁵ - ذو الرمة: الديوان، ص384. في الديوان (وليل كائناء الرويزي جيته) بدل (وليل كجلباب العروس ادرعته). يقول: والشخص وغيره في عين من نظر إليه واحد من شدة السواد. وأثناء الرويزي: شبه سواد الليل بالطيلسان، والخضرة عند العرب سواد.

⁶ - النابغة الذبياني: الديوان، ص43. في الديوان: تراهنّ خلف القوم خُزرا عيونها جلوس الشيوخ في ثياب المرانب . خزرا عيونها: تنظر بـمأخبر أعينها. المرانب: ثياب سود.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص473. لم أعر على البيتين في النسخة التي بحوزتي. شرح أحمد حسن بسج.

إلى قوله:

إِلَّا بِمِقْدَارِ مَا تَنَدَّاحُ دَائِرَةٌ فِي صَفْحَةِ الْمَاءِ يُرْمَى فِيهِ بِالْحَجْرِ

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أنك إذا وصلت إلى قول ابن حجاج في هذا الباب وصلت إلى الغاية التي لا تلحق: حيث يقول في رئيس كان قريبا من قلبه، بعيدا من رُفده (الطويل) ¹:

وَإِنِّي وَالْمَوْلَى الَّذِي أَنَا عَبْدُهُ طَرِيفَانِ فِي أَمْرِ لَهُ طَرَفَانِ

بَعِيداً تَرَانِي مِنْهُ أَقْرَبَ مَا تَرَى كَأَنِّي يَوْمَ الْعِيدِ مِنْ رَمَضَانَ

وتبع ابن أبي الإصبع المصري في التسمية الحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني ².

7_ الفرائد:

الفرائد في اللغة مأخوذة من الجذر (فرد)، جاء في اللسان: «الفرد: الذي لا نظير له، والجمع أفراد. والفريد والفرائد: الشذر الذي يفصل بين اللؤلؤ والذهب، واحدته فريدة، والفريد: الدر إذا نظم وفصل بغيره، وقيل: الفريد: الجوهرة النفيسة كأنها مفردة في نوعها، وفرائد الدر: كبارها» ³.

وهذا هو المعنى الأقرب إلى الاصطلاح لما بينهما من المشابهة، والفرائد من المصطلحات التي ابتدعها "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) وهي تختص بالفصاحة دون البلاغة ⁴، وقد عرفها بقوله: «عبارة عن إتيان المتكلم في كلامه بلفظة تنتزل منزلة الفريدة من حب العقد، وهي الجوهرة التي لا نظير لها، تدل على عظم فصاحته، وقوة عارضته، وجزالة منطقه، وأصالة عربيته بحيث تكون هذه اللفظة وإذا سقطت من الكلام عزت على الفصحاء غرابتها» ⁵.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص473،474.

² - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص43.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فرد).

⁴ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص103.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص287. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص576.

وقد جاء في الكتاب العزيز من ذلك غرائب لا يقع مثلها لمخلوق، وهي من الكثرة بحيث يعزّ حصرها، كقوله تعالى: ﴿الآن حَصَّصَ الْحَقُّ﴾ {سورة يوسف، الآية 51}، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿فَلَمَّا اسْتِأْسَأُوا مِنْهُ خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾ {سورة يوسف، الآية 80}، فألفاظ هذه الجملة كلها فرائد معدومة النظائر، فأجزلها قوله سبحانه: ﴿استأسأوا﴾، وأفصحها قوله عز وجل: ﴿خَلَّصُوا نَجِيًّا﴾، وقلّ أن تجتمع البلاغة والفصاحة في جملة من هذا الباب إلا في هذه الجملة، فقد تضمنت هاتين اللفظتين مع الفصاحة الإيجاز الذي هو أعلى ضروب البلاغة¹.

وكقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ {سورة سبأ، الآية 23} فانظر إلى لفظة ﴿فُزِّعَ﴾ وغبابة فصاحتها، تعلم أن الفكر لا يكاد يقع على مثلها .

وكقوله تبارك وتعالى: ﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ﴾ {سورة الصافات، الآية 177}، وكقوله عز وجل أيضا: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ {سورة غافر، الآية 19}، فالفريدة في هذه الآية من أعجب ما تقدّم، لأن لفظة ﴿خَائِنَةَ﴾ سهلة مستعملة، كثيرة الجريان على الألسن، لكن على انفرادها، فلما أضيفت إلى ﴿الأعين﴾ حصل لها من غرابة التركيب ما جعل لها في النفوس هذا الموقع العظيم، بحيث لا يستطيع الإتيان بمثلها، ولا يكاد يقع في شيء من فصيح الكلام شبهها، وأشباه ذلك في الكتاب العزيز لا يدخل تحت الحصر².

وقد جاء من ذلك في السنة النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: «اسْتَذْكُرُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَشَدُّ تَفْصِيًّا مِنْ صُدُورِ الرِّجَالِ مِنَ النَّعْمِ مِنْ عُقْلِهَا» فالمح لفظتي «استذكروا» و«تفصيا» لترى ما يذهل عقل السامع فصاحة، وبروعه جزالة وحلاوة، وكذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «إِذَا ذُكِرَ الصَّالِحُونَ فِي حَيِّ هَلَّا بِعَمْرٍ»، فإن لفظة «حيّ هلا» من الفرائد العجيبة وفيها من الفصاحة ما يعجز عن مثله كل فصيح³.

ومن الشعر يستشهد "ابن أبي الإصبع المصري" بقول أبي نواس (الكامل)⁴:

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 287. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 577.

2 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص 288. و ص 577.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 577 ، 578.

4 - أبو نواس: الديوان، ص 427.

وكأنَّ سُدَى إِذْ تُودَعُنَا وقد اشْرَبَّ الدَّمْعُ أَنْ يَكْفَا

يعلق على البيت بقوله: «فلفظة "اشْرَبَّ" من الفرائد التي لا نظير لها في فصيح الكلام، ولا يقع مثلها إلا على سبيل الندور»¹.

وكقوله أيضا (البسيط)²:

حتى إذا ما غلا ماءُ الشباب لها وأفعمت في تمام الجسم والعصب

فاستعارته الغليان لماء الشباب من بديع الفرائد³.

وكقول أبي تمام (الوافر)⁴:

وقدما كنتُ معسولَ الأمانى ومأدومَ القوافي بالسدادِ

فلفظة "مأدوم" من الفرائد التي لا يُقدر على نظيرها، ولا يعثر على شبيهها⁵.

وقد تبعه المتأخرون في هذا المصطلح (الفرائد)⁶.

8_ المقارنة:

المقارنة لغة من (قرن)، فيقال: «قارن الشيء الشيءَ مقارنة وقرانا: اقترن به وصاحبه. واقترن الشيءُ بغيره وقارنته قرانا: صاحبتَه. وقرنتُ الشيءَ بالشيءِ: وصلته»⁷. وقد نقل المعنى اللغوي اقتران الشيء بالشيء ومصاحبتَه على سبيل المشابهة فأطلق في الاصطلاح على اقتران فنين من البديع في كلمة من الكلام.

والمقارنة من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ)⁸، وقد عرفها بقوله: «وهو أن يقرن الشاعر الاستعارة بالتشبيه أو المبالغة، أو غير ذلك من المعاني في كلامه بوصل يخفى أثره ويدقّ موضعه، إلا على الحاذق المدمن النظر في هذه الصناعة»⁹.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص576.

² - أبو نواس: الديوان، ص40.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص576.

⁴ - أبو تمام: الديوان، ج1، ص201.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحري التحبير، ص577.

⁶ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص104.

⁷ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(قرن).

⁸ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص293.

⁹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص603. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص318.

وفرق بينها وبين الإبداع في قوله: «المقارنة وهو أن يقترن بديعان في كلمة من الكلام، والفرق بين هذا الباب وباب الإبداع، أن الإبداع عبارة عن الإتيان ببديعين فصاعدا في الكلمة المفردة من غير اقتران»¹. وهذا الكلام لا يقوم دليلا على الفرق بين المصطلحين، وأنا على رأي محقق الكتابين "حفني شرف" من أنه لا فرق بينهما.

وقد استشهد على المقارنة من الكتاب العزيز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 31}، فهذه الآية الكريمة اقترن فيها التكييت بتجنيس التغاير، أما التكييت ففي قوله تعالى: ﴿عَلَى ظُهُورِهِمْ﴾ والنكته في ترجيح الحمل على الظهر دون الرؤوس كون الظهر أقوى للحمل، فأشار بها سبحانه وتعالى إلى ثقل الأوزار، والتجنيس بين أوزارهم ويزرون، لأن الأولى اسم، والثانية فعل². ثم ذكر أن أكثر ما يقع ذلك بالجمل الشرطية، ومثل عليه من الشعر بقول إدريس بن اليمان من شعراء المغرب (الطويل)³:

وَكُنْتَ إِذَا اسْتُنْزِلْتَ مِنْ جَانِبِ الرِّضَا نَزَلْتَ نَزُولَ الْغَيْثِ فِي الْبَلَدِ الْمَحَلِّ
وَإِنْ هَيَّجَ الْأَعْدَاءُ مِنْكَ حَفِيظَةً وَقَعْتَ وَقوعَ النَّارِ فِي الْحَطَبِ الْجَزِّ

يعلق على البيتين بقوله: «فإن هذا الشاعر لاعم بين الاستعارة بقوله في صدر البيت الأول: * وَكُنْتَ إِذَا اسْتُنْزِلْتَ مِنْ جَانِبِ الرِّضَا * وبين التشبيه بقوله في عجز البيت: * نَزَلْتَ نَزُولَ الْغَيْثِ * أي مثل نزول الغيث، أحسن ملاءمة»⁴.

ولقد أحسن في هذا المعنى تميم بن مقبل في قوله (الطويل)⁵:

لَدُنْ غُدْوَةٍ حَتَّى نَزَعْنَا عَشِيَّةً وَقَدْ مَاتَ شَطْرُ الشَّمْسِ وَالشَّطْرُ مَدْنَفُ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص318.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص603. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص318، 319.

³ - المصدران نفسيهما: ص603. البيتان في نهاية الأرب، ج7، ص175. كما ذكر ابن أبي الإصبع المصري.

⁴ - المصدران نفسيهما: ص603، 604. ص319.

⁵ - المصدران نفسيهما: ص605. وص320. البيت في نهاية الأرب، ج7، ص175.

وهذا ممّا اقترن فيه الإرداف بالاستعارة، لأنه عبّر عن الغروب بموت شطر الشمس في أول العجز، واستعار للشطر الثاني الدّف في آخر العجز، وهو شدّة المرض في آخر العمر وهذا بليغ جدا، حيث أتت المقارنة فيه في قسم واحد ¹.

ثم فرّق بين المقارنة والتعليق والإدماج في قوله: «والفرق بين المقارنة والتعليق والإدماج أنها في المعاني، وذانك في الفنون والمعاني معا» ².

ومن المقارنة ما يقرنه الشاعر من شعر غيره بشعره، وهو عكس الإيداع والاستعانة، لأن الشاعر في هذين البابين يقدم شعر نفسه على شعر غيره، وفي المقارنة يقدّم شعر غيره على شعر نفسه، ومثّل له بما حكى عن الرشيد هارون أنه قال يوما للجَمّاز: أجز وأبدّه، الملك لله وحده، فقال الجَمّاز: وللخليفة بعده، وللمحبّ إذا ما حبيبه بات عنده ³.

ومن المقارنة كذلك ما يقرنه الشاعر من شعر نفسه في فن، فإذا قرن البيت بآخر صار من فن غيره، وقد جاء من شواهد هذا القسم ما استشهدنا به في باب الهجاء في معرض المدح، وهو الذي قاله بعض الشعراء في بعض الأشراف (الوافر) ⁴:

له حقٌّ وليس عليه حقٌّ ومهما قال فالحسن الجميلُ
وقد كان الرسول يرى حقوقا عليه لغيره وهو الرسولُ

فإن البيت الأول مدح محض، فلما اقترن بالثاني صار هجوا بحتا، وهذا أوضح فرق بين المقارنة والتعليق والإدماج.

وقد نقل الحلبي والنويري تعريف ابن أبي الإصبع المصري لمصطلح المقارنة وأمثله ⁵.

9_ النوادر:

النوادر لغة من (ندر)، فيقال: «ندر الشيءُ يندر ندورا: سقط، وقيل: سقط وشدّ، ونوادر الكلام تندرُ، وهي ما شدّ وخرج من الجمهور، وذلك لظهوره» ⁶.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص606. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص320.

² - المصدران نفسيهما: ص606. وص320.

³ - المصدران نفسيهما: ص606. و ص320.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص606.

⁵ - ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص294.

⁶ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ندر).

سمّاه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) "الاستغراب والطرفة" وقال: «وقد يضع بعض الناس في باب أوصاف المعاني: الاستغراب والطرفة، وهو أن يكون المعنى مما لم يُسبق إليه من جهة الاستحسان. وليس عندي أن هذا داخل في الأوصاف، لأن المعنى المستجد إنما يكون مستجادا إذا كان في ذاته جيّدا، فإما أن يقال له جيّد، إذا قاله شاعر من غير أن يكون تقدّمه من قال مثله، فهذا غير مستقيم، بل يقال لما جرى هذا المجرى: طريف وغريب، إذا كان فردا قليلا، فإذا كثر لم يُسمَّ بذلك. وغريب وطريف، هما شيء آخر غير حسن أو جيّد، لأنه قد يجوز أن يكون حسن جيّد: غير طريف ولا غريب، وطريف غريب: غير حسن ولا جيّد»¹.

وسماه "ابن منقذ" (ت584هـ) "الإغراب" ونقل خلاصة كلام "قدامة بن جعفر"، قال: «قال قدامة: هو أن يكون المعنى مما لم يُسبق إليه على جهة الاستحسان، قال: فيقال: طريفٌ وغريبٌ، إذا كان فردًا قليلاً، فإذا كثر لم يُسمَّ بذلك»².

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد غير تسمية هذا المصطلح وأطلق عليه مصطلح "النوادر" وقال: «وهو الذي سماه قدامة قديما الإغراب والطرفة، وسمّاه من بعده التطريف، وسماه قوم النوادر، وقوم أبقوا عليه تسمية قدامة، وأفردوه بابا»³. ثم قال: «وهو أن يأتي الشاعر بمعنى غريب لقلته في كلام الناس، وليس من شرطه على رأي قدامة أن يكون لم يسمع مثله، وإنما شرطه أن يكون قليلا نادرا، وقد رأى غير قدامة فيه غير ذلك وقال: لا يكون في المعنى إغراب إلا إذا لم يُسمع مثله، والاشتقاق يعضد التفسير الثاني، والشواهد تعضد تفسير قدامة، لأن شواهد الباب وقع فيها ما يجوز أن يكون قائله لم يسبق، وما يجوز أن يكون قد سبق إليه على قلته»⁴.

ثم ذكر أن "قدامة" استدل على مراده بقول الناس: وردّ طريف غريب، إذا جاء في غير وقته، أما كونه لم ير قط فهذا محال، وإنما المراد لم يوجد مثله في ذلك الزمن⁵.

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص149.

² - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص132.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص506.

⁴ - المصدر نفسه: ص506.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص506.

ومثل له بقول زهير يمدح الفقراء والأغنياء معا وهذا غريب، إذ العادة جارية بمدح الأغنياء غالبا، لأنه يقال: ما سمع قط مدح فقير حتى قال (الطويل) ¹:

على مُكثِرِيهِمْ حَقٌّ من يعترِيهِمْ وعند المقلِّين السِّمَاحَةُ والبذُلُ

ومن الغريب الطريف أيضا قول أبي تمام (الكامل) ²:

لا تنكروا ضربي له من دونه مثلا شَرُودا في الندى والباسِ

فالله قد ضرب الأقلَّ لنوره مثلا من المشكاة والنِّبراسِ

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنّ من الإغراب قسم آخر، وهو أن يعمد الشاعر إلى معنى متداول معروف ليس بغريب في بابه فيغرب فيه بزيادة لم تقع لغيره، ليصير بها ذلك المعنى المعروف غريبا طريفا، وينفرد به دون كل من نطق بذلك المعنى، وبيان ذلك أن تشبيه الحسان بالشمس والبدر متداول معروف، فلما أراد أبو تمام ارتكاب هذا المعنى، وفطن إلى أنه قد ذهبت طلاوته لكثرة ابتذاله تحيل له في زيادة طريفة لم تقع لغيره³، فقال (الطويل) ⁴:

فردت علينا الشمس والليل راعم بشمس لهم من جانب الخدر تطلع

فوالله ما أدري أحلام نائم ألمت بنا أم كان في الركب يوشع

فحاصل كلام الشاعر تشبيه المرأة الموصوفة بالشمس، لكن التشكيك الذي أدخله في كلامه وذكر يوشع بعد إغرابه في التوطئة بإخباره بأن هذه المرأة ردت بها الشمس برغم الليل، نقل المعنى من المعرفة إلى الغرابة، فلا جزم أنه استحقه بذلك دون كل من تناوله⁵.

ومن ذلك أيضا قول المتنبي (البيسيط) ⁶:

يطمّع الطير فيهم طول أكلهم حتى تكاد على أحيائهم تقع

إن المعروف في هذا الفن كون الطير تقع على القتلى وتتبع الجيوش ثقة بالشبع، فتجاوز الشاعر هذا المعنى بزيادة المبالغة المستحسنة إلى ما قال، والذي حسن البيت جدا إتيانه فيه

1 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص50. مكثريهم: أغنياءهم. المقلين: ذوي المال القليل منهم.

2 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص362.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص508. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص222، 223.

4 - أبو تمام: الديوان، ص397. يوشع: فتى موسى عليه السلام وأراد الشاعر هنا الشمس، وهو من أسمائها.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص509.

6 - المتنبي: الديوان، ج1، ص453.

بلفظة "تكاد" فإنها قلبت المستحيل ممكنا، فساغت المبالغة، وحصل له بذلك ما أراد من الإغراب والطفرة¹.

ومن الإغراب نوع يُعرب المتكلم فيه بأن يخرج معنى المدح في لفظ الغزل، فيأتي المدح هزأزا للمعاطف من الطرب، يكاد يؤكل بالضمير ويُشربُ .
وقد مثل له بقول أبي تمام في صفة عمورية(البيسط)²:

ما ربعُ ميّة معمورا يُطيفُ به غَيْلَانُ أَبْهَى رَبًّا مِنْ رَبْعِهَا الْخَرْبِ
ولا الحدودُ وَإِنْ أَدْمَيْنَ مِنْ خَجَلٍ أشهى إلى ناظري من خدّها التَّربِ
سماحة غنيتُ منا العيونُ بها عن كل حُسْنٍ بدا أو منظر عَجَبِ
وحُسْنٍ منقلبٍ تبقى عواقبه جاءت بشاشته من سوء منقلبِ
وكقول ابن سنان الخفاجي(الكامل)³:

صَبَّحْتَهُمْ بِاللَّذِيَّةِ فَالتقى بحران ماءً راکدٌ وعِتاقُ
سبق الظلامُ لها فعِفَّتْ ورودها تبعا وأنت لمتلها سَبَّاقُ
حتى إذا متع الضحى وتمارت الـ أبصارُ أيكما له الإِشْرَاقُ
غادرتها دِمْنًا على أطلالها يبكي الخليطُ وتُذَكِّرُ الأشواقُ
وسننتَ دِينَ قِرَاكٍ في عرصاتها فالنار تُضْرَمُ والدَّمَاءُ تُرَاقُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على هذه الأبيات:«والبيت الرابع أردتُ، وإنما ذكرت ما قبله وما بعده لارتباطه بذلك، ولما في المجموع من كمال حسن المعنى، دون انفراد أحد الأبيات»⁴.

وذكر أنه ما رأى في عصره أغرب معان من القاضي السعيد بن سناء الملك رحمه الله.
فمن غرائب معانيه قوله في عمياء تظرفًا(السريع)⁵:

شمس بغير الليل لم تحتجب وما سوى العينين لم تُكسَفِ

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص509. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص223.

2 - أبوتمام: الديوان، ج1، ص40، 41.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص513.

4 - المصدر نفسه: ص513.

5 - المصدر نفسه: ص513، 514.

بِعَمْدِهِ الْمَرْهَفِ لَكْنَهَا تَقْتُلُ بِالْغَمْدِ بِلَا مَرْهَفِ
أَبْصَرْتُ مِنْهَا الْخُلْدَ فِي جُوْدَرٍ وَمُقَلَّتِي يَعْقُوبُ فِي يَوْسَفِ

وقوله (الكامل) ¹:

ومع المَشِيْبِ فَبَعْدَ عِنْدِي صَبْوَةٌ يَبْلَى الْقَمِيصُ وَفِيهِ عَرَفُ الْمُنْدَلِ
أَنَا جَدٌّ أَنْصَارِ النَّبِيِّ لِأَنِّي يَا أَشْهَلَ الْعَيْنِينَ عَبْدُ الْأَشْهَلِ
وكقوله (الطويل) ²:

عَلَيْكَ زَكَاةٌ فَاجْعَلِيهَا وَصَالِنَا لِأَنَّكَ فِي الْعَشْرِينَ وَهِيَ نَصَابُ
وكقوله في صَبِيٍّ مَسْتَحْسَنٍ ضُرِبَ وَحُبِسَ (الطويل) ³:

بِنَفْسِي الَّذِي لَمْ تَضْرِبُوهُ لَرِيْبَةٍ وَلَكِنْ لِيَبْدُو الْوَرْدُ فِي سَائِرِ الْغُصْنِ
وَقَالُوا لَهُ شَارِكْتَ فِي الْحُسْنِ يَوْسِفَا فَشَارِكُهُ أَيْضًا فِي الدَّخُولِ إِلَى السَّجْنِ

ومما وقع لابن أبي الإصبع المصري من باب الإغراب والطفرة قوله (الطويل) ⁴:

أَرَانِي لَا يَنْفَكُ نَجْمِي هَابِطًا تَرَاهُ يَرَاهُ رَبُّنَا حَسَبَ الرَّجْمِ
حَنْثِي اللَّيَالِي فَاعْتَدَيْتُ كَأَنِّي أَفْتَشُّ دَهْرِي فِي التَّرَابِ عَلَى نَجْمِي
فَصِرْتُ إِذَا قَوْسًا وَعَقْلِي رَامِيًا وَرَامِي الَّذِي أُصْنِي الرَّمَايَا بِهِ سَهْمِي
وقوله أيضا (الطويل) ⁵:

تُحَلِّمُنَا الْأَيَّامُ وَهِيَ سَفِيهَةٌ فَيُهْدِي إِلَيْنَا بَرُّهَا مِنْ عَقْوِقِهَا
وَتَهْدِي الدَّرَارِي وَهِيَ مِنْ حَيْرَةٍ تَرَى وَقَدْ رَجَعْتُ مِنْ مُسْتَقِيمِ طَرِيقِهَا
كَمَا تُحَدِّثُ الطَّيِّشَ الطَّلِيَّ مِنْ سَكُونِهَا فَتَغْرُبُ شَمْسُ الْعَقْلِ عِنْدَ شُرُوقِهَا

وذكر أيضا نوعا آخر من الإغراب والطفرة لا يكون الإغراب فيه في ظاهر لفظه، بل في تأويله «وهو الذي إذا حمل على ظاهره كان الكلام به معيبا جدا، وإذا تووّل رده التأويل إلى

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص514.

² - المصدر نفسه: ص514.

³ - المصدر نفسه: ص514.

⁴ - المصدر نفسه: ص515 من شعره.

⁵ - المصدر نفسه: ص515 من شعره.

نمط الكلام الفصيح، وأميط من ظاهره حَدَثُ العيب، فيكون التأويل هو الموصوف بالإغراب لا الظاهر»¹.

وقد استشهد على هذا النوع بشاهد قرآني، وهو قوله سبحانه وتعالى: ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾ {سورة المائدة، الآية 53}.

يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" الآية الكريمة موضحا هذا النوع قائلا: «فإنهم أمسوا كما أصبحوا، فتكون لفظة ﴿فأصبحوا﴾ حشوا لا فائدة فيه، ومثل هذا يتحاشى عنه نظم القرآن الكريم، فإنك إذا قلت أصبح العسل حلوا وهو قد أمسى كذلك، كان قولك أصبح حشوا، لكن لما كان الأشقياء حالهم حال المرضى، وكان المريض تشتد عليه الآلام في الليل، وتخف في النهار، فتكون حاله عند الصباح صالحة بالنسبة إلى حاله بالليل، إلا المريض الذي لا يُرجى برؤه، فإنه يصبح كما أمسى، فإذا أصبح كذلك يُئس من فلاحه، ولما أشبهت حال هؤلاء الأشقياء حال المريض الذي تُيقن هلاكه، أخبر عنهم بأنهم أصبحوا كما أمسوا خاسرين، وعلى هذا تكون لفظة ﴿فأصبحوا﴾ قد تضمنت معنى أخرجها من كونها حشوا، وردّ الكلام الذي جاءت فيه إلى حدّه من الفصاحة، فعُدّ التأويل الذي فعل بها ذلك غريبا طريفا»².

والملاحظ على "ابن أبي الإصبع المصري" أنه منذ بداية الباب وهو يذكر تسمية "قدامة" لهذا الباب، تاركا تسميته هو.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 515
² - المصدر نفسه: ص 515، 516..

الفصل الثاني

مصطلحات التداخل في عملية الإبداع

1_ الإيداع:

الإيداع لغة من (ودع): فيقال: «استودعه مالا وأودعه إياه: دفعه إليه ليكون عنده وديعة، وأودعه قبل منه الوديعة، وقد جاء به الكسائي في باب الأضداد»¹.

وقال "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ): «الإيداع في اللغة مصدر أودعته مالا إذا دفعته إليه ليكون عنده وديعة، وأودعته أيضا إذا أخذته منه وديعة فيكون من الأضداد، لكنه بمعنى الأول أشهر، والثاني بالمعنى الاصطلاحي أنسب»².

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أن من لا يعرف اصطلاح هذه الصناعة يسمى هذا الباب "تضمينا"، وقد فرّق بين التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان في قوله: «والفرق بين التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان أن التضمين يقع في النظم والنثر ولا يكون إلا بالنثر، ويكون من المحاسن ومن العيوب، ولكنه لا يكون من العيوب إلا إذا وقع في النظم بالنظم، والإيداع والاستعانة وإن وقعا معا في النظم فلا يكونان إلا بالنظم دون النثر. وأما العنوان فإنه يقع في النظم والنثر ولا يقع بالنثر، وهو بخلاف التضمين لا يكون إلا من المحاسن دون العيوب، والتضمين منهما معا»³.

وعرف "الإيداع" بقوله: «أن يعمد الشاعرُ أو المتكلم إلى نصف بيت لغيره يودعه شعره سواء أكان صدرا أم عجزا، وأما النثر فإن أتى في نثره بنصف بيت لغيره سمي إيداعا، وإن كان لنفسه سمي تفصيلا»⁴.

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ {سورة سبأ، الآية13} .

ثم قال: «إن وقعت الفصاحة مثل هذا غير مقصود، وكان من الأدب ألا يذكر هذا والله أعلم. والموهوم أنه مودع في الكتاب العزيز قول امرئ القيس (مجزوء الرمل):

وجفان كالجوابِ وقُدُورٍ راسياتِ

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ودع).

2 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص73.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص142.

4 - المصدر نفسه: ص380.

إن صحّت الرواية أنه كذلك، وإن روي التقديم والتأخير فبطل ذلك»¹.

واستشهد عليه من النثر بقول عليّ رضي الله عنه في جواب كتاب لمعاوية: ثم زعمت أنّي لكل الخلفاء حسدتُ، وعلى كلّهم بغيتُ، فإن يكن ذلك كذلك فليست الجناية عليك، فيكون العذر إليك:

وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

وهذا عجز بيت تمثّل به أيضا عبد الله بن الزبير وقد قال أهل الشام له: يا ابن ذات النطاقين على سبيل المعيرة لها بذلك، نظرا إلى أنها كانت خادمة لا مخدومة، على طريقة الجاهلية في مدح النساء وذمّهم، فأنشد(الطويل):

وعيرها الواشون أنّي أحبها وتلك شكاةٌ ظاهرٌ عنك عارها

لأن هذا الاسم من فخر أسماء رضي الله عنها فإنه سماها به رسول الله صلى الله عليه وسلم عندما أخرجت له ولأبيها رضي الله عنه زاد الهجرة، فأخذ الإمام عجز هذا البيت فأودعه كلامه بعد أن وطأ له توطئة لائقة به وملائمة له².

أما عن شواهد الشعرية، فقد استشهد بقول لعليّ بن الجهم في فضل الشاعرة، وبُنان المغنّي(مجزوء الرمل)³:

كلما غنّي بُنانُ اسمعي أو خبرينا

أنشدت فضلُ أَلَا حييتِ عَنَّا يا مَدِينَا

عارضتُ معنىً بمعنَى والنَّدَامَى غافلينا

وهذا الشعر مما وقع فيه التضمين في البيت الأول، والإيداع في البيت الثاني.

ومن الشعر قول المتنبي(الطويل)⁴:

تذكرتُ ما بين العُدَيْبِ وبارقٍ مجرّ (عوالينا) ومجرى السّوابقِ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص380.

2 - ينظر: المصدر نفسه: ص 380 ، 381.

3 - المصدر نفسه : ص381.

4 - المتنبي: الديوان، ج2، ص18.

وقد نظر "ابن أبي الإصبع المصري" إلى هذا البيت وأودع كل قِسْمٍ منه بيتًا من قصيدة مطلعها (الطويل) ¹:

أَعَزُّ مُقَلَّتِي إِنْ كُنْتَ غَيْرَ مِرَافِقِي دَموعًا لَتَبْكِي ففَدَّ حَيِّ مَفَارِقِي
فقد نَضَبْتُ يَوْمَ الوداعِ مَدَامِعِي وشابَّتْ لَتَشْتَتِي الفِراقِ مَفَارِقِي

والبيتان منها:

إذا الوهْمُ أَبْدَى لِي لَمَاهَا وَتَغَرَّهَا تَذَكَّرْتُ مَا بَيْنَ العُذِيبِ وَبَارِقِ
وَيُذَكِّرُنِي مِنْ قَدَّهَا وَمَدَامِعِي مَجَرَ عَوَالِينَا وَمَجْرَى السَّوَابِقِ

ثم قال: «وإن أخذ نصف بيت لغيره، فابتدأ به وثنى عليه تنمة البيت لا غير فذلك "تمليط"، وإن بنى عليه كل ما يخطر له من أبيات لتمام عرضه، فذلك "توطيد"» ².

2_ الاستعانة:

الاستعانة لغة من (عون)، جاء في اللسان: «العونُ: الظهير على الأمر. وتقول: أعنته إعانة، واستعنتُهُ واستعنتُ به فأعانني» ³.

وقد نقل هذا المعنى على سبيل المشابهة إلى الاصطلاح فأطلق على: «تضمين البيت لغيره أو ما زاد عليه ليستعين على إتمام مراده» ⁴.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) الاستعانة في حوار لصديقه مع "العتابي"، فقال: «حدثني صديق لي قال: قلت للعتابي: ما البلاغة؟ قال: كل من أفهمك حاجته من غير إعادة ولا حبسة ولا استعانة فهو بليغ. فإن أردت اللسان الذي يروق الألسنة ويفوق كل خطيب فإظهار ما غمض من الحق، وتصوير الباطل في صورة الحق. قال: فقلت له: قد عرفت الإعادة والحبسة، فما الاستعانة؟ قال: أما تراه إذا تحدث قال عند مقاطع كلامه: يا هناه، ويا هذا، ويا هيه، وسمع منِّي، واستمع إليَّ، وافهم عني، أولست تفهم؟ أولست تعقل؟ فهذا كله عيٌّ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص382 من شعره.

² - المصدر نفسه: ص382.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (عون).

⁴ - التهانوي: كشاف اصطلاحات الفنون، ج1، ص169.

وفساد»¹. فالاستعانة في تعريف "العتابي" جاءت بمعناها اللغوي، الذي يعني ما يستعين به المتحدث أو الخطيب حينما يتوقف.

أما ابن أبي الإصبع المصري (ت654هـ) فقد خالف أسلافه في مفهوم الاستعانة، حيث عرفها بقوله: «أن يستعين الشاعر ببيت لغيره في شعره بعد أن يوطئ له توطئة لائقة به هنا بحيث لا يبعد بينه وبين أبياته وخصوصاً أبيات التوطئة له»².

يتابع كلامه بأن «بعض النقاد قد شرط التنبيه عليه، إن لم يكن البيت مشهوراً، وبعضهم لم يشترط ذلك، وهو الصحيح، فإن أكثر ما رأينا ذلك في أشعار الناس غير منبّه عليه، وأما الناثر فإن أتى في أثناء نثره ببيت لنفسه سُمي ذلك تشهيراً، وإن كان البيت لغيره سمي استعانة»³.

وقد مثل له من النثر بقول عليّ كرم الله وجهه_ في خطبته المعروفة بالشَّقْشِقِيَّة⁴: بينا هو⁵ يستقبلها في حياته، إذ عقد لآخر⁶ بعد وفاته (السريع):

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ

فهذا البيت للأعشى استعان به عليّ كرم الله وجهه_.

أما ما جاء من الاستعانة في الشعر فكقول الحارثي (الطويل)⁷:

وقائلة والدمعُ سكبٌ مبادِرُ وقد شَرِقَتْ بالماء منها المحاجرُ
وقد أبصرتُ حمَّانَ من بعد أنسِها بنا وهي منَّا موحشاتٌ دوائرُ
كأن لم يكنُ بين الحَجُونِ إلى الصفا أنيسٌ ولم يسمُرُ بمكةَ سامرُ
فقلتُ له والقلبُ منِّي كأنما يقلِّبه بين الجوانح طائرُ
بلى نحنُ كُنَّا أهلها فأبادنا صروفُ الليالي والجُدودُ العوائرُ

¹ - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص113.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص383.

³ - المصدر نفسه: ص383.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص383. الخطبة الشَّقْشِقِيَّة: خطبة للأمام علي، وهي بديعة مشتملة على حكم أنواع بلاغية قيل لها ذلك لأنه كما قال له ابن عباس رضي الله عنهما لو طردت مقالتك من حيث اقتضيت قال له: يابن عباس هيهات، تلك شقشقة هدرت ثم قرب. والشَّقْشِقَةُ: لهاء البعير وقيل: شيء يخرج البعير من فيه إذا هاج.

⁵ - يعني أبا بكر رضي الله عنه.

⁶ - يعني عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص384. الموحشات: المقفورات. الدوائر: البوالي. صروف الليالي: أحداثها. الجد: الحظ. العائر: المهلك.

فهذا الشاعر استعان ببيتي حرقة بنت نُبَع.

وأرشق من هذا وأخصر_ على رأي ابن أبي الإصبع المصري_ قول أبي نواس (البسيط) ¹:

حتى تغنى وما تمّ الثلاثُ له حلو الشّمائل محمودُ السّجّياتِ
يا ليت حظّي من مالي ومن ولدي أنّي أجالسُ ليلى بالعشياتِ

ثم ذكر أنه لا يضرّ تصحيف الحرف أو تحريفه من الكلام المتقدّم، ليدخل في معنى الكلام المتأخر عند الاستعانة كما فعلت بيت من الحماسة حيث قلت (الطويل) ²:

إذا ما خليلٌ صدَّ عنك ملالةً وأصبح من بعد الوفا وهو غادرُ
فلا تحتفل واستعن بالله إنّه على أن ترى عنه غنيا لقادرُ
وهبه كشيءٍ لم يكن أو كنازح به الدارُ أو من غيّبته المقابرُ

فإن هذا البيت كان نسيبا، وكان أوله "وهبها" فحرّفت ضمير التأنيث لضمير التذكير حتى دخل في معنای .

ثم فرّق بين هذا القسم من الاستعانة والموارية في قوله «إن الموارية تكون في كلام المتكلم نفسه، والاستعانة لا تكون إلا بكلام غيره» ³.

3_ الاشتراك:

الاشتراك في اللغة يعني التشارك في شيء ما، جاء في اللسان: «الشركة: مخالطة الشريكين، يقال: اشترکنا بمعنى تشاركنا؛ وقد اشترك الرجلان وتشاركوا وشارك أحدهما الآخر، وطريق مشترك: يستوي فيه الناس. واسم مشترك: تشترك فيه معان كثيرة» ⁴.

الاشتراك ويسمى المشاركة أيضا، وهو في الاصطلاح: «أن يأتي الناظم في بيته بلفظة مشتركة بين معنيين اشتراكا أصليا أو فرعيا، فيسبق ذهن سامعها إلى المعنى الذي لم يردّه الناظم، فيأتي في آخر البيت بما يؤكد أن المقصود غير ما توهمه السامع» ⁵.

¹ - أبو نواس: الديوان، ص117.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص385 من شعره.

³ - المصدر نفسه: ص385.

⁴ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(شرك).

⁵ - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص726.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) لفظة الاشتراك أثناء حديثه عن حق المعنى على الاسم، فقال على لسان بهلة الهندي: «ومن علم حق المعنى أن يكون الاسم له طبقا، وتلك الحال له وفقا، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا، ولا مقتصرا ولا مشتركا»¹.

وذكره "العسكري" (ت395هـ) كذلك².

أما ابن رشيق" (ت456هـ) فقد كانت نظريته للاشتراك أكثر توسعا، وهذا من خلال تقسيمه للاشتراك إلى عدة أنواع في اللفظ والمعنى، وبراعته في اختيار الشواهد التي توضح مفهومه³.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عما جاء به "ابن رشيق" عن مصطلح الاشتراك، ولم يعرفه لأن اسم المصطلح يدل على المفهوم، وقسمه إلى قسمين: معنوي ولفظي، وكل من هذين القسمين معيب، وغير معيب، وحسن⁴.

وقد مثل على المعيب المعنوي بقول الفرزدق (الطويل)⁵:

وما مثله في الناس إلا مُمَلِّكٌ أبو أمه حيُّ أبوه يُقَارِبُهُ

يعلق "على البيت قائلا: «فإن لفظة "حي" مشتركة بين ضدّ الميِّت وبين القبيلة، فلما لم يميِّز بينهما في البيت بقريظة، أو ما يخلصه من الاشتراك ولا يبيِّنه فيما بعد عدّ اشتراكا معيبا، على أن البيت معيب من وجه آخر، وهو تعسّف السبك»⁶.

وأما ما مثل به على المعنويّ الذي ليس بمعيب ولا يحسنُ فقول كثير (الطويل)⁷:

وأنت التي حبّبت كل قصيرة إليّ ولم يشعر بذاك القصائرُ
عنيت قصيرات الحجال ولم أُرِدْ قصار الخطى شرُّ النساء البحاترِ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على البيتين: «فإن لفظة "قصيرة" مشتركة، فلو اقتصر على البيت الأول كان الاشتراك معيبا، لكنه لما أتى بالبيت الثاني زال العيب فبقي

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص92،93.

2 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص32.

3 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص96-100.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص339.

5 - المصدر نفسه: ص339. لم أعثّر على البيت في النسخة التي بحوزتي، شرح وضبط وتقديم علي فاعور.

6 - المصدر نفسه: ص339.

7 - كثير: الديوان، ص369.

الاشتراك ليس بمعيب ولا بحسن، والذي منعه أن يعدّ حسنا ما في البيتين من التضمنين، فإن ذلك جعل له منزلة بين المنزلتين»¹.

ثم عرف الاشتراك الحسن المعنوي بأنه: «اشتراك الشعارين في معنى واحد، إذا شارك الأخير الأول اشتراكا يوجب له دون الأول، كسائر المعاني التي يتناولها الشعراء بعضهم من بعض»².

أما الاشتراك اللفظي الذي ليس بمعيب، فمثل اشتراك الناس في مفردات الألفاظ، فإنها ليس أحد أحق بها من أحد، فلا يعدّ الاشتراك في الألفاظ المفردة سرقة، فإن تضمّنت معنى من معاني النفس، أو معاني اللفظ عدّ تناولها سرقة³.

ومثل على النوع الأول منه (الحسن) بقول أبي نواس (الطويل)⁴:

ترى العين تستعفيك من لمعانها وتحسّر حتى ما ثقل جفونها

فالظفة "الاستعفاء" مشتركة بينه وبين الأبيرد في قوله يرثي أخاه أو ابنه (الطويل)⁵:

وقد كنت أستعفي الإله إذا اشتكى من الأجر لي فيه وإن عظم الأجر

فمثل هذا هو الاشتراك الحسن.

ومن الاشتراك الحسن أيضا اشتراك الشعارين أو الشعراء في عمل شعر، وتسميه العرب التمليط، بحيث يصنع كل شاعر قسيما، كما حكى عن امرئ القيس والتوعم اليشكري، إذ قال له: ملّط أنصاف أبيات آتيك بها، ثم قال (الوافر)⁶:

أحار ترى بريقا هبّ وهنا

فقال التوعم:

كنار مجوس تستعّر استعاراً

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص339.

2 - المصدر نفسه: ص340.

3 - بنظر: المصدر نفسه: ص340.

4 - أبو نواس: الديوان، ص592.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص340.

6 - المصدر نفسه: ص 340 ، 341.

فقال امرؤ القيس:

أرقتُ له ونامَ أبو سُرَيْجِ

فقال التوأم:

إذا ما قلتُ قدْ هدأً استَطَارا

أما الاشتراك المعيب فمثل له بقول الأسود بن يعفر في صفة الفرس (الكامل) ¹:

بمقلصٍ عَبلٍ جهيرٍ شدُّه قيدِ الأوابدِ والرَّهَانِ جوادُ

لفظة "قيد الأوابد" مشترك بين الأسود وامرؤ القيس في قوله: ***قيد الأوابد هيكل***

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا الضرب مما يعد سرقة لتضمّن اللفظ معنى الإرداف لا سيّما والبيتان من باب الوصف للفرس ².

أما الاشتراك الذي ليس بمعيب ولا بحسن فهو تناول الشاعر اللفظ المتضمّن معنى من معاني البديع بحيث ينقله من فن إلى فن، وذلك أن يأتي المتكلم بلفظ "قيد الأوابد" على سبيل المثال في غير صفة الفرس، وهذا وإن لم يقع فذكره مثال يقاس عليه ³.
ثم ذكر أن كل هذه الأقسام التي قدّما ليست من البديع في شيء، وإنما هي أقسام أحد ضربي الاشتراك ⁴.

ويتابع كلامه بأن الضرب الثاني منه، هو الذي يتعلّق بكتابتنا، مثل قول امرؤ القيس (الطويل) ⁵:

كِبْرٍ مُقَاتَاةِ البِيَاضِ بَصْفَرَةٍ عَدَاها نَمِيرُ المَاءِ غَيْرِ المَحَلِّ

وقول ذي الرّمة (البيسط) ⁶:

كحلاءُ في بَرَجٍ صفراءُ في دَعَجٍ كأنّها فِضَّةٌ قد مسَّها ذَهَبُ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيتين موضحا الاشتراك بينهما في قوله: «فوقوع الاشتراك بينهما في وصف المرأة بالصفرة، غير أن الأول شبّه الصفرة ببيضة النعامة،

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص341.

² - ينظر: المصدر نفسه: ص341.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص341.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص341.

⁵ - امرؤ القيس: الديوان، ص116.

⁶ - ذو الرّمة: الديوان، ص26.

والآخر بالفظة المموّهة، فنقل الثاني_ لكونه من أهل المَدَر، متأخر الزمان، وقد رأى الخلفاء والملوك_ التشبيه العربيّ إلى التشبيه الملوكيّ»¹.

وفرق"ابن أبي الإصبع المصري" بين الاشتراك اللفظي الذي ليس بمعيب والإيضاح في قوله:«إن الاشتراك في الألفاظ، والإيضاح في المعاني»².
وتبعهم الحلبي والنويري والسيوطي ، وأطلق عليه الحموي وابن معصوم المدني "المشاركة" ولخصا كلام السابقين³.

4_ التوليد:

التوليد من وُلد، فيقال:«وُلد الرجل غنمه توليدا كما يقال: نَنَج إبلاه. وولدت المرأة ولادا، وولادة»⁴.

وقيل:«التوليد في اللغة: مصدر وُلدت القابلة المرأة إذا تولت ولادتها، وولدت الشيء عن غيره: أنشأته عنه، وهو المنقول عنه إلى الاصطلاح»⁵.

وعرّفه "ابن رشيق"(ت456هـ) بقوله:«أن يستخرج الشاعر معنى من معنى شاعر تقدّمه، أو يزيد فيه زيادة»⁶.

ثم ذكر أن التوليد ليس باختراع، لما فيه من الاقتداء بالغير، وليس سرقة، لأن المتكلم لا يأخذ المعنى بل يقتدي به⁷.

وأطلق عليه"ابن منقذ"(ت584هـ) اسم التلطف، وعرفه بقوله:«أن يلقّق كلاما مع كلام آخر، فيولد من الكلامين كلاما ثالثا»⁸.

وتبع "ابن أبي الإصبع المصري"(ت654هـ) أسلافه في مصطلح التوليد، حيث ذكر أنه على ضربين:«من الألفاظ ومن المعاني، فالذي من الألفاظ على ضربين أيضا، توليد المتكلم من لفظه ولفظ غيره، وتوليده من لفظ نفسه، والأول هو أن يزوّج المتكلم كلمة من لفظه إلى

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص342.

2 - المصدر نفسه: ص342.

3 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص211.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ولد).

5 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص323.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص263.

7 - ينظر: المصدر نفسه، ج1، ص263.

8 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص284.

كلمة من غيره، فيتولد بينهما كلام يناقض غرض صاحب الكلمة الأجنبية، وذلك في الألفاظ المفردة دون الجمل المؤتلفة»¹.

وقد استشهد على الضرب الأول (ما تولد من الألفاظ) منه بما حكى أن مصعب بن الزبير وسَمَّ خيله بلفظة "عُدَّة" فلما قُتِل وصار إلى العراق رآها الحجاج فوسَمَ بعد لفظة "عُدَّة" لفظة "الفرار" فتولّد بين اللفظتين غير ما أراه مصعب².

وقال "ابن أبي الإصبع المصري": «إن من لطيف التوليد قول بعض العجم، وهو توليد المتكلم ما يريد من لفظ نفسه (الوافر):

كَأَنَّ عِذَارَهُ فِي الْخَدِّ لَامٌ وَمَبْسَمَهُ الشَّهْيِ الْعَذْبَ صَادُ
وَطَرَّةَ شَعْرِهِ لَيْلٌ بِهِيم فَلَا عَجَبٌ إِذَا سَرَقَ الرَّقَادُ

فإن هذا الشاعر وُلد من تشبيه العذار باللام، وتشبيه الفم بالصاد لفظة لص، وولّد من معناها ومعنى تشبيه الطرّة بالليل ذكر سرقة النوم، فحصل في البيت توليد وإغراب وإدماج، وهذا من أغرب ما سمعت في ذلك، وهو الثاني من التوليد اللفظي»³.

ومن توليد الألفاظ توليد المعنى من تزويج الجمل المفيدة، ومثل له بما حكى أنّ أبا تمام أنشد أبا دُلف⁴:

*** على مثلها من أربع وملاعب ***

فقال: من أراد نكتة فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، فولّد بين الكلامين كلاما ينافي غرض أبي تمام من وجهين: أحدهما خروج الكلام من النسيب إلى الهجاء بسبب ما انضم إليه من الدعاء، والثاني خروج الكلام من أن يكون بيتا من شعر إلى أن صار قطعة من نثر⁵.

ثم ذكر أن ما تقدم هو أمثلة الضرب الأول بأقسامه، وهو ما تولّد من اللفظ.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص494.

² - ينظر: المصدر نفسه: ص494.

³ - المصدر نفسه: ص 494 ، 495.

⁴ - أبو تمام: الديوان، ج1، ص111.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص495.

وأما الضرب الثاني منه، وهو ما تولّد من المعاني، فقد مثل له بقول القطاميّ (البسيط) ¹:

قد يدرك المتأنّي بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلّ

فقال من بعده (البسيط) ²:

عليك بالقصد فيما أنت فاعله إن التخلّق يأتي دونه الخلق

فمعنى صدر هذا البيت معنى بيت القطاميّ بأكمله، ومعنى عجز البيت مولّد بينهما، وهو قوله:

إنّ التخلّق يأتي دونه الخلق

وأخذ القطاميّ معنى التوليد من عديّ بن زيد العباديّ حيث قال (السريع) ³:

قد يدرك المبطئ من حظه والخير قد يسبق جهد الحريص

وعديّ نظر إلى قول جمانة الجعفيّ (الطويل) ⁴:

ومستعجل والمكث أدنى لرشده ولم يدر في استعجاله ما يبادر

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من توليد المعاني نوع، وهو أن يزوج المتكلم معنى من معاني البديع بمعنى فيه فيتولد بينهما فنّ مدمج في فنّ، ومثل له بقوله هو (الطويل) ⁵:

شفيعيّ عند الغيد مسودّ وفرتي إذا ما عدا غيري وشافعه الوفر

يوضح هذا النوع بقوله: إنه لما زوّج التجنيس بالمبالغة تولّد بينهما تفضيل الشباب على المال، فالتجنيس قوله: "وفرتي" والوفر والمبالغة تسميتي الشباب شفيعا والوفر شافعا، وفعل من أبنية المبالغة بخلاف فاعل، وتفضيل الشباب جاء مدمجا في الغزل، لأن البيت بمعناه الذي قصد التغزل، وهذا توليد كما ترى.

ثم ذكر أنه لا يقع في الكتاب العزيز من التوليد إلاّ توليد المعاني البديعية، ومن ذلك ما وقع في قوله تعالى: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ {سورة الأنبياء، الآية 112}، فإنه استخرج منها أربعة عشر نوعا من البديع أمهاتها خمس، وهي: الإرداف والتتميم والاتلاف والتهديب، وتولّد

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 496.

² - المصدر نفسه: ص 496.

³ - المصدر نفسه: ص 496.

⁴ - المصدر نفسه: ص 497.

⁵ - المصدر نفسه: ص 497. من شعره.

منها تسعة أضرب، وهي: الإيضاح والإدماج والافتتان وحسن البيان والمقارنة والامتزاج والإيجاز والإبداع، والمثل السائر¹.

وقال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ): «هذا النوع أعني، التوليد: ليس تحته كبير أمر، وهو على ضربين من الألفاظ والمعاني، فالذي من الألفاظ تركه أولى من استعماله، لأنه سرقة ظاهرة، وما ذاك إلا أن الناظم يستعذب لفظه من شعر غيره، فيقتضبها ويضمنها غير معناها الأول في شعره»².

5_ حسن الاتباع:

الاتباع لغة من (تبع)، فيقال: «تبع الشيء تبعاً وتباعاً في الأفعال، وتبعته الشيء تبعوا: سرت في إثره»³.

وقد نقل المعنى اللغوي على المشابهة فأطلق على اتباع المتكلم معنى جاء به غيره فيحسن ذلك الاتباع بوجه من الوجوه.

وهذا النوع من الأخذ أو السرقات الجيدة، وقد تكلم عنه "العسكري" (ت395هـ) في باب حسن الأخذ وحل المنظوم⁴.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في هذا المصطلح، وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم إلى معنى اخترعه غيره فيحسن اتباعه فيه، بحيث يستحقه بوجه من وجوه الزيادات التي وجب للمتأخر استحقاق معنى المتقدم إما باختصار لفظه، أو قصر، أو عذوية قافيته وتمكنها، أو تتميم لنقصه، أو تكميل لتمامه، أو تحليته بحلية من البديع يحسن بمثلها النظم، ويوجب الاستحقاق»⁵.

ويستشهد "ابن أبي الإصبع المصري" على حسن الاتباع بأمثلة كثيرة تناولها بالنقد والتحليل والدراسة، ومن ذلك قول جاهلي في وصف جمل له (الطويل)⁶:

وعود قليل الذنب عاودت ضربه إذا هاج شوقي من معاهدها ذكراً

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص498.

2 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص710.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (تبع).

4 - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص196.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص475، وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص201.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص475.

وقلتُ له ذُلْفَاءُ وَيْحَكَ سَبَّبْتُ لَكَ الضَّرْبَ فَاصْبِرْ، إِنْ عَادَتْكَ الصَّبْرُ

فأحسن ابن المعتز اتباعه في هذا المعنى حيث قال يصف خيله (الطويل)¹:

وخيْلٍ طَوَاهَا القَوْدُ حَتَّى كَانَهَا أَنَابِيْبُ سُمُرٌ مِنْ قَنَا الخَطِّ ذُبْلُ

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنَا فَطَارَتْ بِنَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

ومن حسن الاتباع اتباع أبي نواس جريرا في قوله (الوافر)²:

إِذَا غَضِبْتَ عَلَيْكَ بَنُو تَمِيمٍ حَسِبْتَ النَّاسَ كُلَّهُمْ غَضَابَا

فنقل أبو نواس المعنى من الفخر إلى المديح بقوله (السريع)³:

وَلَيْسَ اللهُ بِمَسْتَكْرٍ أَنْ يَجْمَعَ العَالَمَ فِي وَاحِدٍ

فزاد على جرير زيادات، منها: قصر الوزن، وحسن السبك، وإخراج كلامه من الظن إلى اليقين، كما زاد على جرير بما يتضمنه العالم من الملائكة والجن والأفلاك وكل موجود سوى الله سبحانه وتعالى، وهذا أعم من ذكر الناس في بيت جرير⁴.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" أن من أحسن ما جاء في حسن الاتباع اتباع منصور الفقيه المصري رحمه الله تعالى عنتره في قوله (الكامل)⁵:

إِنِّي امْرُؤٌ مِنْ خَيْرِ عَبَسٍ مَنْصَبَا شَطْرِي، وَأَحْمِي سَائِرِي بِالْمَنْصَلِ

فقال الفقيه في شريف سبه وكان شريفا من جهة أبيه دون أمه (المجتث)⁶:

مَنْ فَاتَنِي بِأَبِيهِ وَلَمْ يَفْتِنِي بِأُمَّةٍ

وَرَامَ شَتْمِي ظَلْمَا سَكَتُ عَنْ نَصْفِ شَتْمَةٍ

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا الفقيه رحمه الله قد أحسن غاية الإحسان من وجوه: أحدها الإيجاز، فإنه عمل معنى بيت عنتره الذي جاء به في تام الكامل، في بيت من المجتث، والمطابقة المعنوية بين أبيه وأمّه، فإنه طابق في ذلك بين الذكر والأنثى. أما قوله:

سكت عن نصف شتمه

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص476.

2 - جرير: الديوان، ص78.

3 - أبو نواس: الديوان، ص218.

4 - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص478.

5 - عنتره: الديوان، ص126.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص479.

فقد وقع فيه من الإغراب والطرفة ما لم يقع في مثله ¹.

وقال ابن الرومي (الطويل) ²:

تخذتكم درعا حصينا لتدفعوا نبال العدا عني فكنتم نصالها
وقد كنت أرجو منكم خير ناصرٍ على حين خذلان اليمين شمالها
فإن أنتم لم تحفظوا لمودتي ذماما فكونوا لا عليها ولا لها
قفوا وقفه المعذور عني بمعزلٍ وخلوا نبالي للعدا ونبالها

فأتبعه ابن سنان الخفاجي الحلبي فقال (الكامل) ³:

أعددتكم لدفاع كل ملمةٍ عونا فكنتم عون كل ملمةٍ
وتخذتكم لي جنة فكامنا نظر العدو مقاتلي من جنتي
فلا نفضن يدي يأسا منكم نفض الأنامل من تراب الميت

وألف ما قيل في هذا المعنى قول القائل (الوافر) ⁴:

واخوانٍ اتخذتهمو دروعا فكانوها ولكن للأعادي
وخلتهم سهاماً صائبات فكانوها ولكن في فوادي
وقالوا قد صفت منا قلوبٌ لقد صدقوا ولكن من وداي

ومن مليح حسن الاتباع كذلك ما وقع بين ابن الرومي وبين أبي حية النميري فيما قاله في

زينب أخت الحجاج حيث قال (الطويل) ⁵:

تضوع مسكا بطن نعمان إذ مشت به زينب في نسوة عطات
يخمرن أطراف البنان من التقى ويبرزن شطر الليل معتجرات
فهن اللواتي إن برزن قتلني وإن غبن قطعن الحشا حسات

والبيت الأخير هو المراد، فأحسن اتباعه ابن الرومي وأتى بمعنى البيت كاملا في نصف

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير ، ص479 ، 480.

² - ابن الرومي: الديوان، ج3، ص73.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص480.

⁴ - المصدر نفسه: ص480.

⁵ - المصدر نفسه: ص481.

بيت (الكامل) ¹:

ويلاه إن نظرت وإن هي أعرضت وقع السهام ونزعهن أليم

وقد علّل ابن حجة الحموي "حسن اتباع ابن الرومي" بقوله: «قلت: وقع السهام ونزعهن بعد "ويلاه" في بيت ابن الرومي، تركت بيت النميري أطلاً بالية» ².

ومن حسن الاتباع اتباع ابن أبي الإصبع المصري ابن الرومي في قوله (البسيط) ³:

سدّ السدّادُ فَميَ عَمّا يَريبُكمُ لكنْ فَمَ الحَالِ مَنّي غيرُ مسدودِ

فاتبعه ابن أبي الإصبع المصري في هذا المعنى فقال (الكامل) ⁴:

هَبني سَكْتُ أَمّا لسانِ ضُرورتي أهجى لكلِ مقصّرٍ عنِ مُنطقي

يبدأ "ابن أبي الإصبع المصري" كلامه بذكر ما وقع في بيت "ابن الرومي" من المحاسن، ثم يذكر ما وقع في بيته هو منها، قائلاً: «فإن بيت ابن الرومي وقع فيه من المحاسن أربعة عشر ضرباً، وهي التجنيس في قوله سدّ السداد، والتفسير في قوله: «عما يريبكم»، والاستدراك في قوله: «لكن» وما بعدها، والاستعارة في قوله: «فم الحال»، والتصدير فيما بين القافية و أول البيت، والتمثيل، فإن البيت خرج مخرج المثل، والمساواة، لأن لفظ البيت طبق معناه، والاتلاف، لأن كل لفظة من مفردات ألفاظه لا يصلح مكانها غيرها، والإرداف في قوله: «لكن فم الحال» العجز كله: فإنه أراد أن يقول: سوء حالي ينطق بدمكم، فعبر عن المعنى بلفظ هو ردفه حيث قال: «لكن فم الحال مني غير مسدود» فرارا من التصريح بالذم والافتتان لأنه أشار إلى فن الفخر بوصف نفسه بالسداد. والبيت من فن العتاب والتعليق لأن فن الفخر متعلق بفن العتاب، والإدماج لأن الإشارة فيه مندمجة في التفسير في قوله: «عما يريبكم» لأن كل ما يريب لو عدد بلفظه الموضوع له لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة، والتعطف في ذكر الفم في صدر البيت مع ذكره في عجزه، و التهذيب لمجيء جملة صدره على ترتيب الوضع اللغوي البليغ، من تقديم الفعل على الفاعل، وتقديم الفاعل

¹ - ابن الرومي: الديوان، ج3، ص352.

² - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص817.

³ - ابن الرومي: الديوان، ج1، ص390.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص483 من شعره.

على المفعول، وتقديم المفعول الذي تعدى الفعل بنفسه إليه على الفعل الذي تعدى إليه بالحرف، وكذلك رتب العجز من تقديم حرف الاستدراك على الجملة الابتدائية وتقديم المبتدأ على الخبر»¹.

يوصل كلامه أو موازنته مشيرا إلى ما اشتمل عليه بيته من محاسن البديع، فيقول: «واتفق في بيتي سبعة عشر ضربا من البديع، وهي: المطابقة في السكوت والنطق، واستعارة اللسان للضرورة، و المبالغة في قولي: «أهجي» والتكميل في قولي: « لكل مقصر» والتفسير في قولي: « من منطقي»، و التمكين من أجل أن القافية مستقرة في مكانها، والمساواة في كون لفظ البيت طبق معناه، والاتتلاف في أن كل لفظ لا يقوم غيرها مقامها، والإيجاز في تفاصيل البيت وجملته بالنسبة إلى البيت الذي قبله، فإن قولي « هبني سكت» أوجز من قول ابن الرومي: « سد السداد فمي » لأن ملخص كلامي سكت، وملخص كلامه: سد فمي. وقولي: « لسان ضرورتي» أوجز من قوله « فم الحال مني» وقولي: « أهجي» أوجز من قوله «غير مسدود»، فهذا إيجاز تفاصيل البيت، وأما إيجاز جملة فلأن حروف بيتي اثنان وأربعون، وبيت ابن الرومي خمسة وأربعون حرفا، مع أنهما قد استويا في عدة المتحركات، إذ كل بيت منهما سبعة وعشرون متحركا والانسجام بالنسبة، لأن بيتي جاء عريا عن الكلفة بخلاف بيته، والإيضاح لأن المعنى المراد في ألفاظ بيتي أشد وضوحا من معناه، فإن بيتي لا يفتقر في دلالاته على معناه لشيء مقدّر بخلاف بيته، ومفردات ألفاظي أشد وضوحا لمعانيها من مفردات بيته، لأن قولي: « أهجي» أدل على معنى الهجاء بظاهره من قوله: «عما يريكم» وكلا البيتين المراد به التهديد بصريح الهجاء نطقا دون هيئة، وفي قولي: «هبني سكت» إشارة إلى أنني لا أسكت، ثم قلت على حكم التنزل الجدلي: و هبني سكت أسكت لسان ضرورتي؟ و في قول ابن الرومي:

سَدَّ السِّدَادُ فَمِي عَمَّا يُرِيكُمْ

إسجال على نفسه بالسكوت عن هجوهم، وهذا غير مراده الذي أراده من التهديد، وإذا وضح معنى الكلام هذا الوضوح في لفظ قد انتخبت مفرداته وحسن تركيبه وسهل فهمه، كان

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 483 ، 484.

موصوفا بحسن البيان دون غيره، ومنعوتاً بالتهذيب دون سواه، وإذا استوى البيتان في المعنى وكان أحدهما أخصر وزناً وأبلغ معنى وكانت محاسنه أكثر، وعَرى مما وقع في أخيه من العيوب، كان قائله موصوفا بحسن الإتياع وبيتي كذلك، لا سيما وقد وقع فيه مع هذا الإبداع، وهو تضمن كل لفظة بديعا أو بديعين، مثل تضمن «هبنى سكت» الترشيح للاستعارة التي في «لسان ضرورتي» وفيها بعدها الضرب الجدلي الذي سماه أهل الصناعة المذهب الكلامي، وفي الضرب تفسير وتمكين، وفي جملة البيت ما تقدم، فحصل في البيت سبعة عشر ضرباً من البديع... ففضل بيتي بيت ابن الرومي بثلاثة أضرب من البديع، وخلوه من العيب الذي بسببه امتنع به أن يوصف بالانسجام¹.

ومن حسن الاتباع اتباع الأختل النابغة الذبياني في قوله (الطويل)²:

فإنَّكَ كالليل الذي هو مُدركي وإنْ خلتُ أنَّ المُنتأى عنكَ واسع

فقال الأختل (الطويل)³:

وإنَّ أميرَ المؤمنينَ وفعلَه لكادهر لا عارٍ بما صنع الدهر

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا من الاتباع الذي ليس بحسن، وإنما ذكره في هذا الباب ليزكر بعده الاتباع الحسن ليبيّن فضله⁴:

والضدُّ يُظهرُ حسنه الضدُّ

وكقول عليّ بن جبلة (الطويل)⁵:

وما لامرئٍ حاولته منك مهربٌ ولو رفعتَه في السماء المطالعُ

بلى هاربٌ لا يهتدي لمكانه ظلامٌ ولا ضوءٌ من الصبح ساطعُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقاً على قول جبلة: «فإنّي رأيت أكثر العلماء رجحوا هذا البيت على بيت النابغة، وفي الشعرين عندي بحث يضيق عنه هذا المكان»⁶.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص485 ، 486.

2 - النابغة الذبياني: الديوان، ص38.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص486. لم أعر على هذا البيت في النسخة التي بحوزتي، شرح مهدي محمد ناصر الدين.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص486 ، 487.

5 - المصدر نفسه: ص487.

6 - المصدر نفسه: ص487.

ومثل هذا المعنى قول سَلَم الخاسر (البيسط) ¹:

فَأَنْتِ كَالدَّهْرِ مَبْتُوتَاً حَبَائِلُهُ والدَّهْرُ لَا مَلْجَأَ مِنْهُ وَلَا هَرْبُ
وَلَوْ مَلَكْتَ عَنَانَ الرِّيحِ أَصْرَفُهَا فِي كُلِّ نَاحِيَةٍ مَا فَاتَكَ الطَّلْبُ

وتناول هذا المعنى البحترى فقال (الكامل) ²:

وَلَوْ أَنَّهُمْ رَكَبُوا الْكَوَاكِبَ لَمْ يَكُنْ يَنْجِيهِمْ مِنْ خَوْفِ بَأْسِكَ مَهْرَبُ

وكل هذه المعاني متلاشية في جنب قول الله تعالى: ﴿يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ إِنَّ اسْتِطْعَمْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانْفُذُوا لَا تَنْفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَانٍ﴾ (سورة الرحمن، الآية 33)، وقد جاء من ذلك في السنة النبوية الشريفة قول الرسول صلى الله عليه وسلم: «نُصِرْتُ بِالرَّعْبِ، وَجَعَلَ رِزْقِي تَحْتَ ظِلِّ رَمْحِي، وَلِيَدْخُلَنَّ هَذَا الدِّينَ عَلَى مَا دَخَلَ عَلَيْهِ اللَّيْلُ» ³.

ومن حسن الاتباع كذلك اتباع نصيب الأعشى في قول الأعشى (الطويل) ⁴:

وَإِنْ عَتَاكَ الْعَيْسُ سَوْفَ تَزُورُكُمْ ثَنَاءً عَلَى أَعْجَازِهِنْ مَعْلَقُ

فقال نصيب (الطويل) ⁵:

فَعَاوُجُوا فَأَثْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكَنُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبَ

ومنه اتباع أبي تمام عنتره في قول عنتره (الكامل) ⁶:

فَازِرٌ مِنْ وَقَعِ الْقَنَا بَلْبَانَهُ وَشَكَا إِلَيَّ بَعْبِرَةَ وَتَحَمُّمُ

فقال أبو تمام (البيسط) ⁷:

لَوْ يَعْلَمُ الرُّكْنَ مِنْ جَاءِ يَلِثِمُهُ لَخَرَّ يَلِثِمُ مِنْهُ مَوْطِيَّ الْقَدَمِ

واتبعه البحترى فقال (الكامل) ⁸:

وَلَوْ أَنْ مَشْتَاقَا تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمَنْبِرُ

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير ، ص 487.

² - البحترى: الديوان، مج 1، ص 76. في الديوان (لُجْدُهُمْ مِنْ أَخَذَ) بَدَل (يَنْجِيهِمْ مِنْ خَوْفِ).

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 487.

⁴ - الأعشى: الديوان، ج 2، ص 71.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 488.

⁶ - عنتره: الديوان، ص 183.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحيير، ص 488. لا يوجد البيت في النسخة التي بحوزتي.

⁸ - البحترى: الديوان، مج 2، ص 1073.

واتبعه المتنبّي فقال (الكامل) ¹:

لو تعقل الشجر التي قابلتها مدّت محييةً إليك الأغصنا

فقال ابن أبي الإصبع المصري: «إن كل هذا من قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ﴾ {سورة ق، الآية 30}، وقوله سبحانه: ﴿إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعَا لَهَا﴾ {سورة الفرقان، الآية 12}، وقوله عز وجل: ﴿تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ الْغَيْظِ﴾ {سورة الملك، الآية 8}» ².

6_ حسن التضمين:

التضمين لغة من (ضمن)، جاء في اللسان: «ضمّن الشيء الشيء: أودعه إياه، كما تودع الوعاء المتاع والميتّ القبر، وقد تضمّنه هو، والمضمّن من الشعر: ما ضمّنته بيتا وقيل ما لم تتم معاني قوافيه إلاّ بالبيت الذي يليه» ³.

التضمين من المصطلحات التي تعدّدت مفاهيمها. فقد تحدث ابن المعتز (ت296هـ) عن حسن التضمين وعدّه من محاسن الكلام والشعر، ولكنه لم يعرفه ⁴.

وعدّه "الرماني" (ت386هـ) من أقسام البلاغة قال: «تضمين الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له باسم، أو صفة هي عبارة عنه» ⁵.

وهو عنده على وجهين «تضمين توجهه البنية، وتضمين يوجهه معنى العبارة من حيث لا يصحّ إلا به، ومن حيث جرت العادة بأن يعقد به» ⁶.

والتضمين عند "العسكري" (ت395هـ) على نوعين أيضا ⁷:

أولهما: أن يكون الفصل الأوّل مفتقرا إلى الفصل الثاني، والبيت الأوّل محتاجا إلى الأخير؛ وهذا قبيح .

وثانيهما: استعارتك الأنصاف والأبيات من غيرك، وإدخالك إيّاه في أثناء أبيات قصيدتك تضمينا؛ وهذا حسن.

¹ - المتنبّي: الديوان، ج2، ص449.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير، ص488.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(ضمن).

⁴ - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص64.

⁵ - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص102.

⁶ - المصدر نفسه: ص103.

⁷ - ينظر: العسكري: الصناعتين، ص36.

أما "ابن رشيق" (ت456هـ) فقد تناول التضمين بشكل مفصل، حيث ذكر له أكثر من

مفهوم بعد أن ذكر أن كثيرا من الشعراء يختلط عليهم التضمين¹.

الأول: وهو « قصدك إلى البيت من الشعر أو القسم فتأتي به في آخر شعرك أو في

وسطه كالمتمثل»². وهذا التعريف أخذه من العسكري .

والثاني: وهو « ما يجمع فيه الشاعر قسمين من وزنين»³. ولعله انفرد بهذا المفهوم⁴.

والثالث: وهو « ما يحيل فيه الشاعر إحالة، ويشير به إشارة فيأتي به كأنه نم الأخبار أو

شبيهه به»⁵.

والرابع: وهو المفهوم العروضي الذي يعني «تعليق القافية بأول البيت الذي بعدها»⁶.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد أطلق عليه "حسن التضمين" وعرفه

بقوله: «هو أن يضمّن المتكلم كلامه لفظة من بيت أو جملة مفيدة منه، أو جزءا عروضيا،

أو ما زاد على ذلك، بشرط ألا يبلغ المقدار المضمّن نصف بيت، يشير إلى ذلك البيت، أو

إلى القصيدة التي البيت منها، وإن كان التضمين من المنثور كان المضمن مشيرا إلى الكلام

الذي هو منه سواء كان سورة، أو حديثا، أو خطبة، أو رسالة، أو غير ذلك من أنواع

المنثور، أو مثلا سائرا، أو فقرة من حكمة، أو جزءا من موعظة»⁷.

وقد تقدّم التفريق بين التضمين والإيداع والاستعانة والعنوان في باب الإيداع من هذا

الفصل.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أنه لم يظفر بشيء من هذا الباب في الكتاب العزيز إلاّ

في موضعين تضمنا فصلين من التوراة والإنجيل: أحدهما قوله تعالى: ﴿وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا

أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ﴾ {سورة المائدة، الآية45}، فإن هذه الأحكام تضمنها كتابنا من التوراة،

والآخر قوله تعالى: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ {سورة الفتح، الآية29}، فإن معنى هذه

1 - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج2، ص84.

2 - المصدر نفسه: ج2، ص84.

3 - المصدر نفسه: ج2، ص87.

4 - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص105.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص88.

6 - المصدر نفسه: ج1، ص171.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص52. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص140.

الآية_ وهو اسم الرسول ونعته وصفة أصحابه_ تضمنها أحد الكتابين الأولين، بدليل قوله تعالى: ﴿النَّبِيُّ الْأُمِّيُّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ﴾ {سورة الأعراف، الآية 257}، وبدليل قوله تعالى في آخر الآية التي ضمن معناها ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ﴾ {سورة الفتح، الآية 29}. ولهذا قال الرسول_ صلى الله عليه وسلم: «إن هذا يعني القرآن_ وما جاء به موسى من مشكاة واحدة» أو كما قال ¹.

ومثل له من النثر بقول عليّ رضي الله عنه_ في جواب لمعاوية يقول فيه: «وما الطلقاءُ وأبناء الطلقاء، والتمييز بين المهاجرين الأولين وتبيين درجاتهم، وتعريف طبقاتهم، هيهات لقد حنّ قرح ليس منها»، فطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها»، فضمن كلامه هذا المثل العربيّ وهو قوله: «لقد حنّ قرح ليس منها» ².

وكقوله في آخر هذا الكتاب: «وإني مُرَقِّلٌ نحوك بِجَحْفَلٍ من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتائمهم، متسريلين سراويل الموت، أحبُّ اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم درية بدرية، وسيوف هاشمية عرفت مواقع نصالها في أخيك وخالك وجدك ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ ببعيد﴾ {سورة الفتح، الآية 29}»، فإنه ضمن كلامه هذه الآية الكريمة ³.

وقد استشهد على هذا الباب من الشعر بإنشادات لابن المعتز (السريع) ⁴:

عَوْدٌ لَمَّا بَتُّ صَيفًا لَهُ أَقْرَاصُهُ مِنِّي بِبِاسِينِ
فَبِتُّ وَالْأَرْضُ فِرَاشِي وَقَدْ عَنَّتْ قِفَا نَبِّكَ مَصَارِينِي

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «فضمن هذا الشاعر بيته الأول كلمة من السورة، وبيته الثاني جملة من البيت الذي هو أول القصيدة المشهورة» ⁵.

وتكلم "القزويني" (ت739هـ) عن الاقتباس والتضمين، وعرف الاقتباس في قوله: «هو أن

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ص52، 53. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص141، 142.
² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص140. أصل هذا المثل أن قرح الميسر تكون غالباً من صنف واحد من الخشب، فإذا أجالها المقامر صك بعضها بعضاً، فسمعت أصواتها فإذا كان منها قرح من غير خشب القرح خالف صوته أصواتها، فتقول العرب: "حنّ قرح ليس منها"، ثم ضرب مثلاً لمن يُدخل نفسه في أمر هو بعيد منه.
³ - ينظر: المصدر نفسه: ، ص140، 141. الأرقام: ضرب من المسير في إسراع. الجحفل: الجيش العظيم. أخوه حنظلة، وخاله الوليد بن عتبة، وجدّه عتبة بن ربيعة.
⁴ - ابن المعتز: البديع، ص64.
⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص141.

يُضْمَنُ الكلام شيئاً من القرآن أو الحديث لا على أنه منه»¹.

وقال عن التضمنين بأن: «يُضْمَنُ الشعر شيئاً من شعر الغير مع التنبيه عليه إن لم يكن مشهوراً عند البلغاء»².

من هنا يظهر الفرق بين الاقتباس والتضمنين في أن الاقتباس يخص القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف على أن لا يدمج قوله سبحانه وتعالى، أو قوله صلى الله عليه وسلم، والتضمنين يخص الشعر.

7_ الحل:

الحلّ لغة من (حل)، يقول ابن منظور: «حلّ العُقْدَة يحلّها حلّاً: فتحها ونقضها فانحلت، والحلّ: حلّ العُقْدَة»³، ولهذه المادة وما اشتق منها معانٍ آخر ولكننا اخترنا منها ما هو أقرب إلى اصطلاح النقاد والبلاغيين، حيث نقلوه على سبيل المشابهة وأطلقوه على حلّ النظم وتصويره نثراً.

يعدّ الحل من أساليب الكتابة منذ القديم، فقد أشار "العتابي" إليها عندما سئل يوماً: «بماذا قدرت على البلاغة؟ فقال: بحل معقود الكلام، فالشعر رسائل معقودة والرسائل شعر محلول»⁴.

وتكلم "العسكري" (ت395هـ) عنه في "حسن الأخذ" فقال: «والمحلول من الشعر على أربعة أضرب؛ فضرب منها يكون بإدخال لفظة بين ألفاظه. وضرب ينحلّ بتأخير لفظة منه وتقديم أخرى فيحسن محلولة ويستقيم. وضرب منه ينحلّ على هذا الوجه ولا يحسن ولا يستقيم. وضرب تكسو ما تحلّه من المعاني ألفاظاً من عندك وهذا أرفع درجاتك»⁵.

1 - الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص312.

2 - المصدر نفسه: ص316.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(حل).

4 - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص81.

5 - العسكري: الصناعتين، ص 216 ، 217.

وجمع "ابن منقذ" (ت584هـ) الحل والعقد في باب واحد وقال: «اعلم أنّ الحل والعقد هو ما يتفاضل فيه الشعراء والكتاب، وهو أن يأخذ لفظاً منثوراً فينظمه أو شعراً فينثره، ويطارحه العلماء فيما بينهم»¹.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أسلافه في مفهوم هذا المصطلح، وعرفه بقوله: «وهو أن يعمد الكاتب إلى شعر ليحلّ منه عقدَ الوزن فيصيرُه منثوراً»². ومثّل له بما رُوي عن إبراهيم بن العباس الصّولي أنه قال: «ما اتكلتُ قطّ في مكاتباتي إلّا على ما يجلبه خاطري، ويجيش به صدري، إلّا قولي: "فأبدلوه آجالاً من آمال"، فإنني حلّلتُ قول مسلم بن الوليد (البيسط):

موفٍ على مهجٍ في يومٍ ذي رهجٍ كأنه أجلٌ يسعى إلى أملي

وقولي: "وقد صار ما يُحرزُهُم يُبرزُهُم، وما يعقلُهُم يعتقلُهُم"، فإنني حلّلتُ فيه قول أبي تمام (الطويل):

فإنّ بآشر الإصحار فالبيض والقنا قرأه، وأحواض المنايا مناهله
وإنّ بين حيطاناً عليه فإنما أولئك عقالاته لا معاقلة

والبيت الثاني أردت»³.

ومن أمثله في الكتاب العزيز، قوله تعالى: ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِبٍ وَتَمَائِيلٍ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ﴾ {سورة سبأ، الآية13}، فهذا حل قول امرئ القيس (الرملي):

وقدور راسياتٍ وجفان كالجواب

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن هذا البيت قد قال عنه بعض الرواة إنه من وضع بعض الزنادقة، وتكلم على الآية الكريمة، وأن امرأ القيس لم يصحّ أنه تلفظ به⁴.

8_ العقد:

العقد في اللغة نقيض الحلّ، عقده يعقده عقداً وتَعَقَدَا وعَقَدَهُ⁵.

¹ - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص259.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص439.

³ - المصدر نفسه: ص439.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه: ص440.

⁵ - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة(عقد).

وقد أطلق في الاصطلاح على أخذ الكلام المنثور وتصييره شعرا.

تكلم "الحاتمي" (ت388هـ) عن "نظم المنثور" فقال: «ومن الشعراء المطبوعين طائفة تخفي السرقة، وتلبسه اعتمادا على منثور الكلام دون منظومه واستراقا للألفاظ الموجزة والفقير الشريفة والمواعظ الواقعة والخطب البارعة»¹.

وقرن "ابن منقذ" (ت584هـ) "الحل والعقد" مع بعضهما في باب واحد، وقد سبق ذكر ذلك عند تعرضنا لمصطلح الحل الذي جاء قبل هذا مباشرة.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في مفهوم هذا المصطلح ولكنه كان أكثر دقة، فقد اشترط فيه شرائط ليُخرجه من أنواع السرقات، حيث قال: «هو ضد الحل، لأنه عقد النَّثر شعرا. ومن شرائطه أن يؤخذ المنثور بجملة لفظه أو بمُعظمه، فيزيد فيه أو ينقص منه، أو يحرف بعض كلماته ليُدخل به في وزن من أوزان الشعر، ومتى أخذ معنى المنثور دون لفظه كان ذلك نوعا من أنواع السرقات بحسب الآخذ الذي يوجب استحقاق الأخذ للمأخوذ، ولا يسمى عقدا إلا إذا أخذ المنثور برُمَّته، وإن غُير منه بطريق من الطرق التي قدّمناها كان المتبقّي منه أكثر من المغيّر بحيث يُعرف من البقية صورة الجميع»².

ومثّل له بقول أبي تمام في كلام عزيّ به عليّ رضي الله عنه _ الأشعث بن قيس في ولده، فعقده أبو تمام شعرا فقال (الطويل)³:

وقال عليّ في التعازي لأشعثٍ وخافَ عليه بعضُ تلك المآثم
أتصبرُ للبلوى عزاءً وحسبةً فتوجّرَ أم تسلو سؤلوا البهائم

ونص كلام عليّ رضي الله عنه _ هو: «إنك إن صبرت جرى عليك القضاء وأنت مأجور، وإن جزعت جرى عليك القدر وأنت مأزور، إنك إن لم تسل احتسابا سلوت غفلة كما تسلو البهائم»⁴.

1 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص84.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص441.

3 - أبو تمام: الديوان، ج2، ص130.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص441 من حاشية المحقق.

وكقول أبي العتاهية(الوافر) ¹:

كفى حزنًا بدفنك ثم إني
نفضت تراب قبرك من يديًا
وكانت في حياتك لي عظامٌ
فأنت اليوم أوعظُ منك حيًا

فقد عقد قول بعض الحكماء في الإسكندر حين مات: إن كان الملك أمس أنطق منه اليوم، فهو اليوم أوعظ منه أمس ².

ونقل "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) مفهوم "ابن أبي الإصبع المصري" مع تغيير بسيط في الصياغة، حيث قال: «هذا النوع عبارة عن أن يعمد الشاعر إلى شيء من كلام الله أو كلام رسوله أو السلف الصالح من الصحابة ومن بعدهم، أو كلام الحكماء المشهورين فينظمه بلفظه ومعناه أو معظم اللفظ فيزيد فيه وينقص منه ليدخل في وزن الشعر، فإن نظم المعنى دون اللفظ لم يكن عقدا بل نوعا من السرقة خلافا لمن أدخله في العقد» ³.

وكان قد فرق بين الاقتباس والعقد في قوله: «إن الاقتباس ليس الغرض منه نظم معنى شيء من كلام الله أو رسوله بل تضمين شيء من ذلك على أنه ليس منه بخلاف العقد» ⁴.
وعرف الاقتباس بقوله: «هو تضمين النظم أو النثر بعض القرآن لا على أنه منه، بأن لا يقال: قال الله، أو نحوه فإن ذلك لا يكون حينئذ اقتباسا» ⁵.

9_ العنوان:

العنوان لغة من (عنن)، جاء في اللسان: «عننت الكتاب وأعننته لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وعنَّ الكتاب يعنُّه عنًا وعنَّه كعنونه وعنونته وعلونته بمعنى واحد، مشتق من المعنى، وقال اللحياني: عننتُ الكتاب تعنينا وعنيته تعنية، إذا عنونته، أبدلوا من إحدى النونات ياء، وسمي عنوانا لأنه يعنُّ الكتاب من ناحيته، وأصله عنَّانٌ، فلما كثرت النونات قُلبت إحداها واوا، ومن قال علوان الكتاب جعل النون لاما، لأنه أخف وأظهر من النون. ويقال للرجل الذي يُعرض ولا يُصرِّح: قد جعل كذا وكذا عنوانا لحاجته. قال ابن بري:

¹ - أبو العتاهية: الديوان، ص492.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص442.

³ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص296.

⁴ - المصدر نفسه: ج6، ص305.

⁵ - المصدر نفسه: ج2، ص217.

والعنوان: الأثر. قال الليث: العُلوان في العنوان لغة غير جيِّدة، والعُنوان، بالضم، هي اللغة الفصيحة»¹.

والعنوان من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري"²، حيث عرفه بقوله: «وهو أن يأخذ المتكلم في غرض له من وصف أو فخر أو مدح أو هجاء أو عتاب أو غير ذلك، ثم يأتي لقصد تكميله بألفاظ تكون عنوانا لأخبار متقدِّمة، وقصص سالفة»³.

وذكر أن منه نوع عظيم جدا وهو ما يكون عنوان العلوم، ومداخل لها، وقد جاء النوعان معا في الكتاب العزيز⁴.

وقد استشهد على النوع الأول منه بقوله تعالى: ﴿وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَاتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾ {سورة الأعراف، الآية 175}، فإن هذا عنوان قصة بلعام⁵.

واستشهد على النوع الثاني منه بقوله عز وجل: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَامًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ بَرَدٍ﴾ {سورة النور، الآية 43}، فهذه الآية فيها عنوان العلم المعروف بالآثار العلوية⁶.

وكقوله تعالى: ﴿انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ، لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ﴾ {سورة المرسلات، الآيتان 30، 31}، وهذا عنوان العلم المنسوب إلى إقليدس⁷، فإن الشكل المثلث أول الأشكال وهو أصلها، ومنه تتركب بقية الأشكال، وهو شكل إذا نصب في الشمس كيفما نصب على أي ضلع من أضلاعه، لا يكون له ظل لتحديد رؤوس زواياه، فأمر الله سبحانه وتعالى هؤلاء الجهنميين بالانطلاق إلى ظل هذا الشكل تهكِّمًا بهم⁸.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(عنن).

2 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص90. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص553من حاشية المحقق.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص553. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص257.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص257.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص257.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص257. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص557.

7 - إقليدس: هو اسم رجل وضع كتابا في علم الهيئة والهندسة والحساب، ونقله إلى العربية الحجاج بن يوسف الكوفي(ملخصا من تاج العروس).

8 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص257، 258.. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص557.

ومن ذلك أيضا قوله سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 75}، ثم ذكر سبحانه في تفسير ذلك ملكوت السموات، مدمما فيه ملكوت الأرض، فإن أقول الكواكب والنيرين إنما يكون بما يحول بين الأبصار وبينها من مخروط ظل الأرض، وهذا عنوان العلم المعروف بالمجسطي، وهو علم الهيئة¹.

وقوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ﴾ {سورة الأنعام، الآية 76}، وهذا عنوان علم الكلام، لأن منها ينتظم الدليل على حدث العالم بما دلّ عليه من أقول الكواكب وبزوغ القمر وأفوله، وبزوغ الشمس وأفولها، فإن في ذلك تصريحًا بقبول العالم الحوادث وقبوله التغيير، كما أن وجود العالم في الهيئة التي وُجد عليها في غاية الإتيان، لابد وأن يكون موجهه مختارا².

أما عن شواهد الشعرية فقد استشهد بقول أبي نواس (البيسيط)³:

يا هاشم بن حديج ليس فخركم	بقتل صهر رسول الله بالسدد
أدرجت في إهاب العير جثته	لبئس ما قدمت أيديكم لغد
إن تقتلوا ابن أبي بكر فقد قتلت	حجرا بدارة ملحوب بنو أسد
ويوم قُلتم لعمر و هو يقتلكم	قتل الكلاب لقد أبرحت بالولد
ورب كندية قالت لجارتها	والدمع ينهل من مثنى ومن وحد
ألهى امرأ القيس تشبيب بغانية	عن ثأره وصفات النوي والود

يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" العنوانات التي أتى بها "أبو نواس" في أبياته، منها: قصة قتل محمد بن أبي بكر، وقتل حجر أبي امرئ القيس، وقتل عمرو بن هند كندة في ضمن هجاء من أراد هجوه، ومعيرة المهجوا بما أشار إليه من الأخبار الدالة على هجاء قبيلته وملوكهم⁴.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 258. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 558.

2 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 258، 259. وص 558.

3 - أبو نواس: الديوان، ص 229.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 553، 554.

وقد أخذ البلاغيون مصطلح العنوان من ابن أبي الإصبع المصري كالحلبي والنويري وابن الأثير الحلبي والحموي والسيوطي والمدني¹.

وقد ذكر "العلوي" (ت705هـ) مصطلحا قريبا من مصطلح "العنوان" وهو "التلميح" وعرفه بقوله: «هو أن يشير المتكلم في أثناء كلامه ومعطف شعره أو خطبه إلى مثل سائر، أو شعر نادر، أو قصة مشهورة، فيلمحها فيوردها لتكون علامة في كلامه، وكالشامة في نظامه، فيحصل الكلام من أجل ذلك على لطافة رشيقة، وبراعة رائقة»².

10_ الموارد:

الموارد في اللغة من (ورد)، فيقال: «ورد الماء وغيره: أشرف عليه دخله أو لم يدخله، والموارد: المناهل»³.

والموارد في اصطلاح علماء البيان: «هي أن يتفق الشاعران إذا كانا متعاصرين أو كان أحدهما متأخرا عن الآخر على معنى واحد، يوردانه جميعا بلفظ واحد من غير أخذ ولا سماع، واشتقاقه من ورد الحيين الماء من غير مواعدة بينهما»⁴.

الموارد نوع من السرقة عند "ابن رشيق" (ت456هـ) وقد قال عنها: «إن صحَّ أن الشاعر لم يسمع بقول الآخر وكانا في عصر واحد فتلك الموارد»⁵.

وعرفها "التبريزي" (ت502هـ) بقوله: «الموارد: أن يتفق الشاعران إذا كانا في عصر واحد أو تأخر أحدهما عن الآخر على معنى واحد يتواردانه بلفظ واحد من غير أن يأخذ أحدهما عن الآخر، وهي مأخوذة من ورود الحيين الماء من غير اتّعاد»⁶.

ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في مفهوم هذا المصطلح وأمثله، حيث قال في تعريفه: «وهي توارد الشاعرين المتعاصرين اللذين تجمعهما طبقة واحدة على معنى واحد إما مجردا، أو ببعض ألفاظه أو بأكثرها أو كلّها، فإن كان أحدهما أقدم، أو طبقتة أرفع، حُكم له على صاحبه بالسبق، وقد رأيت من يجعل اتفاق

1 - ينظر: أحمد مطلوب، معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص92.

2 - العلوي: الطراز، ج3، ص97.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورد).

4 - العلوي: الطراز، ج3، ص96.

5 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص282.

6 - التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص164.

الشاعرين من طبقتين مختلفتين في عصرين متباينين إذا تقارب ما بينهما بعض التقارب في الأمرين، أو في القوّة والقدرة تواردا»¹.

وقد استشهد على النوع الأول بقول امرئ القيس (الطويل)²:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسيّ وتجمّل

وقول طرفه (الطويل)³:

وقوفا بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أسيّ وتجدّد

ومثّل على ما جاء من القسم الثاني بما جرى لابن ميادة وقد أنشد محمد بن زياد

الأعرابي قوله (الطويل)⁴:

*** ونوّاره ميلٌ إلى الشمس ظاهر ***

فقال له محمد: أين يذهب بك؟، هذا للحطيئة، فقال ابن ميادة: الآن علمت أنّي شاعر

حين وافقته .

ولم يدخل "العلوي" (ت705هـ) مصطلح الموارد في باب السرقة، حيث قال: «وليس هذا

من باب السرقة الشعرية، لأن ذلك إنما يكون فيمن علّم حاله بالسبق لذلك الكلام، ثم يأخذه

غيره مع علمه بأنه له، كسرقة المتاع، يأخذه السارق وهو حق لغيره على جهة الخُفية»⁵.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص400.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص111.

3 - طرفه بن العبد: الديوان، ص23.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص400.

5 - العلوي: الطراز، ج3، ص96.

الفصل الثالث

مصطلحات التجاوز والتوسع

1_ الاتساع:

الاتساع لغة مأخوذ من الجدر (وسع) و « الواسع: هو الذي وَسِعَ رزقه جميع خلقه ووسعت رحمته كل شيء وغناه كل فقر. والسَّعة: نقيض الضيق، وقد وَسِعَهُ يسعُهُ سَعَةً. واستوسع الشيء: وجدته واسعاً وطلبه واسعاً، وأوسعته ووسعه: صيَّره واسعاً. والسَّعةُ: الجدة والطاقة»¹.

وقد نقل هذا المصطلح على سبيل المشابهة، فهو في الاصطلاح يعني « أن يأتي الشاعر ببيت يتسع فيه التأويل على قدر قوى الناظرين فيه بحسب ما تحمله الألفاظ»².

والاتساع من المصطلحات التي انتقلت دراستها من اللغويين إلى النقاد والبلاغيين وأصبح من الأهمية بمكان عندهم، والملاحظ على اللغويين أنهم لم يضعوا له مفهوماً محدداً على الرغم من ريادتهم له³.

ولعل "ابن رشيق القيرواني" أول من عرّف الاتساع في قوله: «هو أن يقول الشاعر بيتاً يتسع فيه التأويل فيأتي كل واحد بمعنى، وإنما يقع ذلك لاحتمال اللفظ وقوته واتساع المعنى»⁴.

فالالاتساع عند "ابن رشيق القيرواني" يقوم على قوة اللفظ واحتمالات تأويل المعنى، ومقدرة المتلقي على التأويل. وكل من جاء بعده أخذ عنه كما هو مع اختلاف بسيط في الصياغة.

وتبع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) "ابن رشيق القيرواني" في مفهوم الاتساع، حيث عرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم بكلام يتسع التأويل فيه بحسب ما تحتمله ألفاظه من المعاني، فيتسع الرواة في تأويله على مقدار عقولهم»⁵. كقول "امرئ القيس" (الطويل)⁶:

إِذَا قَامَتَا تَضَوَّعَ الْمَسْكُ مِنْهُمَا نَسِيمَ الصَّبَا جَاءَتْ بَرِيًّا الْقَرْنُفُلُ

يلحق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت بقوله: «فإن هذا البيت اتسع النقاد في تأويله، فمن قائل تضوع مثل المسك منهما نسيم الصبا، ومن قائل تضوع نسيم الصبا منهما، ومن قائل تضوع المسك منهما تضوع نسيم الصبا، وهذا هو الوجه عندي، ومن قائل تضوع المسك منهما بفتح الميم يعني الجلد بنسيم الصبا»⁷.

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (وسع).

² - الكفوي: الكليات، ص 36.

³ - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمد، ص 20.

⁴ - ابن رشيق: العمد، ج 2، ص 93.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 173. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ص 454.

⁶ - امرؤ القيس: الديوان: ص 111.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ص 454.

ويرى " ابن حجة الحموي" أن تأويل "ابن أبي الإصبع المصري" هو أنور الوجوه ¹ .
وكقول "امرئ القيس" في صفة الفرس (الطويل) ²:

مكرّ مفرّ مُقبل مُدبر معا كجلمودِ صخر حطّه السَّيْلُ من عِلِّ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" بعد شرحه للبيت: «وحاصل الكلام وصف الفرس بلبين الرأس، وسرعة الانحراف، وشدة العدو، لكونه قال في صدر البيت إنه حسن الصورة، كامل النسبة في حالتي إقباله وإدباره، وكزّه وفزّه، ثم شبهه في عجز البيت بجلمود صخر حطّه السيل من العلو لشدة العدو، فهو في الحالة التي يرى فيها لبته يرى فيها كفه وبالعكس» ³ .

ويؤيد "ابن أبي الإصبع المصري" ما ذهب إليه "ابن رشيق القيرواني" في رأيه الذي يقول فيه بأن هذه المعاني لم تخطر قط ببال الشاعر في وقت العمل، ولا وقعت في خلد، ولا روعه ⁴ ، وإنما الكلام إذا كان قويا من مثل هذا الفحل احتمل وجوها من التأويل بحسب ما تحتمل ألفاظه، وعلى مقدار قوى المتكلمين فيه ⁵ .

كذلك فواتح السور المعجمة، فإن العلماء قد اتسعوا في تأويلها اتساعا كبيرا، وإن ترجّح من أقوالهم أنها أسماء للسور أقسم الله تعالى بها، وهذا ما روي عن "ابن عباس" رضي الله عنه، ولكنهم اختلفوا في إعراب ما يأتي فيه الإعراب منها، فبعضهم يرى فيه الحكاية كما رأى ذلك في (ص)، و(قاف)، و(نون)، فإن هذه الأسماء محكية ليس إلا، وبعضهم الآخر يرى الإعراب في المجموع خاصة، وينشد قول "شريح بن أوفى العبسي" قاتل "محمد بن طلحة السّجاد" (الطويل) ⁶:

يُنَاشِدُنِي حَامِيمَ وَالرَّمْحُ شَاجِرُ فَهَلَّا تَلَا حَامِيمَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ

¹ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب ، ج2، ص842.

² - امرؤ القيس: الديوان: ص 119.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ص455.

⁴ - ينظر: ابن رشيق: العمدة: ج2، ص93.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير: ص455.

⁶ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص173.

وأما ماجاء من باب الاتساع في غير الفواتح، فقوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي الْيَتَامَىٰ فَانكِحُوا مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبَاعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً﴾ {سورة النساء، الآية 3} ¹.

يُعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على الآية الكريمة قائلا: «فإن لفظها محتمل تأويلات شتى، فإن ظاهر الآية يقتضي إباحة الجمع بين تسع، ثم قوله بعد: ﴿رُبَاعَ﴾. ﴿فإن خفتُم ألا تعدلوا فواحدة﴾ ومن لم يعدل في الأربع جاز أن يعدل في الثلاث، فلم نزل إلى الواحدة؟» ². وهذه الظواهر كما ذكر_ مفتقرة إلى تأويلات تميظ عنها هذه الإشكالات.

2_ الإفراط في الصفة:

للإفراط في اللغة معان عدة، منها: الإسراف والإعجال ومجاوزة الحد. يقال: «أفرط في الأمر: أسرف وتقدم. والفُرْطُ: الأمر يُفْرَطُ فيه، وقيل: هو الإعجال. وأفرط عليه: حمّله فوق ما يطيق. وكل شيء جاوز قدره، فهو مفرط. والإفراط: الزيادة على ما أمرت» ³. والصفة لغة من «وصف الشيء له وعليه وصفا وصفة: حلاه، وقيل الوصف المصدر والصفة الحلية» ⁴.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) الإفراط في الصفة فقال: «وإذ قد ذكرنا شيئا من الشعر في صفة الضرب والطعن فقد ينبغي أن نذكر بعض ما يشاكل هذا الباب، من إسراف من أسرف، واقتصاد من اقتصد» ⁵. وذكر أن من أفرط فقول "مهلهل" ⁶:

فلولا الريحُ أسمعُ من بحجرٍ صليلَ البيضِ تُفرعُ بالذكورِ

وتحدث "ابن قتيبة" (ت276هـ) عنها واستحسن المبالغة والإفراط في الاستعارة، في قوله: «وكان بعض أهل اللغة يأخذ على الشعراء أشياء من هذا الفن، وينسبها فيه إلى الإفراط وتجاوز المقدار، وما أرى ذلك إلا جائزا حسنا» ⁷.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص174. وابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص456.

² - ينظر: المصدران نفسهما: ص 174 ، 175.. وص456.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فرط).

⁴ - المصدر نفسه: مادة (وصف).

⁵ - الجاحظ: الحيوان، ج6، ص418.

⁶ - مهلهل بن ربيعة: الديوان، ص41.

⁷ - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص 172 ، 173.

وذكر "ثعلب" (ت291هـ) الإفراط في الإغراق ولم يعرفه، ومثل له بعدة أمثلة، ويبدو أنه يقصد به الغلو¹.

وعدّ ابن المعتز (ت296هـ) الإفراط في الصفة من محاسن الكلام، ولم يعرفها واكتفى بالتمثيل لها².

وتحدّث عنها "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) تحت اسم المبالغة وعرفها بقوله: «المبالغة وهي أن يذكر الشاعر حالاً من الأحوال في شعر لو وقف عليها لأجزأه ذلك في الغرض الذي قصده، فلا يقف حتى يزيد في معنى ما ذكره من تلك الحال ما يكون أبلغ فيما قصد له»³.

وجعل "العسكري" (ت395هـ) الإفراط هو الغلو، وعاب الإفراط الذي يخرج إلى المحال⁴.

وتناول "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) باب الإفراط في الصفة، وذكر أن هذه تسمية "ابن المعتز"، وسماه "قدامة": المبالغة، وسماه من بعدهما: التبليغ؛ والناس على تسمية "قدامة"، لأنها أخف وأعرف⁵، ويبدو أنه مع تسمية "قدامة" والناس الذين تبعوه في تسمية هذا اللون "المبالغة"، لأنه قال بعد ذلك: «وقد جاءت المبالغة في الكتاب العزيز على ضروب»⁶، ولم يقل وقد جاء الإفراط في الصفة.

وعرّفه بأن قال: «هو أن يذكر المتكلم حالاً لو وقف عندها لأجزأت، فلا يقف عندها حتى يزيد في معنى كلامه ما يكون أبلغ في معنى قصده»⁷، فقد نقل تعريف "قدامة بن جعفر" _ مع بعض الاختصار أو الحذف _ وهذا يعني أنه متوافق معه في مفهوم المبالغة، فهي عندهما ذات غاية ومقصد، وهو الارتقاء بالمعنى إلى ما هو أبلغ، إلا أن "ابن أبي الإصبع المصري" قد توسع في مفهومها وأقسامها.

1 - ينظر: ثعلب: قواعد الشعر، ص45_49.

2 - ينظر: ابن المعتز، البديع، ص65.

3 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص141.

4 - ينظر: العسكري، الصناعتين، ص363.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص147. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص54.

6 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص54.

7 - المصدر نفسه: ص54.

فقد عرض الآراء في مسألة قبول المبالغة مطلقاً، أو ردها مطلقاً، وذكر أن المذهبيين مردودان عنده، فقال: «فعائب الكلام الحسن بترك المبالغة فقط مخطئ، وعائب المبالغة على الإطلاق غير مصيب، وخير الأمور أوسطها»¹.

ثم ذكر أن المبالغة في الكتاب العزيز جاءت على ضروب منها:

ـ المبالغة في الصفة المعدولة عن الجارية بمعنى المبالغة، فإنها جاءت على ستة أمثلة: فعلان كرحمان، عدل عن راحم للمبالغة ولا يوصف به إلا الله تعالى، ولم تتعت العرب به أحداً في جاهلية ولا إسلام إلا مسيلمة الكذاب، نعتوه به مضافاً، فقالوا: رحمان اليمامة... فأما الرحمان بالألف واللام فلم يوصف به إلا الله تعالى، لأن رحمته وسعت كل شيء.

وفعال معدول عن فاعل للمبالغة، كقوله تعالى: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ﴾ {سورة طه، الآية 82}، ﴿تَوَّابٌ رَّحِيمٌ﴾ {سورة الحجرات، الآية 12}، ﴿عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾ {سورة المائدة، الآية 116}، ﴿فَعَالٌ لِّمَا يُرِيدُ﴾ {سورة البروج، الآية 16}، وفعول عدل عن فاعل للمبالغة، ك(غفور، رحيم، شكور، ودود)، وفعيل عدل عن فاعل للمبالغة، ك(رحيم، عليم، قدير، سميع، بصير). فهذه الأربعة الأمثلة من الستة جاءت في الكتاب العزيز، وبقية الستة وهي: مفعل معدول عن فاعل للمبالغة، ك(مدعس، مطعن)، ومفعال معدول عن فاعل للمبالغة، ك(مطعام، مطعان). ولم يأت لهذين المثالين في الكتاب العزيز شيء².

ـ والضرب الثاني من المبالغة لم يأت له مثال في القرآن الكريم كذلك، وهو ما جاء بالصيغة العامة في موضع الخاصة، ومثاله قولك: أتاني الناس كلهم، ولم يكن أذاك إلا واحد منهم، أردت تعظيمه، وذكر شاهداً من القرآن رأى أنه يلحق بهذا الضرب وإن لم يكن مثله من كل وجه، وهو قوله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يُؤَفِّي الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ {سورة الزمر، الآية 10}، فوعدهم سبحانه وتعالى بجزاء غير مقدّر، وتعظيماً للثواب لإخراج العبارة مخرجا عاما لتتردد الأذهان في مقدار الثواب³.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 150.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 54، 55 وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 150، 151.

³ - ينظر: المصدران نفسيهما، ص 55. و ص 151.

والضرب الثالث من المبالغة: «هو إخراج الكلام مخرج الإخبار عن الأعظم الأكبر للمبالغة، والإخبار عنه مجاز، كقول من رأى موكبا عظيما أو جيشا خضما: جاء الملك نفسه وهو يعلم حقيقة أن ما جاء جيشه، وقد جاء من ذلك في الكتاب الكريم قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾ {سورة الفجر، الآية 22}، فجعل مجيء جلائل آياته مجيئا له سبحانه للمبالغة، وكقوله تعالى: ﴿وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ فَوْقَاهُ حِسَابَهُ﴾ {سورة النور، الآية 39}، فجعل نقله بالهلكة من دار العمل إلى دار الجزاء وجدانا للمجازي»¹.

والضرب الرابع من المبالغة هو: «إخراج الممكن من الشرط إلى الممتنع، ليمتنع وقوع المشروط، ومثل له بقوله جل جلاله: ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ﴾ {سورة الأعراف، الآية 40}»².

والضرب الخامس من المبالغة هو: «ما جرى مجرى الحقيقة، وهو قسمان: قسم كان مجازا فصار بالقرينة حقيقة، كقوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ {سورة النور، الآية 34}، فإن اقتران هذه الجملة بيكاد صرفها إلى الحقيقة فانقلبت من الامتناع إلى الإمكان. وقسم أتى بصيغة أفعال التفضيل، وهو محض الحقيقة من غير قرينة كقوله سبحانه: ﴿أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا﴾ {سورة الكهف، الآية 34}»³.

والضرب السادس من المبالغة هو: «ما بولغ في صفته بطريق التشبيه، ومثل له بقوله تعالى: ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ، كَأَنَّهُ جِمَالَاتٌ صُفْرٌ﴾ {سورة المرسلات، الآيتان 32، 33}، فهذه ضروب ما ورد من المبالغة في الكتاب العزيز»⁴.

ثم ذكر أن «المبالغة تأتي في الكلام على ضربين: ظاهرة ومدمجة، وكل ما قدمناه من مبالغات الكتاب العزيز من الظاهرة. ومن المدمجة قوله تعالى: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ﴾ {سورة الرعد، الآية 10}، فإن المبالغة أتت في هذه الآية مدمجة في المقابلة»⁵.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 57. و ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 151.

² - المصدران نفسيهما: ص 56، ص 152.

³ - المصدران نفسيهما: ص 56، 57.. و ص 152.

⁴ - المصدران نفسيهما: ص 57. و ص 152.

⁵ - المصدران نفسيهما: ص 57. و ص 153.

وقد ذكر أنه جاء منها في السنة النبوية الشريفة ما لا يُحصى كثرة، ولا يلحق بلاغة، كقول الرسول_صلى الله عليه وسلم_ مخبرا عن ربه أنه قال سبحانه: «كُلَّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ»، وقوله في بقية هذا الحديث: «وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفٌ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ»، ففي هذا الحديث مبالغتان: الأولى كون الحق سبحانه وتعالى أضاف الصيام إلى نفسه دون سائر الأعمال لقصد المبالغة في تعظيمه وتشريفه، والمبالغة الثانية إخبار الرسول_صلى الله عليه وسلم_ بعد تقديم القسم لتأكيد الخبر بأن خُلُوفَ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمَسْكَ، فأتى المعنى بصيغة "أفعل" للمبالغة، فجمع بذلك هذا الكلام بين قسمي المبالغة المجازي والحقيقي¹.

كما ذكر أن جميع مبالغات الكتاب العزيز جاءت على ضربين: «ضرب غير ممكن لا يأتي إلا مقترنا، كقوله سبحانه: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ يَذْهَبُ بِالْأَبْصَارِ﴾ {سورة النور، الآية 43}، والضرب الثاني الممكن، كقوله عز وجل: ﴿سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ﴾ {سورة الرعد، الآية 10}، لما كانت ممكنة جاءت المبالغة فيها غير مقترنة، لأنها في هذه الآية عرفية، معنى الكلام فيها "أن علم ذلك بالنسبة إلينا هو متعذر علينا" وسهل بالنسبة إلى علم الله سبحانه، فالمبالغة فيها إذا بالنسبة إلينا لا إلى الله عز وجل»².

ومما جاء من المبالغة في الشعر قول امرئ القيس (الطويل)³:

فَعَادَى عِدَاءَ بَيْنِ ثَوْرٍ وَنَعَجَةٍ دِرَاكًا وَلَمْ يَنْصَحْ بِمَاءٍ فَيُغْسَلِ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت قائلاً: «فإنه أخبر عن هذا الفرس أنه أدرك ثورا وبقرة وحشية في مضمار واحد، ولم يعرق»⁴.

وعنده أنه «ما يعاب من المبالغة إلا ما خرج به الكلام عن حدِّ الإمكان إلى الاستحالة، أما إذا كان كقول قيس بن الخطيم (الطويل):

طَعْنَتْ ابْنَ عَبْدِ الْقَيْسِ طَعْنَةً ثَائِرٍ لَهَا نَفْدٌ لَوْلَا الشُّعَاعُ أَضَاءَهَا

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 153.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 57. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 157.

3 - امرؤ القيس: الديوان، ص 120.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 154.

ملكْتُ بها كَفِّي فأنهَرْتُ فَتَقَّها يُرى قائما من دونها ما وراءها

فإن ذلك من جيد المبالغة إذا لم يكن خارجا مخرج الاستحالة مع كونه قد بلغ النهاية في وصف الطعنة»¹.

وذكر أنه ما سمع هو ولا غيره مثل قول أبي تمام (البيسط)²:

تَكَادُ تَنْتَقِلُ الأرواحُ لو تُرَكَتْ من الجُسومِ إليها حينَ تَنْتَقِلُ

فأبو تمام لم يقنع في تصحيح المبالغة وقربها من الوقوع، فضلا عن الجوار بتقديم كاد حتى قال: لو تركت؛ وعنده أن هذا أصح بيت سمعه في المبالغة وأحسنه وأبلغه³. وقد كانت وجهة نظره، إذ كيف تعاب المبالغة وقد وجدت في الكتاب العزيز، والمذهب المرضي عنده هو «أن المبالغة ضرب من المحاسن إذا بعدت عن الإغراق والغلو، وإن كان الإغراق والغلو أيضا ضربين من المحاسن إذا اقتربنا، وعييين إذا أطلقا»⁴. وقال: «رب شعر في غاية الجودة ونهاية القوة مع كونه قد بلغ فيه قائله إلى حد الإغراق أو الغلو، ورب شعر في غاية الرداءة مع الخلو عن هذين الضربين»⁵.

3_ الإغراق:

الإغراق في اللغة من (غرق)، جاء في لسان "ابن منظور": «أغرق في الشيء: جاوز الحد، وأصله من نزع السهم. يقال: نزع في قوسه فأغرق، والإغراق الطرح هو أن يباعد السهم من شدة النزع، وأغرق في النزع، أي بالغ في الأمر وانتهى فيه»⁶. وهو في الاصطلاح الممتنع عادة لا عقلا⁷.

وذكر "ابن طباطبا" (ت322هـ) الإغراق في الوصف وعدّه من الكذب في الشعر، وقال: «فإن من كان قبلنا في الجاهلية الجهلاء، وفي صدر الإسلام، من الشعراء كانوا يؤسسون أشعارهم في المعاني التي ركبوها على القصد للصدق فيها وهجاء، وافتخارا

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص154.

2 - أبو تمام: الديوان، ج2، ص6.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص154.

4 - المصدر نفسه: ص157.

5 - المصدر نفسه: ص157.

6 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(غرق).

7 - ينظر: الخطيب القزويني: الإيضاح في علوم البلاغة، ص275.

ووصفا، وترغيبا وترهيبا، إلا ما قد احتل الكذب فيه حكم الشعر: من الإغراق في الوصف، والإفراط في التشبيه»¹.

وسماه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) الغلو وجعله من نعوت المعاني، وعرفه بقوله هو: «تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجا عن طباعه»².

وأطلق عليه "ابن رشيق" (ت456هـ) كذلك الغلو، وذكر أن من أسمائه أيضا الإغراق والإفراط، وقال: «وأحسن الإغراق ما نطق فيه الشاعر أو المتكلم بكاد وما شاكلها، نحو كأن ولو ولولا»³. وقد نقل مفهوم "قدامة بن جعفر" السابق نسا⁴.

وقد أفرد "ابن منقذ" (ت584هـ) بابا خاصا للإغراق خالف فيه من تقدّمه ومن جاء بعده، وعرفه بقوله: «اعلم أنّ الإغراق هو أن يبالغ في شيء بلفظه ومعناه»⁵، والملاحظ أن "ابن منقذ" كان يقصد بكلمة "بلفظه" تكرار اللفظ لأجل المبالغة، فكل الأمثلة التي جاء بها تدل على ذلك.

كقول المتنبي (الكامل)⁶:

عهدي بمعركة الأمير وحيّله
في النقع مُحجَمَةٌ عن الإحجام
وكقوله أيضا (الخفيف)⁷:

وَإِذَا أَشْفَقَ الْفَوَارِسُ مِنْ وَقْدِ
عِ الْقَنَا أَشْفَقُوا مِنْ الْإِشْفَاقِ

ووصولاً إلى "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) نجده يعدّ الإغراق فوق المبالغة ودون الغلو⁸، وقد فرق بينهما في باب الغلو قائلاً: «وقد رأيت من لا يفرق بين الغلو والإغراق، ويجعل التسميتين لباب واحد، وعندني أن معنى البابين مختلف كاختلاف اسميهما، إلا أن الإغراق أصله في النزاع، وأصل الغلو بعد الرمية»⁹، وكأنه يرد على الذين لم يفرقوا بينهما.

¹ - ابن طباطبا: عيار الشعر، ص15.

² - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص61. لم أعثر على هذا التعريف في كتاب نقد الشعر، تحقيق كمال مصطفى.

³ - المصدر نفسه: ج2، ص64.

⁴ - المصدر نفسه: ج2، ص61.

⁵ - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص83.

⁶ - المتنبي: الديوان، ج2، ص318.

⁷ - المصدر نفسه: ج2، ص47.

⁸ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص321.

⁹ - المصدر نفسه: ص323.

كما اشترط فيهما شرطا حيث قال: «ولا يقع شيء من الإغراق والغلو في الكتاب العزيز، ولا الكلام الصحيح الفصيح إلاّ مقرونا بما يخرج من باب الاستحالة، ويدخله في باب الإمكان، مثل كاد وما يجري مجراها»¹، ولهذا لم يذكر الإغراق والغلو في كتابه "بديع القرآن" القرآن" وهذا لخصوصيته.

ومثل له بقول ابن المعتز (الطويل)²:

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سَيَاطِنًا فَطَارَتْ بِهَا أَيْدٍ سِرَاعٍ وَأَرْجُلُ

يعلق على البيت موضحا موضع الإغراق فيه بقوله: «فموضع الإغراق من البيت قوله: "ظالمين" يعني أنها استفرغت جهدها في العدو، فما ضربناها إلاّ ظلما، ولا جرم أنها خرجت من الوحشية إلى الطيرية، ولو لم يقل: "ظالمين" لما حُسُنَ قوله "فطارت" ولكنه بذكر الظلم صارت الاستعارة كأنها حقيقة»³.

وقد أنكر "ابن أبي الإصبع المصري" على من استحسنت البيتين التاليين (المتقارب)⁴:

أليس عجيبا بأنّ امرأ شديدَ الجدلِ دقيقِ الكلامِ
يموتُ وما علمتُ نفسه سوى علمه أنه ما علم

كما أنه نفى أن يكون في البيتين إغراق البتة، ولا يردّ كذلك قول من ينفي المبالغة فيهما، فعنده أن الشاعر أخبر عن نفسه أو نفس من قصده بذلك أنه عارف بجهله، وأنه يموت وما علم سوى ذلك من نفسه، وهذا أصدق الشعر الذي استحسنته أكثر الفحول، وجاءت أكثر أشعارهم عليه، ولو كان قال: (إنه يموت وما علم بجهله لكان ذلك إغراقا)، فلا تثبت له مبالغة إلا بوجه بعيد، وذلك أنه أثبت لنفسه الجهل المحض، ونفى عنها العلم بتهّة، وهو لا بد وأن يكون عالما بشيء ما، فنفيه كلّ العلم عنه وهو يعلم بعضه إنما هو من جهة المبالغة⁵.

5.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير ، ص321.

2 - المصدر نفسه: ص321.

3 - المصدر نفسه: ص321.

4 - المصدر نفسه: ص321.

5 - المصدر نفسه: ص 321 ، 322.

كما مثل على الإغراق بقوله هو (الطويل) ¹:

جَهَلتَ ولم تعلمَ بأنَّك جاهلٌ فمن لي بأن تَدري بأنَّك لا تَدري

والذي يبدو واضحا من خلال ما استشهد به بيت ابن المعتز وبيته هذا_أنهما غير مقترنين ب (كاد) وما يجري مجراها. وهنا يظهر الخلاف بين تنظيره وبين تطبيقه على هذا التنظير.

فشواهدة من الإغراق، ولكن ما ذكره من وجوب اقترانه بما يُخرجه من باب الاستحالة ويدخله في باب الإمكان لا يكون إلا في الغلو.

ثم استشهد عليه بقول امرئ القيس في صفة النار (الطويل) ²:

تنوَّرتها من أذرعات وأهلها بيثرب أدنى دارها نظرٌ عالي

وذكر أنه بالإغراق أولى ³، وقد استشهد به على المبالغة، ثم يذكره في باب الغلو ويصرح بأنه داخل في باب الاستحالة، مع خلوه مما يقربه من الإمكان ⁴.

4_ الغلو:

الغلو لغة هو الارتفاع والتجاوز، أورد "ابن منظور" أن: «الغلو: الإلقاء، وغلا بالسهم يغلو غلوا وغلوا، وغالى به غلاء: رفع يده يريد به أقصى الغاية وهو من التجاوز. غلوت في الأمر غلوا وغلانية وغلانيا إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه» ⁵.

وهو في اصطلاح البلاغيين الممتع عقلا وعادة ⁶.

أشار "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) إلى الغلو في قوله: «إن الغلو عندي أجود المذهبيين، وهو ما ذهب إليه أهل الفهم بالشعر والشعراء قديما. وقد بلغني عن بعضهم أنه قال: "أحسن الشعر أكذبه"، وكذلك يرى فلاسفة اليونانيين في الشعر على مذهب لغتهم» ⁷.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص322. من شعره.

² - امرؤ القيس: الديوان، ص124.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص322.

⁴ - ينظر: المصدر نفسه، ص325.

⁵ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(غلا).

⁶ - ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، ص275.

⁷ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص62.

وعرفه "العسكري" (ت395هـ) بقوله: «الغلو تجاوز حد المعنى والارتفاع فيه إلى غاية لا يكاد يبلغها»¹.

وجعل "الباقلاني" (ت403هـ) الغلو من البديع².

وذكر "ابن رشيقي" (ت456هـ) أن الغلو عند "قدامة" هو: «تجاوز في نعت ما للشيء أن يكون عليه، وليس خارجا عن طباعه»³.

ثم ذكر مفهوما آخر أخذه من الحاتمي كما ذكر، وهو: «إذا أتى الشاعر بما يخرج به عن الموجود ويدخل باب المعدوم، يريد بهذا المثل، وبلوغ الغاية»⁴.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فبعد أن عرض الفرق بين الغلو والإغراق، وفسر الغلو لغويا قال: «ولما كان الخروج عن الحق إلى الباطل يشبه خروج هذه الرمية عن حد الغرض المعتاد إلى غير حد سمي غلوا، قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ [سورة المائدة، الآية 77]، وهو لا يعد من المحاسن إلا إذا اقترن به ما يقربه من الحق، كقد للاحتمال، ولو ولولا للامتناع، وأداة التشبيه، وآلة التشكيك، وأشباه ذلك من القرائن اللفظية»⁵.

وفي قوله بأن الغلو خروج عن الحق إلى الباطل يضيف أنه قد يكون الغلو حقا من جهة المعنى، كالغلو في الدين، فإنه قسمان: «حق وباطل، فالحق فحص الإنسان عن دينه، وإفراط ورعه وتحرّجه، كقول بعضهم: إنما الزهد في الحلال، والغلو: الباطل، كقول النصارى في المسيح عليه السلام. وفي قوله تعالى: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ﴾ دليل على أن من الغلو ما هو حق، وهو ما أشرنا إليه، وإن كان الغلو في الدين دين الله قد يكون في بعض الأحيان حقا، فإن التوسط خير منه، كقول الرسول صلى الله عليه وسلم (خير الأمور أوسطها)»⁶.

1 - العسكري: الصناعتين، ص357.

2 - ينظر: الباقلاني، إعجاز القرآن، ص117.

3 - ابن رشيقي: العمدة، ج2، ص61.

4 - المصدر نفسه: ج2، ص61.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص323.

6 - المصدر نفسه: ص324.

وقد مثل على المستحسن منه بقول مهلهل بن ربيعة(الوافر) ¹:

فلولا الريحُ أسمعُ من بحجرٍ صليلَ البيضِ تُفرعُ بالدُّكورِ

وذكر أنه قد قيل: إن هذا البيت أكذبُ بيت قالتَه العرب، ثم عقد موازنةً بينه وبين بيت امرئ القيس السابق في صفة النار الذي ذكره في باب "الإغراق"، حيث انتهى إلى «أن بيت مهلهل أقرب إلى الصدق والاستحسان من بيت امرئ القيس على شرطهم، فإنهم شرطوا أن كل كلام تجاوز المتكلم فيه حد المبالغة إلى الإغراق والغلو، واقترن بما يقربه من الإمكان، خرج من حد الاستقباح إلى حد الاستحسان، وقد تقدم في بيت مهلهل "لولا"، وهي من الحروف التي زعموا أن الكلام باقترانها بها يبعد من العيب بثةً، وليس في بيت امرئ القيس شيء من ذلك» ².

وأما ما مثل به على المعيب منه لمجيء الإفراط فيه غير مقترن بما يخلصه به من ذلك، وليس مما يحتمل تأويلاً يقربه من الصدق بيت النمر بن تُوَلب الذي يشبه فيه السيف حيث قال(البسيط) ³:

أبقى الحوادثُ والأيامُ من نمرٍ أسبَادَ سيفِ صقيلٍ أترهُ بادِ
تظلّ تحفرُ عنه إن ضربتَ به بُعدَ الذراعينِ والسَّاقينِ والهادي

فبيت النمر قد تجاوز حدّه فهو إذن من الغلو، ولما كان ما جاء من الغلو مستحسنًا لا يكون إلا باقترانها مما تقدم، وما جاء منه غير مقترن كان مستقباحًا، وجاء بيت النمر غير مقترن علم أنه من الغلو المستقباح.

5_الإدماج:

الإدماج في اللغة من(دمج)، جاء في اللسان: «أدمج الحبل إذا أحكم فتله، ودمج الشيء دموجًا إذا دخل في الشيء واستحکم، وأدمجتُ الشيء إذا لففته في شيء، والدُموج: دخول الشيء في الشيء» ⁴.

1 - مهلهل بن ربيعة: الديوان، ص41.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص325.

3 - المصدر نفسه: ص326.

4 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(دمج).

وقد نقل هذا المعنى وهو دخول الشيء في الشيء على سبيل المشابهة فأطلق في الاصطلاح على إدماج معنى في معنى شرط ألا يصرح بالمعنى الأول.

تحدث "العسكري" (ت395هـ) في باب المضاعفة عن مفهوم قريب من مفهوم الإدماج، حيث قال: «وهو أن يتضمن الكلام معنيين، معنى مصرحا به، ومعنى كالمشار إليه»¹.
وعده "ابن رشيق" (ت456هـ) نوعا من الاستطراد فقال: «ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج»².

وقرن "ابن منقذ" (ت584هـ) الإدماج والتعليق وجعلهما مصطلحا واحدا، قال في تعريفه: «هو أن تعلق مدحا بمدح، وهجوا بهجو، ومعنى بمعنى»³.

وفرق "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) بين التعليق والإدماج وبحث كل مصطلح على حدة كعادته، حيث قال: «والفرق بين التعليق والإدماج أن التعليق يصرح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما، والإدماج يصرح فيه بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود»⁴.

وعرف الإدماج بقوله: «هو أن يدمج المتكلم غرضا له ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرض في كلامه لتتمه معناه الذي قصد إليه»⁵.
وقد مثل له من الكتاب العزيز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ {سورة القصص، الآية70}، فهذه الجملة أدمجت فيها المبالغة في الحمد في ضمن المطابقة، إذ أفرد نفسه سبحانه بالحمد حيث لا يُحمد سواه⁶.

1 - العسكري: الصناعتين، ص423.

2 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص41.

3 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص58.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص451. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص173.

5 - المصدران نفسيهما: ص449. وص172.

6 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص451. و ص172.

وعده "ابن رشيق" (ت456هـ) نوعا من الاستطراد فقال: «ومن الاستطراد نوع يسمى الإدماج»¹.

وقرن "ابن منقذ" (ت584هـ) الإدماج والتعليق وجعلهما مصطلحا واحدا، قال في تعريفه: «هو أن تعلق مدحا بمدح، وهجوا بهجو، ومعنى بمعنى»².

وفزق "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) بين التعليق والإدماج وبحث كل مصطلح على حدة كعادته، حيث قال: «والفرق بين التعليق والإدماج أن التعليق يصرح فيه بالمعنيين المقصودين على شدة اتحادهما، والإدماج يصرح فيه بمعنى غير مقصود قد أدمج فيه المعنى المقصود»³.

وعرّف الإدماج بقوله: «هو أن يُدمج المتكلم غرضا له ضمن معنى قد نحاه من جملة المعاني ليوهم السامع أنه لم يقصده، وإنما عرّض في كلامه لتتمّة معناه الذي قصد إليه»⁴. وقد مثل له من الكتاب العزيز بقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾ {سورة القصص، الآية70}، فهذه الجملة أدمجت فيها المبالغة في الحمد في ضمن المطابقة، إذ أفرد نفسه سبحانه بالحمد حيث لا يُحمد سواه⁵.

أما ما مثل به على الإدماج من الشعر فقول عبيد الله بن عبد الله لعبد الله بن سليمان بن وهيب حين وزر للمعتضد، وكان ابن عبيد الله اختلّت حاله، فكتب لابن سليمان (الطويل)⁶:

أبى دهرنا إسعافنا في نفوسنا وأسعفنا فيمن نحبّ ونكرم
فقلتُ له: نِعْمَاكَ فِيهِمْ أتمّها ودع أمرنا إنّ المهمّ المقدم

فقد أدمج الشاعر شكوى الزمان، وشرح ما هو عليه من الاختلال في ضمن التهنية وتلطف في المسألة، ودقق التحليل لبلوغ الغرض، مع صيانة نفسه عن التصريح بالسؤال، وحمايته من الإذلال، لا جرم أن ابن سليمان فطن لذلك ووصله واستعمله.

1 - ابن رشيق: العمدة، ج2، ص41.

2 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص58.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص451. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص173.

4 - المصدران نفسهما: ص449. وص172.

5 - ينظر: المصدران نفسهما، ص451. و ص172.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص449.

ويرى محقق الكتابين أن البيتين لا ينطبق عليهما تعريف الإدماج الذي عرف به عند المؤلف ومن تبعه من علماء البديع، وعلل ذلك بقوله: «لأن المفهوم من تعريفه: إدماج معنى في معنى بشرط ألا يصرح بالمعنى الأول، ولكن البيتين اللذين أدمج فيهما شكوى الزمان وشرح ما هو عليه من اختلال الأحوال في ضمن التهنة لم يختلف فيهما المعنى الأول إذ صرح به في صدر البيت الأول منهما»¹.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن من لطيف الإدماج قول ابن نباتة السعدي (الطويل)²:

ولا بُدَّ لي من جهلةٍ في وصاله فمن لي بخلٌ أودعَ الحلمَ عندهُ

فقد أدمج الشاعر الفخر في الغزل حين جعل حلمه لا يفارقه بتةً، ولا ترغب نفسه عنه جملةً، وإنما عزم على أن يودعه، إذا كان لا بد له من وصل هذا المحبوب، ذلك أن الودائع تستعاد، ثم استفهم عن الخلّ الصالح أن يُستودع الحلم بلفظ يشعر بالاستبعاد والتعذر، فيكون مفهوم الخطاب بقيا حلمه لعدم من يصلح لأن يودعه عنده، فأدمج الفخر في الغزل من جهة تصريحه بذكر الحلم، ورشح بالإدماج الطباق بين الحلم والجهل، ثم أدمج فيهما شكوى الزمان لتغير الإخوان، بحيث لم يبق منهم من يُستصلحُ لمثل هذا الصنيع³.

ومثله ما وقع لبعض الأندلسيين في قوله (الوافر)⁴:

أأرضى أن تصاحبني بغيضا مجاملةً وتحملني ثقيلًا

وحقك لا رضىتُ بذًا لأنني جعلتُ وحقك القسم الجليلا

والبيت الثاني هو المقصود، لأنه أدمج فيه الغزل في العتاب من الفنون، والمبالغة في القسم من البديع.

6_ الافتتان:

الافتتان لغة من (فتن)، فيقال: «الرجل يفتن الكلام أي يشتق في فنّ بعد فنّ، ورجل مفن:

يأتي بالعجائب، وامرأة مفتنة، وافتن الرجل في حديثه وفي خطبته إذا جاء بالأفانين، وافتن

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص449 من حاشية المحقق.

2 - ابن نباتة السعدي: الديوان، ص338.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص450.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص450.

الرجل في كلامه: إذا توسع وتصرف، وافتنّ: أخذ في فنون من القول»¹.

وقد نقل "ابن أبي الإصبع المصري" هذا المعنى على سبيل المشابهة، فقال في تعريفه: «هو أن يفتن المتكلم فيأتي في كلامه بفنّين متضادّين من فنون الكلام في بيت واحد أو جملة واحدة، مثل النسيب والحماسة والهجاء والهناء والعزاء»². والافتنان من المصطلحات التي ابتدعها المصري³، وهو يلتبس بالإدماج إلّا أن الإدماج تضمين المتكلم الكلام معنى آخر بشرط ألاّ يصرح به ولا يشعر في كلامه أنه مسوق لأجله بخلاف الافتنان⁴.

ومثّل له من الكتاب العزيز بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ فِيهَا جِثِيًّا﴾ {سورة مريم، الآية 72}، فقد جمعت هذه الآية الكريمة بين الوعد والوعيد، والتبشير والتحذير، وما يلزم من هذين الفنين من المدح للمختصين بالبشارة، والذمّ لأهل النذارة⁵.

كما جاء منه في الكتاب العزيز نوع غريب، جمع فيه سبحانه بين التعزية والفخر وهو قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ، وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ {سورة الرحمن، الآيتان 26، 27}، فإنه سبحانه وتعالى عزّى جميع المخلوقات من الإنس والجن وسائر أصناف الحيوانات، وملائكة السموات، وتمدّح بالانفراد بالبقاء بعد فناء الموجودات في عشر لفظات، مع وصفه سبحانه ذاته بعد انفراده بالبقاء بالجلال والإكرام، وحق له ذلك سبحانه⁶.

6.

أما ما جاء منه من الشعر فكقول عبد الله بن طاهر بن الحسين (الوافر)⁷:

أُحِبُّكَ يَا ظَلُومٌ وَأَنْتِ عِنْدِي مَكَانَ الرُّوحِ مِنْ جَسَدِ الْجَبَانِ
وَلَوْ أَنِّي أَقُولُ مَكَانَ رُوحِي خَشِيْتُ عَلَيْكَ بَادِرَةَ الطَّعَانِ

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (فنت).

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص588. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص295.

3 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص264.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص588 من حاشية المحقق. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص295 من حاشية المحقق.

5 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص589. وص299.

6 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص589. و ص299.

7 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص588. وص296.

فهذا الشعر مما جمع فيه بين الغزل والحماسة بأرشق عبارة وأبلغ إشارة، وخصوصا البيت الثاني منه.

أما ما افتنّ فيه بين النسيب والحماسة فقول عنتره العبسي (الكامل) ¹:

إِنْ تُغْدِي دُونِي الْقِنَاعَ فَإِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمَسْتَلِّمِ

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على البيت قائلاً: «وهذا أفضل بيت سمعته في هذا الباب، فإنه جمع فيه بين الغزل والحماسة، والجِدِّ والهزل، فأتى فيه بنادرة طريفة، وطُرفة غريبة، حيث قال: بعد وصفها بستر وجهها دونه بالقناع حتى صار ما بين بصره وبين وجهها كالليل المغدف الذي يحول بين الأبصار وبين المبصرات: إِنِّي طَبُّ بِأَخْذِ الْفَارِسِ الْمَسْتَلِّمِ، يقول: إن تتبرقي دوني فإني خبير لدرتني بالحرب بأخذ الفارس الذي سترته لامته، وحالت دوني ودون مقاتلته، فأبرز الجدّ في صورة الهزل، فجاء في بيته مع الافتتان التندير الطريف، وعبر عن معناه اللطيف بهذا اللفظ الشريف، فهذا شاهد ما جمع بين الغزل والحماسة» ².

وفي ما يخص ما جمع فيه بين التهئة والتعزية قول بعض الشعراء ليزيد بن معاوية حين دفن أباه وجلس للناس (البسيط) ³:

اصبرْ يزيدُ فقد فارقتَ ذا ثقةٍ واشكر حِبَاءَ الَّذِي بِالْمَلِكِ أَصْفَاكَ
لا رُزءَ أصبح في الأَقْوَامِ تَعْلَمُهُ كما رزئتَ ولا عُقبى كعقبَاكَ
أصبحتَ راعي أمور الناس كلهم فأنت ترعاهم والله يرعَاكَ
وفي معاوية الباقي لنا خَلْفٌ إذا نُعيتَ ولا نسمع بمنعَاكَ

فقد فتح هذا الشاعر للناس باب القول فقالوا، وكان له فضل السبق «وما رأيت أحسن من هذا الكلام فإن النثر المتقدم هو حلّ الشعر المتأخر، والشعر المتأخر عقد النثر المتقدم مع ما في مفردات جُمَله من ضروب المحاسن وفنون المقاصد، مثل المقابلة، والمناسبة، والتعطف، والمساواة، وتمكين المقاطع، إلى ما جاء في الشعر زائدا على ما في النثر من

¹ - عنتره: الديوان، ص166.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 296 ، 297.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص298. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص588.

التندير، والاحتراس، والمقارنة، والالتفات، والإيغال في سلامة سبك، وبراعة عبارة، وخفة ألفاظ، وصحة معان، وفرط إيجاز»¹.

وكقول أبي نواس للعباس بن الفضل بن الربيع يعزيه بالرشيد ويهنئه بالأمين (الطويل)²:

تَعَزَّ أبا العباس عن خير هالك بأكرم حيِّ كان أو هو كائنُ
حوادثُ أيام تدورُ صُروفُها لهنَّ مساوٍ مرَّةً ومحاسنُ
وفى الحيِّ بالميت الذي غيَّب الثرى فلا أنت مغبونٌ ولا الموتُ غابنُ

ويذكر "ابن أبي الإصبع المصري" في هذا المقام_ أبياتا له جمع فيها بين فن العتاب وفن الاعتذار، يقول (البسيط)³:

أَعْرَضتْ عَنِّي ولم أذنب ومِلتُ إلى الـ واشي وهبني قد أذنبتُ فاغْتفرِ
ولا تُضِعْ ما حباكَ الفكرُ من مِدحي عن صفوٍ ودِّ حماه الله من كدرِ

ولم يخرج من جاء بعده كالحلبي والنويري والسبكي والحموي والسيوطي والمدني عن المفهوم الذي جاء به ابن أبي الإصبع المصري وأمثلته، وإن زاد بعضهم أمثلة أخرى⁴.

7_التعليق:

التعليق لغة من (علق)، فيقال: «علق بالشيء علقا وعلقه: نشب فيه، وعلق الشيء علقا وعلاقة وعلوقا: لزمه»⁵.

وهذا المعنى هو المنقول إلى الاصطلاح حيث أطلق على تعليق معنى بمعنى آخر من الغرض ذاته.

وعلاوة هذا المصطلح «أن يكون أحد المعنيين تلويا والآخر تصريحاً، ومنه أن يتحيل الكاتب في بلاغته أن يقصد شيئاً ويلفّ معه غيره»⁶.

وقد تكلم عنه "العسكري" (ت395هـ) في باب المضاعفة، حيث قال: «وهو أن يتضمن

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص298.

2 - أبو نواس: الديوان، ص663.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص299 من شعره.

4 - بنظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص264.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(علق).

6 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص295.

الكلام معنيين، معنى مصرحاً به، ومعنى كالمشار إليه»¹.

وعقد له "ابن منقذ" (ت584هـ) باباً تحت اسم "التعليق والإدماج"، وعرفه بقوله: «وهو أن تعلق مدحا بمدح وهجوا بهجو ومعنى بمعنى»².

وسماه "السكاكي" (ت626هـ) الاستتباع، وقال في تعريفه: «هو المدح بشيء على وجه يستتبع مدحا آخر»³.

ولم يخالف "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) من تقدّمه في مضمون المصطلح وشواهدُه ومن المعلوم أنه يكثر من الشواهد وتحليلها_ وإن تباينت الاتجاهات في تسميته، وقد أطلق عليه اسم "التعليق" وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم بمعنى في غرض من أغراض الشعر، ثم يعلّق به معنى آخر من ذلك الغرض يقتضي زيادة معنى من معاني ذلك الفنّ، كمن يروم مدحا لإنسان بالكرم فيعلّق بالكرم شيئاً يدل على الشجاعة، بحيث لو أراد أن يخلص ذكر الشجاعة من الكرم لما قدر»⁴.

ومثل له من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُؤْمِنِينَ آيَةً عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ (سورة المائدة، الآية54)، فإن الله سبحانه وتعالى_ لو اقتصر على وصفهم بالذّل على المؤمنين، لاحتمل أن يتوهّم ضعيفُ الفهم أن ذلّهم عن عجز وضعف، فنفي ذلك عنهم، وكمل المدح لهم بذكر عزّهم على الكافرين، ليعلم أن ذلّهم للمؤمنين كان منهم عن تواضع لله سبحانه، لا عن عجز وضعف بلفظ اقتضت البلاغة الإتيان به، ليتم بديع اللفظ كما تمّ المدح، فحصل في هذه الألفاظ: الاحتراس مدمجاً في المطابقة، وذلك تبعاً للتعليق_ وهو تعليق التواضع بالشجاعة في فنّ المدح_ الذي هو المطلوب من الكلام⁵.

وأما ما جاء من التعليق في الشعر فكقول بعض العراقيين في بعض القضاة، وقد شهد عنده برؤية هلال الفطر، فلم يُجز الشهادة (الرملة المجزوءة)⁶:

أترى القاضي أعمى أم تراه يتعامى

1 - العسكري: الصناعتين، ص423.

2 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص58.

3 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص428.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص443. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص171.

5 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص443. وص171.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص444.

سرق العيد كأن الـ عيدَ أموالَ اليتامى

فعلق خيانة القاضي في أموال اليتامى بما قدّمه من خيانتته في أمر العيد برابطة التشبيه، وهذا شاهد ما يعلّق المتكلم فيه فنا من فنون الكلام بمعنى من معاني البديع. ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن من مليح التعليق قول المتنبي في صفة الليل، وهو من الصنف الأول من التعليق (الوافر) ¹:

أَقْلَبُ فِيهِ أَجْفَانِي كَأَنِّي أَعُدُّ بِهِ عَلَى الدَّهْرِ الذَّنُوبَا

فإن الشاعر علّق فن عتاب الزمان بفن الغزل اللازم من فن الوصف بواسطة أداة التشبيه، فعلق الافتنان بالتشبيه، فأحسن ما شاء ². كما ذكر أن من أحسن ما جاء من التعليق وهو من الصنف الثاني، قول أبي نواس (مجزوء الوافر) ³:

لَهُمْ فِي بَيْتِهِمْ نَسَبٌ وَفِي وَسَطِ الْمَلَا نَسَبٌ
لَقَدْ زَنُّوا عَجُوزَهُمْ وَلَوْ زَنَّتْهَا غَضِبُوا

يعلّق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذين البيتين بقوله: «فإنه علّق هجاءهم بفجور أمهم بدعونهم في النسب، فكان في ذلك هجاء أبيهم، لكونهم لم يَرْضُوا نسبتهم إليه، فكان الشاعر رأى هجاءهم بفجور أمهم دون هجائهم بدناءة أبيهم ناقصا، فيتمّ ما أراد من هجائهم بما قال، وظرف ما شاء بقوله: *ولو زَنَّتْهَا غَضِبُوا*» ⁴.

ومثله قول أبي نواس أيضا إلا أن فيه زيادة على كل ما قدمناه لكونه يجمع صنفَي التعليق، يقول (الوافر) ⁵:

فَأَعْرَضَ هَيْثُمَ لَمَّا رَأَيْتُ كَأَنِّي قَدْ هَجَوْتُ الْأَدْعِيَاءَ
وَقَدْ آلَيْتُ أَنْ أَهْجُو دَعِيًّا وَلَوْ بَلَّغْتُ مَرُوعَتَهُ السَّمَاءَ

¹ - المتنبي: الديوان، ج1، ص170.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص445.

³ - أبو نواس: الديوان، ص96. البيت الثاني غير موجود في هذه النسخة.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص445.

⁵ - أبو نواس: الديوان، ص22.

يقول معلقاً: «أما التعليق الأول فلأنه علّق على التهكم بالهجاء، ولم يقتصر على الهجاء. وأما الثاني فكونه علّق الافتتان الذي هو الهجاء والفخر على ما بيّنه بمعنى التشبيه والإدماج. ومن لطيف تهكمه في هذا البيت قوله: *ولو بلغت مروءته السماء*، وقد أدمج الافتتان في التهكم لأن معناه أنني لا أهجو إلا من بلغت مروءته الغاية القصوى»¹. وهذا ما دأب عليه الشعراء وعقلاء البلغاء، يتخيرون لهجائهم كما يتخيرون لمديحهم. ثم نراه كعادته يأتي بشعر له ويثني عليه بأنه من التعليق العجيب الذي علّق فيه الاستعطف بالعتب بطريق الإدماج، يقول (الطويل)²:

إخواننا بالله ما لجفائكم	غدا لي بعد السّلم وهو مُصالَتْ
أحينَ أمنتُم من ملامي وأيفنت	نفوسكمُ أني مدى الدهر ساكت
تخلّيتُم عني وخننتم موثقاً	لها بعد توكيد العهود تهافت
وأقررتُم عينَ الحسود عليكم	فسرّت نفوسٌ بالبعاد شوامت
سأصبرُ حتى ينفدَ الصبرُ كلُّه	وينطق حالي والقوافي صوامت
وأعطفكمُ بالشعر ما ذرّ شارقُ	وأخلّيكُم بالنثر ما عجّ قانت

كما ذكر أن من التعليق فرع يسمى تعليق الشرط، وهو: «أن يعلّق المتكلم مقصوده على شرط يلزم من تعليقه مبالغة في ذلك المعنى، أو نوعاً من المحاسن زائداً على وقوع المشروط لوقوع الشرط»³، ومثّل له بقول أبي تمام (الطويل)⁴:

فإن لم يحمدك عني صاغرا
عدوك فاعلم أنني غير حامد

فقد علّق الشاعر صحة حمده لممدوحه على حمد عدوّه صاغرا إن لم يحمد الممدوح عدوه صاغرا لا يكون الشاعر له حامداً⁵.

وخلاصة هذا المصطلح ما قاله "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) في باب الاستنباع: «هذا النوع سماه العسكري: المضاعف وابن أبي الإصبع ومن بعده: التعليق،

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص446.
² - المصدر نفسه: ص447 من شعره. التصال: المضاربة بالسيوف. التهافت: التساقط والتتابع. ماذر شارق: أي ما طلعت الشمس، وقد يطلق الشارق على غير الشمس من الكواكب. أخلّيكُم: أذدعكم. عج القانت: رفع صوته بالدعاء.
³ - ينظر: المصدر نفسه: ص447.
⁴ - أبو تمام: الديوان، ج1، ص274.
⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص448.

وسماه الزنجاني: الموجّه، والسكاكي: الاستتباع. ولم يغيّر أحد منهم الشواهد. وهو عبارة عن الوصف بشيء يستتبع وصفاً آخر من جنس الوصف الأول، مدحا كان أو نما أو غير ذلك»¹.

8_ التمزيج:

التمزيج في اللغة: الخلط، جاء في لسان ابن منظور: «مزج الشيء يمزجه مزجا فامتزج: خلطه»².

وقد نقل المعنى اللغوي وهو خلط الشيء بالشيء على سبيل المشابهة إلى الاصطلاح فأطلق على خلط أو مزج معاني البديع بفنون الكلام.

والتمزيج من المصطلحات التي ابتدعها ابن أبي الإصبع المصري³، وعرفه بقوله: «وهو أن يمزج المتكلم معاني البديع بفنون الكلام، بشرط أن يكون ذلك عن الجملة الواحدة، أو الجمل من النثر، والبيت الواحد من الشعر أو البيوت»⁴.

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن التمزيج يلتبس بأربعة أبواب من البديع، وهي: التكميل والافتتان والتعليق والإدماج، وقد فرق بين هذه الأبواب في قوله: «أن التمزيج لا يكون إلا بالفنون ومعاني البديع، والمعاني فيه ظاهرة، وإن كان في الكلام فنان فلا بد أن يظهر أحدهما ويخفى الآخر بخلاف التكميل، فإن التكميل بالفنون ومعاني النفس لا معاني البديع، ولا بد أن يكون الفنان فيه إما ظاهرين معا، أو مخفيين معا. وهما في التمزيج يظهر أحدهما ويخفى الآخر. والفرق بين التمزيج والافتتان: أن الافتتان مثل التكميل في كونهما لا يكونان إلا بالفنون دون المعاني، لأن التكميل يكون فيه الفنان ظاهرين أو مخفيين أبداً، وهما في الافتتان يجوز ظهورهما وخفاء أحدهما. والفرق بين التمزيج والتعليق: أنّ الفنين في التعليق يكونان ظاهرين معا وأحدهما متعلق بالآخر يلزم من ثبوته، ومن عدمه بخلاف التمزيج في

1 - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص148.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(مزج).

3 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص349.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص246. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص536.

الإتيان بالمعاني والفنون فيه، ويكون أحد الفنين ممتزجا بالآخر متّحدا به. والفرق بين التمزيج والإدماج: أن الإدماج لا يكون إلا بالمعاني البديعية دون الفنون»¹.

وقد جاء من التمزيج في الكتاب العزيز قوله عز وجل: ﴿قُلْ رَبِّ احْكُم بِالْحَقِّ﴾ (سورة الأنبياء، الآية 112)، فإنها امتزج فيها فنا الأدب والهجاء بمعنى الإرداف والتنميم وتولد من ذلك أربعة عشر نوعا، يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «فإني استخرجت منها أربعة عشر نوعا من البديع أمهاتها خمس، وهي: الإرداف والتنميم والائتلاف والتهديب، وتولد منها تسعة أضرب، وهي: الإيضاح والإدماج والافتتان وحسن البيان والمقارنة والامتزاج والإيجاز والإبداع، والمثل السائر»².

وقد استشهد عليه من الشعر بقول بكر بن النطاح (الطويل)³:

عَرَضْتُ عَلَيْهَا مَا أَرَادَتْ مِنَ الْمُنَى	لَتَرْضَى فَقَالَتْ قُمْ فَجِنْنِي بِكُوكِبِ
فَقُلْتُ لَهَا هَذَا التَّعْنَتُ كُلُّهُ	كَمَنْ يَتَشَهَّى لَحْمَ عِنَقَاءٍ مُغْرِبِ
سَلِي كُلِّ شَيْءٍ يَسْتَقِيمُ طَلَابُهُ	وَلَا تَذْهَبِي يَا بَدْرُ بِي كُلِّ مَذْهَبِ
فَأُقْسِمُ لَوْ أَصْبَحْتُ فِي عِزِّ مَالِكِ	وَقُدْرَتِهِ أَعْيَا بِمَا رُمِتَ مَطْلَبِي
فَتَى شَقِيتُ أَمْوَالَهُ بِنَوَالِهِ	كَمَا شَقِيتُ بَكْرًا بِأَرْمَاحِ تَغْلِبِ

يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" هذه الأبيات موضحا ما جاء فيها من التمزيج في قوله: «فإن التمزيج وقع في الثلاثة المتواليات من هذا الشعر بعد الأول، فأما الأول من الثلاثة فإنه مزج في صدره العتاب بالغزل بالمراجعة حيث قال: *فقلت لها هذا التعنت كله* لارتباط هذا الصدر بما قبله بسبب المراجعة التي فيهما إذ قال: فقالت ، وأتى في عجز البيت بالتذييل ليتحقق العتاب، ويستدل على صحة ما ادّعاه من التعنت، فمزج المذهب الكلامي بالتذييل في العجز، كما مزج العتاب والغزل في الصدر، مع الارتباط بما قبله، وحقق ذلك بالمراجعة الحاصلة فيهما، فوقع التمزيج في البيت المذكور من الفنون في العتاب والغزل ومن المعاني في المراجعة بسبب الارتباط والتذييل والمذهب الكلامي، ثم مزج

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 246 ، 247.. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 538 ، 539.
² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص 498.
³ - المصدر نفسه: ص 536.

المبالغة بالقسم في البيت الثاني من الثلاثة، والمدح بالغزل بواسطة الاستطراد، وأتى بالطامة الكبرى في البيت الثالث من الثلاثة، إذ مزج فيه الإرداف بالتشبيه والشجاعة بالكرم ومدح قبيلة الممدوح بمدحة وذم أعداءها والإيغال بالتشبيه.¹

فأما الإرداف ففي قوله: "شقيت أمواله بعفاته" فإنه أراد أن يقول: فتى جواد، فعدل عن هذا اللفظ إلى ردفه، لما في لفظ شقاوة الأموال بالعفاة من زيادة المعنى، وديباجة اللفظ التي لا توجد في لفظ الحقيقة، والتشبيه في قوله: كما شقيت هذه القبيلة بهذه القبيلة والقبائل المتعادون كثير، وإنما اقتصر على هاتين القبيلتين لما في ذكرهما من النكتة التي يزيد بها معنى المدح، وخصّ الممدوح به وأراد تكميل المدح ورأى أنه لو اقتصر على مدحه بالكرم كان المدح غير كامل، وأراد تكميل المدح بالشجاعة فأوجبت عليه الصناعة أن يأتي بالتنكيت في عجز البيت بحيث يكون بين العجز والصدر ارتباط يوجب لهما التلاحم، فوصل بينهما بكاف التشبيه مقتصرًا على ذكر القبيلتين اللتين في ذكرهما نكتة حسنة، وهي مدح قبيلة الممدوح، والتعريض بذم قبيلة أعدائه، والمدح لقبيلة الممدوح مدح له، فيكمل له المدح الذي أراده، والتمزيج الذي قصده»².

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التعبير ، ص 536 ، 537.
² - المصدر نفسه : ص 536 ، 537.

الفصل الرابع

مصطلحات الإيمان والإيحاء

1_ الإبهام:

الإبهام لغة من أبهم الأمر إذا لم يكن له وجه يُعرف به، جاء في اللسان: «إبهام الأمر: أن يشتبه ولا يعرف له وجه، وأمر مبهم: لا مأتى له. واستبهم الأمر: إذا استغلق، وكلام مبهم: لا يعرف له وجه يؤتى منه»¹.

ولا يخرج معنى الإبهام عند البلاغيين عن هذا المعنى.

وعدّ "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) مصطلح الإبهام من مبتدعاته إلا أنّ مفهومه عُرفَ عند "السكاكي" (ت626هـ) تحت ما أسماه التوجيه، وحدّه بقوله: «وهو إيراد الكلام محتملاً لوجهين مختلفين»².

وهذا هو المعنى الذي جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" في تعريفه الذي يقول: «وهو أن يقول المتكلم كلاماً يحتمل معنيين متضادين، لا يتميز أحدهما عن الآخر، ولا يأتي في كلامه بما يحصل به التمييز فيما بعد ذلك، بل يقصد إبهام الأمر فيهما قصداً»³.

وقد فرّق بين الإبهام وبين الاشتراك المعيب، وكذا بين الإبهام وبين الإيضاح في قوله: «والفرق بينه وبين الاشتراك المعيب أن الاشتراك لا يقع إلا في لفظة مفردة لها مفهومان، لا يُعلم أيّهما أراد المتكلم، والإبهام لا يكون إلا في الجمل المركبة المفيدة، ويختص بالفنون كالمديح، والهجاء، وغيرهما، ولا كذلك الاشتراك، والفرق بينه وبين الإيضاح أن البيت الملتبس الذي يفنقِر إلى الإيضاح يتضمّن ألفاظ المديح الصريح والهجاء البيّن فيكون فيه مدح وهجاء، والإبهام لا يُفهم من ألفاظه مدح ولا هجاء البتّة، بل يكون لفظه صالحاً للأمرين، وإن لم يكن فيه من لفظ المدح والهجاء شيء»⁴.

ومثّل له بما حُكي أن بعض الشعراء هنأ الحسن بن سهل بصهر المأمون مع من هنأه، فأثاب الناس كلّهم وحرمه، فكتب إليه: إن أنت تماديت على حرمانى عملت فيك بيتاً لا يعلم

¹ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(بهم).

² - السكاكي: مفتاح العلوم، ص427.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص596. وينظر ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص306.

⁴ - المصدران نفسهما: ص596. و ص306.

أحد مدحتك فيه أم هجوتك؟ فاستحضره وسأله عن قوله، فاعترف، فقال: لا أعطيك أو تفعل فقال (مجزوء الخفيف) :

بارك الله للحسن ولبوران في الختن
يا إمام الهدى ظفر ت ولكن بينت من؟

فلم يعلم ما أراد بقوله: بينت من؟ في الرفعة أو في الضعة، فاستحسن الحسن منه ذلك، وناشده، أسمعت هذا المعنى أم ابتكرته؟ فقال: لا والله، إلا نقلته من شعر شاعر مطبوع كان بعث به، ففصل قباء عند خياط أعور اسمه زيد، فقال له الخياط على طريق العبث به: سأتيك به لا تدري أقباء هو أم دواج. فقال له الشاعر: لئن فعلت لأعملن فيك بيتا لا يعلم أحد ممن سمعه أدعوت لك أم دعوت عليك؟ ففعل الخياط، فقال الشاعر (مجزوء الرمل) :

خاط لي زيد قباء ليت عينيه سوا

فما علم أحد هل أراد أن الصحيحة تساوي السقيمة أو العكس، فاستحسن الحسن صدقه أضعاف استحسانه حذقه، وأضعف جائزته .
وتبع ابن أبي الإصبع المصري البلاغيون المتأخرون ولا سيما أصحاب البديعيات في التسمية والمفهوم¹.

2_ الإرداف والتتبع:

الإرداف لغة من (ردف)، أورد "ابن منظور" في لسانه: «الرْدْفُ: ما تبع الشيء. وكل شيء تبع شيئا فهو ردفه. وترادف الشيء: تبع بعضه بعضا، والترادف التتابع»².
والتتبع في اللغة مأخوذ من الجذر (تبع)، يقال: «تبع الشيء تبعا وتباعا في الأفعال، وتبعْتُ الشيء تبوعا: سرت في أثره، والتابع: التالي. وتبعْتُ الشيء وأتبعته: مثل رَدْفْتُهُ وأردفتُهُ»³.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص38.
2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ردف).
3 - المصدر نفسه: مادة (تبع).

عدّ "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) الإرداف ضمن أنواع ائتلاف اللفظ مع المعنى، وعرفه بقوله: «وهو أن يريد الشاعر دلالة على معنى من المعاني فلا يأتي باللفظ الدال على ذلك المعنى، بل بلفظ يدلّ على معنى هو ردفه وتابع له، فإذا دلّ على التابع أبان عن المتبوع»¹. وتبعه في مفهوم هذا المصطلح كل من جاء بعده من البلاغيين مع تغيير في الصياغة، وكذا في الاسم عند بعضهم.

فقد عزّفه "العسكري" (ت395هـ) بقوله: «الإرداف والتتابع: أن يريد المتكلم الدلالة على معنى فيتترك اللفظ الدال عليه الخاص به، ويأتي بلفظ هو ردفه وتابع له، فيجعله عبارة عن المعنى الذي أراده»².

وأطلق عليه "ابن رشيق" (ت456هـ) اسم التتبع، وجعله من أنواع الإشارة، وقال: «ومن أنواع الإشارة: التتبع وقوم يسمونه التجاوز، وهو أن يريد الشاعر ذكر الشيء فيتجاوزه، ويذكر ما يتبعه في الصفة وينوب عنه في الدلالة عليه»³.

أما "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) فقد اعتبره من ضمن نعوت البلاغة والفصاحة، وسماه الإرداف والتتبع، حيث قال: «ومن نعوت البلاغة والفصاحة أن تراد الدلالة على المعنى، فلا يستعمل اللفظ الخاص الموضوع له في اللغة، بل يؤتى بلفظ يتبع ذلك المعنى ضرورة، فيكون في ذكر التابع دلالة على المتبوع، وهذا يسمى الإرداف والتتبع لأنه يؤتى فيه بلفظ هو ردف اللفظ المخصوص بذلك المسمى وتابعه»⁴.

وسماه "التبريزي" (ت502هـ) الإرداف وعرفه بقوله: «هو أن يريد الشاعر دلالة على معنى فلا يأتي باللفظ الدال عليه، بل بلفظ هو تابع له»⁵.

وجعل "ابن الأثير" (ت637هـ) الإرداف من أقسام الكناية، وعرفه بقوله: «هو أن تراد

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص 155 ، 156.

² - العسكري: الصناعتين، ص350.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص313.

⁴ - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص 229 ، 230.

⁵ - الخطيب التبريزي: الكافي في العروض والقوافي، ص140.

الإشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك إردافاً للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه»¹.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أسلافه في مفهوم هذا المصطلح وسماه الأرداف والتتبع في "تحرير التحبير"، والإرداف في "بديع القرآن" وذكر أنه مما فرّعه "قدامة" من انتلاف اللفظ مع المعنى، ونقل مفهومه وبعض أمثله².

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ {سورة هود، الآية44}، فإن حقيقة ذلك جلست على المكان، فعدل عن اللفظ الخاص بالمعنى إلى لفظ هو ردفه، وإنما عدل عن لفظ الحقيقة لما في الاستواء الذي هو لفظ الإرداف من الإشعار بجلوس متمكن لا زيغ فيه ولا ميل، وهذا لا يحصل من لفظ جلست أو قعدت أو غير ذلك³. وكقوله تعالى: ﴿فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ﴾ {سورة الرحمن، الآية56}، بمعنى فيهنّ عفيفات قد قَصَرَتْ عَفْنَهُنَّ طرفهنّ على بعولتهنّ، فعدل عن المعنى الخاص إلى لفظ الإرداف⁴.

يعلل "ابن أبي الإصبع المصري" ذلك في قوله: «لأن كل من عَفَّ غَضَّ الطَّرْفَ عن الطموح، فقد يمتدّ نظر الإنسان إلى شيء وتشتتته نفسه، ويعفّ عنه مع القدرة عليه لأمر آخر، وقصر طرف المرأة على بعلمها، أو قصر طرفها حياءً وخَفَرًا أمر زائد على العِفَّة، لأن من لا يطمح طرفها لغير بعلمها، أو لا يطمح حياءً وخَفَرًا فإنها ضرورة تكون عفيفة، فكل قاصرة الطرف عفيفة، وليست كل عفيفة قاصرة الطرف، فلذلك عدل عن اللفظ الخاص إلى لفظ الإرداف»⁵.

وقد جاء في السنة النبوية من أمثلة هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة في حديث أم زرع، حيث قالت: «زوجي رفيع العماد، عظيم الرماد، قريب البيت من المناد»، فقد أرادت مدح زوجها بتمام الخلق والتقدّم على قومه، ونهاية الكرم، ولو عبّرت عن هذه المعاني بألفاظها لاحتاجت بإزاء كل معنى لفظاً يخصه، فتكثر بذلك الألفاظ،

1 - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص58.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص207. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص83.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص207.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص84.

5 - المصدر نفسه: ص84.

ولا يدلُّ كل لفظ إلاّ على معناه فقط، على العكس من ألفاظ الإرداف فإن كلّ لفظ منها يدلّ على جميع ما أرادت من صفات المدح على انفراد¹.

وقد استشهد على الإرداف من الشعر بقول امرئ القيس (الطويل)²:

ويُضحى فتيتُ المسك فوق فراشِها نُؤوم الضحى لم تتنطق عن تفضّل

يرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن امرأ القيس أراد أن يصف هذه المرأة بأنها مخدومة، لها من يكفيها أمر بيتها، فعبر عن ذلك بلفظ يدلّ على أنها موصوفة بالنعمة ودقة البشرة واقتبال الشباب وكثرة الحظوة وعظم الثروة، فعدل عن ألفاظ المعنى الذي أراده إلى ألفاظ هي ردفه³.

وفرق "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) بين الإرداف والكناية، في قوله: «نوع الإرداف: قالوا إنه والكناية نوع واحد. قلت: وإذا كان الأمر كذلك كان الواجب اختصارهما. وإنما أئمة البديع كقدامة والحاتمي والرماني، قالوا: إن الفرق بينهما ظاهر. والإرداف: هو أن يريد المتكلم معنى، فلا يعبر عنه بلفظه الموضوع له، بل يعبر عنه بلفظ هو رديفه وتابعه»⁴.

3_ الإشارة:

من معاني الإشارة في اللغة الإيماء والتلويح، يقال: «أشار إليه وشور: أوماً، ويكون ذلك بالكف والعين والحاجب، وشور إليه بيده أي أشار. وأشرت إليه أي لوّحت إليه وألحت أيضاً وأشار يشير إذا ما وجه الرأي»⁵.

وفي الاصطلاح: «عبارة عن أن يشير المتكلم إلى معان كثيرة بكلام قليل يشبه الإشارة باليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبّر عنها لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة»⁶.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) الإشارة وقرنها باللفظ في قوله: «والإشارة واللفظ شريكان، ونعم

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 207 ، 208.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص116.

3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص209.

4 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص758.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(شور).

6 - الكفوي: الكليات، ص120.

العونُ هي له، ونعم الترجمان هي عنه، وما أكثر ما تتوب عن اللفظ، وما تُغني عن الخط»¹.

والإشارة مما فرّعه "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وقال: «هو أن يكون اللفظ القليل مشتملا على معان كثيرة بإيماء إليها ولمحة تدل عليها»².
ونقل "العسكري" (ت395هـ) تعريف "قدامة" مع تغيير في الصياغة، فقال: «أن يكون اللفظ القليل مشارا به إلى معان كثيرة»³.

والإشارة عند "ابن رشيق" (ت456هـ) «في كل نوع من الكلام لمحة دالة، واختصار وتلويح يعرف مجملا، ومعناه بعيد من ظاهر لفظه»⁴.

وهي عنده «من غرائب الشعر وملحه، وبلاغة عجيبة، تدل على بعد المرمى وفرط المقدر، وليس يأتي بها إلا الشاعر المبرز، والحاذق الماهر»⁵.

والإشارة عنده كذلك على أنواع، وهي: الإيماء، والتعريض، والتعمية، والتفخيم، والتلويح، والتمثيل، والتورية، والحذف، والرمز، والكناية، واللحن، واللغز، واللمحة⁶.

وقد اشترط "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) في الإشارة زيادة المعنى على اللفظ، حيث قال: «أن يكون المعنى زائدا على اللفظ أي أنه لفظ موجز يدل على معنى طويل على وجه الإشارة واللمحة»⁷.

وحدَّ "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) الإشارة بقوله: «إنها إشارة المتكلم إلى معان كثيرة بلفظ يشبه لقلته واختصاره بإشارة اليد، فإن المشير بيده يشير دفعة واحدة إلى أشياء لو عبر عنها بلفظ لاحتاج إلى ألفاظ كثيرة جدا، ولا بد في الإشارة من اعتبار صحة الدلالة وحسن البيان مع الاختصار»⁸.

1 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص78.

2 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص

3 - العسكري: الصناعتين، ص348.

4 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص302.

5 - المصدر نفسه: ج1، ص302.

6 - ينظر: إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص38.

7 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص207.

8 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص200. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص82.

ثم ذكر أن الفرق بين الإشارة والإيجاز هو «أن الإيجاز بألفاظ المعنى الموضوعه له، وألفاظ الإشارة لمحده دالة، فدلالة اللفظ في الإيجاز دلالة مطابقة، ودلالة اللفظ في الإشارة إما دلالة تضمن، أو دلالة التزام»¹. بمعنى أن الإشارة كالكناية وليست كالمجاز.

وقد استشهد على مصطلح الإشارة من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وغيض الماء﴾ {سورة هود، الآية 44}، فقد أشار سبحانه بهاتين اللفظتين إلى انقطاع مادة الماء من مطر السماء ونبع الأرض، ولولا ذلك لما غاض الماء².

وكقوله سبحانه: ﴿فيها ما تشتهي النفس وتلد الأعين﴾ {سورة الزخرف، الآية 71}، فالمح إلى كل ما تميل النفوس إليه من الشهوات وتلذذه الأعين من المرئيات، لتعلم أنه سبحانه عبر بهذه الألفاظ القليلة عن معان لا حصر لها³.

وقوله عز وجل: ﴿فأنبذ إليهم على سواء﴾ {سورة الأنفال، الآية 58}، بمعنى قاتلهم بنبذ العهد ما نبذوا عهدك، مع ما يدل عليه الأمر بالمساواة في الفعل من العدل⁴.

وقوله سبحانه: ﴿وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر﴾ {سورة القصص، الآية 44}، فقد أشارت لفظة ﴿الأمر﴾ إلى ابتداء نبوة موسى عليه السلام وخطاب الحق تعالى له، وإعطائه الآيات البيّنات من إلقاء العصا لتصير ثعبانا، وإخراج يده بيضاء، وإرساله إلى فرعون، وسؤاله شدّ عضده بأخيه هارون، إلى جميع ما جرى في ذلك المقام⁵.

كما استشهد عليه بشواهد شعرية ونثرية، كقول هند بن أبي هالة في وصف رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يشير بكفه كلها وإذا تعجب قلبها، وإذا حدثت اتصل بها فضرب براحته اليمنى باطن إبهامه اليسرى»، فقد وصفه ببلاغة اليد كما وصفه ببلاغة اللسان، ومعنى ذلك أنه يشير بيده في الموضع الذي تكون فيه الإشارة أولى من العبارة، وهذا حذق بمواضع المخاطبات. وقوله: "كلها" أي يفهم بها المخاطب كل ما أراده بسهولة، فإن الإشارة

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 82.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 202. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 82.

3 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 202. وص 82.

4 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص 202. وص 82، 83.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 83.

ببعض الكفّ تصعب، وبكل الكفّ تسهل، فأعلمنا هذا الوصّاف أنه صلى الله عليه وسلم كان سهل الإشارة، كما كان سهل العبارة¹.

وكقول امرئ القيس (الوافر)²:

بعزهم عززت وإن يذلوا فذلهم أنالك ما أنالاً

فانظر إلى قوله: "أنالك ما أنالاً" وما تضمن من أنواع الذلّ.

ومن الإشارة نوع يقال له اللحن والوحي، وهو يجمع العبارة والإشارة وبُعد لا يفهم طريقه إلاّ ذو فهم، ومثل له بقول الشاعر (الكامل)³:

ولقد وحيت لكم لكيما تفتنوا ولحننا لحناً ليس بالمرتاب

وقد استشهد على الوحي والإشارة بضرب من الاستعارة بقول يزيد بن الوليد لمروان بن محمد، وقد بلغه عنه تلكؤه عن بيعته: «أراك تقدّم رجلاً وتؤخّر أخرى، فإذا قرأت كتابي هذا فاقعد على أيهما شئت»⁴.

4_ الإلغاز والتعمية:

الإلغاز لغة من (لغز)، فيقال: «ألغز الكلام وألغز فيه: عمى مراده وأضمره على خلاف ما أظهره. واللُّغزُ: الكلام الملبسُ. وقد ألغز في كلامه يُلغزُ إلغازاً إذا ورى فيه وعرض ليخفى»⁵.

والتعمية في اللغة مأخوذة من الجذر (عمى)، جاء في اللسان: «وعمى عليه الأمر: التبس، والتعمية: أن تعمي على الإنسان شيئاً فتلبسه عليه تلبيساً. وعميت معنى البيت تعمية، ومنه المعمى من الشعر»⁶.

فالإلغاز والتعمية في اللغة لهما المعنى ذاته وهو التلبيس والإضمار وإخفاء المراد، ولا يخرج المعنى الاصطلاحي لهذا الفن عن معناه اللغوي كما سنرى.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 200 ، 201.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص151.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص204.

4 - المصدر نفسه: ص205.

5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(لغز).

6 - المصدر نفسه: مادة(عمي).

ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أن الإلغاز والتعمية من مبتدعاته، ولكن لم يسلم له هذا المصطلح. وذكر أنه يسمى المحاجاة، والتعمية أعم أسمائه، وعرفه بقوله: «هو أن يريد المتكلم شيئاً فيعبر عنه بعبارات يدل ظاهرها على غيره، وباطنها عليه، وهو يكون في النثر والشعر»¹. وهو من المصطلحات التي ذكرها في كتابه "تحرير التحبير" ولم يذكرها في "بديع القرآن" لخصوصية هذا الأخير.

وكان "الجاحظ" (ت255هـ) قد عقد باباً مستقلاً في "اللغز والجواب" ذكر فيه عدداً من الأخبار والأشعار تبين مفهوم هذا المصطلح².

أما "ابن رشيق" (ت456هـ) فقد تناول كل فن على حدة، وأدخلهما في باب الإشارة، وأكد أنّ اللغز من أخفى الإشارات وأبعدها، وعرفه بقوله: «وهو أن يكون للكلام ظاهر عجب لا يمكن، وباطن غير عجب»³.

وذكر أن "التعمية" نوع من الإشارة _ كما أسلفنا الذكر _⁴، ولم يعرفها ولكن الشواهد التي جاء بها تحيل إلى أنها: «كل ما يلبس الكلام من تعقيد اللفظ بالتقديم والتأخير أو إلغازه»⁵. وقال "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ): «إن الموضوع على وجه الإلغاز قد قصد قائله إغماض المعنى وإخفائه وجعل ذلك فناً من الفنون التي يستخرج بها أفهام الناس، وتمتحن أذهانهم»⁶.

والألغاز عند "ابن الأثير" (ت637هـ) الأغاليط من الكلام والأحاجي ويسمى المعنى أيضاً، يقول: «وأما اللغز والأحجية فإنهما شيء واحد، وهو كل معنى يستخرج بالحدس والحزر لا بدلالة اللفظ عليه حقيقة ومجازاً، ولا يفهم من عرضه، لأن قول القائل في الضرس:

وصاحبٍ لا أمل الدهرِ صُحبتُهُ يشقى لنفعي ويسعى سعيَ مُجتهدٍ
ما إن رأت له شخصاً فمذ وقعت عيني عليه افترقنا فرقة الأبدِ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص579.

2 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص147.

3 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص307.

4 - بنظر: المصدر نفسه، ج1، ص309.

5 - إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، ص109.

6 - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص226.

لا يدل على أنه الضرس لا من طريق الحقيقة ولا من طريق المجاز ولا من طريق المفهوم، وإنما هو شيء يُحْدَسُ ويُحْزَرُ، والخواطر تختلف في الإسراع والإبطاء عند عثورها عليه»¹. ونلاحظ أن "ابن أبي الإصبع المصري" يتفق في مفهومه لهذا المصطلح مع من سبقه، وقد مثل عليه من النثر بقول ابن جرّاح ملغزا في دُمْلُج: «ماشئ وجهه قمر، وقلبه حجر، إن نبذته صبر، واعتزل البشر، وإن قرعته ملأ الأسماع، وإن أدخلته السوق أبي أن يباع، وإن فككت شطره دعا لك، وإن ركبت نصفه الآخر هالك، وربما كثر مالك، وإن رخمته ألمك عند الفجر، وأورثك الضجر وقت العصر»².

أما عن الشواهد الشعرية فقد مثل له بقول بعض العرب ملغزا في الأيام (الرجز)³:

وسبعة كلهم إخوان ما إن يموتون وهم شبان

لم يرههم في موضع إنسان

وقول أبي العلاء المعري ملغزا في الإبرة مما أنشده الفاضل عفيف الدين علي بن عدلان النحوي عفا الله عنه (الطويل)⁴:

سعت ذات سُمّ في قميصي فغادرت به أثرا والله شافٍ من السُمّ

كست قيصرا ثوبَ الجمال وتبعا وكسرى وعادت وهي عارية الجسم

وكقول المعري أيضا ملغزا في قطعة ملح من ملح الطعام (الطويل):

وبيضاء من سرّ الملاح ملكتها فلما قضت إربي حبوث بها صحبي

فباتوا بها مستمتعين ولم تزل تحثهم بعد الطعام على الشرب

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن أمثلة هذا الباب الشعرية لا تحصى كثرة.

5_الاستخدام:

الاستخدام في اللغة الخدمة، جاء في لسان "ابن منظور": «خدم: الخدم، الخدام. والخادم:

واحد الخدم. واستخدمه فأخدمه: استوهبه خادما»⁵.

¹ - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص 85 ، 86.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص580.

³ - المصدر نفسه: ص580.

⁴ - المصدر نفسه: ص580.

⁵ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(خدم).

والاستخدام من مبتدعات ابن منقذ(ت584هـ)¹، وقد عرفه بقوله: «هو أن تكون الكلمة لها معنيان فتحتاج إليها فتذكرها وحدها تخدم للمعنيين»².

ومثّل له "ابن منقذ" بأمثلة عدّة، منها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنْبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا﴾ {سورة النساء، الآية43}، فكلمة الصلاة تحتل معنيين هما: فعل الصلاة وموضع الصلاة، فاستخدم سبحانه الصلاة بلفظ واحد، لأنه قال سبحانه: ﴿حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ﴾ فدلّ على أن المراد هو فعل الصلاة، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ﴾ دلّ على موضع الصلاة³.

وأعاد ابن أبي الإصبع المصري(ت654هـ) صياغة تعريف "ابن منقذ" فقال: «وهو أن يأتي المتكلم بلفظة لها معنيان ثم يأتي بلفظتين تتوسط تلك اللفظة بينهما، ويستخدم كل لفظه منهما لمعنى من معني تلك اللفظة المتقدمة»⁴. وقد يلتبس الاستخدام بالتورية لكون كل واحد منهما مفتقرا إلى لفظه لها معنيان، ففرّق بينهما بقوله: «والفرق بينهما أن التورية استعمال أحد المعنيين من اللفظة، وإهمال الآخر، والاستخدام استعمالهما معا»⁵.

وقد استشهد عليه من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُنْبِئُ﴾ {سورة الرعد، الآيتان 38، 39}، فإن لفظه ﴿كِتَابٌ﴾ تحتل الأمد المحتوم، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿حَتَّى يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ﴾ أي حتى يبلغ الكتاب أمده، أي أمد العدة، وأجله: منتهاه، والكتاب(المكتوب)، وقد توسطت "كتاب" بين لفظتي "أجل" و"يمحو" فاستخدمت لفظه "أجل" أحد مفهوميها، وهو الأمد، واستخدمت لفظه "يمحو" مفهوميها الآخر، وهو المكتوب⁶.

أما شاهده الشعري فقول البحري(الكامل)⁷:

فَسَقَى الْغَضَا وَالسَّاكِنِيهِ وَإِنْ هُمْ
شَبَّوْهُ بَيْنَ جَوَانِحِ وَقُلُوبِ

¹ - ينظر: أحمد يحيى علي الدليمي: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ، ص153. وينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص116.

² - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص82.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص82.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص275. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص104.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص275.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص276. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص104، 105.

⁷ - البحري: الديوان، مج1، ص246. في الديوان(والنازليه) بدل (والساكنيه).

فلفظة الغضا محتملة الموضع والشجر والسقيا الصالحة لهما، فلما قال والساكنيه استعمل أحد معنيها، وهو دلالتها بالقرينة على الموضع، ولما قال: شبّوه : استعمل المعنى الآخر، وهو دلالتها بالقرينة كذلك على الشجر¹.

وذكر المحقق أن ما جاء به "ابن أبي الإصبع المصري" هو المعنى الثاني للاستخدام، وتبعه فيه بدر الدين بن مالك (ت686هـ) صاحب "المصباح في اختصار المفتاح"، أما المعنى الأول وهو: أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مرادا به أحد معانيه ثم يؤتى بضمير مرادا به المعنى الآخر، أو بضميرين مرادا بأحدهما أحد المعاني وبالأخر المعنى الآخر، فالأول كقول جرير:

إذا نزل السماء بأرض قوم رعيناه وإن كانوا له غضابا

فأراد بالسماء الغيث، وبالضمير الراجع على رعيناه النبات، والثاني البيت الذي جاء به "ابن أبي الإصبع المصري". وهذا المعنى لهذا النوع سار عليه "الخطيب القزويني" ومن تبعه من أصحاب البديعيات².

6_ تجاهل العارف:

الجهل لغة: نقيض العلم، والتجاهل: إظهار الجهل، وتجاهل: أرى من نفسه الجهل وليس به³. والعارف لغة: العالم بالشيء، وعرفه الأمر: أعلمه إيّاه⁴.

وهذا المعنى إظهار الجهل بالشيء المعلوم هو المنقول إلى الاصطلاح، وقد أطلق على «سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلا لئكتة»⁵.

ذكره "ابن المعتز" (ت296هـ) ولم يعرفه، ولكنه مثل له بأمثلة عدّة⁶، نذكر منها قول زهير بن أبي سلمى (الوافر)⁷:

وما أدري وسوف إخال أدري أقوم آل حصن أم نساء؟

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص275.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص275 من حاشية المحقق.

3 - ينظر: ابن منظور: لسان العرب، مادة(جهل).

4 - ينظر: المصدر نفسه: مادة(عرف).

5 - أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة، ص338.

6 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص62.

7 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص13.

وأطلق عليه "العسكري" (ت395هـ) اسم "تجاهل العارف ومزج الشك باليقين"، وعرفه بقوله: «هو إخراج ما يعرف صحته مُخْرَج ما يُشَكَّ فيه ليزيد بذلك تأكيدا»¹.

ورجع "ابن منقذ" (ت58هـ) إلى ما ذكره "العسكري" وأضاف إليه أمثلة أخرى².

وقد عدل "السكاكي" (ت626هـ) عن تسميته: "تجاهل العارف"، وأطلق عليه: "سوق المعلوم مساق غيره" تأدبا مع القرآن الكريم، وذلك لورود هذا المصطلح في أساليب القرآن الكريم³.

وقال "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أن هذه تسمية "ابن المعتز"، وسماه غيره الإعنات⁴، ولكن "الإعنات" هو "لزوم ما لا يلزم" فهذا شيء و"تجاهل العارف" شيء آخر.

وقد عرفه بقوله: «هو سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة تجاهلا منه ليُخرج كلامه مخرج المدح أو الذم، أو ليدلّ على شدة التدلُّه في الحب، أو لقصد التعجب، أو التوبيخ، أو التقرير»⁵.

وقسمه إلى قسمين: موجب ومنفيّ، وكل قسم على ضربين: ضرب يكون الاستفهام فيه عن شيئين أحدهما واقع والآخر غير واقع، وقد ينطق بأحد الشيين ويسكت عن الآخر لدلالة الحال عليه⁶.

وقد استشهد عليه من الكتاب العزيز بما لا يلحق سبقا، كقوله تعالى: ﴿أَبَشِّرْنَا مِنَّا وَاحِدًا نَتَّبِعُهُ﴾ {سورة القمر، الآية 24}، وهذا خارج مخرج التعجب، وقوله سبحانه: ﴿أَصَلَوَاتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرُكَ مَا يَعْْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ﴾ {سورة هود، الآية 87}، وهذا خارج مخرج التوبيخ، وقوله عز وجل: ﴿أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ﴾ {سورة المائدة، الآية 116}، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿أَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمَ﴾ {سورة الأنبياء، الآية 62}، وهذا والذي قبله خارج مخرج التقرير⁷.

1 - العسكري: الصناعتين، ص396.
2 - ينظر: ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص 93-99.
3 - ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص427.
4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص135. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص50.
5 - المصدران نفسيهما: ص135. و ص50.
6 - ينظر: المصدران نفسيهما: ص135. و ص50.
7 - ينظر: المصدران نفسيهما، ص 135، 136.. و ص51.

كما استشهد على هذا القسم(الموجب) من الشعر بقول بعض المحدثين في المدح(البسيط)¹:

بدا فراعَ فُوادي حُسْنُ صورته فَقُلْتُ هل مَلِكٌ ذا الشَّخصِ أم مَلِكٌ

وأما ما جاء منه للذمّ فكقول زهير بن أبي سلمى(الوافر)²:

وما أدري وسوف إخالُ أدري أقومُ آلُ حصنٍ أم نساءُ

وأما ما دلّ على التدلّه في الحبّ فكقول العرجى(البسيط)³:

باللّه يا ظبياتِ القاعِ قُلْنَ لَنَا لِيَلَيَ مَنْكَنٌ أم لِيَلَى مِنَ البَشْرِ

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن كل هذه الأمثلة من القسم الأول (الموجب).

أما ما جاء من القسم الثاني(المنفي) فقد استشهد عليه من القرآن الكريم بقوله عز وجل: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾{سورة يوسف، الآية 31}، فجاء هذا اللفظ في الآية الكريمة متجاوزا تشبيه العرب كلّ من راعهم حسنه من البشر بالجن، إلى تشبيه يوسف صلوات الله عليه_ حين كان حسنه رائعا، وله مع الروعة نور وطلاقة، وعليه سكينه، فكان تشبيهه بالملك الكريم أصحّ وأشدّ مطابقة من كل الجهات⁴.

وتبعهم المنتبى في هذا المعنى فقال(الطويل)⁵:

لجنيّة أم غادة رُفِعَ السَّجْفُ

7_ التشكيك:

الشكّ في اللغة: نقيض اليقين، فيقال: «شككتُ في كذا وتشككت وشكّ في الأمر يشكّ

شكّا وشكّكه فيه غيره»⁶.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص136.

2 - زهير بن أبي سلمى: الديوان، ص13.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص136.

4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص137، 136. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص51.

5 - المنتبى: الديوان، ج1، ص487. وهو صدر بيت عجزه: لَوْحِشِيَّةٌ لا ما لَوْحِشِيَّةٌ شَنْفٌ.

6 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(شكك).

مصطلح التشكيك من مبتدعات "ابن أبي الإصبع المصري"¹. وقد عرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بلفظة تشكك المخاطب هل هي حشو أو أصلية لا غنى للكلام عنها»².

وقد استشهد عليه بقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدِينٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾ {سورة البقرة، الآية 282}، فلفظة ﴿بدين﴾ تشكك السامع هل هي فضلة، إذ لفظة ﴿تداينتم﴾ تغني عنها، أم هي يحتاج إليها؛ وجواب ذلك أنها أصلية، لأن لفظة الدين لها محامل في اللسان نقول: داينت فلانا المودّة، يعني جازيته، ومنه «كما تدين تدان»³.
وقول رؤبة بن العجاج (السريع)⁴:

داينتُ أروى والديونُ تُقضى فمطّلتُ بعضاً وأدتُ بعضاً

فكل هذا هو الدين المجازي الذي لا يكتب ولا يُشهد عليه، ولما كان المراد في الآية الكريمة تبين الدين المالي الذي يُكتب ويُشهد عليه وفيه، وتبيين الأحكام المتعلقة به، وما ينبغي أن يعمل فيه، أوجبت البلاغة أن يقول سبحانه: ﴿بدين﴾ معناه يكتب ويشهد فيه، ليقول: ﴿فاكتبوه﴾ فيعود الضمير على الدين المخصوص الذي يُكتب، لا على مطلق الدين الذي يدلّ عليه ﴿تداينتم﴾⁵.

وتبعه في ذلك الحلبي والنويري وابن الأثير الحلبي والسبكي⁶.

وذكر أن من التشكيك ضرب آخر، وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم بجمل من المعاني في كلامه، كل جملة معطوفة على الأخرى (بأو) التي هي موضوعة للتشكيك لا التي للتخيير والإباحة»⁷.

¹ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص227.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص563. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص279.

³ - هذه عبارة من حديث أوله: «البر لا يبلى والديان لا يموت، اعمل ما شئت فكما تدين تدان»، ينظر: الجامع الصغير، ج2، ص176، وكشف الخفاء، ج2، ص126. نقلا عن المصدران نفسيهما: ص563، ص279.

⁴ - رؤبة بن العجاج: الديوان، شرح عالم نحوي قديم (مجهول)، تحقيق عبد الوهاب عبد الله، مراجعة محمد حسن عبد العزيز، مجمع اللغة العربية، القاهرة، ط1، 2008م، ج2، ص3.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص563. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص279، ص280.

⁶ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص226.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص564. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص280.

وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ﴾ {سورة الأنعام، الآية 93} ¹.

وكقول البحتري (السريع) ²:

كَأَنَّمَا يَبْسُمُ عَنْ لَوْلُوٍ مَنْضَدٌ أَوْ بَرِدٍ أَوْ أَقَاخٍ

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" نوعا منه التبس على بعض المؤلفين حتى أدخله في باب تجاهل العارف، وعرفه بقوله: «وهو أن يرى المتكلم شيئا شبيها بشيء فيشكك نفسه فيه، لقصد تقريب المشبه به، ثم يعود عن المجاز إلى الحقيقة، فيزيل ذلك التشكيك، فإن لم يعد إلى الحقيقة فهو تجاهل العارف وإن عاد فهو التشكيك المحض» ³.

كقول سلم (الطويل) ⁴:

تَبَدَّتْ فَقَلَّتْ الشَّمْسُ عِنْدَ طُلُوعِهَا بَجْدٌ غَنِيٌّ اللَّوْنُ عَنِ أَثَرِ الْوَرَسِ
فَلَمَّا كَرَّرْتُ الطَّرْفَ قُلْتُ لِصَاحِبِي عَلَى مَرِيَّةٍ مَا هَاهُنَا مَطْلَعُ الشَّمْسِ

ثم قال: «فانظر كيف رجع إلى التحقيق بعد التشكيك، وقد خفي هذا الفرق عن "ابن رشيقي" وغيره حتى أدخلوه في باب تجاهل العارف، وهذا خلاف قول أبي تمام (الطويل):

فَوَاللَّهِ مَا أَدْرِي أَحْلَامٌ نَائِمٌ أَلَمَّتْ بِنَا أُمٌّ كَانَ فِي الرِّكْبِ يَوْشَعُ

فإن سلماً رجع عن التشكيك وأبو تمام لم يرجع، فكان بيت سلم من التشكيك المحض، وبيت حبيب من تجاهل العارف، وقد ظهر الفرق بين البابين» ⁵.

8_ التمثيل:

التمثيل لغة هو التشبيه، جاء في لسان العرب: «مثل: كلمة تسوية، يقال: هذا مثله، كما يقال شَبَّهُهُ وشَبَّهَهُ» ⁶.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 280.

² - البحتري: الديوان، مج 1، ص 176.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 564.

⁴ - المصدر نفسه: ص 564.

⁵ - المصدر نفسه: ص 564.

⁶ - ابن منظور: لسان العرب، مادة (مثل).

جعل "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) التمثيل من نعوت ائتلاف اللفظ والمعنى، وعرفه بقوله: «وهو أن يريد الشاعر إشارة إلى معنى فيضع كلاما يدل على معنى آخر، وذلك المعنى الآخر والكلام منبئان عما أراد أن يشير إليه»¹.

وأطلق عليه "العسكري" (ت395هـ) اسم المماثلة، ونقل مفهوم "قدامة" له مع تغيير بسيط في الصياغة².

وجعله "ابن رشيق" (ت456هـ) ضربا من الاستعارة تارة، ونوعا من الإشارة تارة أخرى، وهذا في قوله: «ومن ضروب الاستعارة التمثيل، وهو المماثلة عند بعضهم، وذلك أن تمثل شيئا بشيء فيه إشارة»³.

وعدّ "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) التمثيل ضمن نعوت الفصاحة والبلاغة، وعرفه بقوله: «أن يراد معنى فيوضح بألفاظ تدل على معنى آخر وذلك المعنى مثال للمعنى المقصود»⁴.

والتمثيل عند "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) هو التشبيه التمثيلي، وسيأتي الحديث عنه في باب التشبيه إن شاء الله تعالى .

وجعل "ابن الأثير" (ت637هـ) التمثيل قسما من أقسام الكناية، وعرفه بقوله: «هو أن تزد الإشارة إلى معنى، فيوضع لفظ لمعنى آخر، ويكون ذلك مثلا للمعنى الذي أريدت الإشارة إليه، قولهم: فلان نقي الثوب، أي منزه من العيوب»⁵.

ويتفق "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) مع "قدامة" فيما ذهب إليه، حيث ذكر أن هذا الباب أيضا مما فرعه الأخير من ائتلاف اللفظ مع المعنى، وقال في تعريفه: «هو أن يريد المتكلم معنًى فلا يعبر عنه بلفظه الخاص، ولا بلفظي الإشارة ولا الإرداف، بل بلفظ هو أبعد من لفظ الإرداف قليلا يصلح أن يكون مثلا للفظ الخاص، لأن المثل لا يشبه المثل من جميع الوجوه، ولو تماثل المثلان من كل الوجوه لا تحدا، وعلى هذا لا يكون قرب التمثيل من

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص158.

² - بنظر: العسكري: الصناعتين، ص353.

³ - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص277.

⁴ - ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص232.

⁵ - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص58.

الحقيقة كقرب الإرداف، لما بين الإرداف والحقيقة من القرب لِمَمَاسَةِ الرَّدِّفِ الرَّدِّفِ بخلاف المثل من المثل»¹.

وعلى الرغم مما ذكره فرقا بين المصطلحين فإن بعض شواهد التي جاء بها في باب التمثيل كان قد استشهد بها في باب الإرداف والتتبع. وهذا من التداخل غير المحمود في مجال المصطلح.

كقوله تعالى: ﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ﴾ {سورة هود، الآية 44}². تم شرح الآية في باب الإرداف والتتبع .

وقوله تعالى: ﴿وَقُضِيَ الْأَمْرُ﴾ {سورة هود، الآية 44}، بمعنى هلك من قُضِيَ هلاكه، ونجا من قدرت نجاته، وإنما عدل عن اللفظ الخاص إلى لفظ التمثيل لأمرين: أحدهما اختصار أمر اللفظ، والثاني كون الهلاك والنجاة كانا بأمر مطاع، ولا يحصل ذلك من اللفظ الخاص³.

وكان "ابن أبي الإصبع المصري" قد استشهد بهاتين الآيتين في باب الإرداف والتتبع. وقد استشهد على التمثيل من السنة الشريفة بقول الرسول صلى الله عليه وسلم حكاية عن بعض النسوة، في حديث أم زرع: «زوجي ليل تهامة، لا حرٌّ ولا برد، ولا وخامة ولا سامة»⁴. وحقيقة ذلك أن زوجها حسن العشرة مع نساءه، فعدلت عن اللفظ الموضوع له إلى لفظ التمثيل لما فيه من الزيادة، وذلك تمثيلها الممدوح بليل تهامة المعتدل، فتضمن ذلك وصفه باعتدال المزاج المستلزم حسن العشرة، وكمال العقل، اللذين يُنتِجان لِينَ الجانب، وطيب المعاشرة⁵.

يتابع تحليله للحديث ويرى بأنها خصت الليل بالذكر لما في الليل من راحة الحيوان، وخصوصا الإنسان، لأنه يستريح فيه من الكدّ والفكر، ولكون الليل جُعل سَكَنًا، والسكن محل الاجتماع بالحبيب، لا سيما وقد جعلته معتدلا بين الحر والبرد، والطول والقصر، وهذه صفة

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص85. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص214.

² - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص85.

³ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص214.

⁴ - المصدر نفسه: ص214.

⁵ - ينظر: المصدر نفسه: ص214.

ليل تهامة، لأن الليل يبرد فيه الجو بالنسبة إلى النهار، لغيبه الشمس، وخلوص الهواء من اكتساب الحر، فيكون في البلاد الباردة شديد البرد، وفي البلاد الحارة معتدل البرد مستطابه، فذلك قالت: زوجي مثل ليل تهامة. وحَدَّفت أداة التشبيه، ليقرب المشبه من المشبه به، وهذا مما يبيِّن لك لفظ التمثيل في كونه لا يجيء إلا مقدرًا بمثل غالباً¹.

أما شواهد الشعرية على التمثيل فقول الرّماح بن مَيّادة(الطويل)²:

ألم أك في يُمنى يديك جَعَلْتِي فلا تَجْعَلْنِي بَعْدَهَا في شمالكا

يلق "ابن أبي الإصبع المصري" على بيت الرّماح بقوله: «فإنّ هذا الشاعر أراد أن يقول: ألم أكن قريباً منك، فلا تجعلني بعيداً عنك، فعدل عن هذا اللفظ الخاص إلى لفظ التمثيل، لما فيه من الزيادة في المعنى، لما تعطيه لفظتا اليمين والشمال من الأوصاف التي لا تحصل إلاً بذكرهما، وذلك لأن اليمين أشدّ قوة من الشمال غالباً وهي أقرب إلى ربّها من الشمال لأنها بها يأخذ، وبها يعطي، وبها يبطش، وهي مكرّمة عنده، قد أهلت لطعامه وشرابه واستغفاره وأذكاره، والشمال مؤهلة لاستجائته، واستنثاره، والمهنة الدنيّة، واسم اليمين مشتقّ من اليمن، وهو البركة، واسم الشمال مشتقّ من الشؤم، وهو ضدّ البركة»³.

ومما يلتحق بهذا الباب كما يرى ابن أبي الإصبع المصري ما يخرج المتكلم مخرج المثل السائر، ومثل له بقوله تعالى: ﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾ {سورة النجم، الآية 58}، وقوله سبحانه: ﴿وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ {سورة النمل، الآية 188}، وقوله عز وجل: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾ {سورة البقرة، الآية 138}، وغيرها من الآي.⁴

وقد جاء منه في السنة النبوية الشريفة قوله صلى الله عليه وسلم: «الحلالُ بيّنٌ والحرامُ بيّنٌ»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «لا ضررَ ولا ضرارَ»، وقوله عليه الصلاة والسلام: «خيرُ الأمورِ أوسطُها»⁵.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 214، 215.

² - المصدر نفسه: ص 215.

³ - المصدر نفسه: ص 215، 216.

⁴ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 216. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 87.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 216.

وذكر أنه استقصى جميع أمثال الكتاب العزيز من السور على ترتيبها، وبوّبه على حروف المعجم في كتاب كبير، وأتبع فيه أمثال القرآن بأمثال الدواوين الستة في السنة: البخاري، ومسلم، والترمذي، والموطأ، والنسائي، وسنن أبي داود مرتباً على الحروف أيضاً، وأتبع ذلك أمثال الأشعار الستة، وأمثال الحماسة، وأمثال قصائد العرب المفردات، كلامية العرب، وقصيدة سويد بن أبي كاهل، ومرثية أبي ذؤيب، ومقصورة ابن دريد، ولامية العجم للطغرائي، وأمثال أعيان المولدين كأبي نواس، وأبي تمام، والبحثري، وابن الرومي، والمنتبي، وسماه (درر الأمثال) ¹.

وكقول أبي تمام (البسيط) ²:

والنارُ قد تُننِضِي مِنْ نَاصِرِ السَّلْمِ

وقوله (البسيط) ³:

لسانُ المرءِ من خِدمِ الفؤادِ

وكل هذه الأمثلة وغيرها مما لم نذكرها لكثرتها مما خرج مخرج المثل السائر. ثم ذكر نوعاً آخر للتمثيل ذهب إليه من جاء بعد "قدامة"، وعرفه بقوله: «هو أن يذكر الشيء ليكون مثلاً للمعنى المراد، وإن كان معناه ولفظه غير المعنى المراد ولفظه» ⁴. ومثل له بقوله تعالى: ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾ (سورة البقرة، الآية 7)، يرى "ابن أبي الإصبع المصري" في تحليله للآية الكريمة أن ألفاظها ومعناها مثال مجازي أتى به لتتبين به حقيقة معنى مراد، لأنه لما كان هؤلاء المخبر عنهم لا ينتفعون بما يسمعون من الزواجر، ولا يرتدعون بما يشاهدون من الآيات، كان امتناعهم من ذلك بختم وغشاوة حالاً بينهم وبين ما يسمعون وما يبصرون وما يعتقدون، إذ لو لم يحل بينهم وبين الانتفاع بهذه الجوارح لسمعوا وأبصروا وعقلوا، فتقدّر هاهنا أداة تشبيه، كأنهم

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 87، 88. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 219.

² - أبو تمام: الديوان، ج 2، ص 93. وهذا عجز بيت له وصدرة: *أخرجتموه بكره من شجيتته*

³ - المصدر نفسه: ج 1، ص 201. وهذا عجز بيت له وصدرة: *ومما كانت الحكماء قالت*

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 85، 86.

لثباتهم على الضلال بمنزلة من خلق الله قلوبهم أعتاما خالية عن الفطن كقلوب البهائم، لذلك قال تعالى: ﴿إِنَّ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ﴾ (سورة الفرقان، الآية 144)¹.

9_ التورية:

التورية لغة من (ورى)، يقال: «وريتُ الخبر: جعلته ورائي وسترته، ووريتُ الخبر أوريه تورية إذا سترته وأظهرت غيره، والتورية: الستر»².

التورية وتسمى كذلك: التوجيه والإيهام والتخييل والمغالطة، والتورية أولى بالتسمية كما يرى "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) لقربها من مطابقة المسمى، لأنها مصدر وريت الخبر تورية إذا سترته وأظهرت غيره، كأن المتكلم يجعله وراءه بحيث لا يظهر³. وتبعه في هذا "ابن معصوم المدني"⁴.

وفي الاصطلاح: «هي أن يُطلق لفظ له معنيان: قريب وبعيد ويراد البعيد منهما»⁵.

وذكر "ابن حجة الحموي" أن التورية جاءت عند المتقدمين على البديهة والارتجال، بلا كلفة كما هو الحال مع باقي الفنون البديعية، يقول: «وكانت خواطر المتقدمين عن نظم التورية بمعزل، وأفكارهم مع صحتها ما خيمت عليها بمنزل، لكنها ربما وقعت عفوا من غير قصد، لأنهم على كل حال ولادة هذا الشأن، وأدلة هذا الركب»⁶.

وقد مثل على ما جاء من التورية في أشعار المتقدمين بقول عمر بن كلثوم في معلقته عن الخمرة (الوافر)⁷:

مُشَعَّعَةٌ كَأَنَّ الحُصَّ فِيهَا إِذَا مَا المَاءُ خَالَطَهَا سَخِينًا

يعلق على البيت موضحا فنّ التورية فيه بقوله: «الشاهد هنا في "سخينا" فإن العرب كانوا يسخنون الماء في الشتاء لشدة برده، ثم يمزجونها به، فسرخينا على هذا التقدير نعت

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص86 ، 87.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (ورى).

3 - ينظر: الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص492.

4 - ينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج5، ص5.

5 - الخطيب القزويني: الإيضاح، ص266.

6 - ابن حجة الحموي: خزنة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص493.

7 - عمر بن كلثوم: الديوان، ص64.

لموصوف محذوف، والمعنى: فأصبحنا شرابا سخينا، وهذا هو المعنى القريب المورى به، ويحتمل السخاء الذي هو عبارة عن الكرم، وهذا هو المعنى البعيد المورى عنه»¹.

ذكر "الجاحظ" (ت255هـ) التورية في كتابه "الحيوان" دون أن يعرفها «التورية بشيء عن شيء»².

وأدخل "العسكري" (ت395هـ) التورية في الكناية في قوله هي: «أن تكتي عن الشيء، وتعرض به ولا تصرّح، على حسب ما عملوا في اللحن والتورية عن الشيء»³.

واعتبر "ابن رشيق" (ت456هـ) التورية من أنواع الإشارة، فقال: «وأما التورية في أشعار العرب، فإنما هي كناية: بشجرة، أو شاة، أو بيضة، أو ناقة، أو مهرة، أو ما شاكل ذلك»⁴.

وعرفها "ابن منقذ" (ت584هـ) بقوله: «اعلم أنّ التورية هي أن تكون الكلمة بمعنيين، فتريد أحدهما، فتورّي عنه بالآخر»⁵. ويبدو أن تعريفه أقرب إلى الاصطلاح.

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فذكر أن التورية تسمى "التوجيه"، وقال في تعريفها: «وهي أن تكون الكلمة تحتمل معنيين، فيستعمل المتكلم أحد احتماليها ويهمل الآخر، ومراده ما أهمله لا ما استعمله»⁶. وهذا التعريف أكثر قربا من الاصطلاح كما ذكر "أحمد مطلوب" ⁷.

وقد جاء من التورية في الكتاب العزيز قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَاللّٰهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ﴾ {سورة يوسف، الآية95}، فانظر إلى كون "الضلال" له محملان، وهما الحب وضدّ الهدى وكيف أهمل أحد الاحتمالين، وهو الحب، واستعمل دلالته على ضد الهدى، والمراد ما أهمل لا ما استعمل ⁸.

1 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص494.
2 - الجاحظ: الحيوان، ج5، ص280.
3 - العسكري: الصناعتين، ص381.
4 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص311.
5 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص60.
6 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص268. وابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص102.
7 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص385.
8 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص102. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص270.

وكقوله عز وجل: ﴿الْيَوْمَ نُنجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ آيَةً﴾ {سورة يونس، الآية 92} ¹.
 يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" الآية حيث يقول: «على رأي من رأى أن البدن هاهنا الدرع، فإن البدن يُطلق على الجسد، وعلى الدرع، وهو بهذا التفسير في الظاهر قد استعمله بمعنى الجسم وأهمل معنى الدرع، ومراده ما أهمل لا (معنى) ما استعمل، فإن نجاة فرعون، أي خروجه من البحر بعد الغرق أعجب آية من خروجه مجردا» ².

كما استشهد عليها من الشعر بقول عمر بن أبي ربيعة (الخفيف) ³:

أَيُّهَا الْمَنْكِحُ الثَّرِيًّا سُهَيْلًا عَمَّرَكَ اللَّهُ كَيْفَ يَجْتَمَعَانِ
 هِيَ شَامِيَّةٌ إِذَا مَا اسْتَقَلَّتْ وَسُهَيْلٌ إِذَا اسْتَقَلَّ يَمَانِ

فذكر الشاعر لفظتي "الثريا وسهيل" يوهم المتلقي أنه يريد النجمين المشهورين، لأن الثريا من منازل القمر الشامية، وسهيل من النجوم اليمانية، وهو يريد صاحبه الثريا، وكان أبوها قد زوجها برجل من أهل اليمن يسمى سهيلا، فتمكن للشاعر أن ورى بالنجمين عن الشخصين، ليبلغ من الإنكار على من جمع بينهما ما أراد، عن طريق (التورية المرشحة)، فلفظة "المنكح" ترشيح لها ⁴.

وكذلك قول القاضي عياض في صيفية باردة (البيسط) ⁵:

كَأَنَّ كَانُونَ أَهْدَى مِنْ مَلَابِسِهِ لَشَهْرٍ تَمُوزَ أَنْوَاعًا مِنَ الْخُلْلِ
 أَوْ الْغَزَالَةَ مِنْ طَوْلِ الْمَدَى خَرِفْتُ فَمَا تُفَرِّقُ بَيْنَ الْجَدِيِّ وَالْحَمْلِ

وعلى غير عادته لم يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" هذا الشاهد، واكتفى بقوله: «وما رأيت لعربي ولا لعجمي مثل تورية وقعت للقاضي عياض صاحب "الشا في تعريف حقوق المصطفى" صلى الله عليه وسلم_ وصاحب "الإكمال في شرح مسلم"، وغيرهما في بيتين وصف فيهما صيغة نادرة...» ⁶.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 102.

² - المصدر نفسه: ص 102، 103..

³ عمر بن أبي ربيعة: الديوان، ص 495. في الديوان (بالتقيان) بدل (بجتماع).

⁴ - بنظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 268.

⁵ - المصدر نفسه: ص 270.

⁶ - المصدر نفسه: ص 269. ويبدو أن قوله: (صيغة نادرة) خطأ مطبعي.

وقد ذكر "الخطيب القزويني" (ت739هـ) هذين البيتين¹، ولم يشرح التورية الموجودة فيهما كسابقه"ابن أبي الإصبع المصري". ولكن السعد شرح مقصد "الخطيب القزويني" من هذا الشاهد في قوله: «يعني كأن الشمس من كبرها وطول مدتها صارت خَرَفَة قليلة العقل، فنزلت في برج الجَدِي في أوان الحلول ببرج الحَمَل، أراد بالغزالة معناها البعيد، _ أعني: الشمس_، وقد قرن بها ما يلائم المعنى القريب الذي ليس بمراد_ أعني الرشاء_، حيث ذكر الخرافة، وكذا ذكر الجدي والحمل، وقد يكون كل من التوريتين ترشيحا للأخرى»².

10_ الترشيح:

الترشيح لغة من (رشح)، جاء في اللسان: «الرشح: ندى العرق على الجسد، والترشيح الترية والتهيئة للشيء، ورُشِحَ للأمر: رُيَّ له وأهَّل، ورشح الغيث النبات: رياه، ورشحت الأرض البُهْمى: ربتها وبلغت بها»³.

وقد نقل هذا المعنى وهو الإتيان بشيء يؤهل لشيء آخر على سبيل المشابهة إلى الاصطلاح كما عرفها"ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) في قوله: «وهو أن يؤتى بكلمة لا تصلح لضرب من المحاسن حتى يؤتى بلفظة تؤهلها لذلك»⁴.

وقد استشهد على الترشيح من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿أُنذِرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ {سورة يوسف، الآية42}، فلفظة ﴿رَبِّكَ﴾ رشحت لفظة ﴿رَبِّهِ﴾ لأن يكون تورية، إذ يحتمل أن يراد بها الإله_ سبحانه وتعالى_ وأن يراد بها الملك، ولو اقتصر على قوله تعالى: ﴿فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ﴾ دون قوله: ﴿أُنذِرُنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ لم تدل لفظة ﴿رَبِّهِ﴾ إلا على الإله فحسب، فلما تقدّمت لفظة ﴿رَبِّكَ﴾ صلحت الأولى للمعنيين⁵.

¹ - ينظر : الخطيب القزويني: الإيضاح، ص267.

² - عواطف بنت صالح بن سالم الحربي: البديع بين أبي الإصبع المصري والخطيب القزويني ، ص315.

³ - ابن منظور: لسان العرب، مادة(رشح).

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص271. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص103.

⁵ - ينظر: المصدران نفسيهما ، ص273 ، 274.. و ص103 ، 104.

وذكر أن الترشيح يكون للتورية وللاستعارة وللمطابقة وغيرها، وتابعه في ذلك "ابن معصوم المدني" (ت1120هـ) في قوله: «إن الترشيح لا يختص بنوع من البديع، فمن زعم أنه ضرب من التورية فلا معنى لجعله نوعاً برأسه، فقد توهم¹».

وفزق "ابن أبي الإصبع المصري" بين الترشيح والاستعارة والتورية من ثلاثة أوجه²:

الأول أن من التورية ما لا يحتاج إلى ترشيح، وهي التورية المحضة.

والثاني أن الترشيح لا يخص التورية دون بقية الأبواب، بل يعم الاستعارة والطباق وغيرها

من كثير من الأبواب، فخذ مثلاً قول المتنبي (الكامل):

وخفوق قلب لو رأيت لهيبه يا جنّتي لظننت فيه جهنماً

فقد رشحت لفظة "ياجنّتي" لفظة "جهنم" للمطابقة، ولو قال مكانها "يا منيتي" لم يكن في البيت طباق.

والثالث أن لفظة الترشيح في الكلام المورى غير لفظة التورية، فإن التورية في قول

علي رضي الله عنه - للأشعث بن قيس: «وهذا كان أبوه ينسج الشمال باليمين»، في لفظة الشمال، والترشيح في لفظة اليمين.

ومثّل على ترشيح الاستعارة بقول بعض العرب (الطويل)³:

إذا ما رأيت النسر عزّ ابن داية وعشش في وكزيه طارت له نفسي

فقد شبه الشاعر الشيب بالنسر لاشتراكهما في البياض، والشعر الأسود بابن داية، وهو الغراب لاشتراكهما في السواد، فاستعار بذلك التعشيش من الطائر للشيب لما سمّاه نسراً، ورشح به إلى ذكر الطيران الذي استعاره من الطائر لنفسه، فقد رشح باستعارة إلى استعارة.

وأما ترشيح التشبيه فقد مثل له بقول النابغة الذبياني (الطويل)⁴:

إذا استنزلوا عنهنّ للطعن أرقلوا إلى الموت إرقال الجمال المصاعب

¹ - ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص173.

² - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص271، 272.

³ - ينظر: المصدر نفسه: ص274.

⁴ - النابغة الذبياني: الديوان، ص44. الأرقال: ضرب من السير. والشاعر يصف قوماً بالشجاعة في الحرب. والمصاعب: جمع ومصعب: هو الفحل المتخذ الفحلة.

فإنه رشح بالاستعارة في قوله: أرقلوا إلى التشبيه في قوله: إرقال الجمال، فهو تشبيه بغير أداة، وفحول النقاد تسمى هذا النوع من التشبيه استعارة .

واستند الحموي والسيوطي والمدني إلى ما ذكره ابن أبي الإصبع المصري عن هذا المصطلح لأنه من أوائل الذين حدّوه¹ .

11_ التوهيم:

التوهيم لغة من وهم، و« والوَهْمُ: من خطرات القلب، والجمع أوهام، وتوَهَّم الشيء: تخيله وتمثله، كان في الوجود أم لم يكن، ووَهَّمَت إلى الشيء: إذا ذهب قلبك إليه وأنت تريد غيره، وأوهمت الشيء إذا أغفلته، ويُقال: وهِمْتُ في كذا وكذا، أي غلّطت، ووهم في الصلاة وهما ووهم: كلاهما: سها»² .

التوهيم من المصطلحات التي ابتكرها "ابن منقذ" (ت584هـ)³، حيث عرفه بقوله: «هو أن تجيء الكلمة توهم أخرى»⁴ .

وقد مثل له بقوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُؤْفِيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [سورة النور، الآية 25]، فقوله سبحانه وتعالى: ﴿يؤفّيهم﴾ يوهم من لا يحفظ دينهم، أنها دِينُهُم بالفتح، ودينهم تعني جزاؤهم⁵ . وكقول المتنبي (المقارب)⁶:

وإنّ الفِئام التي حوّلَه لتَحسُدُ أرجلَهَا الأروُسُ

يعلق "ابن منقذ" على بيت المتنبي بقوله: «قوله الأروُسُ يوهم أنها القيام بالقاف، وإنّما هو القيام بالفاء، وهم الجماعات»⁷ .

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فقد تابع "ابن منقذ" في هذا المصطلح ولكنه كان أكثر توسعا منه، حيث فرّع منه أنواعا كثيرة، وأكثر من تحليل الشواهد القرآنية

1 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج2، ص133.

2 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(وهم).

3 - ينظر: أحمد يحيى علي الدليمي، المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ، ص180.

4 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص86.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص86.

6 - المتنبي: الديوان، ج1، ص441.

7 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص87.

والشعرية. وعرفه بقوله: «وهو أن يأتي المتكلم في كلامه بكلمة يوهم ما بعدها من الكلام أن المتكلم أراد تصحيفها، ومراده على خلاف ما يتوهمه السامع فيها»¹.

وذكر أنه لم يظفر بهذا القسم في الكتاب العزيز بشيء وإن جاء في الشعر، ونقل شاهد "ابن منقذ" وهو قول المتنبي السابق (المقارب):

وإنّ الفئام التي حوله لتحدُّ أرجلها الأروُسُ

يقول "ابن أبي الإصبع المصري" معلقا على البيت: «فإن لفظة "الأرجل" أوهمت السامع أن لفظة "الفئام" بالقاف، ومراد الشاعر الفئام بالفاء التي هي الجماعات، هكذا روي البيت، والمبالغة تقتضيه، إذ القيام بالقاف يصدق على أقل الجمع من العدد»².

ومن التوهيم ضرب آخر، وهو أن يأتي المتكلم بلفظة يوهم بها أن في كلامه لحنا خارجا عن اللسان³. وقد استشهد عليه بقوله تعالى: ﴿وَإِنْ يُقَاتِلُوكُمْ يُؤَلُّوكُمْ الْأُدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ﴾ {سورة آل عمران، الآية 111} ، ثم نجده يعلق على الآية الكريمة مستثمرا معرفته في علمي النحو والتفسير، إذ استطاع بفضلها أن يخرج الآية تخريجا يؤدي إلى المعنى المقصود، وينعى على النحويين تخريجهم عطف غير المجزوم على المجزوم ، يقول: «وهذه الآية خولف فيها طريق الإعراب في الظاهر، من جهة عطف ما ليس بمجزوم على مجزوم، ليعدل عن الظاهر إلى تأويل يصحح المعنى المراد، فإن المراد _ والله أعلم _ بشارة المسلمين بأن هذا العدو لا ينصر أبدا ما قاتل المسلمين، ليكتمل سرور المسلمين بخذلان عدوهم في الحال و أبدا في الاستقبال، ولو عطف الفعل على ما تقدم على قاعدة العربية الظاهرة لما أفاد سوى الإخبار بأن العدو لا ينصر في الحال، وهو زمان المقاتلة، ووقت التولية، ولا يعطى ذلك خذلانهم على الدوام في كل حال، فقد قال النحاة: إن الوجه في هذا الموضع أن يقال: هو من عطف الجملة على الجملة، فإن التقدير: ثم هم لا ينصرون»⁴.

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص349. ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص132.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص349.

3 - ينظر: المصدر نفسه: ص350. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 132.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص132. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص350.

ولكن هذا الكلام وذلك التخريج لم يعجبه، فعَلَّقَ عليه بما يدل على فهمه للنحو والتفسير وحذقه بهما، ومعرفته التامة بأسباب النزول فقال: وعلى هذا التخريج أي تخريج النحويين لا يزال الإشكال باقيا ومع ذلك فإنه يقال: لم عدل عن مجيء الكلام على قاعدة العربية المعروفة إلى ما يحتاج إلى التأويل؟ وهلا قيل: و إن يقاتلوكم يولوكم الأذبار ثم لا ينصروا؟.. فيحتاج المجيب إلى أن يقول: لما كان مجيء الكلام على ما ذكرت غير محتاج إلى تأويل لا يوفي بالمعنى المراد، لأن المعنى المراد بشارة المسلمين أن عدوهم متى قاتلهم كان مخذولا. و مجيء الكلام على ما ذكر المعترض لا يوفي بذلك المعنى، فإنه لا يعطى إلا عدم النصر حالة المقاتلة وحسب، فعدل عن ذلك إلى ما جاء به التنزيل، ليكون مجيء الثاني غير مجزوم، وقد عطف على مجزوم منبها السامع إلى السبب الذي من أجله عدل عن قاعدة الإعراب، فيفطن إلى أن ذلك إشارة إلى خذلان العدو أبدا ما قاتل المسلمين لمجيء الفعل دالا على الحال والاستقبال. أما الحال فخذلان العدو حالة القتال، وأما الاستقبال فالبشارة بأنه كذلك ما وقع منه القتال، ولذلك عطف ب: «ثم» لدالتها على التراخي والمهلة لأنها دون سائر حروف العطف ملائمة لما عطفه من الفعل الدال على الاستقبال¹.

ومن التوهيم ما يأتي ظاهره يوهم أن الكلام قد قُلب عن وجهه لغير فائدة، كقوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَاءً وَنِدَاءً﴾ [سورة البقرة، الآية 171]².

يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" الآية الكريمة موضحا هذا القسم من التوهيم في قوله: «ولو جاء الكلام على وجهه لقليل: ومثل الذي تدعوا الذين كفروا كمثل الذي ينعق، أو يقال: ومثل الذين كفروا كمثل الضأن، ومثل الذي يدعوهم كمثل الذي ينعق، فيقال: ما الفائدة في قلب هذا الكلام عن وجهه؟. فأقول: جرت العادة عند أهل اللسان أنهم يقبلون الكلام إذا أفاد قلبه فائدة لا يفيدها وهو على وجهه، والفائدة التي أفادها هذا القلب مجيء

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص132 ، 133.

² - المصدر نفسه: ص136.

الكلام غير منقّر عن الرسول متضمنا أدبا معه_صلى الله عليه وسلم_ فإن الكلام لو جاء على وجهه كما قيل أنفا بحيث يقال: ومثل الذين كفروا كمثل الضأن المنعوق بها، ومثل الرسول الداعي لهم كمثل راعي الضأن الذي يُنعق بما لا يسمع، والتصريح بتشبيه الكفار بالضأن، وهي عند العرب شرٌّ مال... وفي التصريح بتشبيه الرسول_صلى الله عليه وسلم_ بالراعي الذي ينعق بالضأن غضّ من جلالته، ومخالفة الأدب في مخاطبته»¹.

وأما القسم الذي يوهم ظاهره أن نظم الكلام جاء على غير طريق البلاغة لكون لفظه غير مؤتلف بمعناه، لما ترى بين الألفاظ من سوء الجوار لعدم الملاءمة، وإذا تُؤمّل بعض التأمل، وُجد جاريا على منهج البلاغة، بحيث لو جاء على ما توهمه المعترض لكان النظم معيبا، وقد استشهد عليه بقوله عز وجل: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ﴾ {سورة هود، الآية 24}².

يحلل "ابن أبي الإصبع المصري" الآية موضحا هذا القسم من التوهم، حيث يرى أنّ العارف بظاهر نظم الكلام وتهذيبه دون باطنه، وأن نظم هذه الآية قد جاء على غير طريق البلاغة، فإن طريق البلاغة أن يقال: كالأعمى والبصير، والأصمّ والسميع، ليلتئم بعض الألفاظ بعضا، فتأتلف بمعانيها، ويأتي في كل جملة من الجملتين طباق لفظي، والأمر على خلاف ما توهمه، لأن في الكلام على الترتيب الذي جاء عليه تصحيح المعنى، وفيه على ما توهمه المتوهم فساد المعنى، وذلك أنه سبحانه قال: ﴿مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ﴾ فاقتضى الفريقين تفسيرهما فقال: كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، ليكون المشبه به قسمين، وليكون المشبه وفق عدد الفريقين، أحد القسمين مبتلى، والآخر معافى، ليضادّ بين القسمين حتى يصح السؤال عن التسوية بينهما مع تضادّهما من باب تجاهل العارف للسؤال عن معلوم، لقصد التوبيخ، ولو قيل كالأعمى والبصير لكانت هذه الجملة فريقين، ثم يعود فيقول: والأصمّ والسميع فتكون الجملة الأخرى فريقين آخرين، فيكون قد فسّر الفريقين بأربعة، وهذا

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 136 ، 137.

² - المصدر نفسه : ص 137.

فساد ظاهر، فلذلك عدل عن الملاءمة في ظاهر الكلام إلى ما هو أهم منها، وهو تصحيح المعنى المراد¹.

وقال في آخر باب التوهيم من كتاب "تحرير التحبير": «ومن التوهيم توهيم يوهم أنه طباق أو تورية، أو غير ذلك من المحاسن وليس عند التحقيق كذلك»²، كقول أبي تمام (الطويل)³:
تَرَدَّى ثِيَابَ الْمَوْتِ حُمْرًا فَمَا أَتَى لَهَا اللَّيْلُ إِلَّا وَهِيَ مِنْ سُنْدُسٍ خُضْرُ
فقوله: حمر، وخضر يوهم أنه طباق، وليس بطباق، لأن الأحمر لا يضاد الأخضر، فهذا شاهد توهيم المطابقة.

ثم ذكر شاهد توهيم التورية، وهو قوله (البسيط)⁴:

رَمَى - وَلَا وَتْرَ عِنْدِي - قَوْسٌ حَاجِبُهُ قَلْبِي فَقَدَّرْتُ أَنْ الْقَوْسَ مَوْتُورٌ

يحلل شعره في قوله: «فإن لفظة "موتور" توهم أن فيها تورية، وليست بتورية، لأن الصحيح أن يقال: قوس موترة لا موتورة، لأنها من فعل رباعي، والموتور هو الذي تار لطلب وتره، والوتر والترة والتار بمعنى»⁵.

مما تقدم نلاحظ أن التوهيم يلتبس عنده بالتورية، لكنه لم ينبه على الفرق بينهما كعادته، وقد ذكر المحقق أن الفرق بينهما من ثلاثة أوجه: «الأول أن التورية توهم وجهين صحيحين قريبا وبعيدا، والمراد البعيد منهما، والتوهيم يوهم صحيحا وفسادا والمراد الصحيح منهما، والثاني أن التورية لا تكون إلا باللفظة المشتركة، والتوهيم يكون بها وبغيرها، والثالث أن إيهام التورية مما يتعمده الناظم، والتوهيم مما يتوهمه القارئ أو السامع»⁶.

ورأى "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) أن ينتظم التوهيم والترشيح في سلك باب التورية، فيذكر التوهيم مع إيهامها والترشيح مع المرشحة⁷.

¹ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 137، 138.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص351.

³ - أبو تمام: الديوان، ج2، ص219.

⁴ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص351 شعره.

⁵ - المصدر نفسه: ص351.

⁶ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص349 من حاشية المحقق. وينظر: ابن معصوم المدني: أنوار الربيع في أنواع البديع، ج6، ص38.

⁷ - ينظر: ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص788.

الفصل الخامس

مصطلحات الصورة الفنية

1_ الاستعارة:

للاستعارة في اللغة معان عدة، منها: الطلب والتداول والانتقال، ورد في اللسان « العارية والعارية: ما تداولوه بينهم. والمعاورة والتعاور: شبه المداولة والتداول في الشيء يكون بين اثنين. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه»¹.

والاستعارة عند البلاغيين « أن تذكر أحد طرفي التشبيه وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، ودالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به»². وتعد الاستعارة من فنون البلاغة المهمة في التصوير ولذلك أولاهما القدماء عناية فائقة، ونظروا إليها على أنها علاقة لغوية قائمة على المشابهة شأنها في ذلك شأن التشبيه، ولكنها تتميز عنه «بأنها تعتمد على الاستبدال أو الانتقال بين الدلالات الثابتة للكلمات المختلفة. وأقصد بذلك أن المعنى لا يقدّم فيها بطريقة مباشرة، بل يقارن أو يستبدل بغيره على أساس من التشابه. فإذا كنا نواجه في التشبيه طرفين يجتمعان معاً، فإننا في الاستعارة نواجه طرفاً واحداً يحل محل طرف آخر ويقوم مقامه لعلاقة اشتراك شبيهة بتلك التي يقوم عليها التشبيه»³.

ولعل الجاحظ (ت255هـ) أول من عرفها بقوله: «الاستعارة تسمية الشيء باسم غيره إذا قام مقامه»⁴. وتعريف الجاحظ ليس فيه قيد أو شرط، إذ من الممكن دخول أنواع المجاز فيه.

وذكر ابن قتيبة (ت276هـ) أن «العرب تستعير الكلمة فتضعها مكان الكلمة إذا كان المسمى بها بسبب من الأخرى أو مجاوراً لها أو مشاكلاً»⁵. الملاحظ على تعريف ابن قتيبة أنه يشمل بعض وجوه المجاز ولا سيما المجاز المرسل الذي يقوم على علاقة المجاورة.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (عور)

2 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص369.

3 - جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، ص201.

4 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص153.

5 - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص135.

وعرّفها "ثعلب" (ت291هـ) بقوله: «أن يستعار للشيء اسم غيره، أو معنى سواه»¹، وهذا التعريف لا يخرج عن تعريف "الجاحظ" لها.

وجعل "ابن المعتز" (ت296هـ) الاستعارة أول أبواب البديع، وعرّفها بأنها: «استعارة الكلمة لشيء لم يعرف بها من شيء قد عرف بها»²، وهذا التعريف وإن لم يشر فيه "ابن المعتز" إلى علاقة المشابهة إلا أننا نجد أدق من التعريفات السابقة له.

وقال "الرماني" (ت386هـ) في تعريفها بأنها: «تعليق العبارة على غير ما وضعت له على جهة النقل للإبانة»³، لا نجد في تعريف "الرماني" خروجاً عن التعريفات السابقة، ولكن أمثله لم يكن فيها خلط بين الاستعارة والمجاز المرسل.

وعرّفها "القاضي الجرجاني" (ت392هـ) تعريفاً يختلف عما سبق بقوله: «الاستعارة ما اكتفى فيها بالاسم المستعار عن الأصل ونقلت العبارة فجعلت في مكان غيرها، وملاكها تقريب الشبه ومناسبة المستعار له للمستعار منه، وامتزاج اللفظ بالمعنى، حتى لا يوجد بينهما منافرة ولا يتبين في أحدهما إعراض عن الآخر»⁴، وهذا التعريف أكثر وضوحاً وأعمق دلالة، فهو يوضح العلاقة بين المستعار له والمستعار منه وهي المشابهة، وملاكها تقريب الشبه وائتلاف ألفاظ صورتها مع معانيها حتى لا توجد منافرة بينهما⁵.

وجعل "العسكري" (ت395هـ) الاستعارة أول باب من أبواب البديع، وسماه "في الاستعارة والمجاز"، وتوسع في مفهومه لها بأنها: «نقل العبارة عن موضع استعمالها في أصل اللغة إلى غيره لغرض، وذلك الغرض إما أن يكون شرح المعنى وفضل الإبانة عنه، أو تأكيده والمبالغة فيه، أو الإشارة إليه بالقليل من اللفظ، أو تحسين المعرض الذي يبرز فيه»⁶.

1 - ثعلب: قواعد الشعر، ص53.

2 - ابن المعتز: البديع، ص2.

3 - الرماني: النكت في إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل، ص85.

4 - القاضي الجرجاني: الوساطة بين المتنبي وخصومه، ص45.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص139.

6 - العسكري: الصناعتين، ص268.

والاستعارة أول أبواب البديع عند "ابن رشيق القيرواني" (ت456هـ) ورأى أنها أفضل من المجاز، وعدها من محاسن الكلام إذا وقعت موقعها ونزلت موضعها، ولكنه لم يعرفها ونقل تعريفات كل من "القاضي الجرجاني، وابن وكيع، وابن جني، والرماني" ¹.

وعرفها "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) تعريفاً دقيقاً فيه تحديد وضبط لهذا المصطلح، في قوله: «الاستعارة أن تريد تشبيه الشيء بالشيء، فتدع أن تفصح بالتشبيه وتظهره، وتجيء إلى اسم المشبه به فتعيّره المشبه وتجرّيه عليه» ².

كما أبرز قيمتها وفضيلتها في قوله: «إنها تبرز هذا البيان أبداً في صورة مستجدة تزيد قدره ثبلاً، وتوجب له بعد الفضل فضلاً... وتعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ، حتى تخرج من الصدفة الواحدة عدّة من الدرر، وتجني من الغصن الواحد أنواعاً من الثمر... فإنك لترى بها الجماد حياً ناطقاً، والأعجم فصيحاً، والأجسام الخرس مبيّنة، والمعاني الخفية بادية جلية... إن شئت أرتك المعاني اللطيفة التي هي من خبايا العقل، كأنها قد جسّمت حتى رأتها العيون، وإن شئت لطّفت الأوصاف الجسمانية حتى تعود روحانية لا تتالها إلا الظنون» ³.

ولا يختلف تعريف "الرازي" (ت606هـ) للاستعارة عن تعريف "عبد القاهر الجرجاني"، حيث يقول: «الاستعارة، عبارة عن جعل الشيء الشيء، أو جعل الشيء للشيء لأجل المبالغة في التشبيه» ⁴.

والاستعارة أحد فصول المجاز عند "السكاكي" (ت626هـ)، وقد عزّفها بقوله: «هي أن تذكر أحد طرفي التشبيه، وتريد به الطرف الآخر، مدعياً دخول المشبه في جنس المشبه به، دالاً على ذلك بإثباتك للمشبه ما يخص المشبه به» ⁵. ويُعدُّ تعريف "السكاكي" من أدق التعريفات ذلك أنه حصر الاستعارة التصريحية والاستعارة بالكناية أو المكنية ⁶.

¹ - ينظر: ابن رشيق: العمدة، ج1، ص268 - 271.

² - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص67.

³ - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص42، 43..

⁴ - فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص133.

⁵ - السكاكي: مفتاح العلوم، ص369.

⁶ - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج1، ص140.

ثم عرض لأقسام الاستعارة وهي عنده: الاستعارة المصرح بها التحقيقية مع القطع، والاستعارة المصرح بها التخيلية مع القطع، والاستعارة المصرح بها المحتملة للتحقيق والتخييل، والاستعارة بالكناية، والاستعارة الأصلية، والاستعارة التبعية¹.

وحدّها "ابن الأثير" (ت637هـ) بقوله: «حدُّ الاستعارة نقل المعنى من لفظ إلى لفظ، لمشاركة بينهما، مع طيِّ ذكر المنقول إليه؛ لأنه إذا احترز فيه هذا الاحتراز اختص بالاستعارة؛ وكان حدًّا لها دون التشبيه»².

وجعل "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) الاستعارة أول أبواب البديع، وجاء تناوله لها بشكل موسع، ذلك أنه ذكر أقسامها، ومطلوباتها، وأصولها، واستشهد عليها بشواهد كثيرة في كتابه _ بلغت اثنين وعشرين شاهدا بشرح مفصل لمعظمها.

ونقل "ابن أبي الإصبع المصري" تعريفي "الرماني وابن المعتز"، ثم ذكر أن "ابن الخطيب" قد أبطل تعريف "الرماني" من أربعة أوجه³:

الأول: أنه يلزم أن يكون كل مجاز استعارة، وهذا باطل.

الثاني: أن تكون كل الأعلام المنقولة استعارة، وهو محال.

الثالث: أن يكون ما استعمل من اللفظ على سبيل الغلط في غير موضعه للجهل به استعارة، ولهذا الوجه عند "ابن أبي الإصبع" نظر.

الرابع: أن هذا التعريف، يعني تعريف الرماني، لا يتناول الاستعارة التخيلية.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" تعريف "فخر الدين الرازي" للاستعارة وهو: «الاستعارة ذكر الشيء باسم غيره وإثبات ما لغيره له لأجل المبالغة في التشبيه»⁴.

وعرفها هو بقوله: «هي تسمية المرجوح الخفي باسم الراجح الجلي»⁵، وزعم أن تعريفه أرق من تعريف "فخر الدين الرازي" وعلل ذلك في قوله: «لأنك إذا سميت المرجوح الخفي

¹ - ينظر: السكاكي: مفتاح العلوم، ص374.

² - ابن الأثير: المثل السائر، ج2، ص83.

³ - ينظر: فخر الدين الرازي: نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، ص 132 ، 133.

⁴ - المصدر نفسه: ص133.

⁵ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص19. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحرير، ص97.

باسم الراجح الجلي فقد جعلت ما للراجح الجلي للمرجوح الخفي من الرجحان والظهور، فتكون قد بالغت في تشبيه المستعار له بالمستعار منه»¹.

وقد حدد ثلاثة أشياء أصول لا تصح استعارة بغيرها، وهي: المستعار منه، والمستعار له، والمستعار². فالمستعار منه: هو المشبه به، والمستعار له: هو المشبه، والمستعار: هو اللفظ المنقول.

ويسمى الأول والثاني طرفي الاستعارة، ولا بد من أن يحذف أحد الطرفين ويحذف معه المعنى المشترك لتمييز الاستعارة عن التشبيه.

وقسم الاستعارة إلى ضربين: مرشحة ومجردة، لأن المتكلم إما أن يراعي جانب المستعار منه، وهو الترشيح، أو أن يراعي جانب المستعار له فقط، وهو التجريد³.

ومثل على المرشحة بقوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ فَمَا رَبِحَت تِّجَارَتُهُمْ﴾ {سورة البقرة، الآية 16}.

يوضح "ابن أبي الإصبع المصري" مثاله هذا بقوله: «فإن المستعار منه الذي هو الشراء هو المراعى هاهنا، وهو الذي رشح لفظي الربح والتجارة للاستعارة لما بين الشراء والربح والتجارة من الملاءمة»⁴.

ومثل على المجردة بقوله تعالى: ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾ {سورة النحل، الآية 112}.

يوضح هذا الضرب من الاستعارة في قوله: «فإن هذه الآية لو نُظر فيها إلى المستعار وهو اللباس لقليل: فكساها الله لباس، ولكنها نظر فيها إلى المستعار له وهم المفعول بهم»⁵.

ثم ذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن كلا من الاستعارتين تنقسم إلى قسمين: قسم يأتي الكلام فيه على وجهه فلا يفيد إلا بعض مطلوبات الاستعارة، ومطلوباتها ثلاثة: المبالغة في

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 19.

2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 98.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 98.

4 - المصدر نفسه: ص 98.

5 - المصدر نفسه: ص 98.

التشبيه، والظهور، والإيجاز، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ {سورة الزخرف، الآية4}، فقد استعير لفظ الأم للأصل، لأن الأولاد تنشأ من الأم كما تنشأ الفروع من الأصول، والحكمة من ذلك تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئياً، والأم أظهر للحس من الأصل،¹.

وقسم يأتي الكلام فيه على غير وجهه، فيفيد جميع مطلوبات الاستعارة، ومثّل له بقوله تعالى: ﴿وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا﴾ {سورة مريم، الآية4}، فإن وجه الكلام فيه أن يقال: واشتعل شيب الرأس، وإنما قلب لما يحصل في قلبه من المبالغة، لأنه في حالة القلب يستفاد منه عموم الشيب لجميع الرأس، وليس كذلك لو جاء الكلام على وجهه².

ومن أمثلة هذا القسم كذلك، قوله تعالى: ﴿وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾ {سورة القمر، الآية12}، ولو قيل: وفجرنا عيون الأرض، لم يفد أن الأرض كلها صارت عيوناً، ويفيد ذلك لفظ القرآن الكريم³.

ويذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن الاستعارة منها كثيف، وهي استعارة الأسماء للأسماء، والأمثلة السابقة دالة عليها. ومنها لطيف، وهي استعارة الأفعال للأسماء. ومثّل عليها بقوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ﴾ {سورة الدخان، الآية29}⁴. وكقول "أبي تمام" (البسيط)⁵:

مَنْ كُلِّ مَمْكُورَةٍ ذَابَ النَّعِيمُ لَهَا ذُوبَ الْغَمَامِ فَمَنْهَلٌ وَمُنْسَكِبُ

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن الاستعارة من غير الوجوه التي ذكرها تنقسم خمسة أقسام، هي:

_ استعارة المحسوس للمحسوس بسبب المشاركة في وصف محسوس، وهي الاستعارة الكثيفة، ومثّل لها بقوله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ﴾ {سورة الكهف، الآية99}.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص20.
2 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص98.
3 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص20.
4 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص101.
5 - أبو تمام: الديوان، ج1، ص132.

عَلَّقَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ: «فَإِنْ أَوَّلَ الْمَوْجِ تَحْرِيكَ الْمِيَاهِ، فَاسْتَعِيرَ لِحَرَكَةِ يَأْجُوجَ لِاشْتِرَاكِ الْمُسْتَعَارِ وَالْمُسْتَعَارِ لَهُ فِي الْحَرَكَةِ»¹.

وَمَثَلٌ لِهَذَا الْقِسْمِ أَيْضًا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَالصُّبْحُ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ {سورة التكوير، الآية 18}.

يُشْرَحُ الْآيَةُ مَبِينًا هَذَا الْقِسْمَ بِقَوْلِهِ: «فَإِنْ خَرَجَ النُّورُ مِنَ الْمَشْرِقِ عِنْدَ انشِقَاقِ الْفَجْرِ الْأَوَّلِ إِلَى حِينَ طُلُوعِ الشَّمْسِ أَوَّلًا فَأَوَّلًا أَشْبَهَ الْأَشْيَاءَ بِخُرُوجِ النَّفْسِ شَيْئًا فَشَيْئًا»².

_ استعارة المحسوس للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، وهي الاستعارة المركبة من الكثيف واللطيف، ومثَّلَ عَلَيْهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ {سورة الذاريات، الآية 41}.

يَقُولُ "ابن أبي الإصبع المصري" معلقًا على هذه الآية: «فَإِنْ الْمُسْتَعَارَ لَهُ الرِّيحُ، وَالْمُسْتَعَارَ مِنْهُ ذَاتُ النَّتَاجِ، وَالْمُسْتَعَارَ الْعَقْمَ، وَهُوَ عَدَمُ النَّتَاجِ، وَالْمِشَارَكَةَ بَيْنَ الْمُسْتَعَارِ لَهُ وَالْمُسْتَعَارَ مِنْهُ فِي عَدَمِ النَّتَاجِ، وَهُوَ شَيْءٌ مَعْقُولٌ»³.

_ استعارة المحسوس للمعقول، ويحكم عليها "ابن أبي الإصبع" بأنها أَلْطَفُ مِنَ الْمَرْكَبَةِ، وَيُمَثِّلُ لَهَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ﴾ {سورة الأنبياء، الآية 18}.

يَعْلَقُ بِقَوْلِهِ: «فَالْقَذْفُ وَالدمغُ مُسْتَعَارَانِ وَهُمَا مُحْسُوسَانِ، وَالْحَقُّ وَالْبَاطِلُ مُسْتَعَارَانِ لِهَمَا وَهُمَا مَعْقُولَانِ»⁴.

_ استعارة المعقول للمحسوس للاشتراك في أمر معقول، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ﴾ {سورة الحاقة، الآية 11}.

يَقُولُ مَعْلَقًا عَلَى الْآيَةِ: «الْمُسْتَعَارُ الطَّغْيُ وَهُوَ (الاستعلاء) الْمُنْكَرُ، وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ كُلُّ مُسْتَعَلٍّ مُتَكَبِّرٍ مُضِرٍّ، وَالْمُسْتَعَارُ لَهُ الْمَاءُ، وَالطَّغْيُ مَعْقُولٌ، وَالْمَاءُ مُحْسُوسٌ وَالْمُسْتَعَارُ مِنْهُ مُحْسُوسٌ»⁵.

¹ - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 21.

² - المصدر نفسه: ص 21.

³ - المصدر نفسه: ص 21.

⁴ - المصدر نفسه: ص 21، 22.

⁵ - المصدر نفسه: ص 23.

استعارة المعقول للمعقول للمشاركة في أمر معقول، ومثالها، قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا سَكَتَ
عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ﴾ {سورة الأعراف، الآية 154}.

فيقول معلقا على الآية: «فالمستعار السكوت، والمستعار له الغضب، والمستعار منه
الساكت، والمعنى ولما زال عن موسى الغضب، لأن حقيقة السكوت زوال الكلام، وحقيقة
زوال الغضب عدم ظهور ما يدل عليه من الكلام في تلك الحال»¹.

يواصل "ابن أبي الإصبع المصري" تحليله للشاهد أو للآية بأن غضب موسى عليه
السلام إنما عرف من قوله ﴿بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِنْ بَعْدِي﴾ {سورة الأعراف، الآية 150}، فهذا
الكلام كان مقدمة لإلقاء الألواح، ولما زال الكلام الدال على الغضب حسنت استعارة السكوت
للغضب، فلا يلزم من سكوت الغضب حصول الرضى، لأن موسى عليه السلام لم يرض
بمعصيتهم، ولا ببقائهم عليها حتى تحصل التوبة، ولهذا أخبر سبحانه بسكوت الغضب دون
حصول الرضى. وهذا النوع من الاستعارة _عنده_ أطف الاستعارات الخمس، لأنها استعارة
معقول لمعقول للمشاركة في أمر معقول².

ثم ذكر نوعا آخر للاستعارة هي الاستعارة التخيلية، التي أكثر وقوعها _حسبه_ في
الآيات التي يتمسك بها المشبهة³. والمشبهة صنفان: «صنف شبهوا ذات البارئ بذات
غيره، وصنف آخر شبهوا صفاته بصفات غيره، وكلا الصنفين ينقسم إلى أقسام شتى، وأول
ظهور المشبهة صادر عن فرق من الروافض الغلاة»⁴.

واستشهد على هذا النوع بقوله عز وجل: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ {سورة الفرقان،
الآية 60}.

يقول في تحليل هذه الآية: «فالمستعار الاستواء، والمستعار منه كل جسم مستو،
والمستعار له الحق عز وجل، ليتخيل السامع عند سماع لفظ هذه الاستعارة ملكا فرغ من
ترتيب ممالكه وتشبيد ملكه، وجميع ما تحتاج إليه رعاياه وجنده من عمارة بلاده، وتدبير

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 23.

2 - ينظر: المصدر نفسه، ص 23.

3 - ينظر: المصدر نفسه، ص 23، 24.

4 - المصدر نفسه: ص 24 من حاشية المحقق.

أحوال عبادته، استوى على سرير ملكه استيلاء عظمة، فيقيس السامع ما غاب عن حسه من أمر الإلهية على ما هو متخيله من أمر المملكة الدنيوية عند سماع هذا الكلام، ولهذا لا يقع ذكر الاستواء على العرش إلا بعد الإخبار بالفراغ من خلق السموات والأرض وما بينهما، وإن لم يكن ثم سرير منصوب ولا جلوس محسوس، ولا استواء على ما يدل عليه الظاهر من تعريف هيئة مخصوصة»¹.

ولم يقصر "ابن أبي الإصبع المصري" شواهد الاستعارة على آي القرآن والشعر فحسب_ وإن لم نأت بجميع شواهد لكثرتها_ بل استشهد بحديث شريف لخير الخلق_ صلى الله عليه وسلم_ قوله: «ضموا مواشيكم حتى تذهب فحمة العشاء»².

فيقول معلقا عليه: «فاستعار_ صلى الله عليه وسلم_ للعشاء الفحمة لقصد حسن البيان، لأن الفحمة هاهنا أظهر للحس من الظلمة، فإن الظلمة تدرك بحاسة البصر فقط، والفحمة تدرك بحاستي البصر واللمس، فكان ذكرها أعني الفحمة أحسن بيانا من ذكر الظلمة»³. وفي ختام تناوله لشواهد نجاهه يطلق حكما مفاده أن الاستعارة أفضل من التشبيه يقول: «ومن ثم يتناسى البليغ التشبيه عند أخذه في الاستعارة، ويضرب عنه صفحا»⁴.

2_ التشبيه:

التشبيه لغة: الشبه والمثل، يقال: «الشبه والشَّبُّ والشَّبُّ والشَّبُّ والشَّبُّ: المثل، والجمع أشباه. وأشبه الشيء الشيءَ: ماثله. وتشابه الشئان واشتبهتا: أشبه كل واحد منهما صاحبه، والتشبيه: التمثيل»⁵، وقد نقل هذا المعنى على سبيل المشابهة إلى الاصطلاح فأطلق على الاتفاق بين شيئين في صفة أو أكثر.

يعد التشبيه من أقدم صور البيان ووسائل الخيال، وأقربها إلى الفهم والأذهان لما له من

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص24.
2 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص99.
3 - المصدر نفسه: ص99 ، 100.
4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص26.
5 - ابن منظور: لسان العرب، مادة (شبه).

دور في تحسين الصورة وإبرازها في أحسن الأوجه، ولذلك فقد تداوله النقاد والبلاغيون بكثرة_ منذ القديم، وخصّوه بعناية كبيرة¹.

قال "سيبويه" (ت180هـ): «تقول: مررتُ برجلٍ أسدٍ أبوه، إذا كنت تريد أن تجعله شديداً، ومررتُ برجلٍ مثلِ الأسدِ أبوه، إذا كنت تشبّهه»².

وأشار "ابن سلام الجمحي" (ت231هـ) إلى التشبيه، وذلك في حديثه عن "امرئ القيس" قائلاً: «وشبّه النساء بالظباء والبيض، وشبّه الخيل بالعقبان والعصيّ، وقبّد الأوبد، وأجاد في التشبيه، وفصل بين النسب وبين المعنى»³.

وقال عنه أيضاً: «كان أحسن أهل طبقتة تشبيهاً، وأحسن الإسلاميين تشبيهاً ذو الرمة»⁴. فابن سلام الجمحي يعدّ حسن التشبيه عند الشعراء أحد أسباب تفضيلهم.

وذكر "الجاحظ" (ت255هـ) التشبيه كثيراً في كتبه، من ذلك ما قاله عند موازنته بين كلام النبي _ صلى الله عليه وسلم: «النَّاسُ كُلُّهُمْ سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْمُشْطِ»، وقول "كثير عزة":

سَوَاءٌ كَأَسْنَانِ الْحَمَارِ فَلَا تَرَى لِدِي شَيْبَةً مِنْهُمْ عَلَى نَاشِيءٍ فَضْلاً

وإذا حصّلت تشبيه الشاعر وحقيقته، وتشبيه النبي _ صلى الله عليه وسلم_ وحقيقته، عرفت فضل ما بين الكلامين»⁵.

ولم يفصّل "ابن المعتز" (ت296هـ) القول في التشبيه، وعدّه من محاسن الكلام والشعر، ومثّل عليه بكثير من الشواهد دون ذكر حدّه⁶.

وجعل "قدامة بن جعفر" (ت337هـ) "التشبيه" من نعوت المعاني الدال عليها الشعر، ورأى أن أحسنه «ما وقع بين الشيين اشتراكهما في الصفات أكثر من انفرادهما فيها، حتى يدنى بهما إلى حال الاتحاد»⁷، بمعنى أنه كلما كان المشبّهان أكثر اشتراكاً في الصفات كان التشبيه أحسن.

1 - ينظر: أحمد مطلوب: فنون بلاغية-البيان - البديع، ص27.

2 - سيبويه: الكتاب، ج2، ص28، 29.

3 - ابن سلام الجمحي: طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، مصر، (دط)، (دت)، ج1، ص55.

4 - المصدر نفسه: ص55.

5 - الجاحظ: البيان والتبيين، ج2، ص19.

6 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص68_74.

7 - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص109.

ويؤكد "قدامة بن جعفر" على أن الشيء لا يجب أن يشبه بغيره من جميع الجهات، وإنما يشبه من جهة واحدة، أو جهات متعددة، لأنه لو شابهه من جميع الجهات كان هو، يقول: «إنه من الأمور المعلومة أن الشيء لا يُشَبَّه بنفسه ولا بغيره من كل الجهات، إذ كان الشيطان إذا تشابها من جميع الوجوه ولم يقع بينهما تغاير البتة اتحدا، فصار الاثنان واحدا، فبقي أن يكون التشبيه إنما يقع بين شيئين بينهما اشتراك في معان تعمهما ويوصفان بها، وافتراق في أشياء ينفرد كل واحد منهما عن صاحبه بصفتها»¹.

والتشبيه عند الرماني(ت386هـ) هو: «العقد على أن أحد الشئيين يسد مسد الآخر في حس أو عقل، ولا يخلو التشبيه من أن يكون في القول أو في النفس»²، وهكذا يوضح "الرماني" وجوه التشابه بين الطرفين، في الحس والعقل، ويكون ذلك في القول ومن وحي النفس.

والتشبيه عند العسكري(ت395هـ) هو: «الوصف بأن أحد الموصوفين ينوب مناب الآخر بأداة التشبيه، ناب منابه أو لم ينب... ويصح تشبيه الشيء بالشيء جملة، وإن شابهه من وجه واحد»³، فعنده يمكن نيابة أحد الموصوفين عن الآخر سواء صحَّ ذلك أو لم يصح.

ومفهوم التشبيه عند "ابن رشيق"(ت456هـ) هو: «صفة الشيء بما قاربه وشاكله، من جهة واحدة أو جهات كثيرة، لا من جميع جهاته؛ لأنه لو ناسبه مناسبة كلية لكان إياه»⁴. ثم ذكر أن هذه المشابهة تقع غالبا على مظاهر الأشياء أي الشكل الخارجي لا على الجوهر، في قوله «فوقوع التشبيه إنما هو أبدا على الأعراض لا على الجواهر؛ لأن الجواهر في الأصل كلها واحد، اختلفت أنواعها أو اتفقت»⁵.

¹ - قدامة بن جعفر: نقد الشعر، ص109.

² - الرماني: النكت في إعجاز القرآن، ص80.

³ - أبو هلال العسكري: الصناعتين، ص239.

⁴ - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص286.

⁵ - المصدر نفسه: ج1، ص286.

وتوسع "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) في الحديث عن التشبيه وأقسامه والفرق بينه وبين التمثيل، حيث قال: «اعلم أن الشئيين إذا شبّه أحدهما بالآخر كان ذلك على ضربين: أحدهما: أن يكون من جهة أمر بيّن لا يحتاج إلى تأوّل، والآخر أن يكون الشبه محصّلاً بضرب من التأوّل»¹.

ثم ذكر أن التشبيه أعم من التمثيل، ذلك أن «كل تمثيل تشبيه، وليس كل تشبيه تمثيلاً، فأنت تقول في قول قيس بن الخطيم (الطويل):

وقد لاح في الصبح الثريا لمن رأى
كغفود ملاحية حين نورا

"إنه تشبيه حسن"، ولا تقول "هو تمثيل"»².

وقال "السكاكي" (ت626هـ): «إن التشبيه مستدع طرفين، مشبها ومشبها به، واشتركا بينهما من وجه، وافترقا من آخر»³.

وتابع "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) أسلافه في عنايته بالتشبيه باعتباره من أهم وسائل التعبير الجمالي، إذ إنه يوقع الالتلاف بين الأشياء ولا يوحدّها، ونقل حد "الرماني" للتشبيه فقال: «التشبيه عبارة عن العقد بأن أحد الشئيين يسدُّ مسدَّ الآخر في حال أو عقد»⁴، وقال إن هذا هو التشبيه العام الذي يدخل تحته التشبيه البليغ وغيره، وحدَّ التشبيه البليغ بأنه «إخراج الأغمض إلى الأظهر بالتشبيه مع حسن التأليف»⁵. ثم ذكر وجوه حسن البيان البيان في التشبيه كما جاءت عند "الرماني"، وهي:

أولاً - إخراج ما لا تقع عليه الحاسة إلى ما تقع عليه الحاسة، كقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [سورة النور، الآية39]، يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «وتشبيه أعمال الكفار بالسراب من أحسن

1 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص90.

2 - المصدر نفسه: ص95.

3 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص332.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص159.

5 - المصدر نفسه: ص159.

التشبيه، فكيف وقد تضمن مع ذلك حسن النظم، وعذوبة الألفاظ، وصحة الدلالة، وصدق التمثيل»¹.

ثانياً - إخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت به العادة، كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾ {سورة الأعراف، الآية 171}، يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «وقد اجتمعا في معنى الارتفاع في الصورة»².

ثالثاً - إخراج ما يعلم بالبدئية إلى ما يعلم بالبدئية، كقوله تعالى: ﴿وَجَنَّةٌ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ {سورة آل عمران، الآية 132}، يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «وقد اجتمعا في العِظَم وحصل من ذلك الوصف التشويق إلى الجنة بحسن الصفة وإفراط السعة»³.

رابعاً - إخراج ما لا قوة له في الصفة إلى ما له قوة في الصفة، كقوله سبحانه: ﴿وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ﴾ {سورة الرحمن، الآية 24}، يقول "ابن أبي الإصبع المصري": «وقد اجتمعا في العِظَم إلا أن الجبال أعظم، ولهذا جاءت مشبهاً بها، وفي ذلك العبرة من جهة قدرة من سحرَّ الفلك الجارية على الماء مع عظمها ولطفه، وما في ذلك من انتفاع الخلق بحمل الأثقال، وقطعها الأفطار البعيدة في المسافة القريبة، ما يلزم ذلك من تسخير الرياح للإنسان، فتضمن ذلك فنا عظيماً من الفخر وتعداد النعم على العباد»⁴.

خامساً - إخراج الكلام بالتشبيه مخرج الإنكار، كقوله عز وجل: ﴿أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ﴾ {سورة التوبة، الآية 19}، يشرح "ابن أبي الإصبع المصري" ذلك بقوله: «وهذا إنكار على من جعل حرمة الجماد كحرمة من آمن بالله واليوم الآخر، وفي ذلك أوفى دلالة على تعظيم حال المؤمن بالإيمان، وأنه لا يساوى به مخلوق ليس على صفة بالقياس»⁵.

وذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن جنس التشبيه الصناعي على ضربين: ضرب بأداة، وضرب بغير أداة، وفائدة حذف الأداة قرب المشبه من المشبه به، وأن أدوات التشبيه

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 58.

2 - المصدر نفسه: ص 58.

3 - المصدر نفسه: ص 59.

4 - المصدر نفسه: ص 59.

5 - المصدر نفسه: ص 59.

خمسة، وهي: الكاف، وكأن، وشبهه، ومثل، والمصدر بتقدير الأداة¹، وذكر أن في المصادر ما لا يمكن تقدير الأداة فيه، كقول "الخنساء" (البسيط)²:

ترتع ما رتعت حتى إذا ادكرت فإنما هي إقبال وإدبار

أي ذات إقبال وذات إدبار. ثم ذكر نوعاً آخر من التشبيه لابد من تقدير الأداة فيه، وهذا النوع ليس من قسمي المصادر المذكورين آنفاً، كقوله عز وجل: ﴿وَأَوَّازُهُ أُمَّهَاتُهُمْ﴾ {سورة الأحزاب، الآية 6}.

واستشهد على الضرب الأول الذي بأداة بقوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ﴾ {سورة النور، الآية 35}، وقول "امرئ القيس" (الطويل)³:

مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مسقولة كالسجنجل

أما الضرب الثاني والذي بغير أداة، فقد قال: «ومن علماء البيان من جعل المحذوف الأداة استعارة ولم يجعله تشبيهاً، وأكثرهم على خلافه»⁴، ومثل له بقوله تعالى: ﴿وَهِيَ تَمْرٌ مَرَّ السَّحَابِ﴾ {سورة النمل، الآية 88}،

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" كلامه مبيناً أن كل ضرب من هذين الضربين ينقسم إلى تسعة أقسام، وهذه الأقسام تنقسم إلى متحد، ومتعدد، فالمتحد ينقسم وفق عدد أدوات التشبيه الخمس: من تشبيه شيء بشيء، إلى تشبيه شيء بخمسة أشياء، والمتعدد أربعة أقسام، من تشبيه شيئين بشيئين، إلى تشبيه خمسة بخمسة⁵.

فشاهد تشبيه شيء واحد بشيء واحد، قوله تعالى: ﴿فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ﴾ {سورة الأعراف، الآية 176}، وعلق عليه بقوله: «وهذا من أصدق تشبيه وأحسنه وأقربه»⁶.

ومثاله من الشعر، قول "امرئ القيس" (الطويل)⁷:

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 161.

2 - الخنساء: الديوان، ص 46.

3 - امرئ القيس: الديوان، ص 115.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 60.

5 - ينظر: المصدر نفسه: ص 60.

6 - المصدر نفسه: ص 61.

7 - امرئ القيس: الديوان، ص 115.

وجيد كجيد الرئم ليس بفاحش إذا هي نصته ولا بمعطل

وشاهد تشبيه شيء واحد بشيئين، قوله تعالى: ﴿مَثَلُ مَا يُنْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتُهُ﴾ {سورة آل عمران، الآية 117}، يعلق ابن أبي الإصبع" بقوله: «فمثل سبحانه، ما ينفق هؤلاء وهو شيء واحد بالريح الباردة وإهلاكها... فينخيل من هذا الكلام حصول تشبيه شيء واحد بشيئين من تشبيه الإنفاق بالريح وما أهلكته»¹.

وكقول "امرئ القيس" (الطويل)² :

وتعطو برخص غير شثن كأنه أساريع رمل أو مساويك إسحل

وشاهد تشبيه شيء واحد بثلاثة أشياء، قول "البحثري" (السريع)³ :

كأنما يبسم عن لؤلؤ منضد أو برد أو أقاخ

وشاهد تشبيه شيء واحد بأربعة أشياء، قول "امرئ القيس" (المتقارب)⁴ :

كأن المدام وصوب الغمام وريح الخزامى ونشر القطر

يعل به برد أنيابها إذا غرد الطائر المستحز

وشاهد تشبيه شيء واحد بخمسة أشياء، قول "الحريري" (البسيط)⁵ :

يفتر عن لؤلؤ رطب وعن برد وعن أقاخ وعن طلح وعن حبيب

أما تشبي شيئين بشيئين من المتعدد، فكقول "امرئ القيس" (الطويل)⁶ :

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا لدى وكرها العناب والحشف البالي

وشاهد تشبيه ثلاثة بثلاثة، قول "المعلّى" (المجتث)⁷ :

ليل وبدر وغصن شعر ووجه وقد

خمر ودر وورد ريق وثغر وخذ

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 61.

2 - امرؤ القيس: الديوان، ص 116، وفي الديوان (أساريع ظبي).

3 - البحتري: الديوان، مج 1، ص 176. في الديوان (يضحك) بدل (يبسم).

4 - امرؤ القيس: الديوان، ص 69.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 163.

6 - امرؤ القيس: الديوان، ص 129.

7 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص 163.

وشاهد تشبيه أربعة بأربعة، قول "امرئ القيس" (الطويل) ¹ :

له أَيْطَلَا ظَبِي وَسَاقَا نَعَامَةً وَإِرْحَاءَ سِرْحَانٍ وَتَقْرِيبَ تَتْفَلٍ
وكقول "أبي نواس" (السريع) ² :

تَبْكِي فَتَدْرِي الظَّلَّ مِنْ نَرَجِسٍ وَتَمْسَحُ الْوَرْدَ بَعْنَابٍ
وشاهد تشبيه خمسة بخمسة، قول "أبي الفرج الوأواء" (البسيط) ³ :

فَأَمْطَرَتْ لَوْلَا مِنْ نَرَجِسٍ فَسَقَتْ وَرَدَا وَعَضَتْ عَلَى الْعُنَابِ بِالْبَرْدِ

يعلق "ابن أبي الإصبع بقوله: «وعندي أن بيت الوأواء هو عين بيت أبي نواس، وإنما حصلت فيه زيادة التشبيه لاتساع وزنه، فثبت الفضل لبيت أبي نواس بالسبق إلى نفس المعنى ونفس التشبيه» ⁴.

ثم ذكر نوعين آخرين للتشبيه: أحدهما أدواته أفعال الشك واليقين، كقولك: حسبت زيدا في جرأته الأسد، وعمرا في جوده الغمام، فحاصل ذلك تشبيه زيد بالأسد، وعمرو بالغمام ⁵. ومثل له من القرآن الكريم بقوله تعالى: ﴿وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ﴾ {سورة الكهف، الآية 18}، وفيه تشبيه أهل الكهف في حال نومهم بالإيقاظ؛ لأنه قيل: إنهم كانوا مفتحي أعينهم في نومهم ⁶.

والنوع الآخر هو تشبيه التوليد والتمثيل، كقول "الكميت" (البسيط) ⁷ :

أَحْلَامِكُمْ لِسِقَامِ الْجَهْلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَائِكُمْ يُشْفَى بِهَا الْكَلْبُ

فهذا الشاعر زوّج التشبيه بالاستعارة، فتولّد من ذلك مدح ممدوحيه بالشرف، حيث مدحهم بالحلم، وأخرج صدر بيته وعجزه مخرج المثل، فلاحم بين تمثّل العجز وبين الطباق الذي في الصدر بما قدم على التمثيل من أداة التشبيه، ثم ذكر أن هذا النوع يعني تشبيه التوليد والتمثيل _ لم يأت مثله في الكتاب العزيز، لأنه لا يأتي إلا مصنوعا مقصودا.

¹ - امرؤ القيس: الديوان، ص119.

² - أبو نواس: الديوان، ص53.

³ - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص164.

⁴ - المصدر نفسه: ص164.

⁵ - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحري التحبير، ص164. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص62.

⁶ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص164. وص63.

⁷ - ينظر: المصدران نفسيهما: ص165. وص63.

3_ الكناية:

الكناية لغة أن تتكلم بشيء وتريد غيره، قال ابن منظور في مادة(كنى):«الكناية على ثلاثة أوجه: أحدها أن يكنى عن الشيء الذي يستفحش ذكره؛ والثاني أن يكنى الرجل باسم توقيرا وتعظيما؛ والثالث أن تقوم الكناية مقام الاسم فيُعرفُ صاحبها بها كما يُعرف باسمه. والكناية أن تتكلم بشيء وتريد غيره. و كنى عن الأمر بغيره يكنى كناية: يعني إذا تكلم بغيره مما يستدل عليه. نحو الرفث، والغائط ونحوه، واستعمل سيبويه الكناية في علامة المضمّر»¹.

لا يخرج المعنى اللغوي للكناية وهو أن تتكلم بشيء وتريد غيره عن معناها الاصطلاحي الذي يقول:«هي ترك التصريح بذكر الشيء إلى ذكر ما يلزمه، لينتقل من المذكور إلى المتروك»².

يعدّ "أبو عبيدة"(ت210هـ) من أقدم الذين عرضوا للكناية وهي عنده «ما فهم من الكلام ومن السياق من غير أن يذكر اسمه صريحا في العبارة فهي تستعمل قريبة من المعنى البلاغي كما في قوله تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ﴾ {سورة البقرة، الآية223} فهو كناية وتشبيه، وفي قوله تعالى: ﴿أَوْ لَامَسْتُمُ النِّسَاءَ﴾ {سورة النساء، الآية43} كناية عن الغشيان»³.

عرض "الجاحظ"(ت255هـ) للكناية وأفرد لها حديثا في باب سماه "من الفطن وفهم الرطانات والكنايات والفهم والإفهام"، حيث أدرك ما فيها من خفاء ورمز⁴ ، كما أشار إلى الكناية والتعريض، وذكر أنهما لا يعملان في العقول عمل الإفصاح والكشف⁵. فالكناية عنده أبلغ من التصريح، كما عدّها أسلوبا تقتضيه الضرورة.

ولم يفصل "ابن المعتز"(ت296هـ) بين الكناية والتعريض، وجعلهما فنا من محاسن الكلام، ولم يعرفهما وإنما ذكر أمثلة لهما⁶.

1 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(كنى).

2 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص402.

3 - أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص154.

4 - ينظر: الجاحظ: الحيوان، ج3، ص122.

5 - ينظر: الجاحظ: البيان والتبيين، ج1، ص117.

6 - ينظر: ابن المعتز: البديع، ص64 ، 65.

وجعل "العسكري" (ت395هـ) الكناية والتعريض والتورية من جنس واحد، في قوله: «هو أن يكنى عن الشيء ويعرض به ولا يصرح على حسب ما عملوا باللحن والتورية عن الشيء»¹.

أما "ابن رشيق" (ت456هـ) فلم يضع للكناية مفهوما محددًا، فقد عدّها مرة من المجاز في قوله: «وأما كون التشبيه داخلا تحت المجاز فلأن المتشابهين في أكثر الأشياء إنما يتشابهان بالمقارنة على المسامحة والاصطلاح، لا على الحقيقة... وكذلك الكناية»². وأدخلها في باب الإشارة مرة أخرى «ومن أنواع الإشارات الكناية والتمثيل»³. وعدّ التورية كناية مرة أخرى، في قوله: «وأما التورية في أشعار العرب فإنما هي كناية: بشجرة، أو شاة، أو بيضة، أو ناقة، أو مهرة، أو ما شاكل ذلك»⁴.

وتكلم "ابن سنان الخفاجي" (ت466هـ) عن حسن الكناية عما يجب أن يكنى عنه في الموضوع الذي لا يحسن فيه التصريح، وعدّه أصل من أصول الفصاحة، وشرط من شروط البلاغة⁵.

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) فقد عرفها بتعريف "قدامة" للإرداف، فقال: «المراد بالكناية هاهنا أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة، ولكن يجيء إلى معنى هو تاليه وردفه في الوجود، فيومئ به إليه، ويجعله دليلا عليه»⁶.

ثم ذكر أن الكناية أبلغ من التصريح، وبين سرّ ذلك في قوله: «ليس المعنى إذا قلنا: إن الكناية أبلغ من التصريح" أنك لما كنيته عن المعنى زدت في ذاته، بل المعنى أنك زدت في إثباته، فجعلته أبلغ وأكدّ وأشدّ»⁷.

1 - العسكري: الصناعتين، ص368.

2 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص268.

3 - المصدر نفسه: ج1، ص305.

4 - المصدر نفسه: ج1، ص311.

5 - ينظر: ابن سنان الخفاجي: سر الفصاحة، ص163.

6 - عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز، ص66.

7 - المصدر نفسه: ص71.

وجمع "ابن منقذ" (ت584هـ) مصطلحي الكناية والإشارة في باب واحد، وقال: «الإشارة إلى كل شيء حسن، والكناية عن كل شيء قبيح»¹.

وذكر "ابن الأثير" (ت637هـ) عدّة تعريفات للكناية، ولكن حدّه الجامع لها هو: «أنها كل لفظة دلّت على معنى يجوز حمله على جانبي الحقيقة والمجاز»².

أما "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) فعرّف الكناية بقوله: «وهي أن يعبر المتكلم عن المعنى القبيح باللفظ الحسن، وعن النجس بالطاهر، وعن الفاحش بالعفيف»³، ثم استمر في توضيح مفهومه، قائلاً: «هذا إذا قصد المتكلم نزاهة كلامه عن العيب، وقد يقصده بالكناية عن ذلك، وهو أن يعبر عن الصعب بالسهل، وعن البسط بالإيجاز، أو يأتي للتعمية والإلغاز، أو للستر والصيانة»⁴. يبدو أن "ابن أبي الإصبع المصري" لم يفد من تعريفات سابقه للكناية، فهذا التعريف جزء من مفهوم الكناية.

ثم أورد شواهد على الكناية من القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف والشعر العربي توضح هذا المصطلح. كقوله تعالى: ﴿كَانَا يَأْكُلَانِ الطَّعَامَ﴾ {سورة المائدة، الآية75}، كناية عن الحدث، لأنه ملازم أكل الطعام. وكقوله تعالى: ﴿أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ﴾ {سورة المائدة، الآية6}، لأنه المنخفض من الأرض، الذي يقصد لقضاء الحاجة. فسمى الحدث باسم موضعه، وكقوله عز وجل: ﴿وَلَكِنْ لَا تُوَاعِدُوهُمْ سِرًّا﴾ {سورة البقرة، الآية235}، كناية عن الجماع (على أصح القولين)⁵، وكقوله تعالى: ﴿وَقَدْ أَفْضَى بَعْضُكُمْ إِلَى بَعْضٍ﴾ {سورة النساء، الآية21}، كناية عن المباشرة.

وذكر أن جُلّ معاني القرآن الكريم التي على هذا النحو جاءت بلفظ الكناية، لأن المعنى الفاحش متى عبر عنه بلفظه الموضوع له كان الكلام معيياً ممجوجاً من جهة فحش المعنى⁶.

وفي هذا السياق، يذكر بيتين من الشعر "لامرئ القيس" كان "قدامة بن جعفر" قد عابهما من جهة فحش معناهما، يقول "امرؤ القيس" (الطويل)⁷:

1 - ابن منقذ: البديع في نقد الشعر، ص99.

2 - ابن الأثير: المثل السائر، ج3، ص52.

3 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص53. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص143.

4 - المصدران نفسهما: ص53. وص143.

5 - ينظر: المصدران نفسهما: ص54. وص143.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص144.

7 - امرؤ القيس: الديوان، ص113.

فمثلك حبلى قد طرقت ومرضع

إذا ما بكى من خلفها انصرفت له

فألهيته عن ذي توائم محول

بشق وتحتي شقها لم يحول

يتابع "ابن أبي الإصبع المصري" في سرد شواهد الشعرية، من ذلك قول "امرئ القيس" (الطويل) ¹ :

ألا زعمت بسباسة الحي أنني

كبرت وألاً يحسن السر أمثالي

يعلق على البيت بقوله: « ذهب كل من فسّر شعره من العلماء أنه أراد بالسر الوقاع» ² .

كما ذكر أن في السنة النبوية من الكناية ما لا يحصى، كقوله - صلى الله عليه وسلم -: (لا

يضع العصا عن كتفه)، كناية عن كثرة الضرب أو كثرة السفر ³ .

وقد ذكر أمثلة شعرية مما جاء عند "ابن المعتز" في "بديعه"، كقول "أبو نواس" عن جلد

عميرة (الطويل) ⁴ :

إذا أنت أنكحت الكريمة كفوها

فانكح حببشا راحة ابنة سعد

وقل بالرفا ما نلت من وصل حرة

لها ساحة حُفَّت بخمس ولائد

والآخر ما قاله بعض الشعراء عن "حجّام" (الطويل) ⁵ :

إذا عوج الكتاب يوماً سطورهم

فليس بمعوج له أبدا سطر

ثم يذكر "ابن أبي الإصبع المصري" أن العرب كتّت عن المرأة بالبيضة، كقول "امرئ

القيس" (الطويل) ⁶ :

وبيضة خدر لا يرام خباؤها

تمتعت من لهو بها غير معجل

ويذكر من مליح الكناية - في رأيه - قول بعض العرب (الوافر) ⁷ :

ألا يا نخلة من ذات عرق

عليك ورحمة الله السلام

سألت الناس عنك فخبروني

هنا من ذاك يكرهه الكرام

وليس بما أحل الله بأس

إذا هو لم يخالطه الحرام

¹ - امرؤ القيس: الديوان ، ص123.

² - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التحبير، ص143.

³ - ينظر: المصدر نفسه، ص144.

⁴ - ابن المعتز: البديع، ص65.

⁵ - المصدر نفسه: ص65.

⁶ - امرؤ القيس: الديوان، ص114.

⁷ - ابن أبي الإصبع المصري: تحري التحبير، ص145 ، 146.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" بقوله: «فإن هذا الشاعر كنى بالنخلة عن المرأة، وبالهناء عن الرفث، فأما الهناءة فمن عادة العرب الكناية بها عن مثل ذلك، وأما الكناية بالنخلة عن المرأة فمن طريف الكناية وغريبها»¹.

وقال "ابن حجة الحموي" (ت837هـ) عنها: «الكناية: هي الإرداف بعينه، عند علماء البيان، وإنما علماء البديع أفردوا الإرداف عنها. والكناية هي أن يريد المتكلم إثبات معنى من المعاني، فلا يذكره باللفظ الموضوع له في اللغة ولكن يجيء إلى معنى هو ردفه في الوجود فيومئ إليه، ويجعله دليلاً عليه»².

4-المجاز :

المجاز لغة هو المسار والمسلك والموضع، يقال: «جزت الطريق وجاز الموضع: سار فيه وسلكه، وأجازته: خلفه وقطعه. والمجاز والمجازة: الموضع. جزت الموضع: سرت فيه»³.
فيه»³.

فالمجاز إذا هو اسم للمكان الذي يُجاز فيه، وحقيقته هي الانتقال من مكان إلى آخر، ثم أخذ هذا المعنى على سبيل المشابهة واستعمل في الاصطلاح للدلالة على نقل الألفاظ من معنى إلى آخر⁴.

وتكلم أبو عبيدة" (ت210هـ) في كتابه "مجاز القرآن" عن المجاز، حيث «عالج فيه كيفية التوصل إلى فهم المعاني القرآنية باحتذاء أساليب العرب في كلامهم وسننهم في وسائل الإبانة عن المعاني، ولم يعن بالمجاز ما هو قسيم الحقيقة وإنما عني بمجاز الآية: ما يعبر به عن الآية»⁵.

ولعل "الجاحظ" (ت255هـ) من أوائل الذين تحدثوا عن المجاز بوضوح، حيث خرج به من دائرة التفسير إلى مجال البلاغة⁶. ولكنه لم يعرفه وقد أشار إليه في معرض تعليقه على قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْمًا﴾ {سورة النساء، الآية10}، وقوله تعالى: ﴿أَكَالُونَ لِلسُّحْتِ﴾ {سورة المائدة، الآية42}، حيث قال: «وقد يقال لهم ذلك وإن شربوا ،

1 - ابن أبي الإصبع المصري: تحري التعبير ، ص146.

2 - ابن حجة الحموي: خزانة الأدب وغاية الأرب، ج2، ص713.

3 - ابن منظور: لسان العرب، مادة(جوز).

4 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص193.

5 - ينظر: أبو عبيدة: مجاز القرآن، ج1، ص149 ، 150 .. وأحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص193.

6 - ينظر: نوح أحمد عيكل: المصطلح النقدي والبلاغي عند الأمدي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2011م، ص157.

بتلك الأموال الأنبذة، ولبسوا الحلل، وركبوا الدواب، ولم ينفقوا منها درهما واحدا في سبيل الأكل»¹.

ثم قال: وقال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا﴾ (سورة النساء، الآية 10)، وهذا مجاز آخر².

وجعل "ابن قتيبة" (ت276هـ) المجاز مقابلا للحقيقة، وحاول تعريفه في قوله: «وللعرب "المجازات" في الكلام، ومعناها: طرق القول وماأخذه. ففيها: الاستعارة، والتمثيل، والقلب، والتقديم والتأخير، والحذف، والتكرار، والإظهار، والتعريض، والإفصاح، والكنائية، والإيضاح، ومخاطبة الواحد مخاطبة الجميع، والجمع خطاب الواحد، والواحد والجميع خطاب الاثنين، والقصد بلفظ الخصوص لمعنى العموم، وبلفظ العموم بمعنى الخصوص، مع أشياء كثيرة سترها في أبواب المجاز إن شاء الله تعالى»³، ثم ذكر أن لا أحد من التراجم يستطيع نقل هذا القرآن إلى شيء من الألسنة، لأن العجم لم تتسع في المجاز اتساع العرب⁴.

وجمع "العسكري" (ت395هـ) الاستعارة بالمجاز، ورأى أنه لا بد لكل استعارة ومجاز من حقيقة، فهي أصل الدلالة على المعنى في اللغة، ولا بد أيضا من معنى مشترك بين المستعار والمستعار منه، والاستعارة عنده أبلغ من الحقيقة⁵.

وقد بين "ابن رشيق" (ت456هـ) أن: «العرب كثيرا ما تستعمل المجاز، وتعدّه من مفاخر كلامها؛ فإنه دليل الفصاحة، ورأس البلاغة، وبه بانّت لغتها عن سائر اللغات»⁶.

ثم عرّفه بقوله: «أن يسمى الشيء باسم ما قاربه أو كان منه بسبب»⁷، كما رأى أن «المجاز في كثير من الكلام أبلغ من الحقيقة، وأحسن موقعا في القلوب والأسماع، ما عدا الحقائق من جميع الألفاظ ثم لم يكن محالا محضا فهو مجاز؛ لاحتماله وجوه التأويل»⁸.

1 - الجاحظ: الحيوان، ج5، ص25.

2 - المصدر نفسه: ج5، ص25.

3 - ابن قتيبة: تأويل مشكل القرآن، ص20، 21.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص21.

5 - ينظر: العسكري، الصناعتين، ص271، 270.

6 - ابن رشيق: العمدة، ج1، ص265.

7 - المصدر نفسه: ج1، ص266.

8 - المصدر نفسه: ج1، ص266.

وقد أدخل تحت المجاز: التشبيه، والاستعارة، والاتساع، والكناية¹.

أما "عبد القاهر الجرجاني" (ت471هـ) فقد أدلى بدلوه في هذا الباب، حيث أخذ المجاز عنده منزلته واستقرت قواعده وأصوله، وقد عرفه بقوله: «المجاز "مفعّل" من "جاز الشيء يجوز"، إذا تعدّاه. وإذا عدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة، وُصف بأنه "مجاز"، على معنى أنهم جازو به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولاً»²، وقال أيضاً: «وأما المجاز، فكل كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها، لملاحظة بين الثاني والأول، فهي مجاز. وإن شئت قلت: كل كلمة جُزت بها ما وقعت له في وضع الواضع إلى ما لم توضع له، من غير أن تستأنف فيها وضعا، لملاحظة بين ما تُجوّزُ بها إليه، وبين أصلها الذي وضعت له في وضع واضعها، فهي مجاز»³. وقسم المجاز إلى قسمين: عقلي وعقلي ولغوي وفرّق بينهما⁴. ولعله أول من قسم المجاز إلى أنواعه المعروفة⁵.

وحدّ "السكاكي" (ت626هـ) المجاز بأنه: «الكلمة المستعملة في غير ما هي موضوعة له بالتحقيق، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة من إرادة معناها في ذلك النوع»⁶. ثم قال: «ولك أن تقول: المجاز هو الكلمة المستعملة، في غير ما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة، استعمالاً في الغير، بالنسبة إلى نوع حقيقتها، مع قرينة مانعة عن إرادة ما تدل عليه بنفسها، في ذلك النوع»⁷. وقال أيضاً: «ولك أن تقول: المجاز هو الكلمة المستعملة في معنى معناها بالتحقيق، استعمالاً في ذلك بالنسبة إلى نوع حقيقتها مع قرينة مانعة عن إرادة معناها في ذلك النوع»⁸.

وذكر "السكاكي" قسماً للمجاز: اللغوي وهو المجاز في المفرد، والعقلي وهو المجاز في الجملة ومثل لهما. ثم ذكر أن هذا التقسيم هو تقسيم السابقين وفي رأيه أن المجاز لا بدّ أن

1 - ينظر: ابن رشيق، العمدة، ج1، ص266_268.

2 - عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة، ص395.

3 - المصدر نفسه: ص 351 ، 352.

4 - ينظر: المصدر نفسه: ص366_387.

5 - ينظر: أحمد مطلوب: معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، ج3، ص198.

6 - السكاكي: مفتاح العلوم، ص359.

7 - المصدر نفسه: ص359 ، 360.

8 - المصدر نفسه: ص360.

يكون لغويا كله، وهو ينقسم عنده إلى: مفيد وغير مفيد، والمفيد إلى: استعارة وغير استعارة¹. ولم يخرج "ابن أبي الإصبع المصري" (ت654هـ) عن دائرة أسلافه في هذا المصطلح، فقد نقل مفهوم "عبد القاهر الجرجاني" له بعد أن عرّف الحقيقة والمجاز لغويا، في قوله: «فإذا عُدل باللفظ عما يوجبه أصل اللغة وُصف بأنه مجاز، على أنهم جازوا به موضعه الأصلي، أو جاز هو مكانه الذي وُضع فيه أولا»².

ثم قال إن اللفظ لا يكون مجازا إلا بتحقق شرطين: «أحدهما أن يكون منقولا عن معنى وضع اللفظ بإزائه أولا، وبهذا يتميز عن اللفظ المشترك، وعن الكذب الذي ادّعى فيه أنه مجاز. والشرط الثاني أن يكون النقل لمناسبة بين الأصل والفرع وعلاقة، ولأجل ذلك لا توصف الأعلام المنقولة بأنها مجاز»³، وقد ذكر أن هذا حكاية لفظ "فخر الدين بن الخطيب" في المجاز .

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن المجاز جنس يشتمل على أنواع كثيرة: كالاستعارة، والمبالغة، والإشارة، والإرداف، والتمثيل، والتشبيه، وغير ذلك مما عُدل فيه عن الحقيقة، فهذه الأنواع وإن كانت من المجاز فلكونها متعددة جُعل لكل منها اسم يُعرف به، ويميزه عن غيره من جنسه⁴.

والمجاز عنده على ثلاثة أقسام: قسم في الإثبات، وقسم في المثبت، وقسم فيهما معا: وقد مثل على ما جاء منه في الإثبات من الكتاب العزيز بقوله تعالى: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ {سورة الأنفال، الآية2}، وقوله عز وجل: ﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ {سورة الزلزلة، الآية2}، وقوله سبحانه: ﴿تُوْتِي أكلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ {سورة إبراهيم، الآية25}⁵.

1 - ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، ص401.

2 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص175.

3 - المصدر نفسه: ص176.

4 - ابن أبي الإصبع المصري: تحرير التخبير، ص457.

5 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص176.

يعلق "ابن أبي الإصبع المصري" على هذه الآيات موضحا هذا القسم من المجاز في قوله: «فهذه الأفعال مستندة في هذه المواضع إلى غير الفاعل الحقيقي، لأن الآيات لا توجد العلم، ولا الأرض تخرج الأثقال، ولا النخلة تؤتي الأكل»¹.

ومن ذلك قول الشاعر²:

أشاب الصغير وأفنى الكبير كُرُّ الغداةِ ومَرُّ العشيِّ

فالمجاز وقع فعلا لكرّ الغداة، وهو في حقيقة الأمر فعل الله تعالى.

وكذلك قولهم: **نهارك صائمٌ ، وليلك قائمٌ**، ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن القانون في هذا القسم أن يُنسب الشيء إلى غير ما هو منتسب بذاته إليه³.

ومثال ما دخل المجاز منه في المثبت دون الإثبات، قوله تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ {سورة فاطر، الآية 9}، فجعل خضرة الأرض ونضرتها بما فيها من النبات والأزهار حياة، فالمجاز دخل في المثبت وهو الأرض، أما الإثبات فحقيقته من الله، لأن الفاعل لذلك هو الله تعالى⁴.

وأما ما دخل المجاز منه في الإثبات والمثبت معا فكقولك للرجل: **أحييتي رؤيتك**: تريد سرّتي رؤيتك، فجعل المسرة حياة، وهو مجاز في المثبت، ثم أسندها إلى الرؤية وهو مجاز في الإثبات⁵.

وأكد "ابن أبي الإصبع المصري" أن المجاز في المثبت لا يكون إلا في المفرد، وأن المجاز في الإثبات لا يكون إلا في الجملة⁶. ثم نقل ما ذهب إليه "عبد القاهر الجرجاني" من أن «حدّ المجاز إذا كان الموصوف به منفردا غير حدّه إذا كان الموصوف به جملة»⁷. ثم ذكر عقيب ذلك حدّ الحقيقة في المفرد، وهو: كلّ كلمة أريد بها ما وقعت له في وضع واضعها (وقوعا لا تستند فيه إلى غيره كالأسد للبهيمة المخصوصة)، أما حدّ الحقيقة في

1 - ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن ، ص177.

2 - المصدر نفسه : ص177.

3 - ينظر: المصدر نفسه ، ص177.

4 - المصدر نفسه: ص177.

5 - ينظر: المصدر نفسه، ص177.

6 - ينظر: المصدر نفسه، ص177.

7 - المصدر نفسه: ص177.

الجملة، فهو: كل جملة وضعتها على أن الحكم المستفاد بها على ما هو عليه في العقل، وواقعة موقعه، فهو حقيقة، ومثاله قولك: خلق الله العالم¹.

وقال في حدّ المجاز في المفرد بأنه: «كلّ كلمة أريد بها غير ما وقعت له في وضع واضعها الأول لملاحظة بين الأول والثاني»². ويتابع كلامه بأن: «كل جملة أخرجت الحكم المستفاد بها من موضعه لضرب من التأويل فهي مجاز»³.

وقد أشار "ابن أبي الإصبع المصري" إلى الخلاف الحاصل بين كلام القاضي الجرجاني وفخر الدين بن الخطيب الرازي حول هذا الحد⁴.

ويرى "ابن أبي الإصبع المصري" أن المجاز عند أرباب علم البيان على ضربين:

_ ضرب مع الحذف، كقوله تعالى: ﴿وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ﴾ {سورة يوسف، الآية 82}، بمعنى أهل القرية، وكقوله سبحانه: ﴿وَيَا سَمَاءُ اقْلَعِي﴾ {سورة هود، الآية 44}، والمقصود ويا مطر السماء، أو يا سحب السماء⁵.

_ والضرب الثاني مع غير الحذف، وهو الذي اشتقّ له النقاد أسماء مشتقة مما لا يقع الكلام فيه كالاستعارة، اشتقّت من كون اللفظ يستعار فيه شيء لشيء⁶.

1 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 178.

2 - المصدر نفسه: ص 178.

3 - المصدر نفسه: ص 178.

4 - ينظر: المصدر نفسه، ص 178.

5 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير، ص 458. وينظر: ابن أبي الإصبع المصري، بديع القرآن، ص 179.

6 - ينظر: ابن أبي الإصبع المصري: بديع القرآن، ص 178.

خاتمة

خاتمة:

حاولنا في هذا البحث دراسة المصطلحات النقدية والبلاغية عند "ابن أبي الإصبع المصري" في كتابيه "تحرير التحبير" و"بديع القرآن"، والتعرف على مفاهيمه للمصطلحات ومفاهيم أسلافه للمصطلحات ذاتها، ومدى اتفائه واختلافه معهم، وتأثره بهم وتأثر اللاحقين به، وجديده الذي جاء به.

وقد أفضى البحث إلى نتائج هي:

_ أن ابن أبي الإصبع كان سنيا في تعامله مع المصطلح، ولما كان كذلك فهو يؤمن بالتراث ويفسر المصطلح بالاستناد إليه وبتقديم النقل على العقل؛ فالسنة يعتمدون في تفسيرهم وتأسيسهم للمصطلح على النص، حيث يستمدون أدلتهم من القرآن الكريم، والحديث الشريف، والسلف الصالح، وهذا يحتل نسبة كبيرة في وعيه النقدي والاصطلاحي، ثم يأتي العقل في المرتبة الثانية، ويتجلى ذلك في إبداء رأيه في بعض الأمور سواء بالموافقة أو بالمعارضة.

_ اتضح لنا أن "ابن أبي الإصبع المصري" لم يكن يريد أن يؤلف في مجال المصطلح النقدي والبلاغي لمجرد التأليف، وإنما كان يحاول أن يضيف الجديد الذي يسهل على الدارسين فهم القرآن الكريم، وإدراك سرِّ إعجازه، حتى تكون لكتاباته إضافات أخرى لم يتنبه إليها البلاغيون ودارسو الإعجاز. فقد تأثر بسابقه وأثر في لاحقيه، فجمع المصطلحات البلاغية والنقدية وبحثها مبديا رأيه فيها بذكاء ودراية، حيث ناقش تعريفات السابقين لبعض المصطلحات وذيل تلك المناقشة برأيه الخاص، ووافق بين تلك الآراء في حالات عدة.

_ على الرغم من أن "ابن أبي الإصبع المصري" قد ظهر في عصر عرف بالتبعية والتكرار لنظريات السابقين، فإن حرصه على الاجتهاد والإبداع في مجال المصطلحات النقدية والبلاغية من أجل فهم القرآن الكريم وإدراك سرِّ إعجازه، وكذلك سعيه إلى أن تكون قراءته للتراث منتجة وفاعلة، جعل ميزة خاصة لجهوده في التأسيس.

_ تجلت جهوده في عناصر عدة، تعلق بعضها بالمنهج، وبعضها بالموضوعات، وبعضها بالشواهد والنصوص، وبعضها الآخر بالمصطلحات، حيث توسع في هذه الأخيرة وأكثر منها حتى أوصلها إلى ما يربو عن مائة وثلاثين مصطلحا نقديا وبلاغيا.

_ كان له منهجه في تصنيف المادة العلمية وتبويبها، حيث أعاد ترتيب أبواب البديع التي أخذها عن غيره، فلم يكن مجرد ناقل عن السابقين، بل نقد آراءهم وشواهدهم فحرر ما يحتاج إلى تحرير وحرر ما يحتاج إلى تحبير، وبذلك كان ناقدا أكثر منه ناقلا.

_ لقد درس "ابن أبي الإصبع المصري" المصطلح بأسلوب علمي يعتمد على أداء الحقائق والدقة في البحث والاستقصاء، والأسلوب الأدبي الذي يعتمد على الذائقة الفنية، فقد قام باستقصاء القواعد البلاغية التي جاء بها السابقون ونظمها في كتابيه المذكورين.

_ لم تكن الألوان البديعية عنده من قبيل الزينة أو الزخرفة اللفظية، كما هو الحال عند غيره من النقاد والبلاغيين، وإنما هي خاصية طبيعية ومتأصلة في القرآن الكريم. فكل المصطلحات التي جاء بها جعلها مفاتيح لفهم الخصائص الجمالية الموجودة في القرآن الكريم، ومن خلالها يمكن استجلاء فصاحته وبلاغته. حيث حرص على وضع المصطلحات باعتبارها وعاء للمفاهيم والأفكار التي أراد من خلالها تبيان وجه الإعجاز في القرآن الكريم، وبذلك فقد كان على وعي بأهمية المصطلح على أنه الركيزة الأساسية لذلك.

_ شارك أمته في الحياة العقلية في عصره، فكان مؤلفا، وأديبا، وعالما، وكاتبا، وشاعرا، له تصنيفات عديدة، منها الكتابان المتناولان بالدراسة: "تحرير التحبير" و "بديع القرآن"، فأوجد بذلك لنفسه مكانة بين معاصريه.

_ تكشف لنا من خلال بحثنا هذا أن الدراسات تتابعت عن إعجاز القرآن البياني، كل يحاول جهده، ويبدل وسعه ولكن أحدا لم يخصص دراسته لبلاغة القرآن أو بديعه قبل "ابن أبي الإصبع المصري".

_ الاهتمام الكبير بالشواهد، حيث اتسع ذلك ليشمل نماذج متنوعة منها والتي جاءت في سياق شرح المصطلحات ومناقشتها وتوضيحها، من قرآن كريم، وحديث نبوي شريف، وشعر عربي، وأقوال الصحابة وبعض العرب.

_ ما لمسناه كذلك أنه _ في كثير من الأحيان _ كان يخلق النص لأن التراث لا يسعفه في تفسير الظاهرة، أو عندما يكون رصيد القاعدة فقيرا، مثلما وجدناه في: باب الطاعة والعصيان، وباب تشابه الأطراف، وباب عتاب المرء نفسه... وغيرها.

_ تفاوت عدد استشاداته وتعليقاته على المصطلحات، ففيما نجده يطيل الوقوف والتعليق والشرح لمعظم مصطلحاته، يقتصر على الشاهد والشاهدين في مصطلحات أخرى.

_ جاء شرحه وتحليله لشواهد _ سواء كانت القرآنية أو الشعرية _ غزير المادة مشتملا على معارف كثيرة في اللغة، والأدب، والنقد، والبلاغة، والصرف، والنحو، والتفسير، والرياضيات، وعلم الفلك، فبدا بذلك موسوعة ثقافية ودينية. والمتبحر في كتابيه سيدرك ذلك.

_ بدا واضحا أن الموازنة الأدبية كانت لها مكانتها الخاصة عنده، فغريزة النقد والتميز والتوقف عند الشاهد شيء مغروس فيه. فنجده يوازن بين البيت أو الأبيات الشعرية والآية القرآنية، وبين الشعر والشعر. وهذا ينم عن قدرة أدبية وموهبة فطرية وبصيرة وإلهام وتوفيق من الله تعالى يملكها "ابن أبي الإصبع المصري".

_ تميّز أسلوبه بالشمولية والثراء ، حيث يوشك أن يمثل ألوان البديع كلّها الموجودة في الشاهد الواحد، ويقف عندها.

_ أخذ البديع عنده مفهوما واسعا شمل فنون البلاغة المعروفة، وهذا يمثل رفضا واعتراضا على تقسيم البلاغة العربية علوما ثلاثة: المعاني والبيان والبديع. فهو بذلك متأثر بالقدامى.

_ تكشف لنا كذلك أن السرقات لا تدخل في دائرة اهتمامه، حيث أنه أسقطها من معجمه الاصطلاحي، واستعاض عنها بمصطلحات، من مثل: حسن الاتباع، والعقد، والحل، والاستعانة، والإيداع والاشتراك... وغيرها، فالإبداع عنده لا يكون من لاشيء فهو توليد، فإذا أحسن المبدع التعبير عن معنى مسبق إليه، لم يكن سارقا، إنما هو متبع يُحسن التعبير

عن معاني غيره مع إضافة معاني جديدة، بفضل قدرته على التغيير والتحوير، وهذا ما يعبر عنه في النقد المعاصر بمصطلح "التناص".

_ قام منهجه على التفرع في الفنون البديعية والإكثار منها والتسابق في زيادتها لهذا نجده يفرق بين أنواع متقاربة جدا، حيث فرّع بعض الأنواع ووضع لكل فرع اسما يحدده، وطوّر في مفاهيم مصطلحات كثيرة، وغير أسماء بعض منها، مما رأى عدم توافق معنى مسمياتها، مثلما فعل بأبواب الأجدابي. كما أضاف إلى حقل الدراسات الاصطلاحية خمسة وعشرين (25) مصطلحا انفرد بها جعلته متميز المكانة عن غيره.

_ لقد تنوعت صياغة المصطلح عند "ابن أبي الإصبع المصري" في الكتابين فشملت المصطلحات المفردة، والمصطلحات الثنائية، والمصطلحات المتكونة من ثلاث كلمات، وتعدّى الأمر إلى مصطلحات على شكل جمل، وبالإحصاء تبين أن أغلب مصطلحات الكتابين من ذوات الكلمة الواحدة_ حتى مصطلحاته التي انفرد بها كان أغلبها كذلك_، تليها في المرتبة الثانية المصطلحات المكونة من كلمتين، بينما كانت نسبة المصطلحات الأخرى ضئيلة تماما. ففي كتاب "تحرير التحبير" مثلا وجدنا المصطلحات ذوات الكلمة الواحدة بنسبة (71.2%)، تليها المصطلحات المكونة من كلمتين بنسبة (16.8%)، بينما كانت نسبة المصطلحات الأخرى ضئيلة جدا (08.0%)، أما في كتاب "بديع القرآن" فكانت المصطلحات المكونة من كلمة واحدة بنسبة (68.80%) تأتي بعدها المصطلحات المكونة من كلمتين بنسبة (19.26%)، أما باقي المصطلحات فقد كانت نسبتها ضئيلة نسبيا (11.92%). مما يدل على أن مصطلحات الكتابين مؤسّسة اصطلاحيا؛ بمعنى أنها خاضعة لشروط وضع المصطلح؛ وهذا يفيد في سيرورته وانتشاره.

_ تكشف لنا من دراستنا للكتابين أنهما يتشابهان في المنهج والصورة العامة، ذلك أن كتاب "بديع القرآن" مستخلص من كتاب "تحرير التحبير" أفرده "ابن أبي الإصبع المصري" لما يختص بالقرآن الكريم من الأنواع البديعية، فكان اختصارا نافعا تميزت فيه بلاغة القرآن الكريم وبديعه ليسهل من وراء ذلك إخراج إعجازه، فكان بذلك عملا متميزا لم يسبق إليه.

ويختلفان _ إلى حد قليل_ في الموضوع، "فبديع القرآن" يختص بالأنواع البديعية التي وجدت إلى عصر المؤلف والخاصة بالقرآن الكريم فقط، أما "تحرير التحبير" فكان جامعاً لما في النثر والشعر من الأنواع البديعية.

_ كان "ابن أبي الإصبع المصري" متأثراً بسابقه وناقلاً عنهم، نذكر منهم: ابن المعتز وقدامة، والعسكري، وابن رشيقي، والرماني، وابن سنان الخفاجي، والخطيب التبريزي، وأسامة ابن منقذ، وابن الأثير. كما أثر في لاحقيه منهم: ابن حجة الحموي، والسيوطي، والعلوي، وابن معصوم المدني.

_ جاء ببعض المصطلحات لرشاقة التسمية من ذلك: الطاعة والعصيان.

_ غير مفاهيم بعض المصطلحات وفسرها بمفاهيم جديدة، وجلب لها شواهد من عنده، وهذه المصطلحات هي: تشابه الأطراف، والمشاكلية، وجمع المؤنث والمختلفة، والإبداع. وهذا يكشف عن صنيعه البلاغي في نقد مصطلحات البديع وشرحها والتمثيل لها.

_ يعدّ "ابن أبي الإصبع المصري" أول من التمس الفرق بين الطباق والتكافؤ، على الرغم من أن "الباقلائي" قبله قد أحسّ بالفرق عندما أفرد للتكافؤ باباً، إلا أنه لم يذكر الفرق بينهما.

_ درس أنواع البديع الموجودة في القرآن الكريم دراسة وافية، حيث استقصى في القليل من الكلمات الكثير من الأنواع البديعية.

_ دفع حب "ابن أبي الإصبع المصري" للبديع والتفريع فيه إلى الإتيان بشواهد من شعره نسجها على منوال من سبقه.

_ لقد كان مهتماً بعلاقات المعاني وما بينها من انسجام، فجاء بعدة مصطلحات عكست هذا الاهتمام، وهي: الانسجام، والتهديب، وحسن النسق، والمناسبة.

_ يعدّ "ابن أبي الإصبع المصري" أول من ذكر نوع "طباق التريدي"، وبهذا فهو من اختراعاته، كما أنه أول من عرّف "التدبيج" وسماه بذلك، غير أنه لم يكن أول من اكتشفه، فقد كانت له جذور عند "ابن رشيقي" و"ابن سنان الخفاجي" كما سبق لنا وأن ذكرناه في بابه.

_ لم يتخلص المصطلح النقدي والبلاغي عند "ابن أبي الإصبع المصري" تماما_ من الاضطراب والخلط الذي كان عليه عند سابقيه.

_ ففي ترتيبه للألوان البديعية لاحظنا أن هناك خلطاً واضحاً، فقد وضع الاستعارة والتشبيه والكناية قبل المجاز لا بعده، فهو بهذا ينتقل من الجزء إلى الكل كما لو أن المنطق يقتضي ذلك.

_ كذلك نلاحظ من هذا الترتيب أن المؤلف يقدم الاستعارة على التشبيه، وهو بذلك يشبه ما قام به كل من: "ابن المعتز" في كتابه "البديع"، و"ابن رشيق" في كتابه "العمدة"، و"ضياء الدين بن الأثير" في كتابه "المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر"، ويخالف ما قام به كل من: "الرماني" في رسالته "النكت في إعجاز القرآن"، و"أبي هلال العسكري" في كتابه "الصناعتين"، و"السكاكي" في كتابه "مفتاح العلوم" من تقديم التشبيه على الاستعارة.

_ بدا جلياً_ في بعض المواضع_ عدم مطابقة التنظير للتطبيق، وخاصة في بعض أنواع التجنيس، وكذا في الإغراق والغلو.

_ تأثر كل التأثر بالخطيب التبريزي في الجنس كله، حيث نقله عنه وأخذ بكل آرائه. كما تأثر بابن رشيق في باب المبالغة أو كما أطلق عليها هو الإفراط في الصفة، وهذا حين خلط بين الغلو والإغراق كما فعل ابن رشيق.

وإذ تحققت لنا النتائج في هذه الدراسة، فهذا يعود في جانب منه إلى أننا استندنا إلى علم اللغة_ ذلك أن المصطلح في أساسه لغة_ فقد أفدنا من الإنجازات العلمية التي تمت في حقل الدراسات اللغوية في تراثنا اللغوي، وكذا ما جاء به علماء اللغة المعاصرون.

وإذا كانت الجهود السابقة في التجديد المصطلحي النقدي والبلاغي، فقد كانت لابن أبي الإصبع المصري جولات في النقد مع الشعراء السابقين، يتبع شعره بشعرهم ويحسن ذلك الإتيان. ونقده هذا لم يقف عند الشعراء، فقد كان يوجهه إلى المفسرين والنحويين، مع المحاجة والمنازعة في الرأي ودحض الحجة بالحجة. كما أنه نفى الشعر عن القرآن الكريم ورد بقوة على من ادعى ذلك في باب الانسجام.

وعليه، فقد كان دائم الحرص على الاجتهاد والإبداع في مجال المصطلحات حيث أثرى الحقل المصطلحي بمفاهيم كثيرة ومصطلحات جديدة بغرض الحد من الخلافات القائمة بين الدارسين.

وكما عدَّ "ابن أبي الإصبع المصري" حلقة من سلسلة العلماء الذين توفروا على دراسة البيان العربي، نطمح أن يكون هذا البحث حلقة في سلسلة الدراسات التي اهتمت بالمصطلح النقدي والبلاغي من خلال دراسة كتابين مهمين من كتب النقد والبلاغة في القرن السابع الهجري. آمليين أن يأتي من يكمل حلقات هذه السلسلة، لأن الأمر يحتاج إلى تضافر الجهود فالحاجة لا تزال قائمة لدراسة مصطلحات "ابن أبي الإصبع المصري" النقدية والبلاغية من زوايا منهجية مغايرة، تسلط الضوء على جوانب مهمة أهملت منه، بغية الإسهام في إنشاء المشروع الكبير، مشروع إنشاء المعجم التاريخي للمصطلح النقدي الذي تحلم به الدوائر العلمية.

في الختام لا يسعني إلا أن أقول أو أصرِّح كما صرِّح "ابن أبي الإصبع المصري" في مقدمة كتابه "تحرير التحبير" - وهي في رأبي مقولة تصدق على كل بحث وباحث - في قوله: « وكل أحد مأخوذ من قوله ومتروك إلا من عصمه الله من أنبيائه - صلوات الله عليهم وسلامه - والسعيد من عدت سقطاته، ﴿وما أبرئ نفسي﴾، ولا أدعي سلامة وضعي دون أبناء جنسي».

والله نسأل التوفيق والسداد نعم المولى ونعم النصير، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

ملخصات البحث

1- ملخص البحث باللغة العربية:

المصطلح النقدي والبلاغي في كتابي: تحرير التحبير وبيدع القرآن

لابن أبي الإصبع المصري (دراسة دلالية معجمية)

يتناول هذا البحث دراسة المصطلح النقدي والبلاغي عند "ابن أبي الإصبع المصري" في كتابيه: تحرير التحبير وبيدع القرآن. وقد اشتمل هذا البحث على تمهيد وقسمين وخاتمة وفهارس.

عالجنا في التمهيد (الإشكالية النظرية للمصطلح)، وكان ذلك في محورين اثنين: وقفنا الأول على المفهوم اللغوي والاصطلاحي للمصطلح، وشروط صناعته، كما تطرقنا إلى اختلاف الدارسين في النظر لصناعته. وعالجنا في الثاني علاقة المصطلح بعلم المصطلح (المصطلحية)، وآليات صناعته.

أما القسم الأول (الدراسة الوصفية والتاريخية للمصطلح في الكتابين)، فقد تضمن بايين: خصصنا الباب الأول للدراسة التاريخية للمصطلح، تناولنا في فصله الأول العوامل الثقافية في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح، وفي فصله الثاني العوامل العلمية والدينية المؤثرة في التأليف الاصطلاحي لدى المؤلف وعلاقتها بإعجاز القرآن.

أما الباب الثاني فقد خصصناه (للدراسة الوصفية للمصطلح في الكتابين)، اشتمل على فصلين، الأول (الدراسة الوصفية للمصطلح في تحرير التحبير)، تطرقنا في محوره الأول إلى تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته. وقصرنا المحور الثاني على الصياغة الاصطلاحية في الكتاب ومستوياتها.

أما الفصل الثاني (الدراسة الوصفية للمصطلح في كتاب بيدع القرآن)، فقد عالجنا في محوره الأول تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته، ثم عرضنا لمفهوم البديع والتأسيس له بمنظور جديد، ووقفنا المحور الثاني على الصياغة الاصطلاحية في الكتاب ومستوياتها. وتطرقنا في المحور الثالث إلى أوجه التشابه والاختلاف الاصطلاحي في الكتابين.

وبهذا انتهى الحديث عن القسم الأول ويليه القسم الثاني (الدراسة الدلالية لحقول المصطلح في الكتابين)، وهو يعدّ أكبر حجماً من سابقه، وأكثر ثراءً في مادته، ولذلك جاء في ثلاثة أبواب، كل باب تضمن عدداً من الفصول.

تطرقنا في الباب الأول (الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الإيقاع) إلى (مصطلحات التكرار الصوتي)، و(مصطلحات التكرار اللفظي)، و(مصطلحات الائتلاف والتناسب)، و(مصطلحات التقابل والتضاد).

وتحدثنا في الباب الثاني (الدراسة الدلالية لمصطلح حقل التركيب) عن (مصطلحات أقسام الكلام)، و(مصطلحات التنوع في الأسلوب)، و(مصطلحات التماسك النصي)، و(مصطلحات الحجاج العقلي).

ووقفنا الثالث (الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الخيال والإبداع) على (مصطلحات الإبداع والاختراع)، و(مصطلحات التداخل في عملية الإبداع)، و(مصطلحات التجاوز والتوسع) و(مصطلحات الإيماء والإيحاء)، و(مصطلحات الصورة الفنية).

وأما الخاتمة فقد أجملنا فيها النتائج التي توصلنا إليها في هذا البحث، وأتبعناها بملخصات للبحث، وذيّلنا ما تقدم بفهارس، الأول للمعجم الألفبائي للمصطلحات التي جاءت في الكتابين، وهو تصنيف آخر يختلف عما سبق، الغاية منه هي تمكين القارئ أو الباحث من التعرف على المصطلح والكشف عنه في شيء من اليسر يوفر عليه الوقت والجهد. وبعد هذا جاء الفهرس الثاني وهو مصادر البحث ومراجعته، وأخيراً كان الثالث لمحتوياته.

Abstract

The Critical and Rhetorical Term in these Two Books of Ibn Abi al-Isba al-Masri : Tahrir Tahbir and Badi Qur'an

(Lexical Semantic Study)

This research treats the subject of the critical and rhetorical term in Ibn Abi al-Masri al-Masri 's books : Tahrir al-Tahbir and Badi 'al-Qur'an. It has included a preamble, two sections, a conclusion and indexes.

We have dealt with (the theoretical problem of the term) in the preamble, in two axes: the first is about the lexical concept and the definition of the term, and the conditions of its creation. We dealt also with the different manners of styling its creation by the researchers. The second is about relationship between the term and the terminology and the mechanisms of its creation.

The first part (the descriptive and historical study of the term in the two books), has been divided into two sections; We have devoted the first one to the historical study of the term, so, in its first chapter, we have shown the cultural factors that create the The author's awareness of the term, however the second chapter has explained the scientific and religious factors that affect on the author's writing and their relationship with the miracle of the Qur'an.

The second section is devoted to (the descriptive study of the term in the two books), and included two chapters; the first one (the descriptive study of the term in « Tahrir Tahbir »in which we have, in the first axis, Analyzed the conventional wording of the title of the book and indicated the methodology used in its treatment. We have made the second axis for the form of the term in the book and its levels.

In the second chapter (the descriptive study of the term in the book Badi Qur'an), we have ,in the first axis, analyzed the conventional wording of the title of the book and the methodology used in dealing with it, then we have

introduced the concept of Badi « beautiful and creative manner of writing » on applying new perspective. The second axis is about the terminological form in the book and its levels. In the third axis, we discussed the similarities and the differences between the two books concerning terminology.

Thus the talk on the first section ended, but followed by the second section (semantic study of the term fields in the two books), which is larger than the previous, and richer in its references, therefore has come in three sections, each section has included a number of chapters.

In the first section (semantic study of the term of rhythmic field), we have addressed (terms of phonetic repetition), (terms of verbal repetition), (terms of coalition and proportionality), and (terms of the opposite).

In the second section (semantic study of the term of syntactic field), we talked about (terms of speech sections), (terms of diversity in style), (terms of textual cohesion), and (terms of mental argumentation).

And our third section (semantic study of the term of imaginary and creative field) have adressed these points; (terms of creativity and invention), (terms of interference in the process of creativity), (terms of transcendence and expansion), (terms of gesture and suggestion), and (terms of poetics).

As for the conclusion, we have summarized the results we have reached in this research, followed by summaries of the research, and indexes; the first is the alphabetical dictionary of termes selected from the two books, an other classification that differs from the above, in order to enable the reader or researcher to identify the term and discover it easily without any effort or wasting of time. The second index is for the sources and references of this reasearch and finally the third is for its contents.

Résumé

Le terme critique et rhétorique dans ces deux livres d'Ibn Abi al-Isba al-Masri: Tahrir Tahbir et Le Badi Du Coran (Étude sémantique lexicale)

Cette recherche traite du sujet des termes critiques et rhétoriques des livres d'Ibn Abi al-Masri al-Masri: Tahrir al-Tahbir et Badi 'al-Qur'an. Elle comprend un préambule, deux sections, une conclusion et des index.

Nous avons traité (le problème théorique du terme) dans le préambule, en deux axes; le premier concerne le concept lexical et la définition du terme, ainsi que les conditions de sa création. Nous avons également abordé les différentes manières d'organiser sa création par les chercheurs. Le deuxième concerne la relation entre le terme et la terminologie et les mécanismes de sa création.

La première section (l'étude descriptive et historique du terme dans les deux livres) a été divisée en deux parties; Nous avons consacré la première à l'étude historique du terme; nous avons donc montré dans son premier chapitre les facteurs culturels à la base de la prise de conscience de ce terme. Cependant, le deuxième chapitre a expliqué les facteurs scientifiques et religieux qui affectent sur l'écriture de l'auteur et sa relation avec le miracle du Coran.

La deuxième partie est consacrée à (l'étude descriptive du terme dans les deux livres) et comprend deux chapitres; le premier (l'étude descriptive du terme dans «Tahrir Tahbir» dans lequel nous avons, dans le premier axe, analysé le libellé conventionnel du titre du livre et indiqué la méthodologie utilisée dans son traitement. Nous avons fait le deuxième axe pour la forme du terme dans le livre et ses niveaux.

Dans le deuxième chapitre (l'étude descriptive du terme dans le livre Badi Coran), nous avons analysé, dans le premier axe, la formulation conventionnelle du titre du livre et la méthodologie utilisée pour le traiter, puis introduit le concept de Badi «une manière d'écrire belle et créative» pour appliquer une

nouvelle perspective. Le deuxième axe concerne la forme terminologique du livre et ses niveaux. Dans le troisième axe, nous avons discuté des similitudes et des différences entre les deux livres concernant la terminologie.

Ainsi, la discussion sur la première section s'achève, suivie de la deuxième (étude sémantique des champs de termes dans les deux livres), plus volumineuse que la précédente et plus riche en références. Elle est donc composée de trois sections, chacune a inclus un certain nombre de chapitres.

Dans la première partie (étude sémantique du terme de champ rythmique), nous avons abordé (termes de répétition phonétique), (termes de répétition verbale), (termes de coalition et de proportionnalité) et (termes du contraire).

Dans la deuxième partie (étude sémantique du terme de champ syntaxique), nous avons parlé de (termes des sections de discours), (termes de diversité de style), (termes de cohésion textuelle) et de (termes d'argumentation raisonnable).

Et notre troisième section (étude sémantique du terme de champ imaginaire et créatif) a abordé ces points; (termes de créativité et d'invention), (termes d'interférence dans le processus de créativité), (termes de transcendance et d'expansion), (termes de geste et de suggestion) et (termes de poétique).

Pour ce qui est de la conclusion, nous avons résumé les résultats obtenus dans cette recherche, suivis de résumés de la recherche et d'index; le premier est le dictionnaire alphabétique de termes choisis dans les deux livres, une autre classification différente de la précédente pour permettre au lecteur ou au chercheur d'identifier le terme et de le découvrir facilement, sans effort et sans perte de temps. Le deuxième index concerne les sources et les références de cette recherche et enfin le troisième concerne son contenu.

الفهارس

1- المعجم الألفبائي للمصطلحات

_ المعجم الألفبائي للمصطلحات:

- 1_ الإبداع.....439
- 2_ الإبهام.....519
- 3_ إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء.....257
- 4_ الإدماج.....505
- 5_ الإرداف والتتبع.....520
- 6_ الإسجال بعد المغالطة.....364
- 7_ الإشارة.....523
- 8_ الإغراق.....500
- 9_ الإفراط في الصفة.....495
- 10_ الإلجاء.....413
- 11_ الإلغاز والتعمية.....526
- 12_ الإيجاز.....299
- 13_ الإيداع.....439
- 14_ الإيضاح.....308
- 15_ الإيغال.....313
- 16_ ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام.....223
- 17_ ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت.....220
- 18_ ائتلاف اللفظ مع المعنى.....216
- 19_ ائتلاف اللفظ مع الوزن.....218
- 20_ ائتلاف المعنى مع الوزن.....220
- 21_ الاتساع.....493

442.....	_22_ الاتفاق
291.....	_23_ الاحتراس
133.....	_24_ الازدواج
358.....	_25_ الاستثناء
528.....	_26_ الاستخدام
362.....	_27_ الاستدراك والرجوع
366.....	_28_ الاستطراد
550.....	_29_ الاستعارة
465.....	_30_ الاستعانة
294.....	_31_ الاستقصاء
467.....	_32_ الاشتراك
173.....	_33_ الاطراد
508.....	_34_ الافتتان
444.....	_35_ الاقتدار
136.....	_36_ الالتزام
369.....	_37_ الالتفات
227.....	_38_ الانسجام
297.....	_39_ الانفصال
403.....	_40_ براعة التخلص
317.....	_41_ البسط
374.....	_42_ تأكيد المدح بما يشبه الذم
530.....	_43_ تجاهل العارف
140.....	_44_ التجزئة

176.....	التجنيس	_45
229.....	التخيير	_46
271.....	التديج	_47
320.....	التذيل	_48
191.....	الترديد	_49
542.....	الترشيح	_50
141.....	الترصيع	_51
144.....	التسجيع	_52
417.....	التسليم	_53
151.....	التسميط	_54
233.....	التسهيم	_55
198.....	تشابه الأطراف	_56
558.....	التشبيه	_57
153.....	التشطير	_58
532.....	التشكيك	_59
446.....	التصرف	_60
155.....	التصريع	_61
201.....	التطريز	_62
204.....	التعطف	_63
511.....	التعليق	_64
414.....	التعليل	_65
376.....	التغاير	_66
381.....	التفريع	_67

345.....	68_ التفريق والجمع.....
325.....	69_ التفصيل.....
161.....	70_ التفويف.....
206.....	71_ التكرار.....
326.....	72_ التكميل.....
330.....	73_ التلفيف.....
332.....	74_ التمام.....
534.....	75_ التمثيل.....
515.....	76_ التمزيج.....
383.....	77_ التنذير.....
418.....	78_ التنظير.....
447.....	79_ التكتيت.....
237.....	80_ التهذيب والتأديب.....
385.....	81_ التهكم.....
158.....	82_ التوأم.....
539.....	83_ التورية.....
223.....	84_ التوشيح.....
164.....	85_ التوشيع.....
471.....	86_ التوليد.....
544.....	87_ التوهيم.....
243.....	88_ جمع المؤتلفة والمختلفة.....
400.....	89_ حسن الابتداءات.....
474.....	90_ حسن الاتباع.....

337.....	91_ حسن البيان.....
481.....	92_ حسن التضمين.....
408.....	93_ حسن الخاتمة.....
246.....	94_ حسن النسق.....
420.....	95_ حصر الجزئي وإحاطه بالكلية.....
484.....	96_ الحل.....
425.....	97_ الحيدة والانتقال.....
194.....	98_ رد الأعجاز على الصدور.....
355.....	99_ الزيادة التي تفيد اللف فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا لمدلوله عن غيره.....
449.....	100_ سلامة الاختراع من الاتباع.....
259.....	101_ السلب والإيجاب.....
388.....	102_ الشماتة.....
342.....	103_ صحة الأقسام.....
347.....	104_ صحة التفسير.....
277.....	105_ صحة المقابلات.....
249.....	106_ الطاعة والعصيان.....
263.....	107_ الطباق.....
389.....	108_ عتاب المرء نفسه.....
485.....	109_ العقد.....
283.....	110_ العكس والتبديل.....
487.....	111_ العنوان.....
503.....	112_ الغلو.....
452.....	113_ الفرائد.....

422.....	القَسَمَ	_114
427.....	القول بالموجب	_115
566.....	الكناية	_116
570.....	المجاز	_117
428.....	المذهب الكلامي	_118
208.....	المراجعة	_119
351.....	المساواة	_120
210.....	المشكلة	_121
454.....	المقارنة	_122
166.....	المماثلة	_123
252.....	المناسبة	_124
431.....	المناقضة	_125
391.....	الموارية	_126
490.....	الموارد	_127
169.....	الموازنة	_128
394.....	النزاهة	_129
275.....	نفي الشيء بإيجابه	_130
456.....	النوادر	_131
395.....	الهجاء في معرض المدح	_132
397.....	الهزل يراد به الجد	_133

2- قائمة المصادر والمراجع

_ قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم (برواية ورش عن نافع)

2-1_ المصادر:

* ابن أبي الإصبع المصري (أبو محمد زكي الدين عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر):

01_ بديع القرآن، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة، ط3، 1972م.

02_ تحرير التعبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تقديم وتحقيق حفني محمد شرف، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، (د ط)، 1995م.

03_ ابن الأثير (ضياء الدين): المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، قدمه وعلق عليه أحمد الحوفي وبدوي طبانة، دار نهضة مصر للطبع والنشر، ط2، ج(1، 2، 3).

04_ الأخطل (أبو مالك): الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1994م.

05_ الأعشى (ميمون بن قيس بن جندل): الديوان، تحقيق محمود إبراهيم محمد الرضواني، وزارة الثقافة والفنون والتراث، الدوحة، قطر، ط2010، 1م، ج(1، 2).

06_ الأمدي (أبو القاسم الحسن بن بشر): الموازنة بين شعر أبي تمام والبحتري: تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، القاهرة، (د ط)، 1961م، ج1.

07_ أوس بن حجر: الديوان، تحقيق وشرح محمد يوسف نجم، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1980م.

08_ امرؤ القيس (بن حجر بن عمرو): الديوان، ضبطه وصححه مصطفى عبد الشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط5، 2004م.

09_ الباقلائي (أبو بكر بن الطيب): إعجاز القرآن، تحقيق السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، (د ط)، (دت).

- 10_ البحتري(أبو عبادة الوليد بن عبيد بن يحيى): الديوان، تحقيق وشرح وتعليق حسن كامل الصيرفي، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط3،(د ت)، مجلد(1، 2، 3، 4)
- 11_ التبريزي(يحيى بن علي بن الحسن): الكافي في العروض والقوافي، شرح وتعليق محمد أحمد قاسم، المطبعة العصرية، صيدا، بيروت، (د ط)، 2004م.
- 12_ أبو تمام(حبيب بن أوس بن الحارث الطائي): الديوان، شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع فهرسه راجي الأسمر، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1994م، ج(1)، (2).
- 13_ التهانوي(محمد بن علي الفاروقي): موسوعة كشاف اصطلاحات الفنون والعلوم، تحقيق علي دحروج،(د ط)، مكتبة لبنان ناشرون، ج1.
- 14_ الثعالبي(أبو منصور عبد الملك بن محمد إسماعيل): فقه اللغة وسر العربية، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط1، 1998م، ج2.
- 15_ ثعلب(أبو العباس أحمد بن يحيى): قواعد الشعر، تحقيق رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط2، 1995 م.
- *الجاحظ(أبو عثمان عمرو بن بحر):
- 16_ البيان والتبيين، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، ط7، 1998م، ج(1، 2، 4).
- 17- الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة البابي الحلبي، مصر، ط 2، 1965 م، ج (1، 2، 3، 4، 5).
- 18_ رسائل الجاحظ، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، (د ط)، (د ت)، ج2.
- * الجرجاني(عبد القاهر بن عبد الرحمن):
- 19_ أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة،(د ط)، (د ت).

20_ دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه أبو فهر محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي القاهرة، (دط)، (دت).

21_ الجرجاني(علي بن عبد العزيز القاضي): الوساطة بين المتبني وخصومه، تحقيق وشرح محمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البجاوي، المكتبة العصرية، بيروت، لبنان، ط1، 2006م.

22- الجرجاني(علي بن محمد الشريف): كتاب التعريفات، تحقيق إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط 4، 1998 م.

23_ جرير: الديوان، شرح محمد إسماعيل عبد الله الصاوي، مطبعة الصاوي، مصر، ط1، (دت).

24- ابن جني(أبو الفتح عثمان): الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، (دط)، 1913م، ج1.

25_ ابن حجة الحموي(تقي الدين أبو بكر بن علي بن عبد الله): خزانة الأدب وغاية الأرب، تقديم وتحقيق محمد ناجي بن عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2008م، ج (1، 2).

26_ حسان بن ثابت: الديوان، شرحه وكتب هوامشه وقدم له عبدأ مهنا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2002، 3م.

27_ الحطيئة(أبو مليكة جرول بن أوس): الديوان، برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق نعمان محمد أمين طه، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط1، 1987م.

28- الخطابي: بيان إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (دت).

29_ الخنساء(تماضر بنت عمرو بن الحارث بن عمرو الشريد): الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طماس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2004م.

30- الخوارزمي: مفاتيح العلوم، حققه إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2.

31_الرازي(فخر الدين محمد بن عمر): نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز، حققه وعلّق عليه نصر الله حاجي مفتي أوغلي، دار صادر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.

32_ رؤية بن العجاج: الديوان، شرح عالم نحوي قديم(مجهول)، تحقيق عبد الوهاب عبد الله، مراجعة محمد حسن عبد العزيز، مجمع اللغة العربية ، القاهرة، ط1، 2008م، ج2.

33- ابن رشيق القيرواني(أبو علي الحسن): العمدة في محاسن الشعر، وآدابه، ونقده، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الجيل، بيروت، لبنان، ط5، 1981م، ج(1، 2).

34- الرماني(أبو الحسن علي بن عيسى): النكت في إعجاز القرآن، ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تحقيق وتعليق محمد خلف الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، (د ت).

35_ ذي الرمة(غيلان بن عقبة): الديوان، شرح الخطيب التبريزي، دار الكتاب العربي بيروت، لبنان، ط2، 1996م.

36_ ابن الرومي(أبو الحسن علي بن العباس): الديوان، شرح أحمد حسن بسج، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، ط2، 2002م، ج(1، 2، 3).

37_ الزمخشري(جار الله أبو القاسم محمود بن محمد): الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تحقيق الشيخ أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض وفتحي عبد الرحمن أحمد حجازي، مكتبة العبيكان، الرياض ،السعودية، ط1، 1978م، ج1.

38_ زهير بن أبي سلمى: الديوان، اعتنى به وشرحه حمدو طمّاس، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.

39_ ابن زيدون(أبو الوليد): الديوان، دراسة وتهذيب عبد الله سنرة، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 2005م.

- 40_ السبكي(بهاء الدين): عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت، ط1، 2003م، ج1.
- 41_ السكاكي(أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن علي): مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987م.
- 42_ ابن سلام الجمحي(محمد بن سلام): طبقات فحول الشعراء، قرأه وشرحه محمود محمد شاكر، مطبعة المدني القاهرة، مصر،(د ط)، (د ت)، ج1.
- 43_ ابن سنان الخفاجي(أبو عبد الله بن محمد بن سعيد): سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1982م.
- 44_ سيبويه(أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر): الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي القاهرة، مصر، ط3، 1988م، ج(1، 2).
- 45_ السيوطي(جلال الدين عبد الرحمن): المزهري في علوم اللغة وأنواعها، شرحه وعلق حواشيه: محمد أحمد جاد المولى بك ومحمد أبو الفضل إبراهيم وعلي محمد البيجاوي، مكتبة دار التراث، القاهرة، ط3، (د ت)، ج1.
- 46_ ابن طباطبا(أبو الحسن محمد بن أحمد العلوي): عيار الشعر، شرح وتحقيق عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 2005م.
- 47_ طرفة بن العبد : الديوان، تحقيق درية الخطيب، ولطفي الصقال، المؤسسة العربية للدراسات والنشر بيروت، لبنان، دار الثقافة والفنون دولة البحرين، ط2، 2000م.
- 48_ أبو الطيب المتنبي(أحمد بن الحسين): الديوان، شرح عبد الرحمن البرقوقي، راجعه وفهرسه يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 2004م، ج(1، 2).
- 49- أبو عبيدة (معمر بن المثنى): مجاز القرآن، تحقيق محمد فؤاد سيزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، (د ط)، (د ت)، ج1.
- 50_ أبو العتاهية: الديوان، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (د ط)، 1986م.

- 51_ عبد الله بن رواحة: الديوان، دراسة وليد قصاب، دار العلوم للطباعة والنشر، ط1، 1981م.
- 52_ عبيد بن الأبرص: الديوان، شرح أشرف أحمد عدرة، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1994م.
- 53_ عروة بن الورد والسموع: الديوانين، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، (دط)، 1982م.
- 54_ العسكري(أبو هلال): الصناعتين الكتابة والشعر، تحقيق علي محمد البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية صيدا، بيروت، لبنان، (د ط)، 1986م.
- 55_ العلوي(يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم): الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، ط1، 2002م، ج(1، 2، 3).
- 56_ عمر بن أبي ربيعة(المخزومي): الديوان، صححه بشير يموت، مكتبة الأهلية، بيروت، لبنان، ط1، 1934م.
- 57_ عمرو بن كلثوم(أبو عبادة عمرو بن كلثوم بن مالك): الديوان، جمعه وحققه وشرحه إميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط2، 1996م.
- 58_ عمرو بن معد يكرب الزبيدي: الديوان، جمعه ونسقه مطاع الطرابيشي، مطبوعات مجمع اللغة العربية، دمشق، سوريا، ط2، 1985م.
- 59_ عنتر بن شداد(العبيسي): الديوان، شرح الخطيب التبريزي، قدم له ووضع هوامشه وفهارسه مجيد طراد، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان، ط1، 1992م.
- *ابن فارس(أبو الحسين):
- 60_الصاحبي في فقه اللغة العربية وسنن العرب في كلامهما، تعليق أحمد حسن بسج، ط1، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، 1997م.

- 61- معجم مقاييس اللغة، تحقيق وضبط عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (د ط)، (د ت)، ج3، مادة (صلح).
- 62_ الفراء (أبو زكريا يحيى بن زياد): معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، لبنان، ط3، 1983م، ج3.
- 63- الفراهيدي (أبو عبد الرحمن الخليل بن أحمد): العين، تحقيق مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، سلسلة المعاجم الفهارس، (د ط)، (د ت)، ج1.
- 64_ الفرزدق (أبو فراس): الديوان، شرحه وضبطه وقدم له علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1987م.
- 65_ ابن فضل الله العمري: مسالك الأبصار في ممالك الأمصار، تحقيق كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت)، ج7.
- 66_ ابن قتيبة (عبد الله بن مسلم): تأويل مشكل القرآن، تحقيق أحمد صقر، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ط2، 1973م.
- * قدامة بن جعفر:
- 67_ جواهر الألفاظ، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1985م.
- 68_ نقد الشعر، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي للنشر، القاهرة، ط3، (د ت).
- * القزويني (محمد بن عبد الرحمن):
- 69_ التلخيص في علوم البلاغة، ضبطه وشرحه عبد الرحمن البرقوقي، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، ط1، 1904م.
- 70_ الإيضاح في علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع، وضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003م.
- 71_ كثير (بن عبد الرحمن الخزاعي): الديوان، جمعه وشرحه إحسان عباس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، (د ط)، 1971م.

72- الكفوي(أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني): الكليات، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، 1998م.

73- المبرد(أبو العباس محمد بن يزيد): المقتضب، تحقيق محمد عبد الخالق عزيمة ، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، ط2، 1994م، ج3.

74_ مسلم بن الوليد: شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق وتعليق سامي الدهان، دار المعارف، القاهرة، ط3، (د ت).

75_ ابن المعتز(عبد الله): البديع، اعتنى بنشره وتعليق المقدمة والفهارس اغناطيوس كراتشكوفسكي، دار المسيرة ، بيروت، ط3، 1982م.

76_ ابن معصوم المدني(السيد صدر الدين): أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وترجم لشعرائه شاكر هادي شاكر، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، العراق، ط1، 1969م، ج(1، 2، 3، 4، 5، 6).

77- ابن منظور(أبو الفضل جمال الدين محمد بن أحمد أبو الفتح): لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير ومحمد احمد حسب الله وهاشم محمد الشاذلي، دار المعارف، القاهرة، (د ط)،(د ت)، مادة (صلح).

78_ ابن منقذ(أسامة): البديع في نقد الشعر، تحقيق أحمد أحمد بدوي وحامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، (د ط)، (د ت).

79_ مهلهل بن ربيعة: الديوان، شرح وتقديم طلال حرب، الدار العالمية، (د ط)، (د ت).

80_ النابغة الذبياني(زياد بن معاوية): الديوان، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط2، (د ت).

81_ ابن نباتة السعدي(عبد العزيز بن عمر بن محمد): الديوان، دراسة وتحقيق عبد الأمير مهدي حبيب الطائي، دار الحرية للطباعة، بغداد، العراق، (د ط)، 1977م، ج1.

- 82_ أبو نواس(الحسن بن هانئ): الديوان، دار صادر بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- 83_ الوطواط(رشيد الدين محمد العمري): حقائق السحر في دقائق الشعر، ترجمة إبراهيم أمين الشواربي، تقديم أحمد الحوفي، المركز القومي للترجمة، القاهرة، مصر، ط2، 2009م.
- 2-2- المراجع:
- * المراجع العربية:
- * إبراهيم أنيس :
- 01_ دلالة الألفاظ ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984 م.
- 02_ من أسرار اللغة، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة، ط3، 1996م.
- 03_ إبراهيم محمد محمود الحمداني: المصطلح النقدي في كتاب العمدة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2014م.
- 04- إحسان عباس: تاريخ النقد الأدبي عند العرب(نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري)، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ط1، (د ت).
- 05_ أحمد إبراهيم موسى: الصبغ البديعي في اللغة العربية، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، القاهرة، (د ط)، 1969م.
- * أحمد مطلوب:
- 06- فنون بلاغية البيان - البديع، دار البحوث العلمية، الكويت، ط1، 1975م.
- 07_ معجم المصطلحات البلاغية وتطورها، مطبعة المجمع العلمي العراقي، (د ط)، 1986م، ج(1، 2، 3).
- 08_ معجم النقد العربي القديم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، ط1، 1989م، ج1.
- 09_ أحمد مطلوب وحسن البصير: البلاغة والتطبيق، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي، العراق، ط2، 1999م.
- 10_ أحمد الهاشمي: جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، دار الفكر، بيروت، لبنان، طبعة مجدّدة، 2003 م .

- 11_ أحمد يحي علي الدليمي: المصطلح النقدي عند أسامة بن منقذ في كتاب البديع في نقد الشعر، دار غيداء للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط1، 2014م.
- 12_ بسيوني عبد الفتاح فيود: علم البديع دراسة تاريخية وفنية لأصول البلاغة ومسائل البديع، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 2004م.
- 13_ جابر عصفور: الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، ط3، 1992م.
- 14_ جبور عبد النور: المعجم الأدبي، دار العلم للملايين، بيروت، لبنان، ط2، 1984م.
- 15_ جميل عبد المجيد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (دط)، 1998م.
- 16_ جميل صليبا: المعجم الفلسفي بالألفاظ العربية والفرنسية والإنجليزية واللاتينية، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، ط1، 1971م، ج1.
- 17_ حسن طبل: أسلوب الالتفات في البلاغة القرآنية، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، (دط)، 1998م.
- 18_ رجاء وحيد دويدري: المصطلح العلمي في اللغة العربية عمقه التراثي وبعده المعاصر، دار الفكر، دمشق، ط1، 2010م.
- 19_ ساطع الحصري: في اللغة والأدب وعلاقتها بالقومية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، طبعة خاصة.
- 20_ سميح أبو مغلي: تعريب الألفاظ والمصطلحات وأثره في اللغة والأدب، دار البداية ناشرون وموزعون عمان، الأردن، ط1، 2011م.
- *الشاهد البوشيخي:
- 21_ مصطلحات النقد العربي لدى الشعراء الجاهليين والإسلاميين (قضايا ونماذج)، عالم الكتب الحديث، اردب الأردن، ط1، 2009م.

- 22_ مصطلحات نقدية وبلاغية في كتاب البيان والتبيين للجاحظ ، دار القلم للنشر والتوزيع، الكويت، ط2، 1990م.
- 23_ شفيح السيد: البحث البلاغي عند العرب تأصيل وتقييم، دار الفكر العربي، القاهرة، (دط)، (د ت).
- 24- شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط 9، (د ت).
- 25_ عبد الله إبراهيم: الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، لبنان، ط1، 2004م.
- 26_ عبد الله محمد العبد: المصطلح اللساني العربي وقضية السيرورة، منشورات اتحاد كتاب العرب، دمشق، سوريا، (د ط)، 2011م.
- 27- عبد الحق بلعابد: عتبات (جبرار جينيت من النص إلى المناص)، تقديم سعيد يقطين، دار الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط1، 2008م.
- 28_ عبد الرزاق جعنيدي: المصطلح النقدي قضايا وإشكالات، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، (د ط)، 2011م.
- 29_ عبد السلام محمد هارون: معجم ألفاظ القرآن الكريم، مجمع اللغة العربية، مصر، ط2، 1989م، ج1، مادة (بدع).
- *عبد السلام المسدي:
- 30_ قاموس اللسانيات مع مقدمة في علم المصطلح، الدار العربية للكتاب، (د ط)، 1984م.
- 31_ المصطلح النقدي، مؤسسات عبد الكريم بن عبد الله للنشر والتوزيع، تونس، (د ط)، 1984م.
- 32_ عبد العزيز عتيق: علم البديع، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- 33_ عبد القادر المغربي: الاشتقاق والتعريب، مطبعة الهلال بالفجالة بمصر، (د ط)، 1908م.

- 34_ عزت محمد جاد: نظرية المصطلح النقدي، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، (د ط)، 2002م.
- 35_ عز الدين إسماعيل: الأسس الجمالية في النقد العربي -عرض وتفسير ومقارنة-، دار الفكر العربي، القاهرة، مصر، 1992م.
- 36_ علي الجندي: فن الجناس، دار الفكر العربي للطبع والنشر، مصر، (د ط)، (د ت).
*علي القاسمي:
- 37_ علم المصطلح أسسه النظرية وتطبيقاته العملية، مكتبة لبنان ناشرون، بيروت، لبنان، (د ط)، 2008م.
- 38_ مقدمة في علم المصطلح، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط2، 1987م.
- 39_ مجدي وهبة وكامل المهندس: معجم المصطلحات العربية في اللغة والأدب، مكتبة لبنان، ط2(منقحة ومزودة)، 1984م.
- 40_ مجمع اللغة العربية بالقاهرة: المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، ط4، 2004م، مادة(صلح).
- 41- محمد عبد المطلب: البلاغة والأسلوبية، دار نوبار للطباعة القاهرة، مصر، ط1، 1994م.
- 42_ محمد عزام: المصطلح النقدي في التراث الأدبي العربي، دار الشرق العربي، بيروت، لبنان، (د ط)، (د ت).
- 43_ محمد طبي: وضع المصطلحات، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغبة، الجزائر، (د ط)، 1992م.
- 44_ محمد محمد أبو موسى: دلالات التراكم دراسة بلاغية، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1987م.
- 45_ محمد الواسطي: ظاهرة البديع عند الشعراء المحدثين -دراسة بلاغية نقدية-، دار نشر المعرفة، الرباط، المغرب، ط1، 2003م.

46_ محمود فهمي حجازي: الأسس اللغوية لعلم المصطلح، مكتبة غريب، القاهرة، (د ط)، (د ت).

47_ مصطفى الشهابي: المصطلحات العلمية في اللغة العربية في القديم والحديث، دار صادر، بيروت، ط 2، 1988م.

48_ مصطفى صادق الرافعي: تاريخ آداب العرب، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، 2000م، ج 2.

49_ ممدوح محمد خسارة: علم المصطلح وطرائق وضع المصطلحات، دار الفكر، دمشق، ط 2، 2013م.

50_ منير سلطان: البديع تأصيل وتجديد، منشأة المعارف بالإسكندرية، (د ط)، 1986م.

51_ نوح أحمد عبك: المصطلح النقدي والبلاغي عند الآمدي، دار الحامد للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط 1، 2011م.

52_ يوسف وغليسي: إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ط 1، 2008م.

**المراجع المترجمة:

01 _ ريتشاردز: مبادئ النقد الأدبي والعلم والشعر، ترجمة محمد مصطفى بدوي، مراجعة لويس عوض وسهير القلماوي، المجلس الأعلى للثقافة، الجزيرة، القاهرة، ط 1، 2005م.

الرسائل الجامعية:

01_ عبد الحميد بوفاس: الإيقاع البلاغي في شعر مفدي زكريا، رسالة دكتوراه، إشراف أ.د. عزيز لعكايشي، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة الإخوة منتوري قسنطينة، 2016، 2017م.

02_ عمار عبد القادر أبو عمرو: المصطلح النقدي والبلاغي عند ابن أبي الإصبع المصري، رسالة ماجستير، إشراف: د. إبراهيم البعول، جامعة مؤتة، 2009م.

03_ عواطف بنت صالح بن سالم الحربي : البديع بين ابن أبي الإصبع المصري والخطيب القزويني، رسالة ماجستير، إشراف أ.د محمد بن إبراهيم شادي، كلية اللغة العربية، قسم الدراسات العليا، جامعة أم القرى، 2005م.

***المجلات والدوريات:

1. صلاح فضل: إشكالية المصطلح الأدبي بين الوضع والنقل، مجلة (كلية الآداب والعلوم الإنسانية)، فاس، المغرب، 1988م.
2. عامر الزناتي الجابري: إشكالية ترجمة المصطلح مصطلح الصلاة بين العربية والعبرية أنموذجا، مجلة (البحوث والدراسات القرآنية)، ع 09، السنة الخامسة والسادسة.
3. عبد العلي الودغيري: كلمة المصطلح بين الخطأ والصواب، مجلة (اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ع48، 1999م.
4. قادة عقاق: إشكالية ترجمة المصطلح السيميائي في النقد العربي المعاصر، مجلة (مقاليد)، ورقلة، الجزائر، ع2، 2011م.
5. كيفورك ميناجيان: النحت قديما وحديثا، مجلة (اللسان العربي)، مج9، ج1، يناير 1972م.
6. مجلة(اللسان العربي)، الرباط، مج18، ج1، 1981م.
7. محمد رشاد الحمزاوي: المنهجية العربية لوضع المصطلحات-من التوحيد إلى التتميط، مجلة(اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب الرباط، ع24، 1985م.
8. مؤسسة إيزو التوصية 1087: معجم مفردات علم المصطلح، مجلة(اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب بالرباط، ع22.
9. يحي عبد الرؤوف جبر: الاصطلاح مصادره ومشاكله وطرق توليده، مجلة (اللسان العربي)، مكتب تنسيق التعريب الرباط، ع36، 1992م.

3- فهرس المحتويات

3 _ فهرس المحتويات

الصفحة	المحتويات
	إهداء
	شكر
أ _ ي	مقدمة
11	تمهيد: الإشكالية النظرية للمصطلح
12	المحور الأول: مفهوم المصطلح وشروط صناعته والاختلاف بين دارسيه
12	أولاً_ المفهوم اللغوي والاصطلاحي
15_ 12	أ_ لغة
15	ب_ اصطلاحا
16_ 15	1_ عند القدماء
19_ 16	2_ عند المحدثين
24_ 19	ثانياً_ الشروط العامة لصناعته
28_ 24	ثالثاً_ اختلاف الدارسين في النظر لصناعته
28	المحور الثاني: علاقة المصطلح بعلم المصطلح وآليات صناعته

31_28	أولاً_ علاقة المصطلح بعلم المصطلح(المصطلحية)
31	ثانياً_ آليات صناعته
32	أ_ آليات التوليد والاختراع
34_32	1_ الاشتقاق
36_34	2_ المجاز
36	3_ الوضع(الاختراع)
37_36	4_ الارتجال
42_37	5_ النحت
42	ب_ آليات الإحياء والاستمداد
43_42	1_ الإحياء
44_43	2_ الترجمة
47_45	3_ التعريب
	القسم الأول: الدراسة التاريخية والوصفية للمصطلح في الكتابين
49	الباب الأول: الدراسة التاريخية
50	الفصل الأول: العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح

59_51	1_ عوامل نشأة المصطلح العربي
62_59	2_ العوامل الثقافية المؤثرة في تشكيل وعي المؤلف للمصطلح
69_63	الفصل الثاني: العوامل الدينية المؤثرة في التأليف الاصطلاحي لدى المؤلف وعلاقتها بإعجاز القرآن
70	الباب الثاني: الدراسة الوصفية للمصطلح في الكتابين
71	الفصل الأول: الدراسة الوصفية للمصطلح في تحرير التعبير
72	المحور الأول: تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته
73_72	1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان
100_73	2_ بيان منهج المعالجة
100	المحور الثاني: الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب
101	1_ المصطلحات المفردة
101	2_ المصطلحات الثنائية
102_101	أ_ المصطلحات المضافة
102	ب_ المصطلحات المقيدة بمتعلق
102	ج_ المصطلحات المتعاطفة

104_103	3_ المصطلحات المكونة من أكثر من كلمتين
105	الفصل الثاني: الدراسة الوصفية للمصطلح في بديع القرآن
106	المحور الأول: تحليل الصياغة الاصطلاحية لعنوان الكتاب وبيان المنهج المتبع في معالجته
106	1_ تحليل الصياغة الاصطلاحية للعنوان
115_106	2_ بيان منهج المعالجة
123_115	3_ مفهوم مصطلح البديع في الكتاب والتأسيس له بمنظور جديد
123	المحور الثاني: الصياغة الاصطلاحية ومستوياتها في الكتاب
123	1_ المصطلحات المفردة
123	2_ المصطلحات الثنائية
124	أ_ المصطلحات المضافة
124	ب_ المصطلحات المقيدة بمتعلق
124	ج_ المصطلحات المتعاطفة
127_124	3_ المصطلحات المكونة من أكثر من كلمتين
127	المحور الثالث: أوجه التشابه والاختلاف في الكتابين
127	1_ أوجه التشابه

128_127	2_ أوجه الاختلاف
	القسم الثاني: الدراسة الدلالية لحقول المصطلح في الكتابين
130	الباب الأول: الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الإيقاع
131	_ تمهيد
132	الفصل الأول: مصطلحات التكرار الصوتي
135_133	1_ الازدواج
139_136	2_ الالتزام
141_140	3_ التجزئة
144_141	4_ الترصيع
151_144	5_ التسجيع
152_151	6_ التسميط
155_153	7_ التشطير
158_155	8_ التصريع
160_158	9_ التوأم
164_161	10_ التفويف
166_164	11_ التوشيع

169_166	12_ المماثلة
171_169	13_ الموازنة
172	الفصل الثاني: مصطلحات التكرار اللفظي
176_173	1_ الاطراد
191_176	2_ التجنيس
194_191	3_ التردد
198_194	4_ رد الأعجاز على الصدور
201_198	5_ تشابه الأطراف
203_201	6_ التطريز
206_204	7_ التعطف
208_206	8_ التكرار
210_208	9_ المراجعة
214_210	10_ المشاكلة
215	الفصل الثالث: مصطلحات الائتلاف والتناسب
218_216	1_ ائتلاف اللفظ مع المعنى
220_218	2_ ائتلاف اللفظ مع الوزن
220	3_ ائتلاف المعنى مع الوزن

223_220	4_ ائتلاف القافية مع ما يدل عليه سائر البيت
223	5_ ائتلاف الفاصلة مع ما يدل عليه سائر الكلام
227_223	6_ التوشيح
229_227	7_ الانسجام
233_230	8_ التخيير
236_233	9_ التسهيم
243_237	10_ التهذيب والتأديب
246_243	11_ جمع المؤنثفة والمختلفة
249_246	12_ حسن النسق
252_249	13_ الطاعة والعصيان
255_252	14_ المناسبة
256	الفصل الرابع: مصطلحات التضاد والتقابل
259_257	1_ إثبات الشيء للشيء بنفيه عن غير ذلك الشيء
263_259	2_ السلب والإيجاب
271_263	3_ الطباق
275_271	4_ التدبيح
277_275	5_ نفي الشيء بإيجابه

282_277	5_ صحة المقابلات
287_282	6_ العكس والتبديل
288	الباب الثاني: الدراسة الدلالية لمصطلح حقل التركيب
289	_ تمهيد
290	الفصل الأول: مصطلحات أقسام الكلام
294_291	1_ الاحتراس
297_294	2_ الاستقصاء
299_297	3_ الانفصال
308_299	4_ الإيجاز
313_308	5_ الإيضاح
317_313	6_ الإيغال
320_317	7_ البسط
324_320	8_ التذليل
326_325	9_ التفصيل
330_326	10_ التكميل
332_330	11_ التأليف

335_332	12_ التمام
337_335	13_ الزيادة التي تفيد اللفظ فصاحة وحسنا والمعنى توكيدا وتمييزا له عن غيره
342_337	14_ حسن البيان
345_342	15_ صحة الأقسام
347-345	16_ التفريق مع الجمع
351_347	17_ صحة التفسير
356_351	18_ المساواة
357	الفصل الثاني: مصطلحات التنوع في الأسلوب
362_358	1_ الاستثناء
364_362	2_ الاستدراك والرجوع
366_364	3_ الإسجال بعد المغالطة
369_366	4_ الاستطراد
374_369	5_ الالتفات
376_374	6_ تأكيد المدح بما يشبه الذم
381_376	7_ التباين
383_381	8_ التفريع

385_383	9_التندير
388_385	10_التهمك
389_388	11_الشمامة
391_389	12_عتاب المرء نفسه
393_391	13_المواربة
395_394	14_النزاهة
397_395	15_الهجاء في معرض المدح
398_397	16_الهزل يراد به الجد
399	الفصل الثالث: مصطلحات التماسك النصي
403_400	1_حسن الابتداءات
407_403	2_براعة التخلص
411_408	3_حسن الخاتمة
412	الفصل الرابع: مصطلحات الحجاج العقلي
414_413	1_الإلجاء
417_414	2_التعليل
418_417	3_التسليم

420_418	4_ التنظير
422_420	5_ حصر الجزئي وإحاطه بالكلية
425_422	6_ القسم
426_425	7_ الحيدة والانتقال
428_427	8_ القول بالموجب
431_428	9_ المذهب الكلامي
434_431	10_ المناقضة
435	الباب الثالث: الدراسة الدلالية لمصطلح حقل الخيال والإبداع
437_436	_ تمهيد
438	الفصل الأول: مصطلحات الإبداع والاختراع
442_439	1_ الإبداع
444_442	2_ الاتفاق
446_444	3_ الاقتدار
447_446	4_ التصرف
449_447	5_ التنكيت
452_449	6_ سلامة الاختراع من الاتباع
454_452	7_ الفرائد

456_454	8_ المقارنة
461_456	9_ النواذر
462	الفصل الثاني: مصطلحات التداخل في عملية الإبداع
465_463	1_ الإيداع
467_465	2_ الاستعانة
471_467	3_ الاشتراك
474_471	4_ التوليد
481_474	5_ حسن الاتباع
484_481	6_ حسن التضمين
485_484	7_ الحل
487_485	8_ العقد
490_487	9_ العنوان
491_490	10_ الموارد
492	الفصل الثالث: مصطلحات التجاوز والتوسع
495_493	1_ الاتساع
500_495	2_ الإفراط في الصفة
503_500	3_ الإغراق

505_503	4_ الغلو
507_505	5_ الإدماج
510_508	6_ الافتتان
515_511	7_ التعليق
517_515	8_ التمزيج
518	الفصل الرابع: مصطلحات الإيمان والإيحاء
520_519	1_ الإبهام
523_520	2_ الإرداف والتتبع
526_523	3_ الإشارة
528_526	4_ الإلغاز والتعمية
530_528	5_ الاستخدام
532_530	6_ تجاهل العارف
534_532	7_ التشكيك
539_534	8_ التمثيل
542_539	9_ التورية
544_542	10_ الترشيح
548_544	11_ التوهيم

549	الفصل الخامس: مصطلحات الصورة الفنية
558_550	_ الاستعارة
565_558	_ التشبيه
570_566	_ الكناية
575_570	_ المجاز
583_576	خاتمة
	ملخصات البحث
586_585	1_ ملخص البحث باللغة العربية
588_587	2_ ملخص البحث باللغة الإنجليزية
590_589	3_ ملخص البحث باللغة الفرنسية
	الفهارس
598_592	1_ المعجم الألفبائي للمصطلحات
	2_ قائمة المصادر والمراجع
608_600	1-2_ المصادر
613_608	2-2_ المراجع
628_614	3_ فهرس المحتويات